شفاء الغليل

فيما في كلام العرب من الدخيل

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي

المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور عليوة عبد النبي محمد وهد

المجلد الأول

دار ابن كثير

شفاء الغليل

شِفَاءُ الغَلِيلِ

فِيمَا فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنَ الدَّخِيلِ

المجلّد الأوّل

- الموضوع: لغة
- العنوان: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل 1\3
- تأليف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي
- تحقيق ودراسة: الدكتور عليوة عبد النبي محمد وهد

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

ISBN 978-614-415-343-7

ISBN 978-614-415-343-7
9 786144 153437

دمشق - سورية - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
تلفاكس: 2225877 11 963+
2228450 11 963+

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - شارع أبو شقرا
تلفاكس: 817857 1 961+
705701 1 961+
جوال: 204459 3 961+

website: www.ibn-katheer.com / e-mail: info@ibn-katheer.com

/daribnkatheer @daribnkatheer daribnkatheer daribnkatheer

شِفَاءُ الغَلِيلِ

فِيمَا فِي كَلَامِ العَرَبِ مِنَ الدَّخِيلِ

تأليف

شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الخَفَاجِيِّ

المُتوفَّى سنة ١٠٦٩ هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور عليوة عبد النبي محمد وهد

المجلد الأول

دار ابن كثير

أصل هذا الكتاب

بحث لنيل درجة الماجستير

في علم اللغة والنحو

في جامعة بنها كلية الآداب

قسم اللغة العربية (٢٠٠٧)

إشراف العالِمين الكبيرين

الأستاذ الدكتور/ رمضان عبد التواب (رحمه الله تعالى)

العميد السابق لكلية الآداب جامعة عين شمس

والأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم عبادة

العميد السابق لكلية الآداب جامعة بنها (حفظه الله)

دعاء

اللَّهمَّ هَيِّئ لنا الخير، واعْزِم لنا على الرُّشْد، وآتنا من لدنك رَحْمةً، واكتُبْ لنا السَّلامةَ في الرَّأي، وجنِّبنا فِتنَةَ الشَّيطانِ أنْ يَقْوَى بها فَنَضْعُفَ، أَوْ نَضْعُفَ لها فيَقْوَى، ولا تَدَعْنا من كوكبِ هِدايةٍ منك في كُلِّ ظُلْمةِ شَكٍّ منّا، واعْصِمناأنْ تكون آراؤنا في الحقِّ البيِّنِ مكانَ اللَّيلِ مِنْ نَهارِهِ، أو تَنْزِلَ ظُنونُنا مِنَ اليقينِ النَّيِّر مَنْزِلَةَ الدُّخانِ مِنْ ناره، نَسأَلُكَ بوجهكَ ونتوسَّلُ إليك بِحمدِكَ، وندعُوكَ بِأَفْئدةٍ عرَفَتكَ حينَ كذَّبَ غيرُها فأقرَّتْ وآمنتْ بك فزُلزِلَ غَيْرُها، واسْتَقَرَّتْ.

إهداء

إلى

أُمِّ الوليدِ

الَّتي رحلتْ ولم تفرحْ بِوليدِها؛ فعزمَ على إسعادِها في قَبرِها عَلَّها تَرضَى.

إلى والدٍ

لم يَسْعَدْ بِقُربِ وليدِه لِسنواتٍ؛ عَلَّهُ يَغْفِرُ التَّقصِيرَ.

إلى اللآلئ الأربَعِ

حبَّات القلوب دعاء، ويوسف، ويحيى، والمعتصم بالله، وشجرتهم الوارِفَةِ الظِّلال؛ فكمْ أظَلَّتْنِي بِحُبِّها وكم غَفَرَتْ بُعْدِيَ عَنْهُمْ، أَوْلادي وزوجتي، وأمِّها فكم نَهِلتُ مِنْ نبعِ دُعائِها (حفظها الله لنا).

إلى أخي الحنون؛ كَم أَنْصَتَ إلى شكْوايَ، وحاول التَّخفِيفَ، أخي محمد.

إليهم جميعًا أُهدي هذا العملَ.

شكر وعرفان

إنْ كان في هذا البحث مِنْ فضلِ علمٍ؛ فإنَّه يرجعُ - بعد الله ﷻ - إلى قِمَّتين شامِختين من قِمَمِ العِلْمِ، إحداهما غابت عن العيون، غير أنَّ أثرَها باقٍ إلى ما شاءَ اللهُ أنْ يكونَ؛ أستاذي الدكتور/ رمضان عبد التواب

لم يخلُ ظهرُ الأرض ممَّن ذِكرهُ ... من بين أثناء الصَّحائف يَظْهَرُ
يَا مَن كأن الدَّهْرَ يَعْشَقُ ذِكْرَهُ ... ولسانُه مِنْ وَصفِهِ لا يَفْتُرُ
إن سُتِّرتْ تِلكَ المَحَاسِنُ بالثَّرَى ... فَمِنَ العُلومِ مَحاسِنٌ لا تُسْترُ
أو أَسْرَعَتْ في مَحْوِهِنَّ يَدُ البِلَى ... فَيدَاك تُمْلي واللَّيالي تَسْطُرُ
بِأبي ثَراك ومَا تَضَمَّنَهُ الثَّرَى ... كُلٌّ يَموتُ وليسَ كُلٌّ يُذْكَرُ

وأما القمة الثانية فهي التي رَعَتْ وَأَظَلَّتْ، فكانت لي - بعدَ الله - عاصمًا مِنَ الزَّلَلِ، أستاذي الحبيبِ الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم عُبَادَة - حفظه الله -.

إنَّ العُلا إذْ مَا ذُكِرْتَ كَأَنَّمَا ... بَدْرٌ يُضِيءُ به عُبَادَةُ مُقْمِرُ
زَمَّلْتَنِي بِرِدَاءِ فَضْلِكَ فَانْثَنَى ... بَحْثِي به زَهْوًا يَمِيسُ ويَخْطِرُ
فَلَكَمْ صَبَرْتَ على الْجَهالة مِنْ فتًى ... غَضِّ الإِهَابِ لعلَّ يومًا يَكْبَرُ
فإذا به مِن فَضْلِ خيرك يَرْتَوِي ... أَدَبًا وعِلْمًا لِلْخَلِيْقَةِ مُثْمِرُ

شكر واجب

إلى هؤلاء الأماثل، الَّذين قدَّموا ليَ الكَثيرَ، ولا أَقْدِرُ على مكافأتهم فأسأل الله أن يجزيهم عني خيرًا:

الدكتور/ منير جمعة

الدكتور/ خالد فهمي

الدكتور/ عبد الرحمن يوسف

الدكتور/ إيهاب النجمي

الدكتور/ أحمد النجمي

القسم الأوّل
الدراسة

مقدمة المحقق

الحمدُ لله رب العالمين الذي بَلْبَلَ ألسِنةَ بني الإنسانِ، ومَنَّ عليهم بِنعمةِ البيانِ، كلٌّ بلغته يُفْصِحُ عمَّا يدور في الأفْهام، فهي نِعْمةٌ واحدةٌ مِنْ نِعَمٍ لا يُنْفِدُها عَدٌّ، ولا يحصرها حَدٌّ، وأصلي وأسلم على أفْصَح من نطق بالضَّادِ ـ سيدِنا محمدٍ خيرِ الأنام ـ وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا لا ينقطع له مَدٌّ إلى يوم الدِّين، وبعد:

فموضوع بحثي هذا هو «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لقاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي (تحقيق ودراسة).

وهو كما يبدو من عنوانه يقوم على ركنين أساسِيَّينِ وهما:

الأول: دراسة كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» للشهاب الخفاجي.

والثاني: تحقيق الكتاب تحقيقًا علميًّا.

أما دوافع اختياري لهذا الموضوع فهي:

ـ حُبِّي الشديد لتراث أجدادنا العرب المسلمين وحِرْصي على الغَوْص في بُحورِه، للبحث عن دُرِّه، وإخراج بعضه مِنَ الأصدافِ؛ فقناعتي شديدةٌ بأنَّ الباحث في لغته لا يُمْكِنُ أنْ يستوِيَ فِكْرُهُ، ويقوى ساعِدُهُ بغير الاتِّصالِ الوثيقِ بتراثه اللُّغويِّ.

ـ أُضيف إلى ذلك حُبِّي الشديد لذلك النَّوع من المعاجم التي تَهتمُّ بتصويرِ

الواقع اللُّغويِّ، ورصدِ الانحرافاتِ، وكشف اللِّثامِ عمَّا يُظَنُّ أنَّه مِنْ سقطاتِ العوام.

وقد كان مِنْ منهجِ أستاذي الدكتور رمضان عبد التواب رَحِمَهُ اللَّهُ أن الذي يميل ـ من تلامذته ـ إلى العمل في تحقيق نصٍّ قديم؛ يجب أن يدرس الجهود اللغوية لصاحب هذا النصِّ؛ حتى لا يتحوَّلَ الباحثُ إلى مجرَّدِ باحثٍ في التُّراث دون وَعْيٍ بالقضايا اللُّغويَّة؛ لذلك وجب دراسةُ الجهود اللغوية لشهاب الدِّين الخفاجِيِّ في ضوءِ عِلْمِ اللُّغة الحديث من خلال كتابه الذي بين أيدينا.

ـ ومن أهمِّ الدَّوافع أيضًا، أنَّ كتابَ (شفاء الغليل) لم يُحقَّقْ تحقيقًا علميًّا ـ فيما أعلم ـ كما يبدو من طبعات الكتاب، وكما سأُبَيِّنُ ذلك في حينه في القسم الثاني (التحقيق) من البحث.

ـ وكذلك أنِّي عندما وقعتْ يدي على مخطوطٍ للكتاب اكتشفتُ أنَّ طِباعتَه السَّابقَةَ[١] كلَّها تعتمد على طبعة حجريَّةٍ قديمة بتصحيح الشَّيخ بدرِ الدين النَّعسَانِيِّ (١٣٢٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وأنَّ أحدًا لم يرجعْ إلى هذا المخطوط، على الرغم من وجود أكثرِ مِنْ ثلاثينَ مادَّةً لغويَّةً في أوَّلِه (من باب الهمزة) قد سقطت من طبعة النعساني، ولم يلتفت أحدٌ لذلك.

ـ كما أن هناك عددًا من المواد سقطت من الكتاب في مواضعَ مختلفةٍ[٢]؛ فعددُ موادِّ الكتاب كما في طبعة النعساني (١٣٢٥هـ) والتي قبلها

---

(١) طبع هذا الكتاب طبعتين حجريتين قديمتين، الأولى بتصحيح الشيخ نصر الدين الهوريني (١٢٨٢هـ)، والثانية بتصحيح الشيخ بدر الدين النعساني (١٣٢٥هـ)، كما طبع ثلاث طبعات جديدة أقدمها نشرها الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، والثانية نشرها الدكتور قصي الحسين (١٩٨٧م) تحت عنوان معجم المفردات والتراكيب المولدة في شفاء الغليل، والأخيرة نشرها الدكتور محمد كشاش (١٩٩٨م)، وقد علقت على هذه الطبعات في مقدمة التحقيق.

(٢) وقد بينت تلك المواضع في أماكنها من التحقيق.

(طبعة الشيخ نصر الهوريني ١٢٨٢هـ) ثلاثٌ وتسعونَ وثلاثُ مِائةٍ وألفِ (١٣٩٣) مادة لغوية، وقد تبين من خلال التحقيق أن أصل الطبعتين واحد، بل إنَّ طبعة النعساني هي نفسها طبعة الهوريني، فقد نسخها بحواشيها التي كتبها نصر الهوريني، وكان النعساني رَحِمَهُ الله أمينًا في نسبة تلك الحواشي إلى صاحبها.

أقول: إن عدد مواد الكتاب في تحقيقنا له قد بلغت خمسًا وستين وأربعمائة وألف (١٤٦٥) مادة لغوية أي بزيادة نحو اثنتين وسبعين مادة لغوية، وقد نَبَّهتُ على تلك الزيادات في مواضعِها.

ـ أُضيف إلى ذلك وجودَ عددٍ كبير من الأَوْهامِ والتحريفاتِ في طبعاتِ الكتاب ولولا ذلك المخطوطُ ما أُصْلِحَتْ تلك التحريفاتُ.

الدراسات السابقة:

أمَّا عَنِ الدِّراساتِ السَّابقة فكما قلت: إن أحدًا لم يَدْرسْ جهودَ الخفاجي اللغوية دراسة متأنِّيةً؛ فقد دُرِسَ في جانب النَّحو[1]، وفي جانب البلاغة[2] فقط.

أما عن تحقيق الكتاب: فإنِّي أزعُمُ أنَّ هذه هي المرة الأولى التي يُحَقَّقُ فيها تحقيقًا علميًّا يعتمد على منهج الاستقصاء في تخريج الشواهد والمسائل؛ فهو منهج غرسه فينا شيخُ المدرسة الرمضانيَّةِ، أستاذُنا الدكتورُ رمضانُ عبد التواب رَحِمَهُ الله، وبارك ذلك المنهج، وثبَّتني عليه بعد ذلك أستاذُنا الدكتور محمد إبراهيم عبادة ـ أَمَدَّ الله عمره ـ فلولاه لزلَّت قدماي عن طريق البحث الذي اتَّبعه هو.

---

(١) الشهاب الخفاجي وأثره في النحو، رسالة دكتوراه للدكتور صلاح عبد العزيز بجامعة الأزهر، كلية اللغة العربية.

(٢) الشهاب الخفاجي وجهوده البلاغية، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر.

فيما يخصُّ القِسمَ الأوَّلَ (دراسة الجهود اللغوية) فإنني بعد الرجوع إلى أستاذي الدكتور عُبادة قد قصرته على كتاب شفاء الغليل لسببين:

الأول: أن مؤلفات الخفاجي اللغوية كثيرةٌ وبعضها يحتاجُ إلى دراسةٍ خاصَّةٍ كحاشيته على تفسير البيضاوي التي بلغت تسع مجلدات مثلًا؛ فآثرتُ التركيز على التشتيت.

الثاني: أن شفاء الغليل كتاب ثريٌّ بالقضايا اللُّغويَّةِ ـ لطبيعة موضوعه ـ ولثقافة الخفاجي الموسوعِيَّةِ وتأخُّرِهِ؛ فقد استوعب كثيرًا من آراء من سبقهُ من اللُّغويين، فكان لا بدَّ من كشفِ جواهرِ ذلك الكتاب.

وفيما يخص دراسة القضايا اللغوية، فَقَد آثرتُ استخدام المنهَج المقارَن بحيث أذكرُ رأيَ القُدماءِ في القضيَّةِ ثُمَّ رأيَ الخفاجي؛ لإمكان الكشف عن نقاط تفرُّدِه وإضافاته، ثم أذكرُ موقفَ المُحْدَثِين من هذه القضيةِ، وأكشفُ عن مدى قُرْبِه (أي الخفاجي) منهم أو مخالفتِهم لما ذهب إليه.

أمَّا فيما يخص التحقيق فسوف أُصَدِّرُ قِسمَ التحقيقِ بتمهيدٍ أدرسَ فيه الكتابَ دِراسةً تاريخيَّةً فِيلولوجية (phelology)، وأذكر عملي في التحقيق.

وبذلك فقد جاءت خُطَّةُ البحث كما يلي:

القسم الأول: الدراسة:

ويحتوي على ما يلي:

التمهيد: قصرته على ترجمة مستفيضة للشِّهاب الخفاجي.

الباب الأول: قضايا المُعَرَّب في شفاء الغليل

ويتضمن فصولًا ثلاثةً:

الفصل الأول: المصطلحات وموقف الخفاجي منها، وقد تناولت فيه:

ـ الاقتراض اللغوي.

ـ المُعَرَّبَ.

- الدَّخيلَ.

- الأَعْجَمِيَّ.

- توافُقَ اللُّغَاتِ.

- المُوَلَّدَ.

- العاميَّ والملحونَ والمرْذُولَ.

- اللُّغاتِ واللُّهجات.

الفصل الثاني: المُعَرَّب وموقف الخفاجيِّ منه، وقد تناولت فيه:

- طُرُقَ معرفة المُعرَّبِ.

- تغيير المُعَرَّبِ.

- المُعَرَّبَ في القرآنِ.

- المُعَرَّبَ في الحَديثِ.

- المُعَرَّبَ في الشِّعْرِ القديمِ.

الفصل الثالث: مداخِلُ الكِتابِ.. دِراسةٌ إحصائيَّةٌ تحلِيليَّةٌ، وقد تناولتُ فيه:

- **أولًا**: موادَّ الكتاب.

- **ثانيًا**: تحليل مَادَّةِ الكتابِ.

الباب الثاني: القضايا اللُّغويَّةُ في شفاء الغليل:

ويتضمن فصولًا ثلاثة:

الفصل الأول: من الظَّواهرِ الصَّوتيَّةِ، وقد تناولت فيه:

- تمهيدًا.

- التطوُّرَ (التغيير) الصَّوْتيَّ.

- الإبْدالَ للتَّعريبِ.

ـ طريقةَ تَعْريبِ الهاءِ المُتَطَرِّفةِ في الكلماتِ الفارسيَّة.

الفصل الثاني: مِنْ قضايا الدِّلالَةِ، وقد تناولتُ فيه:

ـ **أولًا**: المفردات.

ـ **ثانيًا**: التراكيب.

الفصل الثالث: من الظَّواهِر البنائِيَّةِ، وقد تناولت فيه:

ـ الاشتقاقَ والقياسَ والسَّماعَ.

ـ النَّحْتَ.

ـ القَلْبَ المَكَانِيَّ.

ثم **القسم الثاني**: التحقيق:

أولًا: الدراسةُ الفِيلُولُوجية للكتاب، وقد صَدَّرْتُه بتمهيدٍ تحدَّثتُ فيه عنِ المباحث الآتيةِ:

ـ تحقيقِ نسبَةِ الكتاب للخفاجي.

ـ دواعي تأليف الكتاب.

ـ مَنْهَجِه في بَسْطِ كتابه.

ـ شواهده.

ـ مصادِرِه.

ـ أثرِ الكتابِ فيما جاء بعده من الكتب.

ـ المآخذِ على الكتاب.

ـ طبعاتِ الكتاب (عَرْضٌ ونَقْدٌ).

ثانيًا: التحقيق:

ـ خُطَّةُ التَّحقيقِ ووصفُ النُّسخِ.

ـ النَّصُّ مُحقَّقًا.

ـ خاتمة الدراسةِ والتَّحقيقِ ونتائجِ البحثِ.

ثالثًا: الفهارسُ الفنيَّةُ وهي:

ـ القرآنُ الكريمُ.

ـ الحديثُ والأقوالُ المأثورةُ.

ـ التعبيراتُ الاصطلاحيَّةُ والسِّياقِيَّةُ.

ـ المصطلحاتُ العلْميَّةُ.

ـ فِهْرَسُ القَوَافي.

ـ الكُتُبُ الواردَةُ في المتنِ.

ـ البلدانُ.

ـ الأعلامُ.

ـ فِهرسُ القبائلِ والأُممِ والطَّوائفِ.

ـ النباتُ.

ـ الحيوانُ والطَّيرُ.

ـ الموادُّ اللُّغويَّةُ.

ـ قائمةُ المصادرِ.

ـ الفهرَسُ العام.

التنبيهاتُ والاختصاراتُ والرُّموزُ:

وأودُّ التَّنبيه على:

● أنَّ البحث قد جاء في مُجلَّداتٍ ثلاثٍ؛ لضخامة حجمِه، الأول: يَضمُّ قِسْمَ الدراسة، والثاني: يضمُّ الدِّراسة الفيلولوجية للكتاب مع النَّصِّ محَقَّقًا من أولِ باب الهمزة حتى بابِ الشِّين، أما المجلد الثالث: فيحوي النَّصَّ

محَقَّقًا من باب الصَّاد حتى باب الياء. بالإضافة إلى خاتمة التحقيق والدراسة، وقائمة المصادر والمراجع، والفهارس الفنية.

- اعتمدت على أربعة أصول في التحقيق وهي:

ـ مَخطوط دارِ الكُتُبِ وهو الأُمُّ الذي اعتمدتُ عليه.

ـ مخطوط الأزهر.

ـ طبعة نَصْرِ الهُوريني.

ـ طبعة بدر الدين النَّعْسانِيِّ.

الاختصارات:

ـ (ط بدر): طبعة بدر الدين النعساني.

ـ (ط نصر): طبعة نصر الهوريني.

ـ (ك): مخطوط دار الكتب وهو الأم الذي اعتمدت عليه.

ـ (ز): مخطوط الأزهر.

ـ (ع): شعر.

ـ (م) معروف.

وبعد:

فإن أصبتُ فمنَ الله، وذلك فضلُ الله يؤتِيه من يشاءُ، وإن زَلَلْتُ فمنْ نَفْسِي ومِنَ الشَّيطانِ وحسبِي أنِّي اجْتَهَدْتُ.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

الباحث

التمهيد
شهاب الدين الخفاجي(١)
(٩٧٧ - ١٠٦٩هـ)

اسمه ولقبه وكنيته:

هو: أحمد بن محمد بن عمر الخَفَاجيُّ(٢) المصري(٣) الحنفي(٤) المُلقَّبُ

---

(١) من مصادر ترجمته: خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا ١٠٠ وما بعدها، وريحانة الألبا ٢/٣٢٧ - ٣٤٠، وخلاصة الأثر ١/٣٣١ - ٣٤٣، ونفحة الريحانة للمُحِبِّي ٤/٣٩٥ - ٤٧٧، وسلافة العصر ٤٢٠ - ٤٢٧، وكشف الظنون ١/٦٩٩، والتقاط الدُّرر ٢/١٤٣، ١٤٤، وإتحاف الأخِلَّاء ٦٨، وصفوة ما انتشر ١٢٨، وإيضاح المكنون ١/٣٩٧، ٤٨٨، ٥٥٠ و٢/٣٠، ٥١، ٨٢، والحقيقة والمجاز ٥٩، ١٢٥، ٢٣٢، ٣١٢، وفهرس الفهارس ١/٣٧٧، ٣٧٨، وهدية العارفين ١/١٦٠، والخفاجيون في التاريخ ١٤١ وما بعدها، والأعلام للزركلي ١/٢٢٧ - ٢٨٨، ومعجم المؤلفين ٢/١٣٨، ١٣٩، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٣٠٠، ٣٠٨، والكُنَى والألقاب ٢/٢١٧، ٢١٨، وبروكلمان القسم الثامن (١٢ - ١٣أ) صفحة ٥٥، الفهرس التمهيدي (فهرس دار الكتب) ٣٨٣، معجم المطبوعات العربية والمعربة ٥١ وما بعدها، واكتفاء القنوع ١/٣٦٦.

(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣١، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان القسم الثامن (ج١٢ - ١٣أ) صفحة ٥٥، ومعجم المؤلفين ٢/١٣٨، والأعلام ١/٢٢٧، وتاريخ آداب اللغة لجورجي زيدان ٣/٣٠٨، وهدية العارفين ١/١٦٠.
والخَفَاجي بفتح الخاء والفاء المخففة، وقد ذكر الكِتَّاني في فهرس الفهارس ١/٣٧٧ أن بعض المؤرخين ضبطوه بكسر الخاء ثمَّ علَّق بقوله: «وهو خلاف المسموع».

(٣) نسبة إلى مصر التي ولد بها وتعلَّم فيها ودفن بأرضها، وانظر نفس المراجع السابقة.

(٤) نسبة إلى مذهبه الفقهي المنسوب إلى أبي حنيفة النعمان ﵁، وانظر نفس المراجع السابقة.
وزعم مترجم «المعربات الرشيدية» نسبته إلى الكوفة ولا أدري ما دليله في ذلك؟ يقول =

بشهابِ الدِّين[١] وعليه غلب هذا اللَّقبُ، كما لُقِّبَ بقاضي القضاة[٢]؛ نسبة إلى اشتغاله بالقضاء، حيث وَلِيَ القضاء ببلاد (روم إيلى) في بلاد الروم، ثم قضاء سلانيك ثم أصبح قاضيًا للعسكر بمصر وفي ذلك يقول المُحِبِّي: «ولما وصل إلى الرُّوم في رحلته الأولى وَلِيَ القضاء ببلاد روم إيلى حتى وصل إلى أعلى مناصبها، كأُسْكُوب وغيرها، ثم في زمن السلطان مراد تَوَصَّل حتى اشتُهِرَ بالفضل الباهر، فَوَلَّاهُ السُّلطانُ قضاء سلانيك، فحصَّل بها مالاً كثيرًا، ثم أُعْطِي بعدها قضاء مصر»[٣].

وقد ذكر صاحب معجم المؤلفين أنَّه كُنِّيَ بـ «أبي العباس»[٤].

وهناك خلاف كبير بين المؤرخين في أصل نسبته (الخفاجِيُّ) وفي معنى كلمة خفاجة؛ فجعلها المُحِبِّي نسبة إلى أبيه خفاجة فقال: «والخفاجيُّ نسبة إلى أبيه خفاجة، ولا أدري معناه، وأصل والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاة»[٥]. وأنكر بعضهم[٦] هذه النسبة، غير أن أكثرهم يجعلها نسبة إلى قبيلة خفاجة العربية[٧].

= صفحة ٩٩: «كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لشيخ الإسلام شهاب الدين الخفاجي الكوفي المتوفى ١٠٦٩هـ. . . وكان معروفًا في مصر بالقاضي العسكري».

(١) خلاصة الأثر ١/٣٣١، وريحانة الألبا ١/٤، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٣٠٨، وبروكلمان (١٢ ـ ١٣)/ ٥٥، والأعلام ١/٢٢٧، ومعجم المؤلفين ٢/١٣٨، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ٥١.

(٢) نفس المراجع.

(٣) خلاصة الأثر ١/٣٣٣.

(٤) انظر معجم المؤلفين ٢/١٣٨.

(٥) خلاصة الأثر ١/٣٤٣.

(٦) انظر سلافة العصر ٣٤٣.

(٧) انظر الأعلام ١/٢٢٧، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ١/ ٣٠٠، والخفاجيون في التاريخ ١٤٢، ويجعل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي السبب في عدم معرفة المُحِبِّي معنى (خفاجة) أنه لم يكن من علماء الأنساب وأن حياته كانت بعيدة عن مواطن الحجاز ونجد واليمن.

ويرى أصحاب كتب الأنساب أن خفاجة بطن من بطون بني عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة من العدنانية[١].

وقد ذكر السُّويدِيُّ في سبائكه[٢] أنَّ من الخفاجيين طائفة ببلاد البحيرة من الديار المصرية. فإنْ كان ذلك صحيحًا فالغالبُ أنَّ الخفاجيَّ منهم، ويقوِّي ذلك عندي ما قاله الخفاجيُّ نفسُه؛ حيث يقول مفتخرًا بنسبته إلى العرب[٣]:

فـإنِّـي مِـنَ الـعـرب الأكْـرَمِـيـن وفـي آخِـرِ الـدَّهْـرِ ضـاع الـكَـرَمْ

وقال أيضًا في مقدمة ديوانه[٤]: «إني فَرْعٌ بَسَق من جُرثومة خفاجة، من فتية تفيأت ظِلال المجد، وحَلَّت ما بين تِهَامة وسَرَاة نَجْد». وقال ابن معصوم عنه:

«فرع تهَدَّل من ذؤابة خفاجة»[٥].

مولِدُهُ ووفاتُه:

تُجمِعُ المصادرُ على أنَّ ولادتَه كانت في سنة سبْعٍ وسبعين وتسعمائة[٦] من الهجرة الموافقة لسنة (١٥٦٩) ميلاديَّة[٧]

---

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ٢/ ٤٦٩، والأنساب ٢/ ٣٨٦، واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٣٨١، ونهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٤٠، والاشتقاق لابن دريد ٢٩٩.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ١٧٥.

(٣) ريحانة الألبا ١/ ٤.

(٤) للخفاجي ديوان مخطوط وتحت يدي مصورته وسيخرج قريبًا مُحقَّقًا إن شاء الله.

(٥) سلافة العصر ٤٢٧.

(٦) انظر الأعلام ١/ ٢٢٧، ومقدمة الريحانة ١/ ٤، غير أن بعض المعاصرين يجعلون ولادته عام (٩٧٩هـ ١٥٧١م). انظر معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨ وزعم صاحب اكتفاء القنوع أنه ولد سنة (١٠١٩هـ)!!.

(٧) انظر الأعلام ١/ ٢٢٧.

في مصر[١]، بسرياقوس[٢] وهي مسقط رأس والده «فآلُ والده من سرياقوس قرية من قرى الخانقاة»[٣]، والخانقاة أحد مراكز محافظة القليوبية وهي مدينة قريبة من القاهرة، ولقد عُمِّرَ شهابُ الدِّين طويلًا، وكانت حياته مليئةً بالأحداث والعلم والتَّعليم، وكانت وفاتُه بالقاهرة سنة تسعٍ وستين وألفٍ مِنَ الهجرة[٤] (١٠٦٩هـ) الموافق الثالث والعشرين من مايو سنة ألفٍ وتسعٍ وخمسين وستمائة من الميلاد[٥] (١٦٥٩م)، وقد ذكر المُحِبِّي ذلك فقال: وكانت وفاته رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لِثِنتيْ عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعٍ وستين وألفٍ، وقد أنافَ على التِّسعين. وكان توفي قبله بثلاثة أشهر الفقيه الكبير محمد بن أحمد الشُّوبَرِيُّ الملقَّبُ بالشَّافعيِّ الصَّغيرِ فقال فيهما السَّيِّدُ الأديبُ أحمدُ بنُ محمدٍ الحَمَوِيُّ المصريُّ يرثيهما ـ وكان قرأ عليهما ـ:

[من الطويل]

مَضَى الإِمَامَانِ في فِقْهٍ وَفي أَدَبِ ... الشُّوبَرِي والخَفَاجِي زِينَةُ العَرَبِ
وكُنْتُ أَبْكِي لِفَقْدِ الفِقْهِ مُنْفَرِدًا ... فَصِرْتُ أَبْكي لِفَقْدِ الفِقْهِ والأَدَبِ[٦]

وصُلِّي عليه بالجامع الأزهر، ودُفن عند قبر خاله أبي بكرٍ الشَّنَوانِيِّ بتُربة المُجاورين.

---

(١) انظر بروكلمان القسم الثامن ج١٢ ـ ١٣أ/ ٥٥، وانظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٢٧، وانظر معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨.

(٢) انظر بروكلمان القسم الثامن ١٢ ـ ١٣/ ٥٥، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣٠٨.

(٣) خلاصة الأثر ١/ ٣٧٣، قال ياقوت في المعجم ٣/ ٢١٨ عن الخانقاة: «هي بليدة في نواحي القاهرة».

(٤) خلاصة الأثر ١/ ٣٤٣، وانظر تاريخ آداب اللغة ٣/ ٣٠٨، وانظر الأعلام ١/ ٢٢٧.

(٥) انظر بروكلمان القسم الثامن ١٢ ـ ١٣أ/ ٥٥، وانظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٢٧، وانظر معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨.

(٦) خلاصة الأثر ١/ ٣٤٣، وانظر معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨.

شُيوخُهُ:

جاء شهاب الدين الخفاجي في عصرٍ به عددٌ غيرُ قليلٍ من العلماء في مختلِف فروع العلم من لغةٍ وأدبٍ وتاريخٍ وفلسفةٍ وفِقهٍ وحديثٍ حتَّى علم الطِّبِّ، فأخذ الشهابُ عن أغلبِ مشايخِ عصره؛ في مصرَ ـ حيثُ نشأ ـ، وفي بلاد الروم حيثُ كان وقتِ الطَّلب ـ في رحلته الأولى ـ، وحتَّى علماءُ مكَّةَ أخذ عن بعضِهم، وقبل ذلك أسرته حيث نشأ في أسرةٍ تهتمُّ بالعلم؛ فأبوه أحدُ مشايخِ العصرِ، حيثُ يقول الشهاب: «فقد كنتُ بعد سِنِّ التَّمييز، في مَغْرسٍ[(١)] طيِّب النَّباتِ عزيزٍ، في حِجْرِ والدي مُمَتَّعًا بذخائرِ طَرِيفي وتَالِدِي. . . ومقامُ والدي غنيٌّ عنِ المدحِ. . »[(٢)].

١ ـ الأَرْدَبِيليُّ[(٣)]:

هو محمدٌ بنُ عبد الغنيِّ بن ميربادشاه الأردبيلي المعروف بغنى زاده أحدُ علماءِ عصره في التَّفسير والفقه والنَّحو، قال عنه المُحِبِّي[(٤)]: «كان أحدَ ثلاثة من علماء الرُّوم لم يتَّفقْ نظيرُهم في عصر من العصور»، وقد ذكره الخفاجي ضمن فضلاء القسطنطينيَّةِ الذين أخذ عنهم[(٥)] وكانت وفاته سنة ستٍّ وثلاثين وألف من الهجرة، ومن مُصنَّفاته: حاشيةٌ على تفسير البيضاوِيِّ، لم يُتِمَّها، وقال عنه المُحِبِّي: «وكلامُه فيها يدلُّ على تحقيقٍ عظيمٍ»[(٦)] ولعلَّ الخفاجيَّ قد أفاد منها في حاشيته على تفسير البيضاوي.

---

(١) في خلاصة الأثر ١/ ٣٣٢ (مغرز) بدلًا من (مغرس).

(٢) ريحانة الألبا ٢/ ٣٢٧، وخلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.

(٣) راجع ترجمته في خلاصة الأثر ٤/ ٩ ـ ١١، وكشف الظنون ١/ ١٨٥، وهدية العارفين ٢/ ٢٧٥.

(٤) خلاصة الأثر ٤/ ٩.

(٥) انظر الريحانة ٢/ ٣٢٩، وخلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.

(٦) خلاصة الأثر ٤/ ٩.

٢ ـ أبو الإسْعَاد(١):

هو يوسف بن عبد الرزاق بن وفا المالكي أبو الإسعاد، توفي سنة إحدى وخمسين وألف من الهجرة (١٠٥١هـ)، أخذ عنه الخفاجي وقال عنه في الريحانة: «شيخ السالكين، ورأس العلماء العاملين شيخنا أبو المكارم وأبو الإسعاد. . .» وقد رثاه عندما مات(٢).

٣ ـ الإسْفِرايينيّ(٣):

هو علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن عَرَبْ شاه الإسفراييني المعروف بالعِصَامِيِّ أو حفيد العِصَام. توفي سنة سبع وألف (١٠٠٧هـ). ومن مؤلفاته: «حاشية على شرح الرسالة التَّشريحيَّةِ في أقسام الاستعارات» لِجَدِّه إبراهيمَ بنِ محمدٍ بن عرب شاه في البلاغة، أتى فيها بالعجب العُجَاب من فوائد البيان، وتلقَّاها الفضلاء بالقبول(٤). ويبدو أن الخفاجي أخذ عنه في حداثته حيث قال في الريحانة: «وكانَ ممَّن وَرَى به زِنادِي، ورَوِي من وِرْدِه فؤادي، وسُعِّرَت بالاستفادة منه نَاري، وَفُكَّ من رِبْقَةِ الجهل بفضله إِسَارِي»(٥).

٤ ـ الأنْطَاكِيُّ «داودُ البَصيرُ»(٦):

هو داود بن عمر البصير الأنطاكيُّ الحكيم، وُلِدَ بأنطاكية، ونشأ بها ثم

---

(١) انظر ترجمته في الريحانة ٢/ ٢١٣، ٢١٤، وخلاصة الأثر ٤/ ٥٠٣ ـ ٥٠٥، ونفحة الريحانة ٤/ ٥٢٩ ـ ٥٣٣.

(٢) الريحانة ٢/ ٢١٣، وانظر خلاصة الأثر ٤/ ٥٠٥.

(٣) راجع ترجمته في الريحانة ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٧، وخلاصة الأثر ٣/ ١٤٧، ١٤٨، وشذرات الذهب ٨/ ٢٩١.

(٤) خلاصة الأثر ٣/ ١٤٨.

(٥) الريحانة ١/ ٤٢٦.

(٦) انظر ترجمته في البدر الطالع ١/ ٢٤٦، وخلاصة الأثر ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٩، وديوان الإسلام لوحة ٣٧ أ، وسلافة العصر ٤٢٨، وسمط النجوم العوالي ٤/ ٣٥٩، ٣٦٠، وشذرات الذهب ٨/ ٤١٥، ٤١٦.

هاجر إلى مصر فنزل بالقاهرة، كان رأسَ الأطباء في زمانه وله مؤلفات كثيرة منها:

تزيين الأسواق، وتذكرةُ أولي الألباب، والجامع للعجب والعجاب، توفي في مكة سنة ثمانين وألف من الهجرة (١٠٨٠هـ). يقول الشهاب: «وممن أخذتُ عنه الطِّبَّ: الشيخ داود البصير»[١]، ويقول عنه أيضًا: «... والحَبْرُ داودُ وهو من أخذتْ عنه الرياضيات وقرأتُ عليه إقليدس وغيرَه...»[٢].

٥ ـ التِّبْرِيزِيُّ[٣]:

هو محمد بن محمد سعد الدين بن حسن جان التبريزي الأصل، الشهير بابن الخوجة، مفتي السلطنة ورئيس علمائها، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وألف (١٠٢٤هـ).

وقد ذكره الخفاجي فيمن أخذ عنهم من فضلاء القسطنطينية فقال: «وأجَلُّهم إذ ذاك: أستاذي سعدُ الملَّةِ والدين ابنُ حسن جان. ولما توفي قام مقامَهُ صُنْعُ الله ثمَّ وَلَدُهُ»[٤]، ومن مؤلفاته: «تاجُ التَّوارِيخِ في تَاريخِ آل عثمان»[٥].

٦ ـ الخَفَاجِيُّ[٦] **(والدُ الشِّهاب):**

هو محمد بن عمر الخفاجي ـ والد الشهاب ـ المصري الشافعي، أحدُ أجِلَّاء العلماء في عصره، أخذ عن كبار علماء عصره كالعلَّامةِ الهَيْثَمِيِّ (ت ٩٧٣هـ) صاحب كتاب «الصَّواعقُ المُحْرِقَةُ على أهل البدع والضَّلالِ

---

(١) ريحانة الألبا ٢/ ٣٢٩، وخلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.

(٢) ريحانة الألبا ٢/ ٣٢٩.

(٣) راجع ترجمته في الريحانة ٢/ ٢٧٣، وخلاصة الأثر ٤/ ١٦٨، ١٦٩.

(٤) الريحانة ٢/ ٣٢٩.

(٥) ذكره له البغدادي في هدية العارفين ٢/ ٦٤.

(٦) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٤/ ٧٦، ٧٧، والخفاجيون في التاريخ ١٤٠.

والزندقة»، وتصدر الخفاجي للتدريس وانتفع به جماعة من كبار العلماء، منهم أبو بكر الشنواني ـ خال الشهاب ـ وعبد الرحمن الخياري خطيب المدينة وصديق الشهاب (ت ١٠٥٦هـ)[١] ومحمد الحموي (ت ١٠١٧هـ)[٢] وغيرهم.

وقد «لزمه ابنُه الشِّهابُ وتأدَّب به، وعليه تخرَّج في كثير من الفنون»[٣]، وقد توفي ـ على الأرجح ـ سنة تسع عشرة وألف (١٠١٩هـ)[٤] لأنَّ الخفاجي ذكر في الريحانة[٥] أن خاله نُعي إليه في الوقت الذي نُعِي إليه والِدُه، وقد توفي خاله الشنواني سنة (١٠١٩هـ).

والعجيب أن الشهاب لم يترجم لوالده في أحد كتابيه ـ الريحانة، وخبايا الزوايا ـ واكتفى بذكره عرضًا فيهما، ومن ذلك قوله في الريحانة[٦]: «فقد كنت بعد سن التمييز في مَغْرِسٍ طيب النبات عزيز، في حجر والدي، مُمتَّعًا بذخائر طريفي وتالدي.. مُرَبًّى بغذاء العلم الظاهر والباطن.. ومقام والدي غنيٌّ عن المدح»، ولعلَّ الشهاب كان قد انتوى أن يُفْرِدَه بمؤلَّفٍ خاصٍّ، أو قد أفرده به ولكنَّه لم يصل إلينا والله أعلم.

٧ ـ الزِّيَادِيُّ[٧]:

هو نور الدين عَلِيُّ بن يحيى الزِّيَادِي المصري الشافعي، رئيسُ العلماء

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٢/٣٦٧.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/٤٨٩، ٤٩٠.

(٣) خلاصة الأثر ٤/٧٦.

(٤) ذكر المُحِبِّي في خلاصة الأثر ٢/٣٦٧ أن وفاته كانت سنة (١٠١١هـ).

(٥) انظر الريحانة ١/٣٠٦.

(٦) انظر الريحانة ٢/٣٢٧، وخلاصة الأثر ١/٣٣٢.

(٧) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/١٩٥ ـ ١٩٧، وريحانة الألبا ٢/٣٢٨، وكشف الظنون ٢/١٦١٣، والأعلام ٥/٣٢.

بمصر، قال المُحِبِّي[١]: «انتهت إليه في عصره رئاسةُ العلم بحيث إنَّ جميع علماء عصره ما منهم إلا وله عليه مَشْيَخَةٌ». توفي بمصر سنة أربع وعشرين وألف (١٠٢٤هـ).

وقد أخذ عنه الشِّهابُ، وحضر دروسه، وفي ذلك يقول في الريحانة[٢]:

«ومنهم [أي شيوخه] شافعيُّ زمانه، القطبُ العارفُ بالله تعالى، الشَّيخُ نور الدين الزِّيادي، زاد الله حسناته، حضرت دروسه زمانًا طويلًا».

ولما تُوفي رثاه الشهاب بقصيدة منها[٣]: [الوافر]

لِنُور الدِّين فَضْلٌ ليس يخفى تُضِيءُ به اللَّيالي المُدْلَهِمَّهْ
يُريدُ الحَاسِدون ليُطْفِئُوْه ويَأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّهْ

٨ ـ الشَّمْسُ الرَّمْليُّ[٤]:

هو شيخ الإسلام بن شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن حمزة المُلقب شَمسُ الدين شهاب الدين الرَّمْلِي المنوفي المصري الأنصاري الشافعي، ذهب جماعة من العلماء إلى أنَّه مُجدِّدُ القرن العاشر، توفي سنة أربع وألف للهجرة (١٠٠٤هـ)[٥]، يقول عنه الشهاب في الريحانة[٦]: «ومن أجَلِّ من أخذتُ عنه شيخ الإسلام ابنُ شيخ الإسلام الشمسُ الرمليُّ، حضرتُ دروسَه الفرعية وقرأت عليه شيئًا من (مُسْلم) فأجازني بذلك وبجميع مؤلفاته ومروياته بروايته

---

(١) خلاصة الأثر ٣/١٩٦.
(٢) الريحانة ٢/٣٢٨، وانظر خلاصة الأثر ١/٣٣٢.
(٣) الريحانة ٢/٣٢٩، ونسيم الرياض ١/٥٣، وخلاصة الأثر ٣/١٩٦.
(٤) انظر ترجمته في الريحانة ٢/٣٢٧، وخلاصة الأثر ٣/٣٤٢ ـ ٣٤٨، وإيضاح المكنون ٢/١٢١، ١٣٨، ومعجم المؤلفون ٨/٢٥٥.
(٥) خلاصة الأثر ٣/٣٤٢.
(٦) الريحانة ٢/٣٢٧، وقد نقل المُحِبِّي كلام الخفاجي في خلاصة الأثر١/٣٣٢ ولكنَّه ذكر أن اسمه محمد الرملي.

عن شيخ الإسلام القاضي زكرياء الأنصاري، وعن والده. وجلالة قدره أشهر من الشمس، كما قلتُ فيه: [الطويل]

فَضَائِلُهُ عَدُّ الرِّمَالِ ومَنْ يَكُنْ لِيَحْصُرَ مِعْشَارَ الذي فيه مِنْ فَضْلِ
فَقُل لِفتًى قد رامَ إحْصَاءَ مَجْدِهِ تَرِبْتَ اسْتَرِحْ مِنْ جُهْدِ عَدِّك للرَّمْلِ[(١)]»

وللشمس الرَّمليِّ مؤلفاتٌ في الفقه والنحو، منها «شرح العُقودِ في النَّحو» و«شرح المِنهاج للنوَويِّ».

٩ ـ الشَّنَوَانِيُّ[(٢)]:

هو أبو بكر إسماعيلُ بنُ شهاب الدين الشنواني، نسبته إلى شَنَوَان، بلدة بالمنوفية، قال المُحِبِّي[(٣)]: «كان في عصره إمام النحاة، تُشَدُّ الرِّحالُ للأخذ عنه والتَّلَقِّي منه... أخذ الناس عنه كثيرًا، وعليه تخرَّجوا، وانتهت إليه الرئاسة»، توفي سنة تسع عشرة بعد الألف، ومن مؤلفاته: «شرح توضيح ابن هشام» ويذكر المُحِبِّي أن هذا الكتاب بالمغرب ولا يوجد بمصر[(٤)]، ومن مؤلفاته أيضًا: «هدايةُ مُجيبِ النِّدا إلى شرح قَطْرِ النَّدى» وغيرها.

وقد تتلمذ عليه الشهاب ـ وهو خالُه ـ وله أثر بالغ في سَبْرِ أغوار العربية

---

(١) الريحانة ٢/ ٣٢٨، وذكر المحبي البيتين في خلاصة الأثر ٣/ ٣٤٢ بتحريف بسيط حيث يقول: «وفيه يقول الشهاب الخفاجي وهو أحد من أخذوا عنه:

فَضَائِلُهُ عَدُّ الرِّمَالِ فَمَنْ يُطِقْ لِيَحْوِي مِعْشَارَ الذي فيه مِنْ فَضْلِ
فَقُل لِغَبِيٍّ رام إحْصَاءَ فَضْلِهِ تَرِبْتَ اسْتَرِحْ مِنْ جُهْدِ عَدِّك للرَّمْلِ»

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ٧٩، وبروكلمان القسم الثامن (ج١٢ ـ ١٣أ) ترجمة رقم (٦) وخبايا الزوايا لوحة رقم ١٦٩ ب، وديوان الإسلام لوحة رقم (٥١ أ)، والريحانة ١/ ٣٠١، ٢/ ٦٩٧، ٣٢٧.

(٣) انظر خلاصة الأثر ١/ ٧٩.

(٤) توضيح ابن هشام هو (أوضح المسالك لابن هشام). انظر خلاصة الأثر ١/ ٧٩، وانظر الريحانة ١/ ٣٠٢.

لغةً وصرفًا ونحوًا عنده، وفي ذلك يقول الخفاجي: «فلما دَرَجْتُ من عُشِّي قرأت على خالي؛ سيبويه زمانه علوم العربية، فجثوتُ بين يديه على الرُّكَب، ونافسْتُ إخواني في الجِدِّ والطلب»(١)، وتبدو قوة الصلة والعلاقة بين الشهاب وخاله في قوله في موضع آخر: «وهو والدي وأستاذي وخالي، ومَنِ الْتَأَمَ في زمن الطلب به شَعْثُ حالي»(٢)، وقد رثاه الخفاجي رثاءً حارًّا عندما جاءه نَعْيُه سنة (١٠١٩هـ) في بلاد الرُّوم(٣).

١٠ ـ الصالِحِيُّ الهِلالِيُّ(٤):

هو محمد بن نجم الدين بن محمد، شمس الدين الصالِحي الهلالي، ولد بدمشق سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦هـ)، برع في الفقه، والتفسير، والأدب، وله ديوان في مدح الرسول ﷺ سماه: «صَدْحُ الحَمَامِ في مَدْحِ خَيرِ الأنامِ»، وتوفي سنة اثنتي عشرة بعد الألف (١٠١٢هـ) وقد ذكره الخفاجي ضمن مشايخه عند الحديث عنهم في الريحانة(٥).

١١ ـ العَبَّاد(٦):

هو شهاب الدين أحمد بن قاسم العَبَّاد، عالمٌ فقيهٌ، أخذ عنه جماعة من أهل العلم، منهم أبو بكر الشنواني، توفي بالمدينة المنورة عائدًا من الحج سنة

---

(١) الريحانة ٢/٣٢٧، وخلاصة الأثر ١/٣٢٢.

(٢) الريحانة ١/٣٠٢.

(٣) انظر الريحانة ١/٣٠٦.

(٤) انظر ترجمته في الريحانة ١/٢٧، وخبايا الزوايا لوحة ٧ ب، وخلاصة الأثر ٤/٢٣٩. وقد وهم الدكتور قصي الحسين في نشرته للكتاب بعنوان (معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل صفحة ١٧) حيث ظنه محمد بن عثمان الصالحي، الشاعر الهجَّاء!!

(٥) الريحانة ٢/٣٢٩، وخلاصة الأثر ١/٢٣٢.

(٦) انظر ترجمته في كشف الظنون١/ ١٥٢، ٤٧٦، ومعجم المؤلفين ٢/٤٨، وشذرات الذهب ٨/ ٤٣٣، ٤٣٤.

أربع وتسعين وتسعمائة (٩٩٤هـ)، ومن تصانيفه: حاشية على شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك، وحاشية على حاشية شيخه العلَّامة ناصر الدين اللقاني على شرح السعد التفتازاني على التصريف العزي للزِّنجانيِّ[١]، وقد جَدَّدَها الخفاجي بخطه[٢]. وقد أخذ الشهاب عنه، وكان إذا ذكره يقول: «شيخنا»[٣].

١٢ ـ عَزْمِي زَادَه[٤]:

هو مصطفى بن محمد المعروف بعزمي زاده، ولد بالقسطنطينية، ونشأ ودرس بها ثم ولي قضاء العسكر. ذكره الخفاجي ضمن شيوخه في الريحانة[٥].

١٣ ـ العَلْقَمِيُّ (بُرْهانُ الدِّين)[٦]:

هو إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي برهان الدين، القاهريُّ الشافعيُّ، ولد سنة ثلاث وتسعمائة (٩٠٣هـ) ببلدة العلاقِمَة[٧] ونشأ بها ونُسِبَ إليها، ثم رحل إلى القاهرة فأخذ عن علمائها وتوفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة (٩٩٤هـ)، أخذ عنه الشهاب أثناء فترة الحداثة، قبل أن يبلغ العشرين من عمره[٨] يقول الخفاجي في الريحانة: «ومنهم العلَّامة الفهَّامة، خاتمة الحفَّاظ

---

(١) هو كتاب تصريف العِزِّيّ للعلامة النحوي الأديب عز الدين أبي المعالي عبد الوهاب بن إبراهيم الزّنجاني المعروف بـ (العِزِّي) والكتاب مطبوع في دار المنهاج للنشر والتوزيع بلبنان (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٨م).

(٢) هذه الحاشية نسبت خطأً للخفاجي وسوف نفصل ذلك عند الحديث عن مؤلفات الخفاجي.

(٣) انظر مثلًا طراز المجالس ٢١٣، ونسيم الرياض ١/ ١٨٥.

(٤) انظر ترجمته في الريحانة ٢/ ٣٣٠، وخلاصة الأثر ٤/ ٣٩٠، وكشف الظنون ١/ ٩٩.

(٥) الريحانة ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٦) انظر ترجمته في الريحانة ٢/ ٧٧، وشذرات الذهب ٨/ ٤٣٣، ٤٣٤، والكواكب السائرة ٣/ ٨٧، ٨٨، وخبايا الزوايا (١٦١ أ).

(٧) هي قرية من قرى فاقوس بمحافظة الشرقية الآن.

(٨) انظر الريحانة ١/ ٧٨.

والمُحَدِّثين، إبراهيمُ العَلْقَمِيُّ، قرأتُ عليه الشفاء بتمامه[١]، وأجازني به وبغيره وشملني نظرُهُ وبركة دعائه لي»[٢].

١٤ ـ العَلْقَمِيُّ[٣]:

هو أحمد بن علي العلقمي، ذكر الخفاجي أنه كان نزيل الخانقاه السرياقوسية، اعتزل بها مُدةً خوفًا من زيغ النفس ومزالق الشهوات، ثم انتقل بعد ذلك إلى مصر للتدريس والإفادة[٤]. وقد التقى به الشهاب الخفاجي في مكة بجوار بيت الله الحرام وأخذ عنه العلم[٥]، ووافت العلقميَّ المنيَّةُ هناك. وقال الخفاجي في موضع آخر من الريحانة: «وممن أخذت عنه الأدب والشعر: شيخنا العلّامة أحمد العلقمي. .»[٦].

١٥ ـ العِمادِيُّ[٧]:

هو مصطفى بن جعفر صُنْعُ الله العِمَادِيُّ، شيخ الإسلام، ومفتي التَّخت العثماني في عهد السلطان محمد وولده السلطان أحمد، وقد ولي الإفتاء بعد وفاة المولى سعد الدين حسن جان سنة عشر بعد الألف (١٠١٠هـ)، وتوفي

---

(١) اعتقد الدكتور قصي الحسين أن المقصود بالشفاء هو شفاء الغليل!! ولم ينتبه إلى أن الخفاجي أخذ عن هذا الشيخ قبل أن يبلغ العشرين من عمره، انظر معجم الألفاظ والتراكيب المولدة ١٦. والمقصود بالشفاء هو شفاء القاضي عياض في الحديث وقد شرحه الخفاجي فيما بعد، وخاصة أن العلقمي كما ذكرنا من أئمة الحديث.

(٢) ريحانة الألبا ٢/٣٢٨، وانظر خلاصة الأثر ١/٣٣٢.

(٣) انظر ترجمته في الريحانة ٢/٧٩، وخبايا الزوايا (لوحة ١٦٠ أ)، وتاريخ حكماء الإسلام ١٤٤، وعيون الأنباء ١/٢٥٩، ومعجم الأدباء ١٩/٢٧٦ ـ ٢٨٢.

(٤) انظر الريحانة ٢/٧٩، ٨٠.

(٥) انظر الريحانة ٢/٨٠.

(٦) الريحانة ٢/٣٢٨، وخلاصة الأثر ١/٣٣٢.

(٧) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٢/٢٥٦ ـ ٢٥٩، ومعجم المؤلفين ١٢/٢٤٥، وهدية العارفين ٢/٤٣٩.

في حدود سنة إحدى وعشرين وألف (١٠٢١هـ)، وقد ذكره الخفاجي ضمن شيوخه[(١)] ومن آثاره: حاشية على أوائل تفسير الكشاف للزمخشري.

١٦ ـ العِنَايَاتِي[(٢)]:

هو أحمد بن أحمد بن أبي العنايات بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم العناياتي، أصله من نابلس، وولد بمكة ورحل إلى ديار الشام، واستقر بدمشق سنة (٩٨٦هـ) وكان من بلغاء العصر كما قال المُحِبِّي[(٣)]. من مصنفاته: «الدرر المضيئة»، وله ديوان شعر، وعدَّه الخفاجي من مشايخه[(٤)] فكان إذا ذكره يقول: «شيخنا»[(٥)]، وقد صرح في موضع آخر من الريحانة بأنَّه أخذ عنه الشعر والأدب[(٦)]، وتوفي سنة أربع عشرة وألف (١٠١٤هـ) في العشرين أو الحادي والعشرين من ذي القعدة.

١٧ ـ القُرَشِيُّ (ابنُ ظَهِيرة)[(٧)]:

هو علي بن جار الله بن محمد القرشي، المخزومي، الشهير بابن ظهيرة، ولد سنة عشرين وتسعمائة (٩٢٠هـ) في بيت علم، وله عِدّة مؤلفات منها: «حاشية على شرح التوضيح» و«الشَّرَبَاتُ السَّنية مِنْ مِزاج ألفاظ الآجرومية» وغيرها، أخذ عنه الخفاجي أثناء رحلته إلى الحجاز حيث قال: «ثم ارتحلت مع والدي للحرمين الشريفين وقرأت ثمَّة على الشيخ علي بن جار الله العصام

---

(١) انظر الريحانة ٢/ ٣٣٠.

(٢) انظر ترجمته في الريحانة ١/ ١٧، وخلاصة الأثر ١/ ١٦٦، وديوان الإسلام (لوحة ٦٠ أ)، وخبايا الزوايا (لوحة ٥ أ).

(٣) خلاصة الأثر ١/ ١٦٦.

(٤) انظر الريحانة ٢/ ٣٢٩.

(٥) الريحانة ١/ ١٩٦، ٤١٨.

(٦) الريحانة ٢/ ٣٢٨.

(٧) انظر ترجمته في الريحانة ١/ ٤٤٠، وخلاصة الأثر ٣/ ١٥٠، ١٥١، وهدية العارفين ١/ ٧٥١. وخبايا الزوايا (لوحة ٧٦ ب).

وغيره. .»[١]، وتوفي سنة عشرة بعد الألف (١٠١٠هـ).

١٨ ـ المغْرِبي[٢]:

هو الشيخ محمد المغربي المعروف بِبَرْكُوك، وهو من علماء العروض، يقول الخفاجي: «وممن أخذت عنه العروض الشيخ محمد المغربي المعروف ببركوك»[٣] وكان من العُبَّاد الزُّهَّاد، وعدَّه الخفاجي ضمن شيوخه حيث قال في ترجمته: «. . . فوردت منهل إفادته الصَّافي، وقرأت عليه عِلْمَي العروض والقوافي، وهو شفاء الغليل لا سيما في عِلْمَي الخَلِيل»[٤]. ولم أقف على تاريخ مولده أو وفاته.

١٩ ـ المقْدِسِيُّ[٥] (علي بن غانم):

هو نور الدين علي بن محمد بن علي المعروف بابن غانم، الخزرجي، السَّعْدِيّ العُباديّ، المقدسيّ الأصل، ولد بالقاهرة، في أول ذي القعدة أو السادس منه سنة عشرين وتسعمائة (٩٢٠هـ)، قال عنه المُحِبِّي: «إمام أئمة الدهر على الإطلاق، وأحد أفراد العِلْم المُجْمَعُ على جلالته وبراعته وتفوقه في كل فن من الفنون»[٦].

من مصنفاته: «شرح الأشباه والنظائر» و«شرح الكنز» الذي سماه (الرمز)، وقد نقل عنه الخفاجي في نسيم الرياض (٣/ ١٣٥).

وقد جلس الخفاجي إليه وتتلمذ على يديه حيث يقول: «ومنهم العلَّامة

---

(١) الريحانة ١/ ٤٤٠، وانظر ٢/ ٣٢٨.

(٢) انظر ترجمته في الريحانة ١/ ٣٥٧، ٢/ ٣٢٩، وخبايا الزوايا لوحة رقم (١٨٧ أ) وسلامة العصر ٤٢١.

(٣) الريحانة ٢/ ٣٢٩.

(٤) الريحانة ١/ ٣٥٧.

(٥) انظر ترجمته في الريحانة ٢/ ٣٢٨، وخلاصة الأثر ٣/ ١٨٠ ـ ١٨٥، والبدر الطالع ١/ ٤٩١.

(٦) خلاصة الأثر ٣/ ١٨١.

في سائر الفنون علي بن غانم المقدسي، حضرت دروسه، وقرأت عليه الحديث، وكتب لي إجازة بخطه»[(١)].

٢٠ ـ النَّسَفِيُّ[(٢)] (الشهير بقَعُود):

هو أحمد بن أبي بكر النسفي الخزرجي المالكي الشهير بقَعُود، من علماء مصر المشهورين، وله مؤلفات في النحو والأدب والعروض منها: «منظومة في النحو» و«منظومة في الزّحافات والعِلَل العروضيَّة» وله أيضًا «تذكِرَة» جمع فيها تراجم شيوخه وبعض معاصريه.

وقد ذكر المُحِبِّي أن الخفاجي أخذ عنه فقال: «وأخذ عنه جماعة من العلماء، وانتفعوا به، منهم... والشهاب أحمد الخفاجي»[(٣)]. ولم يذكره الخفاجي ضمن شيوخه ولعلَّه سقط منه سهوًا، وتوفي سنة سبع وألف (١٠٠٧هـ).

هؤلاء هم العلماء والمشايخ الذين ثبت عندي جلوس الخفاجي إليهم ونهله من وردهم الصافي إما بتصريحه هو بذلك أو من جاء بعده من أصحاب كتب التراجم مع وجود سندٍ عقليٍّ أو نقليٍّ لديهم.

ولكن ما يثير الدهشة والعجب أنَّ الدكتور صلاح عبد العزيز يجعل ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) من شيوخ الخفاجي فيقول: «ولا أدَلَّ على مكانة الرجل [أي الخفاجي] العلمية، أنَّه كان يحكي عن نفسه أنَّه كان يشرح البيضاوي ويفسره بحضرة ابن كمال باشا، وذلك في منزله»[(٤)].

وأسأل الدكتور: كيف يحدث ذلك والخفاجي ولد بعد موت ابن كمال باشا بأكثر من ثلاثين سنة؟!

---

(١) الريحانة ٢/٣٢٨، وخلاصة الأثر ١/٣٢٢ وسلافة العصر ٤٢١.

(٢) راجع ترجمته في الريحانة ٢/١٣٣ ـ ١٣٦، وخلاصة الأثر ١/١٥٩، ١٦١.

(٣) خلاصة الأثر ١/١٥٩.

(٤) الشهاب الخفاجي وأثره في النحو، رسالة دكتوراه بالأزهر ١٩٨٧م صفحة ٢٨.

والحقيقة أنَّ ما نقله عن الخفاجي صحيح[١] غير أنَّ الخفاجي لم يكن يقصد نفسه بل كان يتحدث عن أحد معاصري ابن كمال باشا.

تلاميذه:

لأنَّ الخفاجي تتلمذ على مشاهير علماء عصره في سائر فنون العلم والمعرفة ـ كما رأينا عند الحديث عن شيوخه ـ العقلية منها والدينية[٢]، صار ذا عقلية موسوعية فحَوَى علومًا شتَّى، وطارت شهرتُه في عصره في الأوساط العلمية في مصر والحجاز والشام وبلاد الروم، فكُلَّما حلَّ في بلد تعلَّم وعلَّم، لذلك أقبل عليه طُلَّاب العلم ينهلون من معينه الفيَّاض فأخذوا عنه وتأثروا به، وسأذكر أشهر تلاميذه الذين ثبت لديَّ أخذُهم عنه على نفس المنهج الذي اتبعناه في ذكر شيوخه:

١ ـ البَغْدَادِيُّ[٣]:

هو عبد القادر بن عمر بن بايزيد البَغْدَادِيُّ، كانت ولادتُه سنة ثلاثين وألف (١٠٣٠هـ) ببغداد ثم رحل إلى القاهرة سنة خمسين وألف (١٠٥٠هـ)[٤]، وهو أديب فاضلٌ ولغوي ثَبْتٌ، قال عنه المُحِبِّي[٥]: «أحسنُ المتأخرين معرفةً باللغة والأشعار. . . . مع التَّثَبُّتِ في النقل. . والانتقاد الحسن. . وقوة المذاكرة».

---

(١) انظر عناية القاضي ٤/٤٢٩.

(٢) يقسم العلماء العلوم إلى علوم عقلية كالطب والهندسة والحساب والكيمياء. . . وإلى علوم دينية كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام وعلوم اللغة. انظر المستصفى من علم الأصول للغزالي ١/٥.

(٣) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٢/٤٥١ ـ ٤٥٤، وكشف الظنون ٢/١٣٣٠، وانظر الترجمة الوافية التي صنعها له الأستاذ عبدالسلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتابه خزانة الأدب.

(٤) خلاصة الأثر ٢/٤٥٢.

(٥) خلاصة الأثر ٢/٤٥١.

ومن أشهر مصنفاته: «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» وهو كتاب موسوعيٌّ؛ لما حواه من نقول نادرة، وقد شرح فيه شواهد الرَّضِي على الكافية، وقد حقق هذا الكتابَ الأستاذُ عبدُ السلام محمد هارون، ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة والهيئة المصرية للكتاب في ثلاثة عشر جزءًا، ومن مصنفاته أيضًا «شرح مقصورة ابن دُرَيد»، و«شرح أبيات المغني لابن هشام» وغيرها.

وقد جلس البَغْدادِيُّ إلى الخفاجي ينهل من علومه فلازمه كثيرًا وقرأ عليه فأجازه الخفاجِيُّ، وقد جاء في بعض نسخ الريحانة صورة إجازة الخفاجي للبغدادي، وممَّا قاله: «أما بعد، فإنَّ الفاضل الأديب... الأخ الأعز عبد القادر، لمَّا قرأ عليَّ كتاب الرِّحْلَةِ وغيره... فأجزته بما لي من التآليف والآثار وما رويته عن مشايخي الأخيار....»[(١)].

وكان البغدادي يفخر بتلمذته على الخفاجي ويراه بَحْرًا في العلوم[(٢)]. وكان إذا ذكره يُصَدِّرُ اسمه بقوله «شيخنا»[(٣)].

وكيف لا وقد أحبه الخفاجي حبًّا كبيرًا وأَوْلَاه عنايةً فائقة في حياته وبعد مماته أورثه مكتبته العامرة[(٤)].

٢ ـ الثَّعَالِبي[(٥)]:

هو عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر جار الله أبو مكتوم المغربي الجعفري الثعالبي الجزائري ثم المكيُّ، ولد بالجزائر ونشأ بها، «ثم

---

(١) الريحانة ٢/ ٣٦٩ هامش المحقق.

(٢) انظر خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٣.

(٣) وهذه المواضع في كتب البغدادي أكثر من أن تحصى، انظر مثلًا مقدمة الخزانة ١/ ٢٧، وانظر الخزانة أيضًا ٣/ ٤٦٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٩/ ٢٦٥، ٥٢٢.

(٤) انظر خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٢.

(٥) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤٣، وفهرس الفهارس١/ ٣٧٨ والتقاط الدرر ١/ ١٧٩، ١٨٠.

رحل إلى مصر وأخذ بها عن أكابر علمائها كالنور علي الأجهوري، والقاضي الشهاب أحمد الخفاجي»[١]، ثم رحل إلى مكة، وظل بها إلى أن مات سنة ثمانين وألف (١٠٨٠هـ).

٣ ـ الحَلَبيُّ[٢]:

هو السيد أحمد بن النقيب الحلبي، ولد ونشأ بحلب، ثم رحل إلى القسطنطينية، ولي القضاء بالقدس وحلب، وهو أديب له منزلته في الشعر والنثر، توفي سنة ست وخمسين وألف (١٠٥٦هـ)، وقد أخذ عن الخفاجي أثناء رحلته في الروم وحلب وكان شديد الملازمة له.

٤ ـ الحَمَويُّ[٣]:

هو أحمد بن يحيى بن عمر الحَمَويُّ العَسْكَريُّ، مفتي الشافعيَّة بحَمَاة، أديب فصيح، وعالم له مشاركة في بعض العلوم العقلية كالحساب، والمنطق، درس بحماة على أبيه ثم في المدرسة العصرونية، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن الخفاجي.

٥ ـ السُّوسيُّ[٤]:

هو محمد بن سليمان بن طاهر السُّوسيُّ الرُّدانيُّ، من مُحدِّثي المغرب، رحل إلى القاهرة، وأخذ عن الخفاجي، ومن أشهر مصنفاته كتاب «جمع الفوائد لجامع الأصول ومجمع الزوائد» وقد جمع فيه بين الكتب الستة

---

(١) خلاصة الأثر٣/ ٢٤١، وانظر فهرس الفهارس ١/ ٣٧٨.

(٢) انظر ترجمته في الريحانة ١/ ٢٨٤، وخلاصة الأثر ١/ ٣١٧، وخبايا الزوايا (لوحة ١٠٠ ب).

(٣) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤، ٣٦٧.

(٤) انظر ترجمته في فهرس الفهارس ١/ ٣٧٨، وصفوة ما انتشر ١٩٦.

وغيرها، ومن مصنفاته أيضًا «صلة الخلف بموصول السَّلف» وهو كتاب تراجم، وقد ترجم فيه لشيخه الخفاجي[(١)].

٦ ـ العجمِيُّ[(٢)]:

أحمد بن أحمد العجمي الوفائيُّ، عاش بين سنتي أربع عشرة وألف (١٠١٤هـ) وست وثمانين وألف (١٠٨٦هـ)، اشتغل بالحديث حتى أصبح مُسْنِد مصر[(٣)]، من أشهر مصنفاته «شرح ثلاثيات البخاري» و«ملخص الفهرس الصغير للسيوطي»، ذكر المُحِبِّي[(٤)] أنَّ الخفاجي من العلماء الذين قرأ عليهم.

٧ ـ العُجَيميُّ[(٥)]:

هو أبو علي حسن بن علي العُجيمي اليمني ثم المكي، ولد سنة تسعٍ وأربعين وألف (١٠٤٩هـ) وتوفي في حدود سنة مائة وألفٍ (١١٠٠هـ)، من مصنفاته «إهداء اللطائف في أخبار الطائف» و«الفرج بعد الشِّدة في أنَّ النَّصارى لا يسكنون بجدة»، وقد ذكر الكتَّاني في فهرس الفهارس (١/ ٣٧٨) أنَّه أخذ عن الخفاجي وأنَّه عن طريقه اتصلت سلسلة مرويات الكتاني بالخفاجي.

٨ ـ العَنَانِيُّ[(٦)]:

هو محمد بن داود العناني، نزل الجنبلاطية، توفي سنة ثمان وتسعين

---

(١) انظر صلة الخلف بموصول السلف ٤٧٥.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ١٧٥ ـ ١٧٧، وفهرس الفهارس ١/ ١١٥، ١١٦.

(٣) فهرس الفهارس ١/ ١١٥.

(٤) انظر خلاصة الأثر ١/ ١٧٦.

(٥) انظر ترجمته في فهرس الفهارس ١/ ٤٧٤ ـ ٤٤٩، ٢/ ٨١٠ ـ ٨١٣، وهدية العارفين ١٠/ ٢٩٤، وإيضاح المكنون ١/ ٢٨، ١١٤، ١٥١.

(٦) انظر ترجمته في هدية العارفين ٢/ ٣٠٠، وعجائب الآثار ١/ ١١٤.

وألف (١٠٩٨هـ)، وله «فتح الكريم الوهاب على شرح تنقيح اللُّباب»، كان الخفاجي أحد العلماء الذين أخذ عنهم.

٩ ـ العَيَّاشِيُّ[١]:

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي، رحالة مشهور، وهو صاحب الرحلة المعروفة بـ (ماء الموائد)، ولد سنة سبع وثلاثين وألف (١٠٣٧هـ) وتوفي سنة تسعين وألف (١٠٩٠هـ)، وله فهرسة جامعة لأشياخه في أنواع العلوم. وذكر القادريُّ في «التقاط الدرر» (١/ ٢١٣) أنَّ شهاب الدين الخفاجي من بين شيوخه وأنه ذكره في فهرسته بقوله: «الشيخ الذي طبق ذكره الآفاق... شيخنا شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي الأفندي..، سمعت عليه المُسَلْسَل بالأوليَّة، وبالمصافحة وبالتشبيك، وبقوله ويده على كتفي، وغيرها من مسلسلات ابن الجوزي.... وأجاز لي سائر مروياته عن سائر أشياخه، وجميع تآليفه، التي منها شرح الشفاء، وحاشيته على البيضاوي، وحاشيته على درة الغواص للحريري، ورحلته، وديوان شعره وغير ذلك، وكتب لي الإجازة بخَطِّه».

١٠ ـ الفَيُّومِيُّ[٢]:

هو عبد البر بن عبد القادر بن محمود الفيوميُّ الصوفيُّ، ولد بالقاهرة، ونشأ بها ثم رحل إلى الشام ومكة ثم القسطنطينية، توفي سنة إحدى وسبعين وألف (١٠٧١هـ)، من أشهر مصنفاته: «منتزه العيون والألباب في بعض المتأخرين من أهل الآداب» وقد رتبه على حروف المعجم وجمع فيه بين شعراء الريحانة وشعراء المدائح، الذي ألَّفهُ التَّقيُّ الفارسكوري[٣] وأضاف

---

(١) انظر ترجمته في التقاط الدرر ١/ ٢١٢، ٢١٣ وعجائب الآثار ١/ ١١٩.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٨، وكشف الظنون ٢/ ١٩٢٦، وهدية العارفين ١/ ٤٩٨.

(٣) انظر خلاصة الأثر ٢/ ٢٩٢.

إليهم شعراء آخرين. قال المُحِبِّي عنه في خلاصة الأثر (٢/ ٢٩٢): «ولزم الشهاب الخفاجي فقرأ عليه بعض شروح المفتاح للتفتازاني، وبعض شروح نفسه على الشفاء. . . واستنابه بين بابي الفتح والنصر، وصيَّره معيدًا لدرسه في حاشيته على البيضاويِّ وفي شرح صحيح مسلم للنووي».

١١ ـ الكُورَانِيُّ[١]:

هو برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الكوراني المَدَني، عالم جليل جمع بين العلوم العقلية والنقلية، ولد بشهران سنة خمس وعشرين وألف (١٠٢٥هـ)، ونشأ بها ثم رحل إلى بغداد وأقام بها زمنًا، ثم إلى دمشق ثم مصر، ذكر صاحب سلك الدرر (١/ ٥) أنَّ مصنفاته نيَّفت على المائة، ومنها: «شرح العوامل الجُرْجانية» و«إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف»، وذكر صاحب عجائب الآثار (١/ ١١٧) أنَّ الخفاجيَّ واحد ممَّن أخذ عنهم الكوراني في مصر، وتوفي الكوراني بالمدينة المنورة سنة مائة وواحد وألف (١١٠١هـ).

١٢ ـ المُحِبِّي[٢]:

هو فضل الله بن مُحِبِّ الله بن محمد المُحِبِّي، أحد مؤرخي العصر، وهو والد المؤرخ محمد الأمين المُحِبِّي (ت ١١١١هـ) صاحب خلاصة الأثر، وقد نشأ بدمشق، وكان على علم باللُّغتين الفارسيَّة والتركية، وقام برحلات إلى حلب والروم والحجاز ومصر، وفي مصر التقى بالخفاجي وأخذ عنه، وفي ذلك يقول صاحب خلاصة الأثر (١/ ٣٣٥) على لسان والده: «وقد حصلت على ضالتي المنشودة من لقياه [أي الخفاجي]، وظَفِرت بالكنز الذي كنت

---

(١) انظر ترجمته في سلك الدرر ١/ ٥، ٦، والمجددون في الإسلام ٤٠٧ ـ ٤١٠، وعجائب الآثار ١/ ١١٧.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/ ٢٧٧ ـ ٢٨٦، وهدية العارفين ١/ ٨٢٢.

أتوقعه وأتَرَجَّاه، وشاهدت ثمار المجد والسُّؤدد تنتشر مِنْ شمائله»، وقد كتب المُحِبِّي عن الخفاجي أصلَ «الريحانة» وهو المعروف بـ (خبايا الزوايا) وأذاعها في دمشق بعد ذلك.

وللمُحِبِّي تصانيف أشهرها «شرح الآجرومية في النحو» و«فيض المنَّان في تراجم أعيان الزمان»، وتوفي المُحِبِّي في سنة اثنتين وثمانين وألف (١٠٨٢هـ).

١٣ ـ المكَيْلَدِيُّ[١]:

هو أحمد سعد المكَيْلَدِيُّ، كان محمود السيرة، وقد تولى قضاء (فاس) نحو أربعين سنة، رحل إلى المشرق وأخذ عن الخفاجي فيمن أخذ، وله مؤلفات منها: «النوازل الفقهية» و«أُمِّ الحواشي»، وتوفي سنة أربع وتسعين وألف (١٠٩٤هـ).

١٤ ـ المَيْمُونِيُّ[٢]:

هو إبراهيم بن محمد المَيْمُونِيُّ، ولد سنة إحدى وتسعين وتسعمائة (٩٩١هـ)، وتوفي سنة تسع وسبعين وألف (١٠٧٩هـ)، ذكر صاحب التقاط الدرر (١/ ١٨١) أنه التقى الخفاجيَّ وقرأ عليه، ومن مؤلفاته: «حاشية على تفسير البيضاوي»، ولعلَّه أفاد فيها من حاشية أستاذه الخفاجيِّ على تفسير البيضاويِّ.

حياتُه ورحلاته:

أوجزت كتب التراجم الحديث عن حياة الخفاجي ورحلاته في بضعة سطور، فمن ذلك قول الزركلي في الأعلام (١/ ٢٧٧): «ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء (سلانيك)

---

(١) انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس ١/ ٢٢٤، والتقاط الدرر ١/ ٢٢٦.

(٢) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ٤٥، والتقاط الدرر ١/ ١٨١.

ثم قضاء مصر، ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب، وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي»[(١)]. ويُعدُّ المُحِبِّي أكثرَ من فَصَّل القول في حياة الخفاجي؛ حيث ترجم له في كتابه خلاصة الأثر في اثنتي عشرة صفحة (١/ ٣٢١ ـ ٣٤٣)، وجميع هذه المصادر قد اعتمدت في المقام الأول على ترجمة الشهاب لنفسه في آخر كتابه «ريحانة الألبا»، حيث ترجم لنفسه فيها تحت عنوان: «بيان حالي في خبر المبتدأ وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية» (٢/ ٣٢٧).

وقد ذكر في هذه الترجمة بعض الجوانب من نشأته، ورحلاته، وشيوخه بإيجاز، كما أنَّه لم يُعْنَ بتسجيل التواريخ، ولو فعل لقدَّم لنا صورة واضحة عن حياته غير أنَّنا سنحاول استجلاء بعض النقاط والتفاصيل في حياة الخفاجي ورحلاته.

ذكرنا من قبل أنَّ الخفاجي ولد بسرياقويس قريبًا من الخانقاة، ونشأ فيها في كنف والده في رَغَدٍ من العيش كما يقول هو: «فقد كنت ـ بعد سن التمييز ـ في مغرس طيب النبات عزيز، مُمَتَّعًا بذخائر طَريفي وتالدِي، مُرَبًّى بغذاء عِلْمَي الظاهر والباطن في النعيم المقيم بأرفع المساكن، ومقام والدي غني عن المدح»[(٢)].

فقد كان والد الشهاب هو المصدر الأول الذي نهل منه، ثم يأتي بعد ذلك دور خاله ـ أبي بكر الشَّنواني ـ حيث تتلمذ الشهاب على يديه في سنٍّ صغيرة، يقول في ذلك الشهاب: «فلما درجت من عُشِّي قرأت على خالي سيبويه زمانه علوم العربية، فجثوت بين يديه على الرُّكَبِ، ونافست إخواني في

---

(١) ونحو ذلك في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (العصر العثماني) القسم الثامن (١٢ ـ ١٣ أ) صفحة ٥٥، وكذا في تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٣/ ٣٠٨، وانظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ٥١.

(٢) الريحانة ٢/ ٣٢٧.

الجِدِّ والطَّلب»[١]، وبدأ في هذه السن المبكرة يختلف إلى غيرهما من المشايخ والمدارس في مصر.

رحلاتُه وأسفارُه:

في أوائل فترة الشباب بدأت مرحلة جديدة وطور مهم من أطوار حياته وهو السَّفرُ والتَّرْحال الذي ولع به ولوعًا شديدًا طلبًا للعلم وربَّما للمال أيضًا، يقول الشهاب في ذلك[٢]: «ولما هزَّتني أريحية الشباب إلى اقتعاد سنام الأرض غارب الاغتراب... أقسمت ببيتٍ سالت ببطونه أعناق المَطِيِّ... لأغتربنَّ غربة قارظيَّة، يخفق منها قلب الخافقين». ويقول في موضع آخر[٣] ـ موضِّحًا السَّبب في عزمه على السفر والترحال ـ: «لمَّا كانت مصر القاهرة ربوعها بالفضلاء والأدباء عامرة، وهي عُشِّي الذي منه درجت... إلا أنَّها أبدت العقوقَ... وأذاقتني الأذى، وجَرَّعتني الدَّمَ في المشيمةِ، وأخرجتني من مَضِيقٍ لمضيق، وشدَّت في المهد قيدي الوثيق.... فقلت: أهل بأهل ودار بدار، والعمر فرصة فالبِدار البِدار».

وبذلك نستطيع القول أنَّ الدَّافع الأساسيَّ لسفر الخفاجي هو إحساسُه بأنَّه أكبرُ من مصر بمعنى أنه يسعى إلى الشُّهرة والعالمية ـ بمفهومنا المعاصر ـ ويقوي ذلك القول لدينا قول الخفاجي في ديوانه[٤]:

لـمَّـا جـفـاه وِدَادُ أُسْـرَتِـه ... نـزل الـقِـفَـارَ وحـالَـفَ الـوَصَـبَـا
تـرك الـمِـهَـادَ لـقُـنْـفُـذٍ نَـذلٍ ... لا يَـعْـرِفُ الـهـيـجـاءَ والـيَـلَـبـا

فإذا حاولنا معرفة هذه الأسرة التي جفته نجد قوله السابق يؤكِّد أنَّها

---

(١) الريحانة ٢/٣٢٧، وخلاصة الأثر ١/٣٣٢.
(٢) الريحانة ٢/٣٧١.
(٣) الريحانة ٢/٥.
(٤) ديوان الخفاجي (لوحة ٧ ب).

أسرته الكبيرة أي مجتمعه الذي يعيش فيه، وخاصة أنَّ المصادر لم تذكر أيَّ جفوة أو خلافات وقعت له في أسرته الصغيرة وهم أهلُ الفضل والعلم.

ونستطيع أن نحصر رحلاته وأسفاره في ثلاث رحلات أساسيَّة قُسِّمت على مراحل حياته وكان لها أكبرُ الأثر في إنتاج هذه الشخصية الفريدة، وهذه الرحلات الثلاث هي[1]:

ـ رحلته إلى الحجاز (وقد بدأت تقريبًا في الفترة ما بين (٩٩٠ ـ ٩٩٤هـ).

ـ رحلته إلى بلاد الروم (قد بدأت بعد سنة (١٠٠٣هـ) وانتهت سنة (١٠٤٨هـ) على وجه التقريب أيضًا).

ـ رحلاته إلى الشام (وكانت كل رحلة منهما تقع أثناء سفره من مصر إلى الروم، وهذا يذكرني بما يحدث اليوم فيما يعرف بـ (Transeet).

وسوف نتناول كُلَّ رحلة باختصارٍ شديد:

أولًا: رحلته إلى بلاد الحجاز: (٩٩٠ ـ ٩٩٤هـ):

رحل الخفاجي إلى بلاد الحجاز وهو في مقتبل فترة الشباب مع والده، ويمكننا تحديد بداية هذه المرحلة ـ على وجه التقريب من خلال نصَّين ذكرهما الخفاجي نفسُه في الريحانة يقول في الأول منهما[2]: «كنت قبل أن تُعَرَّى أفراسُ الصِّبا، ويتفرق شمل الأيام أيدي سبا، لما ارتحلت مع والدي لذلك المُمَجَّد [يعني الشريف حسن بن أبي نُمَي (ت١٠١٠هـ)][3] رأيته وقد ابيض

(١) لم تذكر المصادر تواريخ محددة لتلك الأسفار غير أننا باستقراء أحداث وقعت في تلك البلاد (الحجاز ومكة والروم) شهدها الخفاجي وذكرت كتب التراجم تواريخ وقوعها استطعنا أن نحدد ـ على وجه التقريب ـ فترات سفره وترحاله كما سنبين.

(٢) الريحانة ١/ ٣٩١.

(٣) هو الشريف حسن بن أبي نُمَيّ محمد بن بركات بن محمد، أحد أمراء مكة من بني الحسن، استقل بالإمارة سنة ٩٩٢هـ، وكان مولده سنة (٩٣٢هـ) ووفاته سنة (١٠١٠هـ). انظر خلاصة الأثر ٢/ ٢ ـ ١٤.

عنبر لِمَّتِه، وثقب الشيب مِغْفَر هامتِه، وقد علا هام الستين وترَقَّى شرفَ السبعين».

فإذا كانت ولادة الشريف حسن سنة (٩٣٢هـ) فإنَّ رؤية الخفاجي له كانت سنة (٩٩٢هـ) أو بعدها بقليل.

أما القول الثاني فهو ما قاله الخفاجي عن عليّ بن جار الله بن ظهيرة (ت١٠١٠هـ)[١] حيث يقول[٢]: «رأيته [أي ابن ظهيرة] وقد طعن في السن وليس له غير العصا قنا، وقد رَقِي شرف السبعين وهي سُلَّمُ الفنا». فإذا علمنا أن ابن ظهيرة قد مات (١٠١٠هـ) وقد جاوز التسعين كما ذكر المُحِبِّي في خلاصة الأثر (٣/ ١٥٠) عرفنا أن الخفاجي رآه سنة (٩٩٠ تقريبًا).

فإذا وضعنا في اعتبارنا قول الخفاجي الأول ـ ارتحلت مع والدي إلى ذلك المُمَجَّد. . . ـ أي أن قصده كان سبب الرحلة علمنا أن الخفاجي قد رحل إلى الحجاز بين سنتي (٩٩٠هـ) و(٩٩٤هـ)، أي أن رحلته إلى الحجاز بدأت وهو ابن الرابعة عشرة أو السابعة عشرة من عمره.

والراجح أن الخفاجي مكث مُدَّة في الحجاز ففي حدود سنة (٩٩٥هـ) ـ وكان عندها في الثامنة أو التاسعة عشر من عمره ـ كان في المدينة المنورة خطيبًا للمسجد النبوي الشريف، ويدل على ذلك رسالته: «رسالة في فضل المدينة وساكِنها وفي فضل سيدنا علي وفي فضل الأنصار وفي المنبر الشريف»[٣] حيث جاء في نهايتها: «. . . قال مؤلفه أحمد بن محمد

---

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣/ ١٥٠، وانظر ص٢٤ من هذا البحث رقم ١٧ من شيوخه.

(٢) الريحانة ١/ ٣٩٢.

(٣) نسختها من المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٧٢٨ مجاميع كما ذكرها صاحب كشف الظنون ١/ ٨٥٥ بعنوان «رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩]»، وقد وصف الرسالة ووصف الخفاجي بقوله «الخطيب بالمدينة المنورة»، =

الخفاجي المدنِيُّ: وكان الفراغ من تسويدها يوم السبت المبارك رابع عَشْر شهر ذي القعدة الحرام من شهور سنة ست وتسعين وتسعمائة»[١]، وكُتِبَ اسمه على طُرَّتها «أحمد بن محمد الخفاجي الخطيب بالمنبر الشريف»[٢].

ويرى الدكتور عبد الرازق فرَّاج أنَّ الخفاجيَّ «رحل عن الحجاز بعد سنة (٩٩٦هـ) إلى مصر ثم إلى الروم (تركيا)، لكنه ما لبث أن عاد بعد سنوات إلى الحجاز ومكث فيه مدة»[٣]. ولا أدري ما سنده في هذا القول!، فلم تذكر المصادر أن الخفاجي قام برحلتين إلى بلاد الحجاز، ولكنَّ المؤكَّد أنَّه كان في الحجاز وبالتحديد في مكة سنة (١٠٠٣هـ)، فقد شهد جنازة الشريف مسعود بن حسن[٤] هناك. كما أنَّه كتب منشور تولية أبي طالب[٥] نائبًا عن أبيه الشريف حسن[٦]. وكلُّ ذلك يعني أنَّه رجع إلى مصر من الحجاز بعد هذه السنة (١٠٠٣هـ).

ثانيًا: رحلتاه إلى الروم (١٠٠٤هـ إلى ١٠٤٨هـ) تقريبًا.

لم تحدِّد لنا المصادر بدقة السنة التي رحل فيها إلى الروم ولا السنة التي رجع فيها سواء في رحلته الأولى أو الثانية، ولكنَّ المؤكَّد أنَّه رحل إليها في

= وانظر «الشهاب الخفاجي وجهوده في اللغة» ١٤٢ وما بعدها.

(١) فضل المدينة وساكنها لوحة رقم (٢٠ أ).

(٢) فضل المدينة وساكنها لوحة (١ أ).

(٣) الشهاب الخفاجي وجهوده في اللغة ٥٠.

(٤) هو الشريف مسعود بن حسن بن أبي نُمَي، ناب عن والده بعد وفاة أخيه الشريف حسن (ت ٦٠٣هـ). انظر خلاصة الأثر ٤/ ٣٦٢.

(٥) أبو طالب ابن الشريف حسن بن أبي نمي آلت إليه إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مسعود ـ الذي حضر الخفاجي وفاته ـ نيابة عن أبيه (ت ١٠١٢). انظر ترجمته في الريحانة ١/ ٣٩٧، وخلاصة الأثر ١/ ١٣١ ـ ١٣٥.

(٦) هذا المرسوم ذكره الخفاجي في الريحانة ١/ ٣٩٦ ـ ٤٠٥.

المرَّة الأولى في شبابه حيث ذكر ذلك في الريحانة[١]. وعلى أيَّةِ حالٍ سوف نحاول استنتاج تلك التواريخ على وجه التقريب.

ذكرنا من قبل أنَّ الخفاجيَّ أخذ عن بعض علماء القسطنطينية وعدَّهم ضمن شيوخه أمثال محمد بن حسن جان[٢]، والحبر داود[٣]، بل لقد ذكر الخفاجي أنه أخذ عنهما إبَّان رحلته إلى الرُّوم[٤]، فإذا عرفنا أنَّ أستاذيه هذين قد توفيا سنة (١٠٠٨هـ)، فذلك يعني أنَّه كان في الروم قبل وفاتهما بمدَّة تسمح له بالتلقي عنهما والجلوس إليهما، ولذلك فإنَّني أُرجِّحُ أنَّه رحل إلى الروم سنة (١٠٠٤هـ) أو بعدها بقليل، واستمر الخفاجي في القسطنطينية في هذه الرحلة حتى بعد سنة (١٠١٩هـ) لأنَّه ـ كما ذكر ـ تلقى نَعْيَ والده وخاله الشنواني في هذه السنة وهو في بلاد الروم[٥].

وبدأ الخفاجي يترقى في المناصب في بلاد الروم بفضل ثقافته ونباهته المثيرة للدهشة بالإضافة إلى عامل آخر مهم وهو خدمته للمولى سعد الدين بن حسن جان مُعَلِّم السلطان في زمانه[٦]، ولم يزل يترقى في المناصب حتى صار قاضيًا لمدينة (أُسكُب) في قطاع (روم إيلى)[٧] في آسيا الصغرى بتركيا، وفي عهد السلطان مراد توصَّل حتى اشتهر فضله فولَّاه السلطان قضاء

---

(١) انظر الريحانة ٢/ ٢٧٧ و٣٢٩.

(٢) انظر ترجمته في صفحة ٢٧ من هذا البحث برقم ٥.

(٣) انظر ترجمته في صفحة ٢٦ من هذا البحث برقم ٤.

(٤) انظر الريحانة ٢/ ٣٣٠.

(٥) انظر الريحانة ١/ ٣٠٦.

(٦) انظر تراجم الأعيان (٣٢ب) للحسن البوريني نقلًا عن الشِّهاب الخفاجي وجهوده في اللغة ٥٢.

(٧) انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ٥٢، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣٠٨، وخلاصة الأثر ١/ ٣٣٣، ومعالم الأدب العربي ٢/ ٦٣٠.

سلانيك[١] فحصَّل بها مالاً كثيرًا[٢]، وفي ذلك يقول تلميذه أحمد الحلبي[٣] (ت ١٠٥٦هـ): «شاهدته في المرة الأولى من سفري سنة اثنتين وعشرين وألف بقسطنطينية. . . . ثم لمَّا قضى الله بعودي إلى الروم في المرَّة الرابعة من سفري سنة ثمان وثلاثين وألف، شاهدته بها وقد زادت فضائله ضِعْفًا بل صار الواحد ألفًا وحصلت على ضالتي المنشودة»[٤].

ويبدو أن طول الفترة التي قضاها الخفاجي من حياته في بلاد الروم (١٠٠٤هـ ـ ١٠٤٨هـ) جعلته يملُّ حياته في الغربة ويشعر بالحنين الدائب إلى مسقط رأسه مصر، حتى إنَّ شعوره بالغربة القارصة جعله يشعر بأنَّه سجين في بلاد الروم ـ على الرغم ممَّا حصَّله بها من جاهٍ ومالٍ كثير «في ديار ترى العربيَّ فيها غريبَ الوَجْهِ واليد واللسان»[٥]. فبدأ هذا الحنين يفيض في شعره ونثره؛ ومن ذلك قوله[٦]: [من الطويل]

يَزِيدُ اشْتِياقِي نحو مِصْرَ وأَهْلِها كَمَا زادَ مَدُّ النِّيل حتَّى تفجَّرا
أَذابَ النَّوى صَبْرِي وأَفْنَى مَدَامِعي فقالوا سَلَا عن حُبِّنَا وتَستَّرا

ولعل الخفاجي بسبب هذا الحنين أبدى رغبةً للسلطان مراد في العودة إلى مصر؛ وكأنَّه أراد أن يرجع إلى مصر وهو عالي الجبين بما وصل إليه من مناصب وما حصَّله من أموال، فوافق السلطان مراد على عودة الخفاجي إلى مصر على أن يتولى قضاء العسكر فيها، فكأنَّ السلطان أراد الاستفادة من

---

(١) انظر خلاصة الأثر ١/٣٣٣، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/٣٠٨، والأعلام ١/٢٢٧، وفي تاريخ الأدب العربي (١٢ ـ ٢١٣)/ ٥٥ «وأصبح قاضيًا في بلاد الروم ثم في سالونيكي».

(٢) معجم المطبوعات العربية والمعربة ٥٢.

(٣) انظر صفحة ٣٩ من هذا البحث رقم ٣ من تلامذته.

(٤) خبايا الزوايا لوحة (١٠٠ أ).

(٥) الريحانة ١/٣١٢.

(٦) الريحانة ١/٩٢.

الخفاجي في مكان هو أدرى الناس بأحواله وطبائع أهله وخاصةعندما لمس منه السلطان رغبة صادقة في خدمة الدولة العثمانية، وكان رجوعه إلى مصر بعد سنة (١٠٣٨هـ) وهي تلك السَّنَة التي رآه فيها تلميذه أحمد الحلبي في الروم ـ كما رأينا منذ قليل ـ، بل لعله رجع بعدها بفترة لأنَّ أحمد الحلبي صرَّح أنه بلقائه للخفاجي سنة (١٠٣٨هـ) قد حصل على ضالته المنشودة يعني في طلب العلم، فلعله جلس بين يديه عامًا أو أكثر قبيل رجوع الخفاجي إلى مصر.

وفي مصر تولى الخفاجي منصب قضاء العسكر منذ عودته إلى سنة (١٠٤٨هـ) أو قبيلها أو بعدها بقليل، تلك السنة التي مات فيها السلطان مراد حيث «ظهر شيء من النَّفرة بين الخفاجي وبعض الموظفين في القسطنطينية؛ فصدر الأمر بعزله من قضاء مصر»[١] لكنَّ الخفاجيَّ ـ بعزيمته الفولاذية ـ لم يستسلم لهذا القرار فعزم السفر إلى القسطنطينية على أمل أن يتدارك الأمر[٢].

وهنا تأتي رحلته الثانية إلى القسطنطينية وهي بالتأكيد بعد سنة (١٠٤٨هـ) التي صدر بعدها قرار عزله من منصبه، أي أن الخفاجي كان قد بلغ السبعين من عُمْرِه هذه المرَّة ولكنَّه وجد إعراضًا عنه من مُفتيها ـ إذ ذاك ـ المولى يحيى بن زكريَّا[٣] لأجل أمور انتقدت عليه أيام قضائه في (سلانيك) ومصر؛ من الجُرأة وبعض الطمع[٤].

لكنَّ الخفاجيَّ نفسه يرى أن سبب عزله هو انتقاده لبعض الأمور فلم يعجب ذلك الوزير، يقول الخفاجي: «ولما عُدْتُ إليها ثانيًا، بعدما توليت

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.

(٢) انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣٣.

(٣) هو يحيى بن زكريا بن بيرام القسطنطيني (٩٩٩ ـ ١٠٥٣هـ). انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٤/ ٤٦٧، ومعجم المؤلفين ١٣/ ١٩٧، وهدية العارفين ٢/ ٥٣٢.

(٤) انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.

قضاء العسكر بمصر، رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل، فذكرت ذلك للوزير ظنًّا بأنَّ النصح يفيد، فإذا هو كما قيل:

فَـهْـوَ الـوَزِيـرُ ولا أَزْرٌ يُـشَـدُّ بِـهِ ... مِـثْـلُ الـعَـرُوضِ لـه بَـحْـرٌ بـلا مـاءِ

فكان ذلك سببًا لعزلي، وأمري بالخروج من تلك المدينة»[١]. وإلى ذلك السبب في عزله يذهب المُحِبِّي[٢] حيث يقول: إنَّه لمَّا وَجَدَ على القاضي يحيى بن زكريا صنع فيه مقامة سمَّاها (المقامة الرُّوميَّة)[٣] تعرض فيها للقاضي المذكور فعجَّل صنيعُهُ هذا بنفيه.

رجع الخفاجي إلى مصر وأُعْطِيَ قضاءً، وخُصِّصت له إعاشة معلومة يعيش منها[٤]، ولعلَّ ذلك كان عرفانًا من الدولة بفضله ومكانته.

استقر الخفاجي بمصر منذ ذلك الحين يُعَلِّمُ بجامعها الأزهر ويصنِّفُ في فروع العلم فأخرج لنا كثيرًا من كتبه النفيسة؛ كالريحانة وشفاء الغليل وغيرهما، كما تخرَّج على يديه نخبة من العلماء على رأسهم عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ).

ثالثًا: رحلاته إلى الشام:

لم يقصد الخفاجي الارتحال إلى الشام قصدًا، ولكنَّه كان يمرُّ عليها في رحلاته البرِّية بين مصر والروم؛ فدخل بعض مدن الشام كدمشق وحلب. على أنَّ أشهر زياراته للشَّام كانت زيارتين:

الأولى: عند رجوعه إلى مصر قبل عزله حيث زار حلب ودمشق، والتقى

---

(١) الريحانة ٢/ ٣٣٠، ٣٣١. والبيت في الريحانة ١/ ٣٣١ وهو لأبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الغزي الشاعر المشهور (انظر الفلاكة والمفلوكون ص١٠٦).

(٢) انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.

(٣) ذكر الخفاجي هذه المقامة كاملة في آخر (ريحانة الألبا ٢/ ٣٤١ وما بعدها).

(٤) انظر خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.

فيهما بكثير من الأدباء الذين مدحوه بالقصائد[١] التي تبرز مكانته عندهم، وقد ذكر الخفاجي أدباء الشام في القسم الأول من الريحانة.

الثانية: كانت في طريقه من مصر إلى الروم بعد عزله من قضاء العسكر بمصر، فزار حلب ودمشق، وقابله علماء الشام وأدباؤها بنفس الحفاوة التي قابلوه بها من قبل، وبالطبع قد خفف ذلك عنه مصيبته، ونفَّسَ بعض كربه إذ عرف أن القوم يُعلون مكانته العلمية، وليس منصبه أو جاهه.

لم يَقضِ الخفاجيُّ في القسطنطينية بعد عزله أكثر من عامين حيث رجع إلى مسقط رأسه ـ مصر ـ على الأرجح سنة (١٠٥٠هـ)، حيث يقول الخفاجي مُتحدِّثًا عن عبد الرحمن بن عماد الدين الحنفي (ت ١٠٥٠هـ)[٢]: «وكتب إليَّ وهو مريض وقد سمع بعودي لمصر، ولم يلبث بعده إلا قليلًا...»[٣].

وقد ذكر المُحِبِّي أن وفاة عبد الرحمن ـ هذا ـ كانت في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وألف.

وبذلك فقد قضى الخفاجي العقدين الأخيرين من حياته في مصر بين التدريس والتأليف، فخلَّف لنا هذه الثروة الهائلة من مؤلفاته التي سنعرضها بالتفصيل في الصفحات التالية.

شعره ونثره:

خلَّف لنا الخفاجي تراثًا شعريًّا ضخمًا يتمثَّلُ في ديوانٍ كبير[٤] وعددٍ آخر من القصائد والأبيات والمقطوعات الشعرية المبثوثة في كتبه ومؤلفاته، وعلى

---

(١) انظر الريحانة مثلًا ١/٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٧.

(٢) انظر ترجمة في الريحانة ١/٢٢١، وخلاصة الأثر ٢/٣٨٠، وسلافة العصر ٣٧٢.

(٣) الريحانة ١/٢٢٥.

(٤) لا يزال مخطوطًا وتوجد منه عدة نسخ خطية، انظر مؤلفاته صفحة ٤٦ من هذا البحث، وقد صورته وبدأت في تحقيقه وسوف يخرج قريبًا إن شاء الله.

رأسها الريحانة، وديوان الأدب، وطراز المجالس، وغيرها من الكتب، ولا عجب في ذلك فقد قرض الخفاجي الشعر مبكرًا قبل أن يصل إلى سن السابعة عشرة؛ حيث وصلت إلينا مقطوعة شعرية له(١) في مدح أستاذه إبراهيم العلقمي (ت٩٩٤هـ) وتلك المقطوعة من الشعر الرقيق الذي يدلُّ على نبوغه المبكر.

وقبل أن نطوِّف تطوافة سريعة حول شعر الخفاجي، وأهمِّ الأغراض التي تناولها في شعره، نقف وقفة عَجْلى حول رأيِ النُّقَّاد في شعره.

اختلفت آراء النُّقَّاد في شعر الخفاجي، ولعلَّ ذلك مرجعه إلى الانطباعية في إصدار الأحكام أحيانًا، وإلى تأثُّر النقد بما هو مشهور عن شعر تلك الفترة ـ العصر العثماني ـ من ضعف، وميل إلى الصَّنْعَة.

فيرى الدكتور شوقي ضيف(٢)ـ مثلًا ـ أنَّ شعر الخفاجي ـ الذي يمثل ذلك العصر ـ دليلٌ على ضعف الرُّوح الأدبية فيه وما صاحب هذه الحياة الفنية من عقم وجمود.

ولعلَّنا نعجب حين نقرأ قول الدكتور شوقي ضيف عنه في موضع آخر(٣): «إنَّه كان شاعرًا مجيدًا».

ونجد الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يُسرف في الإشادة بشعر الخفاجي فيقول(٤): «شعر الخفاجي كثير قويُّ الأسلوب واضح المعنى، كثير ألوان الخيال، وينم عن ثقافة صاحبه وعقليته وشخصيته، والخفاجيَّ ـ ولا شك بين شعراء القرن الحادي عَشر الهجري ـ زعيم الشعر والشعراء ـ».

---

(١) الريحانة ٢/ ٧٨.

(٢) انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ٥٠٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي ٦/ ٤٥٩.

(٤) شفاء الغليل (تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي). المقدمة ١٣.

فإذا راجعنا أقوال معاصري الخفاجي عن شعره نجد فضل الله المُحِبِّي يقول عنه: «فنظمه نفثات السِّحر وقلائد النحر، وغَمَزات الألحاظ المِرَاض وعطفات الحسان بعد الإعراض»[١].

أما المُحِبِّي الابن فيصف ديوان الخفاجي قائلًا: «وله ديوان شعر وقفت عليه، وكل شعره مُفْرَغ في قالب الإجادة»[٢]، ونراه في موضع آخر يقول مدافعًا عن شعر الخفاجي: «وأشعاره ومنشآته مُسَلَّمة لا مجال للخدش فيها»[٣].

ولعل ابن معصوم كان أكثر موضوعيَّة في حُكمه على شعر الخفاجي حيث يقول: «وشعرُه يجمع الغثَّ والسَّمين، ويشتمل على الرخيص والثمين»[٤].

فالخفاجيُّ أديبٌ بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ؛ فشعره في غالبه جيد بما يحمله من رُوح الخفاجي، وقد عبَّر الخفاجي عن جميع مراحل حياته وما مرَّ به من حوادث عظام، ولعلنا نلمس ذلك إذا وقفنا وقفة سريعة أمام بعض النماذج الشعرية له، فمن شعره الجيد قصيدته الدالية التي مطلعها:

قَدَحَتْ رعودُ البرق زندًا أَضَرمْنَ أشجانًا وَوَجْدا
في فَحْمَةِ الظَّلْمَاءِ إذْ مَرَّتْ على الخضراء بردا

وهي من مجزوء الرمل وقد ذكرها صاحب خلاصة الأثر كاملة[٥]، ووصفها بأنَّها أجود قصيدة في ديوانه وأنها مشهورة، وقد وصف فيها الطبيعة

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.
(٢) خلاصة الأثر ٢/ ٣٣٦.
(٣) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.
(٤) سلافة العصر ٤٢١.
(٥) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٦، ٣٣٧. والقصيدة في ديوانه.

في فصل الشتاء ثم ذكر فيها تقلبات الدهر داعيًا إلى الصبر فهو مفتاح الفرج، ومنها قوله:

والـدَّهْـرُ عَـبْـدٌ طَـائِـعٌ أَهْـدَى لَـنَـا شَـرَفًـا وسَـعْـدَا
مَـازَالَ أَصْـدَقَ نَـاصِـحٍ كَـمْ قَـالَ لِـي هَـزْلًا وَجَـدَّا
سَـلِـمَ امْـرُؤٌ عَـنْ طَـوْرِه فـي كُـلِّ حَـالٍ مَـا تَـعَـدَّى
فَـالْـخَـطْـبُ بَـحْـرٌ زَاخِـرٌ فَـاصْـبِـرْ لَـهُ جَـزْرًا ومـدًّا

ثم ينتقل بعد ذلك إلى مدح أصدقائه وإخوانه.

ومن غزلياته الرائعة قصيدته المطبوعة التي مطلعها(١): [المتدارك]

أَرِحْ طَرْفَ عَيْنٍ جَفَاهَا الهُجُوعُ فَـإِنَّ عَـنَـاءَ الـجُـفُـونِ الـدُّمُـوعُ

وفيها يقول(٢):

وَظَبْيٍ تُرَى في جُحُور القُلوبِ لَـهُ تَـوْأَمُ الـحُـسْـنِ خِـدْنٌ رَضِـيـعُ
فَـلَـوْلا فُـؤادِي لَـهُ مَـسْـكَـنًـا لَـمَـا كَـانَ تَـحنُو عَلَيْه الضُّلُوعُ

ومن غزلياته أيضًا هذان البيتان(٣): [المتقارب]

خَبَأتك في العين خَوْفَ الوُشَاةِ وَكَـمْ شَـرَّف الـدَّارَ سُـكَّـانُـهـا
ومِـنْ غِـيـرةٍ خِـفْـتُ أن يَـفْـطِـنُـوا إِذَا قِـيـلَ فـي الـعَـيْـنِ إِنْـسَـانُـهـا

وفي ترجمة البوريني ذكر المُحِبِّي بيتين له وعلق عليهما بقوله: والمعنى حسن وأحسن منه قول الخفاجي(٤): [الطويل]

تَنَازع فيه الشَّوْقَ قَلْبِي وناظِري فأَثَّر فيه الطَّرْفُ والقلب ناصبُ

---

(١) خلاصة الأثر ١/٣٣٨. والقصيدة في ديوانه.
(٢) خلاصة الأثر ١/٣٣٨.
(٣) خلاصة الأثر ٢/٥٨. والبيتان في الديوان.
(٤) خلاصة الأثر ٢/٥٧. والبيتان في الديوان.

وَتَنْظُرُه من قلبي الصَّبِّ أعْيُنٌ ... عليها المُحَنَّى والضلوعُ حواجبُ

ويبدو أن غزل الغلمان كان الأكثر شيوعًا في هذا العصر، وللخفاجي في ذلك أبيات بعضها فيه تظَرُّفٌ كقوله(١): [الرجز]

يقول من أهواه: دَعْنِي وتُبْ ... يا أيُّها المفتُونُ عن حُبِّي

فقلتُ: مُرْ حُسْنَك أن لا يُرَى ... مُسَلِّطًا عِشقًا على قلبي

وقوله(٢): [الوافر]

سهامُ جُفُونِه أعْرَضْن عنِّي ... فأسْرَعَ فتْكُها وَنَما جَوَاهَا

فيا لك أَسْهُمًا تُصْمِي الرَّمايا ... إذا صُرِفت إلى شيء سِوَاهَا

وأحيانًا يعطينا في شعره بعض اللقطات عن مجتمعه وطبيعة الحياة والناس فيه، فمن ذلك قوله ـ وهو من مُلَحِه(٣): [الخفيف]

أيُّها السَّائِلي عَنِ ابنِ فُلَانٍ ... وديُونٍ عليه دَهْرًا مَلِيَّا

ليس يَقْضِيكَ حَبَّة مِنْ ديونٍ ... وَيكيلُ الأيمانَ كيلًا وفيَّا

إنْ تُخَاشِنْه في تَقَاضِيهِ يومًا ... صار بالحَلْفِ دَيْنُه مَقْضِيَّا

ونجد الحكمة والزهد يشيعان في شعر الخفاجي، ولم لا وهو صاحب الحياة الطويلة والأسفار العديدة والحوادث المتنوعة.

فمن شعر الحكمة قوله(٤): [البسيط]

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ باتَ في دَعَةٍ ... أتاه سَيْلُ الصَّباح بالنّكدِ

وَرُبَّ فَرخٍ أراشَهُ زَمَنٌ ... فصار بالعِزِّ بيضةَ البلدِ

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٤١. والبيتان في الديوان.

(٢) خلاصة الأثر ١/ ٣٤٠. والبيتان في الديوان.

(٣) خلاصة الأثر ١/ ٣٤١. والأبيات الثلاثة في الديوان.

(٤) خلاصة الأثر ١/ ٣٤٠. والبيتان في الديوان.

أن نثره ضعيف، تصنَّع فيه لمصطلحات النحو، كما تصنَّع لألوان البديع. ولِكُلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها.

كتبه ومؤلفاته:

سنذكر كتبه مرتبةً على حروف المعجم ونُنَبِّهُ على المخطوط منها والمطبوع وأماكن وجود مخطوطاتها، كما يلي:

١ ـ إخوان الصفا وهدايا أخدان الوفا:

منه نسخة في الخزانة التيمورية برقم (٣٣١) (فهرس الخزانة التيمورية (١/ ٣٦) ط دار الكتب المصرية (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م)، ونسخة أخرى في (راشد أفندي برقم (١٥٤١ ـ ٦١٠/ ٢) وعنوانها (رسائل إخوان الصفا).

٢ ـ أدبيات:

يوجد منه نسخة مصورة في مركز البحث العلمي بأم القرى برقم (٥٨٣) أدب، وهي عن نسخة رئيس الكُتَّاب برقم (١٢١٦) وهي (١٤٥) لوحة.

ويبدو أن الكتاب مسوَّدَة المؤلف لأنَّه قد كتب على طُرَّته أنه بخط الخفاجي، وفيه فراغات كثيرة تصل إلى الصفحة أحيانًا، ولأنَّ موضوع الكتاب ـ وهو مجموع الشعر والنثر للقدماء ومعاصري الخفاجي ـ فإنَّني أظنه أصلًا لكتابه (ديوان الأدب)، كما أن (خبايا الزوايا) أصل للريحانة.

٣ ـ الأمالي:

ذكره في «عناية القاضي» (٨/ ٣٤)، كما ذكره البغدادي في خزانة الأدب في عِدَّة مواضع منها: (١/ ١٠، ٤/ ١٧، ٩/ ١٦٧). وأكادُ أَقْطَعُ أنَّ هذا الكتاب هو نفسه «طراز المجالس» الذي سيأتي ذكره؛ وممَّا يؤيد ما نذهب إليه أنَّ الخفاجي قال في مقدمة «طراز المجالس» (ص٢): «فهذه بنات أفكارٍ زففتها إليك وأمالي مجالس أمليتها عليك».كما أن البغدادي قال في الخزانة (٩/ ١٦٧): «قال شيخنا الخفاجي في شرح درة الغواص وفي أماليه: ذهب

الرَّضي إلى أنه لا يشترط ذِكر مسموع بعد سَمِعَ وأن اشتراطه أكثَريٌّ»؛ وهذا النص في طراز المجالس (٥٩) باختلاف يسير جدًّا.

٤ ـ بَرْد الجَنَان في دخول الأطفال الجِنَان:

له نسخة في الخزانة التيمورية برقم (٣٣١/ ١) وهي ضمن مجموع.

٥ ـ بيان ما أُشكِلَ على الطلاب في آيتين من أول سورة الأنعام:

منه نسخة ضمن مجموع (٦١٠/ ١٠) في مكتبة راشد أفندي برقم (٥٥٨).

٦ ـ التاريخ الأكبر:

منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم (٢٦١٠٦ ح) عربي.

٧ ـ تحفة الفُلك في شأن رسالته للمُلْك:

أي رسالة النبي ﷺ، ومنه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع برقم (٣٣١/ ٦).

٨ ـ تحفة من نسمات القبول لتعريف العهد الذي بين الصِّلة والموصول:

ومنه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع برقم (٣٣١/ ٧).

٩ ـ تعريف الأعلام وتحقيق التبيين للتشخيص والتعيين:

ومنه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع برقم (٣٣١/ ١٩).

١٠ ـ تعليقة على «رسالة المناظرة[١] التي وقعت بين الكسائي وأبي يوسف الأنصاري»[٢] لمعين الدين الإيجي[٣]:

---

(١) هي مناظرة حول رفع كلمة «ثلاث» ونصبها في قول الشاعر:

فأنتِ طلاق، والطلاق عزيمة ثلاثًا، ومن يخرق أعقُّ وأظلم

(٢) هو أبو يوسف بن يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٣هـ). انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢، ووفيات الأعيان ٥/ ٥٢١.

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد الحسنيُّ الإيجيُّ (٨٣٢ ـ ٩٠٦). انظر ترجمته في كشف الظنون ١/ ٤٥٢، ٦١٠.

ذكرها البغدادي في خزانة الأدب (٣/ ٤٦٧).

١١ ـ تعليقة على التسهيل لابن مالك:

انفرد الدكتور صلاح عبد العزيز في رسالته (الشهاب الخفاجي وأثره في النحو٦٣) بذكرها للخفاجيِّ، ولا أدري ما سنده في ذلك؟!

١٢ ـ ثمرة جَنِيَّة وهَدِيَّة سَنِيَّة في تحقيق معنى الفاعل عند أهل العربية:

ومنه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع برقم (٢٣١/ ٢١).

١٣ ـ ثَمَرَةٌ قَليلَةٌ مِنْ دِمْنَةِ غياض فِكَرٍ كَليلَةٍ، وَتِبْرٌ مَسْبوكٌ في بَيانِ تَعْريفِ الْمَصْدَرِ الْمَسْبوك:

ومنه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع برقم (٣٣١/ ٩).

١٤ ـ جنة الولدان:

ذُكِر في الأعلام للزركلي (١/ ٢٣٨)، وأشار إلى أنَّها طُبعت ملحقة مع رسالة أخرى بكتاب (قلائد النحور من جواهر البحور) المنسوب للخفاجي.

١٥ ـ حاشية الخفاجي على شرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني على القسم الثالث من مفتاح العلوم لأبي يعقوب محمد بن علي السكاكي:

وهذه النسخة مسودة المؤلف، فرغ من تأليفها في اليوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر (١٠٦٤هـ)، ومخطوطتها بدار الكتب المصرية برقم (١٦٣) بلاغة، انظر فهارس دار الكتب (٢/ ١٨٨).

١٦ ـ حاشية شرح الفرائض:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، كما ذُكر في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، وسلافة العصر (٢/ ٢٤٠) محرَّفًا (حاشية شرح الوامض). أما كتاب (الفرائض)

فهو لسراج الدين السّجاوندي[١] (ت٦٠٠هـ)، ويقال لها: الفرائض السراجيَّة، وقد شرحها كثير من العلماء[٢]، ولم يصرح أحد ممَّن ذكر حاشية الخفاجي على أيِّ شرح كانت حاشيته؟

١٧ ـ حاشية على المغني:

ذكرها البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب (١/ ٩، ١٠)

١٨ ـ حاشية على كتاب في النحو:

ومنه نسخة في كوبرلي ضمن مجموع برقم (٦١٨/ ٢).

١٩ ـ حديقةُ السِّحْرِ في قرض الشعر:

ذكره في الريحانة (١/ ٨٨، ٢/ ٣٤٠)، ومن ذلك قوله (١/ ١٨٦): «وليس هذا محل تفصيلها، فإنْ أردتها فانظر كتابنا (حديقة السِّحْرِ)». والكتاب منه نسخة خطيَّة في دار الكتب المصرية برقم (٨) حديث ق عربي.

٢٠ ـ حواشي التسهيل:

ذكره الخفاجي في «السوانح والبوارح» (لوحة ٩٣ أ).

٢١ ـ حواشي الجامي:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، كما ذكره ابن معصوم في سلافة العصر (٤٢٢)، وذكره القادري في نشر المثاني (٢/ ٩٢) محرَّفًا إلى «حواشي الرضي والجدير» وهذه الحواشي على شرح كافية ابن الحاجب المعروف بـ «الفوائد الضِّيائيَّة» لنور الدِّين الجامي[٣].

---

(١) هو سراج الدين محمد بن أحمد بن عبد الرشيد السّجاونديّ (ت ٦٠٠هـ) تقريبًا انظر ترجمته في كشف الظنون ٢/ ١٢٤٧، وهديَّة العارفين ٢/ ١٠٦.

(٢) انظر كشف الظُّنون ٢/ ١٢٤٧ ـ ١٢٥٠.

(٣) هو أبو البركات نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجامي توفي سنة (٨٩٨هـ). انظر ترجمته في شذرات الذهب ٧/ ٣٦٠، والبدر الطالع ١/ ٣٢٧، وكشف الظنون ١/ ٨٨٦.

٢٢ ـ حواشي الرضي:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، وعناية القاضي (١/ ٧١، و٤/ ٥٩، و٦/ ٤٣)، وشرح درة الغواص (٩٥). كما ذكر في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، وسلافة العصر (٤٢٢).

٢٣ ـ حواشي العقائد:

ذكره في نسيم الرياض (٣/ ٣٧١)، ولم أجد له ذكرًا في أيٍّ من المصادر الأخرى.

٢٤ ـ حواشي المُطَوَّل:

ذكره في عناية القاضي (٤/ ١٣٨). ولم أجد له ذكرًا في أيٍّ من المصادر الأخرى.

٢٥ ـ حواشي النخبة:

ذكره في نسيم الرياض (٢/ ٩٤). ولم أجد له ذكرًا في أيٍّ من المصادر الأخرى.

٢٦ ـ حواشي شرح السراجية:

ذكره في عناية القاضي (٧/ ١٠٨)، فقال: «كما فصلناه في حواشي شرح السراجية» ويغلب على ظني أنه هو نفسه (حاشية شرح الفرائض) سالفة الذكر.

٢٧ ـ خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا:

أشار إليه الخفاجي في مقدمة الريحانة (١/ ١١)، وذكره المحبي في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٤) حيث قال: «واجتمع به والدي المرحوم في منصرفه إلى مصر، وأخذ عنه، وكتب عنه أصل الريحانة الذي سماه خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا، وكُتب منها في دمشق نسخٌ؛ ومن ثَمّ اشتهرت

فضيلته. . .»، ونقل عن أبيه قوله عنه: «فكم أبدع بما أودع في خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا».

وذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٦٩٩)، وقال فيه بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (١٢ ـ ١٣ أ/ ٥٦): «وهو كتاب تراجم علماء عصره وشيوخه وشيوخ أبيه في خمسة أقسام من علماء الشام والحجاز ومصر والمغرب والروم بأسلوب مصنوع»، وذكر له عدة مخطوطات سأذكرها بعد قليل، وذكره أيضًا الزركلي في الأعلام (١/ ٢٨) وأشار إلى أنه مخطوط، وجورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٩).

ويوجد من الكتاب عدة نسخ خطية في مكتبات العالم منها:

ـ نسخة بدار الكتب برقم (٨٤) وهي بقلم معتاد يليها ترجمة المؤلف ومقامة سماها المقامة الرومية، وقصيدة نبوية عارض بها معلقة زهير، وأولها: «نحمدك اللهم حمدًا يطوق جيد البلاغة نظم عقوده. . .» وقد أتم تأليفها في مجالس؛ آخرها الليلة التي تسفر عن يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة (١٠٤٢هـ) (انظر فهارس دار الكتب ٣/ ٩٢).

ـ ومنه نسخة أخرى برقم (١٣١٢) وهي بخطوط مختلفة آخرها بخط الحاج أمان الله بن الحاج أحمد الفرقوني، فرغ من كتابتها في يوم السبت الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة (١٠٨٢هـ).

ـ ومنه نسخة أخرى برقم (٤٦٩٧) بخط عبد الرحمن بن عثمان الشافعي، فرغ من كتابتها يوم الجمعة العاشر من شهر شوال (١٠٨٢هـ).

ـ وفي مكتبة الأزهر منه نسختان برقم (٨٦٤٦٩١) عام (٧٩٩) لغات شرقية، وأتراك، (٦٨٨٨) عام (٢٨٣) أدب أباظة.

ـ وقد ذكر بروكلمان عدة نسخ وهي برلين (٧٤١٤)، وجوتا (٢١٦٤)، وفيينا (٤٠٦)، والمتحف الأسيوي (٢٤٨)، وكوبرلي (١٢٣٩)، ونور عثمانية

(٣٧٧٢)، والقاهرة أول (٤/ ٢٢٩)، والقاهرة ثانٍ (٣/ ٩٢)، وأسعد أفندي (٢٦٠٨/ ٢)، ونسخة أخرى (٢٥٦٩)، وسليم أغا (٩٤/ ٩)، وبغداد، انظر لغة العرب (١/ ٣٠٧)، وذكر أن له تهذيبًا مجهول المؤلف في مخطوط ليبزج (٨٨٤/ ١).

ـ ومنه نسخة بمركز البحث العلمي بأم القرى (٩٩) أدب، ومكتبة العباسية بالبصرة (١٠)، ودار الكتب الظاهرية (٧١٠٩)، وجوتنجن بألمانيا (٧٤١٤/ ١٤٣)، والمجمع العراقي (ف ٤٤)، ومكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت برقم (٣٩٠، ٣٣٨)، ووحيد باشا (٦١٩).

٢٨ ـ دفع الكربة بسلوة الغُرْبة:

ذكرها في الريحانة (٢/ ٤٠٧ ـ ٤٤٠)، وهي المقامة المغربية وقد عارض بها مقامة الحريري السادسة عشرة (انظر مقامات الحريري ١١٥)، قال الخفاجي في مقدمتها: «. . . . وتهزأ بالمقامة المغربية وتدعها لا شرقية ولا غربية»، وقد عقد فصلًا بعدها لبيان ما فيها من فوائد لغوية. انظر صفحة (٢/ ٤١٦) من الريحانة وما بعدها.

٢٩ ـ ديوان الأدب في محاسن بلغاء العرب:

ذكره في الريحانة (١/ ٤٩)، وخلاصة الأثر (١/ ٣٣٣) وعنوانه هناك «ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب»، وقال فيه المحبِّي: «ذكر فيه مشاهير الشعراء من العرب العرباء والمولدين». وبنفس العنوان في معجم المؤلفين (١/ ٢٨٦) وإيضاح المكنون للبغدادي (١/ ٤٨٨)، وتاريخ الأدب العربي ((١٢ ـ ١٣أ)/ ٥٥)، وذكر بروكلمان، وعمر فرُّوخ في معالم الأدب العربي (٢/ ٦٤٠) أنه مطبوع طبعة قديمة في بيروت سنة (١٣١٦هـ). وله نسخ خطيَّة في عارف حكمت برقم (٥٧/ ٨١٠) والمتحف العراقي برقم (٥٨٥) وفيض الله برقم (١٥٩٦)، وهيفن (٢٨٣).

٣٠ ـ ديوان الشهاب:

ذكره في الريحانة (١/ ٢٤٠)، وذُكر في سلافة العصر (٤٢٢)، والتقاط الدرر (١/ ١٤٤)، والأعلام (١/ ٢٧٧)، وذكر بروكلمان ((١٢ ـ ١٣أ))/ ٥٦) أن له ديوانًا مخطوطًا في هايدلبرج، وبخطه في التيمورية (٣٩٣) شعر، وذكر صاحب تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨) أن هذه النسخة في (٢٠٠) صفحة وأن له نسخة أخرى في كوبنهاجن، وذُكر في مجلة المجمع العلمي العراقي (٣/ ٣٤٢)، ومنه نسخة خطية في برلين (٦٩٩٠)، والدنمارك (هافانا) (٤٨٣) والأزهر (٧١٠١) عام (٥٠٥) أدب أباظة، وعندي مصورة لها وعدد لوحاتها ٢٦٦ لوحة، وقاربت على الانتهاء من تحقيقها. وهذا الديوان لم يحو شعر الخفاجي كله.

٣١ ـ الرحلة:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، كما ذكر في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، والتقاط الدرر (١/ ١٤٤)، وسلافة العصر (٤٢٢)، وإيضاح المكنون (١/ ٥٥٠)، وفي هامش الريحانة (٢/ ٣٦٩) أن العلَّامة عبد القادر البغدادي قرأه عليه، وأجازه به.

٣٢ ـ الرسائل الأربعون:

ذكرها في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، كما ذكرت في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، وإيضاح المكنون (١/ ٥٧١)، وسلافة العصر (٤٢٢).

٣٣ ـ رسائل ومكاتيب:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، وصرَّح بأنَّه لم يجمعها، وقال المحبي في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣): «وله رسائل كثيرة ومكاتيب وافرة لم يجمعها»، كما نقل المحبي عن بعضها في نفحة الريحانة (٤/ ٤٠٥، ٤٠٧).

٣٤ ـ رسالة الثُّمَامَة في صفة العمامة:

ذكرها في نسيم الرياض (١/ ٤٧٦) عند حديثه عن لباس الرسول ﷺ، فقال: «وكانت عمامته قصيرة صغيرة كما بيناه في الثمامة في صفة العمامة».وقال الكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٣٧٨): «وله في السُّنة أيضًا وعلومها: الثمامة في صفة العمامة، يعني النبوية».

٣٥ ـ رسالة الشمعة:

ذكرها في الريحانة (٢/ ١٨٣ ـ ١٩١) كاملة وهي في وصف الشمعة.

٣٦ ـ رسالة الشهاب الخفاجي لمحمد الغشتالي ورده عليه:

منها نسخة في الأزهر برقم (٤٢٧٨٩) عام (٢٣٩٣) خاص (معارف عامة عروسي).

٣٧ ـ رسالة في «قل هو الله أحد» والمعوذتين والكلام على لفظ «قل»:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١) تبدأ من صفحة (٥٦) أولها «الحمد لله وحده. . . .» [انظر فهرس الخزانة التيمورية ١/ ١٠٩].

٣٨ ـ رسالة في «لا إله إلا الله»:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١).

٣٩ ـ رسالة في «ما» الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] :

منه نسخة في الخزانة التيمورية برقم (٥٤٤) أدب، وهي في إعراب هذه الآية [فهرس التيمورية ٢/ ٩١].

٤٠ ـ رسالة في إطلاق لفظ الذات عليه تعالى:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢٦).

٤١ ـ رسالة في إعراب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾ :

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١).

٤٢ ـ رسالة في الإيمان، وكونه مخلوقًا أو غير مخلوق، والخلاف في ذلك:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٥).

٤٣ ـ رسالة في البسملة الشريفة:

منه نسخة في مكتبة راشد أفندي (تركيا) (١٥٤١ ـ ٦١٠/ ٢).

٤٤ ـ رسالة في البسملة وترك الناس قِراءَتَها في أول سورة التوبة:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٠) (فهرس الخزانة التيمورية (١/ ٢٠٤) وهي تبدأ من صفحة (٦٤)، أولها: «الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى».

٤٥ ـ رسالة في الحروف الذولقية:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢٠)، وأخرى في راشد أفندي (١٧١٧) ضمن مجموع (٦١٠/ ٤)، وفيه يرد الخفاجي على من قال: إنَّ الرباعي والخماسي في العربية لا يخلوان من حرف من حروف الذَّلاقة [هي ستة حروف مجموعة في (مر بنفل) انظر سر صناعة الإعراب ١/ ٦٤، وتهذيب اللغة ٩/ ٧٢، والأصوات اللغوية ١١٠].

٤٦ ـ رسالة في القراءة بالشواذ:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١) تبدأ من صفحة (٦٧) أولها:

«الحمد لله منزل أعظم آياته على أكرم الكائنات. . .» [انظر فهرس الخزانة التيمورية ١/ ٢٨٠]. ومنها نسخة أخرى في راشد أفندي (٢٧١٧) ضمن مجموع (٦١٠/ ٤).

٤٧ ـ رسالة في القواعد والإشارات في أصول القراءات:

منها نسخة في كتبخانة أسعد أفندي [من الفهرس ٣٦٣٩].

٤٨ ـ رسالة في القيد مع العطف:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٦).

٤٩ ـ رسالة في المُقنطرات:

منها نسخة في مكتبة عمُّوجة حسين باشا (تركيا) (٣٥٠). وهي في علم الهيئة.

٥٠ ـ رسالة في الموصول:

منها نسخة في كوبرلِّي (تركيا) (٧٠٤/ ٥).

٥١ ـ رسالة في المولد النبوي وهل هو من محدث البدع أو سنة تتبع؟:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٤).

٥٢ ـ رسالة في انحصار الضمير إن حُصر بإنَّما:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٣).

٥٣ ـ رسالة في بيان سلامة الجمع جمع السلامة من اتصال مفرداته بما للتأنيث من علامة:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢).

٥٤ ـ رسالة في بيان فضل العلمية للفظ الجلالة:

منه نسخة في مكتبة راشد أفندي (تركيا) (١٦٦٠ ـ ٦١٠/ ٢).

٥٥ ـ رسالة في تحقيق معنى المشاكلة البديعية:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٨).

٥٦ ـ رسالة في تعدي فعل التعجب واسم التفضيل:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢٢).

٥٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

منه نسخة في دار الكتب المصرية (٦٤٢٣هـ)، ونسخة أخرى في الخزانة

العامة للكتب والوثائق بالمغرب ضمن مجموع وهي بخط المؤلف (انظر فهرس المخطوطات العربية، القسم الثالث ٣٢).

٥٨ ـ رسالة في حديث «رُفع القلم عن ثلاثة»:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٢).

٥٩ ـ رسالة في فضل المدينة وساكنها:

وقد ذكرها صاحب كشف الظنون (١/ ٨٥٥) بعنوان «رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]. ومنها نسخة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنوَّرة (٢٧٢٨) مجاميع وعنوانها رسالة في فضل المدينة وساكنها وفي فضل سيدنا عليٍّ وفي فضل الأنصار وفي المنبر الشريف.

٦٠ ـ رسالة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾:

منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (١٢٤٥) تفسير عربي.

٦١ ـ رسالة في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ **وما فيها من فوائد:**

منها نسخة في دار الكتب في سبع ورقات برقم (٦٤٢٣هـ) عربي.

٦٢ ـ رسالة في كرامات الأولياء بعد موتهم:

منها نسخة في كوبرلي برقم (٣٣٥).

٦٣ ـ رسالة في متعلق البسملة:

ذكرها بروكلمان ((١٢ ـ ١٣أ)/ ٥٧)، وذكر أن لها نسخة خطية في بريل أول (٢٣٦)، ثانٍ (٤٤٤/ ٥).

٦٤ ـ رسالة في معنى «أحد»:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢٣)، ونسخة أخرى في مكتبة راشد أفندي (١٧٢٦) ضمن مجموع (٦١٠/ ٨).

٦٥ ـ رسالة «المشاكلة والاستعارة»:

منها نسخة خطِّيَّة في تطوان ضمن مجموع (٣١٨).

٦٦ ـ الروض النضير في شرح شواهد التفسير:

ذكره في عناية القاضي (١/ ١٤٨)، ولم أجد له ذكرًا في المصادر الأخرى.

٦٧ ـ ريحانة الألبَّا وزهرة الحياة الدنيا:

ذُكِر في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣) ولم يزد على قوله: (والريحانة)، وقال المحبِّي في (١/ ٣٣٢): «وقد ترجم لنفسه في آخر ريحانته»، وقال في (١/ ٣٣٤) عن والده فضل الله المحبِّي: «وكتب عنه أصل الريحانة الذي سماه (خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا) وكتب منها في دمشق نسخًا»، كما ذُكر في سلافة العصر (٤٢٢)، وإيضاح المكنون (١/ ٦٠٥)، والأعلام (١/ ٢٢٧)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٥٢)، وذكر أنه طبع ثلاث طبعات الأولى في بولاق (١٢٧٣هـ) في (٣٩٤) صفحة والثانية في مصر (١٢٩٤هـ) في (٣٢٨) صفحة والثالثة في مطبعة عثمان عبد الرازق (١٣٠٦هـ) في (٤٢٢) صفحة. وآخر طبعة له في مجلدين بتحقيق عبد الفتاح الحلو (١٣٨٦هـ) (في مطبعة عيسى البابيِّ الحلبي)، وللكتاب أهمية تاريخية وأدبية كبيرة حيث ترجم فيه الخفاجي لمعاصريه، وضمَّنه كثيرًا من أشعارهم ونثرهم، كما ضمَّنه العديد من رسائله ومقاماته.

وللكتاب نسخ خطية عديدة في مجموعة من مكتبات العالم.وقد ذكره بروكلمان (تاريخ الأدب العربي (١٢ ـ ١٣)/ ٥٦) بعنوان (ريحانة الألبَّا ونزهة الحياة الدنيا)، وذكر أنه تلخيص لكتاب (خبايا الزوايا) مع اهتمام خاص بالشعراء. وذكر طبعاته التي أشرنا إليها، وأضاف طبعة أخرى سنة (١٢٩٥هـ)، ولم يذكر طبعة (الحلو)، وقد ذكر له مخطوطات كثيرة، في برلين برقم (٧٤٦٥/ ٦)، وفيينا (٤٠٧/ ٧)، وليدن (٥٢٥)، وباريس (٢١٣٤/ ٦)،

والمتحف البريطاني ملحق (١١٢٣)، وبطرسبرج المتحف الأسيوي (٢٤٩/ ٥٠)، وجاريت (٢١٨)، وأيا صوفيا (٤٠٢١)، والقاهرة أول (٤/ ٢٥٩)، والقاهرة ثانٍ (٣/ ١٧٦)، وذكر أنَّ بالقاهرة ثانٍ (٣/ ٣٤٣) مختصرًا منه مجهولًا. وانظر بروكلمان الملحق (٢/ ٣٩٦)، وقد ذكره جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٩) وذكر أقسامه ثم قال: «وهو من خيرة كتب الأدب والتاريخ»، وللكتاب عدَّة نسخ، في (٢٢٣، ٤٥٦٩) آداب طلعت عربي، (١٧٢٥) أدب عربي، (٥٠٩٠، ٩٠٩٨) أدب عربي، (١٥٥٢، ١٥٥٣) تاريخ تيمور عربي) وذُكِر في معجم المؤلفين (١/ ٢٨٦)، ومنه نسخة احتياطية بالأزهر رقم (٥٣٥٣١) عام (٤٧٤٦) أدب. ونسخة أخرى برقم (٣٣٣) مجاميع (٢٠١٣) أدب، ومنه نسخة في المحمودية بالمدينة المنورة (٢٣٧٤)، وعارف حكمت: (١١٤/ ١١٠) وأخرى (١١٥/ ٨١٠)، ومكتبة الحرم النبوي (١٣/ ٨١٠)، ومكتبة عبد الله بن العباس بالطائف (١٢/ ١٠٤) ومصورتها بالكويت في مكتبة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم برقم (٧١٩/ ١)، وخزائن السليمانية (٣٠٠) وأخرى (٥٦٢١)، وراشد أفندي بتركيا (١٥٤٥)، والأوقاف ببغداد (٣٥٦/ ١٢٣٠٤)، والمتحف العراقي (٢٢٣٣٢/ ١)، وجامع باشا بالموصل (رقمها في الفهرس ٥٣)، ومدرسة الملا زكريا بالموصل (من الفهرس ١٩١)، والمدرسة الإسلامية بالموصل (١٠٨١)، ومدرسة يحيى باشا بالموصل (١٠٨٩)، ومكتبة الدكتور داود الجَلبيّ برقم (٢٦٦) (فهرس ملحوظات الموصل)، وكوبرلِّي (١٢٧٨)، وأخرى (١٢٧٩) وعنوانه: ريحانة الأدب، ودار الكتب الظاهرية (٧٤٢٨)، وأخرى (٦٧٥٦)، والمكتبة الوطنية بتونس (٣٠٩٥)، والخزانة العامة بالرباط (٥٦٢٦)، وتشستربتي (٣٩٧٢ (١)) في دبكن بأيرلندا.

٦٨ ـ ريحانة النَّدمان:

ذكرها في خبايا الزوايا (٢١٠ ـ ٢٢٥ نسخة دار الكتب رقم١٣١٢ أدب)

كاملة، كما أشار إليها في ديوان الأدب (لوحة ٤٢٠ ب)، وذكرها المحبي في نفحة الريحانة (٤/ ٤٧٥)، والزركلي في الأعلام (١/ ٢٢٨)، وذكرها بروكلمان ((١٢ ـ ١٣أ)/ ٥٥) بعنوان «ريحانة النَّدا أو ذوات الأمثال»، وذكر أن لها نسخة مخطوطة في باريس (٢٥٣٠/ ١)، وذكرها صاحب تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٩) وأشار إلى نسخة باريس والتيمورية. ولها نسخة في دار الكتب المصرية (٨٠٨) أدب تيمور عربي، والمكتبة الخالدية بالقدس ومصورتها في المتحف العراقي برقم (٩٠٢٤/ ١١) (انظر فهرس المتحف العراقي ٣٢٩)، ومكتبة نجيب باشا بتركيا ٣٧٤ بعنوان «ريحانة الندماء وشمامة الأدباء».

٦٩ ـ السَّانِحُ والبارحُ:

ذكره في عناية القاضي (٦/ ١١٥)، فقال: "وقلت في الأمثال المسماة بالسانح والبارح:

كم سانحٍ وبارحٍ مِن الغِيَر لغافلٍ يطيرُ منْ وكرِ القَدَر"

ولعله هو نفسه السوانح والبوارح الذي سيأتي ذكره.

٧٠ ـ سَانِحَةٌ من أُفُقِ الإلهام:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٥)، وهي في شرح حديث «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» (الجامع الصغير حديث رقم (٣٦٦٩)، ومسند أحمد (٦/ ٧٢).

٧١ ـ سَحُّ العارضِ على شرح جِيميةِ ابن الفارض:

منه نسخة خطِّيَّة في تشستربتي برقم (٣٩٧٢/ ٢)، ومنها مُصَوَّرة في جامعة الإمام محمد بن سعود، ومصورة أخرى في مكتب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم برقم (٧١٩/ ٢)، وعدد لوحاتها (١٢) لوحة.

٧٢ ـ السَّوَانِحُ والبَوارِحُ:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، ونسيم الرياض (١/ ٤١، و٦٣)، كما ذُكر في سلافة العصر (٤٢٢)، وخلاصة الأثر (١/ ٣٣٤)، والأعلام (١/ ٢٢٨) بعنوان «السوانح»، وللكتاب عدة نسخ خطية؛ منها نسخة في دار الكتب المصرية (٩٧١) أدب تيمور عربي، والأزهر برقم (٧٢٤٠) عام (٣٤٧٢) خاص (معارف عامة أباظة)، وعنوانه «البوارح والسوانح»، ولهذه النسخة مُصَوَّرة في مركز البحث العلمي بأم القرى برقم (٥٨٩) أدب، ودار الكتب الوطنية بتونس برقم (٤٠٥٥)، وأسعد أفندي برقم (٢٧٣٨) أدب.

٧٣ ـ شرح آداب البحث:

أشار إليه في نسيم الرياض (١/ ٣٩٧)، ولعلَّه هو نفسه نظم الآداب الذي سيأتي ذكره.

٧٤ ـ شرح أسماء الله الحسنى:

أشار إليه في نسيم الرياض (١/ ١٠، ٢٢٨).

٧٥ ـ شرح درة الغواص في أوهام الخواص:

ذكره في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، وفي خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، وفي سلامة العصر (٤٢٢)، وخزانة الأدب للبغدادي (١/ ٢٧)، والتقاط الدر للقادري (١/ ١٤٦)، وتاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨)، وذكر أنه طبع بمصر سنة (١٢٣٧) وغيرها، والأعلام (١/ ٢٢٧)، وبروكلمان (١٢ ـ ١٣ م) (٥٦)، ومعجم المطبوعات العربية (٥٣)، وذكر أنه طبع بالأستانة (١٢٩٩هـ) وهي المعروفة باسم طبعة الجوائب، وقد طبع مؤخرًا مع الدُّرة وحواشيها وتكملتها بتحقيق عبد الحفيظ القرني بمطبعة دار الجيل بيروت، ومكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة (١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م)، وقد صنعها الخفاجي للسلطان مُراد بن السلطان أحمد بن السلطان محمد بن السلطان مراد كما ذكر في

مقدمتها صفحة (٣٥)، ولعلَّه السلطان مراد الرابع (ت ١٠٤٩هـ)، وهو من أفضل شروح درة الغواص. وذكر في معجم المؤلفين (١/ ٢٨٦). وله عدة نسخ مخطوطة في مكتبات العالم منها نسخة في دار الكتب من الفهارس (٧/ ٩)، وذكر أنَّها بخط قلم معتاد دقيق (١٤٥) ورقة في حجم الثمن، وأخرى رقم حفظها (٥٧٧٩هـ) عربي، وأخرى (٢٧٨) لغة تيمور عربي، ونسخة أخرى بالسليمانة خزائن كتب الأوقاف برقم (٢١٥)، ودار الكتب الوطنية بتونس (٣٩١١)، وبنكييور (٢٠/ ١٩٧٥)، ودي يونج (١٣)، وكوبرلي (١٣١٢)، وأخرى (١٣١٣)، وعارف حكمت (١٣١/ ٨١٠) وكتبخانة يني جامع (٩٦٥). وقد قام بتحقيقه في رسالة ماجستير بالأزهر محمد رياض السيد كريم بعنوان (شرح درة الغواص لشهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجي المصري (ت ١٠٩٦) دراسة وتحقيق في (٩٩٥) صفحة، رقم الفيلم (١/ ٣٤٤).

٧٦ ـ شفاء الغُلَّة في استثناء الجملة:

منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ٢٥).

٧٧ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل:

لم يذكره الخفاجي في الريحانة ولكنَّه أشار إليه في (عناية القاضي) (٥/ ٧٨)، وذكره المُحِبِّي في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣) بعنوان (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الحُوشِيُّ القليل)، وكذا في معجم المؤلفين (١/ ٢٨٦)، وذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ١٥)، وذكره صاحب معجم المطبوعات العربية ٥٢ وذكر له طبعتين الأولى ط المطبعة الوهبية (١٢٨٢هـ) في (٢٤٥) صفحة، والثانية ط مطبعة السعادة (١٣٢٥هـ) في (٢١٦) صفحة، وللكتاب ثلاث طبعات أخرى هي:

١ ـ ط المكتبة الأزهرية للتراث بتصحيح محمد عبد المنعم خفاجي (٢٠٠٣ م) وهي مصوَّرة عن طبعة سابقة بالمطبعة المنيريَّة سنة (١٣٧١هـ).

٢ ـ والثانية ط دار الشمال بطرابلس بلبنان (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م) بتحقيق قصي الحسين، وقد أعاد ترتيب الكتاب وسماه (معجم الألفاظ والتراكيب المولدة في شفاء الغليل).

٣ ـ والثالثة ضمن منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان بتحقيق محمد كشاش (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م).

وجميع هذه النسخ الخمسة تحت يدي وسوف أتعرَّض لكلِّ طبعةٍ على حِدَةٍ في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى. وقد ذُكر الكتاب أيضًا في اكتفاء القنوع (١/ ٣٦٦، ١٣٠، ٣٥١)، وتاج العروس (المقدمة) (١/ ٩).

وفي المكتبة الأزهرية توجد نسخة مطبعة السعادة بتصحيح بدر الدِّين النعساني (١٩٠٧م) ورقمها (٧٥٧) لغة، كما توجد ثلاث طبعاتٍ أخرى في نفس السنة (١٨٦٥م): الأولى ط الوهبية في (٢٤٥) صفحة برقم (٣٣٧٥٣) حليم، والثانية ط الميرية في (٢٤٥) صفحة برقم (٣٥) لغة، والثالثة ط الأميرية في (٢٤٠) صفحة برقم (٨٨٩) لغة. وقد ذكرها بروكلمان (١٢ ـ ١٣ م/ ٥٧) وذكر طبعتيه الأوليين (١٢٨٢هـ، ١٣٢٥هـ) وذكر له نسختين خطيتين في القاهرة أول (٤/ ١٨٢)، والقاهرة ثانٍ (٢/ ١٩)، وذُكر في الأعلام (١/ ٢٢٧) مصحَّفًا (شفاء العليل..) بالعين المهملة، وذُكِرَ في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨).

ويوجد من الكتاب سبع نسخ خطيَّة في خزائن الكتب، وهي:

ـ نسختان بدار الكتب المصرية؛ الأولى ضمن مجموع برقم (٥٦٢٧ ـ ٢٠) لغة.م وتقع في (١٣٢) لوحة من (٦٠ ـ ١٩٢) من المجموع وهي أتمُّ النسخ التي اعتمدت عليها وتحت يدي مصورتها. والثانية بنفس الرقم وتقع في (٥٩) لوحة وبها سقط مكان أصابع المصور في اللوحة رقم ٤٦ وهي ناقصة.

ـ نسختان بمكتبة الأزهر؛ الأولى برقم (٥٣٤٠٤) عام لغة (٧٤٣) خاص

وتقع في (١٣٠) لوحة، ونسخت سنة (١٢٧٢هـ)، وتحت يدي مصورتها. والثانية برقم (٣٣٨) خاص حفظي (٢٤٣٤٣) عام في (٧٨) لوحة ونسخت سنة (١٢٧٧هـ) وتحت يدي مصورتها.

ـ نسخة المعهد الأحمدي وهي الآن بالأزهر ورقمها (١٥٦٧) خاص المعهد الأحمدي (١٣٠٤٦٨) عام ولم تُدرج في الفهارس، وتحت يدي مصورتها.

ـ نسخة في مكتبة عارف حكمت ضمن مجموع ورقمها (١٠٨/ ٤١٠) ولم أرها ولعلها مصورة من النسخة الأولى في دار الكتب المصرية التي أشرت إليها أو العكس.

ـ نسخة جامعة اسطنبول بدون رقم ومنها مصورة في مركز البحث العلمي بأم القرى برقم (٢١٩) لغة، ولم أرها أيضًا.

وهذا الكتاب هو القسم الثاني من البحث وسوف أقوم بتحقيقه ودراسته دراسة مستفيضة، ونسأل الله العون.

٧٨ ـ الشهب السيارة:

وهو نتف شعرية، ذكره في الريحانة (١/ ٣١٤).

٧٩ ـ طراز المجالس:

ذكره الشهاب في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، وابن معصوم في سلافة العصر (٤٢٢)، والمحبي في خلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، وفي ذيل نفحة الريحانة (٢١٣)، وذكره بروكلمان (١٢ ـ ١٣م/ ٥٧)، وذُكِر في اكتفاء القنوع (١/ ٣٦٦) أنه يضم (٥١) مجلسًا وطبع بالقاهرة (١٢٨٤هـ)، وتوجد نسخة من هذه الطبعة في مكتبة بلدية الإسكندرية برقم (١١٣٤٨ ـ ج)، وذُكِر في الأعلام (١/ ٢٢٨) وأنَّه مطبوع، وفي تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨) وقال عنه: «هو من كتب الأدب واللغة قسمه إلى خمسين مجلسًا وضمَّنه أبحاثًا

ومقالات، نقلها عن كبار الأدباء كالجاحظ والصاحب وغيرهما، وفيها مقالات في الحجابة عند السلطان وأسبابها، وشروطها، توسع فيها، ويتخلل ذلك منتخبات من الشعر، والحِكَم والقواعد الثابتة في الشعر واللغة والبيان، طبع بمصر سنة (١٢٨٤) وغيرها»، وذُكِر في معجم المطبوعات العربية (٥٢) أنَّه طبع بالوهبية (١٢٨٤هـ) في (٢٦٩) صفحة وبالمطبعة الشرقية في (٢٨٠) صفحة. ومنه نسخة مطبوعة ببولاق (١٩٠٠) في (٢٨٠) صفحة في مكتبة الأزهر برقم (٢٢٣٥) أدب ومخطوطات الكتاب كثيرة في خزائن الكتب ومنها نسختان بدار الكتب المصرية برقم (٦٦، ٦٧) أدب م عربي، ومنه نسخة في المتحف العراقي برقم (٢٦٢٢٨) وقد ذكر له بروكلمان عدة نسخ (١٢ ـ ١٣م/ ٥٧) وهي شبرا آغا (١٥٥)، وفيينا (٤٠٥)، ونور عثمانية (٤٠٨٢/ ٣)، وآيا صوفيا (٤١٣٤)، وبرلين (٨٤٢٩)، والموصل (١٧١٤٢)، والقاهرة ثانٍ (٣/ ٢٤٤) وميونخ (٦٠١). وله نسخة في مكتبة راشد أفندي (١٧٩)، وأخرى برقم (٢٨٣٤)، والخزانة العامة بالرباط (١٥٧٥) وعنوانها «طراز المحاسن» ومنه مصورة بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية برقم (٦٦٨) عن نسخة آيا صوفيا التي ذكرها بروكلمان. وأغلب الظَّنِّ أنَّ هذا الكتاب هو نفسه (الأمالي) الذي ذكره له البغدادي، لأنَّ الخفاجي ذكر فيه مباحث في التفسير والنحو والأصول والأدب والتاريخ طغيرها وكأنَّه يجيب عن أسئلة وُجِّهت إليه من طلبة العلم، ونجد عبارات تشيع في الكتاب تؤيد ذلك من مثل: «سألْتَ حماكَ الله عن كذا» (طراز المجالس ٤٥)، و«سألت أيدك الله. . .» (طراز المجالس ١٠١) والأهمُّ من ذلك قولُ الخفاجي في مقدمة الكتاب صفحة (٢): «فهذه بنات فكر زففتها إليك وأمالي مجالس أمليتها عليك ممَّا تقرُّ به عين الأدب ويتحلَّى بذوقه لسان العرب، ولو رآها ابن الشجري لقال هذه ثمرات الألباب، أو ابن الحاجب لقام بين يديها من جملة الحجاب، أو ثعلب لراغ عمَّا أملاه، أو القالي لهجر ما أملاه وقلاه، أَوْدَعْتُها ما لا يبلى

على مرور الحِقَب»، وعلى الرغم من نبرة العُجْبِ في كلامه فإنَّنا نستطيع أن نقرِّر أنه تابع في كتابه هذا سبيل هؤلاء المتقدمين.

٨٠ ـ عِتَابُ الزَّمانِ في سببِ حَجْبِ وحِرْمَانِ بني الأعيانِ. (المقامة الرُّوميَّة):

ذُكِر في الريحانة (٢/ ٣٤١ ـ ٣٥٤)، وفي خبايا الزوايا (١٥٦ أ)، كما ذُكِرَ في هديَّة العارفين (١/ ١٦١)، وهذه المقامة مطبوعة ضمن كتاب الريحانة، وقال في آخرها: «تمت المقامة المسماة بعتاب الزمان في سبب حجب بني الأعيان».

٨١ ـ عناية القاضي وكفاية الراضي:

وهو المعروف بحاشية الشهاب على تفسير القاضي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) الذي عنوانه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل).ذُكِر في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، ونسيم الرياض (١/ ٢٤)، وطراز المجالس (٢٢٦)، وخلاصة الأثر (١/ ٣٣٣)، والتقاط الدرر (١١٤)، وسلافة العصر (٤٢٢)، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة (٥٢)، وبروكلمان (١٢ ـ ١٣م/ ٥٧) بعنوان (حاشية على البيضاوي)، وكذا في الأعلام (١/ ٢٢٨)، وتاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨)، واكتفاء القنوع (١/ ٣٦٦)، وقد ذكره الزركلي مرتين (١/ ٢٢٨) بعنوان عناية القاضي وكفاية الراضي ـ وحاشية على تفسير البيضاوي، وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات الأولى في إستانبول (١٨٥٢ م) في ثماني مجلدات، والثانية في بولاق (١٢٨٣هـ) في ثماني مجلدات أيضًا، والثالثة في دار الفكر في تسع مجلدات.

وللكتاب نسخ مخطوطة كثيرة منها خمس نسخ في دار الكتب برقم (١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ٢٩٧) تفسير عربي و(٥١٩) تفسير طلعت عربي، وخمس نسخ بالأزهر وأرقامها هي (٥٥٥٩ عام ـ ٣١١ خاص تفسير)، (٩٧٧٤ عام ـ ٤٩٦ خاص تفسير)، (٢٣٧٨ عام ـ ٩٩٤ خاص تفسير)،

(٨٩٣٤٥ عام ـ ٣٢١٤ تفسير الشوام)، و(٩٧٤٥ عام ـ ٤٩٦ تفسير أربعة أجزاء فقط)، وراشد أفندي (١٠٦٠)، ورستم باشا وأرقامها من (٤٠) إلى (٥٤)، وأسعد أفندي (من الفهرس: ١٨٩ ـ ١٩٤)، ودار الكتب الظاهرية ٤٥٢(٥٦ تفسير)، ومركز الملك فيصل (٤٦٥) تفسير، وكتبخانة دامار إبراهيم باشا بأرقام من (١٩٠) إلى (٢٠٧)، وكتبخانة حميد بأرقام من (١٣٨) إلى (١٤٦)، وشهيد علي من (١٢١) إلى (٢١٧)، وأقسر ايده تركيا من (١٠١) إلى (١٠٨)، والمحمودية بالمدينة (١٦٠، ١٦١، ١٦٢/٢٢٨)، والمحمودية بتركيا من (١٣٨ ـ ١٤٦)، وخزائن كتب الأوقاف بالموصل (٢٠٩٧/ ٢١٠٠)، ومكتبة الحرم النبوي (٣٢/ ٢١٢)، ودار الكتب الناصرية بتمكروت (١٣٣٨)، وتونس الزيتونة (١/ ٨٥/ ٩٢)، باتنة (١/ ٣) (عن بروكلمان (١٢ ـ ١٣م/ ٥٧).

٨٢ ـ غزل نظمه لشيخ الإسلام محمد البكري:

ذكر بروكلمان (١٢ ـ ١٣أ/ ٥٥) أنه مخطوط في جوتا بألمانيا برقم (٧٣٧).

٨٣ ـ الفصول القصار في نتائج الأعمار:

ذُكِر في الريحانة في عدة مواضع منها (٢/ ٢٠، ٣٩، ٣٤٠، ٣٥٥) ثم ذكرها كاملة في آخرها (٢/ ٣٥٥ ـ ٣٦٢)، كما ذُكِرت في ديوان الأدب (٥ب) وقال في مقدمتها (الريحانة ٢/ ٣٥٥): «وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار في نتائج الأعمار منسوجة على منوال ابن المعتز في فصوله».

٨٤ ـ قصائد:

ذكر بروكلمان (١٢ ـ ١٣أ/ ٥٥) أنَّها مخطوطة في برلين برقم (٧٩٩٠/ ٣)، والقاهرة أول (٧/ ١٠٩)، وذكرها صاحب تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٠٨).

٨٥ ـ قصيدة همزيَّة في مدح النبي ﷺ:

ذكر بروكلمان (١٢ ـ ١٣أ/ ٥٧) أنَّها مخطوطة في القاهرة ثانٍ برقم (٣/ ٢٧٨).

٨٦ ـ كتاب في حِكَم لقمان:

قال في السوانح والبوارح لوحة (١٢٣ ب) عند حديثه عن لقمان: «وقد جمعتُ حِكَمَه في كتاب مستقل مُسْنَد».

٨٧ ـ كتاب مقالات «إمَّا»:

منه نسخة في مكتبة كوبرلِّي برقم (٦١٨) ضمن مجموع.

٨٨ ـ كشف المُعمَّى عن مسألة الاسم والمُسمَّى:

منه نسخة خطِّيَّة في راشد أفندي (١١٥٣) ضمن مجموع (٦١٠/ ٥).

٨٩ ـ اللآلئ:

لم يشر إليه أحد سوى المُحِبِّي في نفحة الريحانة (٢/ ٢٠٤)، في إشارة عابرة ونقل منه نصًّا.

٩٠ ـ معارضة لمقصورة ابن دريد وعليها تسميط لقاسم بن يحيى الموصلي:

ذكر بروكلمان (١٢ ـ ١٣أ/ ٥٧) أنَّ لها مخطوطًا في الموصل برقم (١٢٨، ١٠٨/ ٤).

٩١ ـ المقالة السَّاسَانيَّة:

ذكرها كاملة في آخر الريحانة (٢/ ٣٨٨ ـ ٣٩٥)، وراوي هذه المقامة هو مالك بن دينار، يقول في مطلعها: «كنتُ والشبابُ غُرابُه لا يُطار، وثمراتُه الجَنِيَّة تُجْنى من رياض الأخبار، أهوى السِّياحةَ...»، ولعلَّها ضمن مقاماته التي أشار إليها بروكلمان (١٢ ـ ١٣هـ/ ٥٥) حيث قال: له مقامات في مخطوط برلين (٨٥٧٦/ ١).

٩٢ ـ مقامات:

ذكر بروكلمان (١٢ ـ ١٣أ/ ٥٥) أن له مقامات في مخطوط ببرلين برقم (٨٥٧٦/ ١).

٩٣ ـ مقامة الغُرْبة:

ذكرها في الريحانة (٢/ ٣٧١ ـ ٣٨٧) كاملة، وألحق بها فصلًا متضمِّنًا فوائد لغوية وأدبية وبلاغية في هذه المقامة، ولعلَّها ضمن مخطوط برلين (٨٥٧٦/ ١) سالف الذكر.

٩٤ ـ منشور لتولية أبي طالب بن حسن بن أبي النُّمَيّ:

ذكره كاملًا في الريحانة (١/ ٣٩٩ ـ ٤٠٥)، ونقل المحبي نُتَفًا منه في خلاصة الأثر (١/ ١٣٢، ١٣٣).

٩٥ ـ مقصورة في مدح رسول الله ﷺ:

ذكرها كاملة في خبايا الزوايا (١٠٤ب ـ ١٠٧أ) ومنه نسخة خطية في برلين (٧٦) مجاميع، ونسخة أخرى في المتحف العراقي برقم (٤٢، ٣٤/ ٢).وعدد أبياتها (١٤٠) بيتًا.

٩٦ ـ مقامةٌ عارَضَ بها مقامةَ الوَطْواط[1]:

ذكرها في الريحانة (٢/ ٣٩٦ ـ ٤٠٦) بتمامها، وقد سار فيها على طريقة الوطواط، وكتبها فيمن كان يُزاحِمُه في ديوان الدولة الخوارزميَّة فأزرى به وحطَّ من قدره وشأنه (انظر تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ٦/ ٤٦٠)،

---

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب البلخي، المعروف بالوطواط، (رشيد الدين) كاتب أديب شاعر، عارف بكلام العرب، ت (٥٧٣هـ). انظر ترجمته في معجم الأدباء ١٩/ ٩، وبغية الوعاة ١/ ٢٢٦، ومعجم المؤلفين ١١/ ٢٢٩.

وكتبها في الوزير يحيى بن زكريا.ولعلها ضمن المقامات التي أشار إليها بروكلمان ((١٢ ـ ١٣ م)/ ٥٥)، وذكر أنَّها في مخطوط برلين (٨٥٧٦/ ١).

٩٧ ـ نسيم الرياض في شرح الشِّفا للقاضي عياض:

ذُكِر في الريحانة (٢/ ٣٤٠)، والخلاصة (١/ ٣٣٣)، وسلافة العصر (٤٢٢)، وإيضاح المكنون (٢/ ٦٤٦)، وفي تاريخ الأدب العربي (١٢ ـ ١٣ م/ ٥٧) بعنوان (نسيم الرياض في شرح كتاب الشفاء)، والأعلام (١/ ٢٢٨) وذكر أنه طبع في أربعة مجلدات، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٣٠٨ وعنوانه (شرح كتاب الشفاء في تاريخ حقوق المصطفى)، وذكر أنه طبع في الأستانة ١٢٦٧ هـ في أربعة مجلدات، وقال فيه الكِتَّاني في فهرس الفهارس (١/ ٣٧٧، ٣٧٨): «ولا أفيد منه ولا أوسع في شروح الشِّفا كلها، والمشارقة والمغاربة». وقد طبع الكتاب طبعة أخرى في مصر (١٣١٢هـ) بتصحيح أحمد طاهر القنوي في أربعة أجزاء، وعن هذه الطبعة مُصَوَّرًا في دار الفكر العربي ببيروت، وللكتاب نسخ خطية كثيرة منها ما ذكره الدكتور صلاح الدين المُنَجِّد في معجم ما أُلِّف عن رسول الله ـ ﷺ ـ (٢٠٥)، ومنها اثنتا عشرة نسخة في دار الكتب وأرقامها هي (٥٠٧، ٥٠٨) حديث عربي، (١٢٢٨) تاريخ تيمور عربي، (٢٨) حديث خليل أنما عربي، (١٥١، ١٥٢) حديث م عربي، (٥٥٧، ٥٥٨، ٦٨٥، ٨١٩) حديث طلعت عربي، (٣٨) حديث حليم عربي، (٥٠٩) حديث عربي. وفي الأزهر سبع نسخ أرقامها (٢٠٧٩٣ عام ـ ١٨٨٧ خاص حديث)، (٢٠٤٤٤ عام ـ ١٨٤٩ خاص حديث)، (٨٩٥٨٠ عام ـ ٥٩٦٠ حديث الشوام ج٢)، (٣١٧٣ عام ـ ٣٩٩ خاص حديث)، (٨٩٥٨٠ عام ـ ٥٩٦١خاص حديث الشوام ج١، ج٣، ج٤)، (٥٩٨١ عام ـ ٦٨٩ خاص حديث/ مجلد واحد)، (٢٩٤٧ عام ـ ٣٥٣ خاص حديث ج١، ج٣) وخزائن الأوقاف بالسليمانية ٩٦٦ (٣٤٧٥ ـ ٣٤٧٦)، ٩٠٦ (٢٦٥٨ ـ ٢٦٥٩)، ٢٩١٠ (٣٠٠١ ـ ٣٠٠٢)، ٦٦٢٨، (٦٦٩٦ ـ ٦٦٩٧)، ودار الكتب

الظاهرية (من الفهرس ٢/ ٧٠٠)، وأيا صوفيا (٥٩٢ ـ ٥٩٥)، ٢٩، ٣٠ وراشد أفندي (١٤٨٣)، وبشير أنما (١١٦، ١١٧)، ودار الكتب الناصرية بتمكروت ٥٧٦، ٥٧٧، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٦، ٩٣٥، ١٣٤٨، ١٣٣٩، ١٣٤٥، ٢١٠١، ٢٣٤٩)، والأحمدية بحلب (١٨٣)، وحميد كتبخانة (٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧)، ورستم باشا (١١٣، ١١٤)، وشهيد علي (٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤)، والأوقاف ببغداد (٤٦/ ١٣٥٨٠، ١٠٨/ ١٣٥٨٠)، ومركز الملك فيصل (٥٢٨) سيرة، (٥٣ سيرة). والسليمية بتركيا (٩٨)، وأسعد أفندي محمد أغا (٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣)، ويكي مدرسة (٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨) حديث.

٩٨ ـ نظم الآداب:

وهي منظومة في آداب طلب العلم، ومنه نسخة في الأزهر برقم (١١٠٥٤ عام ـ ٥٥) آداب بحث، ضمن مجموع وهي الرسالة رقم (٢) من صفحة (٢٨٣) وقد نسختها تمهيدًا لتحقيقها، ونشرها.

٩٩ ـ النفحة القُدُسِيَّة في بيان حقيقة الصلاة على خير البريَّة:

ذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (الخفاجيون في التاريخ ١٥٣) أنه مطبوع، وللكتاب نسخة خطية في التيمورية (٣٣١) مجاميع (ص٨٨) خط. [انظر فهرس التيمورية ١/ ١٠٩] وهي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٠٠ ـ النفحة القدسية في حديثٍ رواه السادة الحنفيَّة:

وطَعَنَ فيه على من خالفهم من السادة الشافعيَّة في رفع اليدين: منه نسخة في الخزانة التيمورية ضمن مجموع (٣٣١/ ١٤).

١٠١ ـ نُكَتُ المُغْنِي:

ذكره في السَّوانح والبوارح لوحة (٥٢ أ).

كتب نسبت خطأ للخفاجي:

١٠٢ ـ حاشية على تهذيب اللغة:

انفرد الدكتور صلاح عبد العزيز بذكرها في «الشهاب الخفاجي وجهوده في النحو ٦٣»، ولم أجد دليلًا على نسبتها إليه!

١٠٣ ـ قلائد النحور من جواهر البحور:

انفرد الزرِكْلي بنسبة هذا الكتاب للخفاجي (الأعلام ١/ ٢٣٨)، وذكر أنَّه في العروض وأنَّه طبع مع رسالتين أخريين، وهما جنة الولدان، والكُنَّس الجواري. وذكر أنَّ الذي أخبره بها هو أحمد خيري ولعلهما في مكتبته. ونقل ذلك عنه عمر فرُّوخ في (معالم الأدب العربي ٢/ ٦٤١).

والحق أنَّ (قلائد النُّحور من جواهر البحُور) لشهاب الدين أحمد بن محمد الحجازيِّ الشاعر ت (٨٧٥هـ)، وقد ذكر ذلك صاحب كشف الظنون (٢/ ١٣٥٥). وممَّا يؤكِّد ذلك أنَّه نصَّ على أنَّ الكتاب برسم ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢).

أو لعلَّ الخفاجي قد ألَّفَ كتابًا بهذا العنوان ولم يصل إلينا!!

١٠٤ ـ الكُنَّسُ الجواري:

انفرد صاحب الأعلام (١/ ٢٢٨) بذكر هذه الرسالة أيضًا ونسبتها للخفاجي.

١٠٥ ـ الكشف على الكشَّاف:

ذكرته الدكتورة ابتسام الصَّفَّار في معجم الدراسات القرآنية (٣٢٩)، وذكرت أنَّ له نسخة خطية في العبَّاسية بالبصرة برقم (٣٨١). ولم أر أحدًا غيرها نسب هذا الكتاب للخفاجي، والمعروف أنَّ هذا الكتاب من أشهر تصانيف عمر بن عبد الرحمن الفارسي القزويني[1] (ت ٧٤٥هـ)، وقد نقل الخفاجي من كتاب (الكشف) مرارًا في «عناية القاضي» ولم يذكر أنَّه له.

---

(١) هو سراج الدين أبو حفص عمر بن عبد الرحمن بن عمر الفارسيُّ القزوينيُّ، عالم مفسِّر، =

مكانته العلمية وآراء العلماء فيه:

كان الخفاجي ذا استعداد فطريٍّ لاستقبال العلم؛ فقد رزقه الله ملكة علمية وحافظة قوية؛ فاتسعت ثقافته وعلت مكانته العلمية لذلك، فقد «فاق كل من تقدَّمه في كل فضيلة وأتعَبَ من يجيء بعده، مع ما خوَّله الله تعالى من السَّعة وكثرة الكتب، ولطف الطَّبْع والنُّكْتةُ والنادرة»[١].

أضف إلى ذلك حرصه الشديد على الاستفادة من وقته «فلم يقضِ ساعة من عمره إلا في علمٍ يَدْرُسَه أو أدبٍ يقتبسه، أو فائدةٍ يُعلِّقها، أو مسألةٍ يُحَقِّقها. . . أو شعرٍ يَبْتدعه، أو بِكرٍ معنًى يخترعه أو رسالةٍ يُوشِّيها»[٢].

ولا أدلَّ على مكانته العلمية من مدح كثير من العلماء له في عصره وبعد عصره.

يقول العلَّامة فضل الله المحبي (ت ١٠٨٢هـ) والد محمد المُحِبِّي صاحب خلاصة الأثر عن الشِّهاب الخفاجي[٣]: «ثمَّ جئتُ إلى رياض العلوم المزهرة بأصناف الفنون من منثور ومنظوم، فجنيتُ زهرَ الآداب من تلك الحدائق الرِّحاب فكان بيتُ قصيدها، وواسطةُ عقدها وفريدها، مالك أزمة هذه الصناعة، وفارسُ حلبة البلاغة والبراعة، جنابَ المولى الشِّهاب. . . وراجت نقود آدابه في سوق عكاظه، قد اتفقت كلمة الكمَلَة أنَّه واحد عصره بلا خلاف، وأقرَّت له علماء دهره في حيازة السَّبق بالاعتراف، فانتهت إليه

= من تصانيفه: الكشف على الكشاف للزمخشري في التفسير، ونصيحة المسلم المشفق لمن ابتُلِي بحب المنطق (ت ٧٤٥هـ)، انظر ترجمته في طبقات المفسرين ٢/ ٧، والدرر الكامنة ٣/ ٢٥٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ٥٦١.

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.

(٢) خبايا الزوايا (لوحة رقم ١٠٠ أ).

(٣) خلاصة الأثر ١/ ٢٣٤.

اليوم بلاغة البلغاء، . . . وأما فنون الآداب فهو ابنُ بَجْدَتِها، وأخو جملتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها. . . ».

فهذا كلام أحد تلامذته حيث يُقَرِّر اجتماع كلمة العلماء في عصره على تفرُّد الخفاجي وعلو مكانته.

وقد استهل المحبيُّ ـ الابن ـ ترجمة الخفاجي بقوله(١): «صاحب التصانيف السائرة، وأحد أفراد الدنيا المُجْمَعُ على تفوُّقِه وبراعته، وكان في عصره بدرَ سماء العلم ونيِّرَ أفق النثر والنظم، رأس المؤلفين ورئيس المصنفين. . . وكل من رأيناه أو سمعناه ممَّن أدرك وقته معترفون له بالتفرد في التقرير والتحرير وحسن الإنشاء، وليس فيهم من يلحقُ شَأْوَه ولا يدَّعي ذلك مع أنَّ في الخلق من يدَّعي ما ليس فيه».

ثم يشير المحبي ـ الابن ـ إلى مؤلفات الخفاجي واستقبال الناس لها قائلًا(٢): «وتآليفه كثيرة ممتعة مقبولة، وانتشرت في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة، فإنَّ الناس اشتغلوا بها. . . .».

ولا أدري ماذا يعني بقوله: «رزق فيها سعادة عظيمة»، أيريد بذلك كثرة المال أو اتساع الشهرة والجاه أم هما معًا؟ وأميل إلى الثالثة، فقد حقَّق الخفاجي مكانة مرموقة وشهرة واسعة، كما حصل أموالًا كثيرة، وهو في رحلته الأولى إلى بلاد الروم وشغل مناصب رفيعة في القضاء.

ونرى عالمًا آخر يشيد بالخفاجي وهو ابن معصوم في سلافته حيث يقول عنه(٣): «أحد الشهب السيارة. . . أجرى من ينبوع الفضل ما أَخْجَل بمصر نيلها، وبالشام أهدى لمشامِّ أرباب الأدب من رياض أدبه رَيحْانَة».

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٣١، ٣٣٢.

(٢) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٢.

(٣) سلافة العصر ٤٢٠.

كما يقول عنه محمد الصغير الإفراني عندما ترجم له في كتابه صفوة من انتشر[١]: «كان رَحِمَهُ اللهُ إمامًا في العلوم من غير منازع. . له الشهرة التامة في معمور الأرض».

وليس أدل على مكانة الخفاجي من هذه الرِّواية التي يحكيها لنا المحبِّي ـ الابن ـ في ترجمته لعبد القادر البغدادي تلميذ الخفاجي النجيب حيث يقول[٢]: «حكى صاحبنا الفاضل مصطفى بن فتح الله قال: قلت له (أي لعبد القادر البغدادي) لِما رأيته من سعة حفظه واستحضاره: ما أَظُنُّ هذا العصر سمح برجل مثلك! فقال لي: جميع ما حفظته قطرة من غدير الشِّهاب، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه».

ولقد كان الخفاجي نفسه على وعي بمكانته العلمية، فكثيرًا ما نجد عبارات العُجْب في مؤلفاته فمن ذلك قوله: «وأحسن من ذلك قولي»[٣]، وقوله: «وهو ممَّا لم أُسْبَق إليه»[٤]، وقوله بعد أن فصَّل القول في مسألة: «فافهمْه فإنَّه ممَّا تفرَّد به كتابنا، وأظنك لا تراه في غيره، فإنهم خَبَطوا فيه خَبط عشواء»[٥].

وعلى قدر إحساسه الشديد بمكانته العلمية كان ألمه وأسفه على عزله من منصبه في القضاء ونفيه إلى مصر فيقول في ذلك: «وما كنت أظنُّ أنَّ الشمس تخفى، وأن مثلي يُنفى ويُهان ويُجفى»[٦].

وأغلب الظنِّ أنَّ الخفاجي لم يكن متكبِّرًا كما يبدو من أقواله التي

---

(١) صفوة من انتشر ٢٣١.
(٢) خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٢.
(٣) الريحانة ١/ ٤٦، ١٨٣.
(٤) الريحانة ١/ ٢٥٨.
(٥) عناية القاضي ٣/ ٢٤٧.
(٦) الريحانة ٢/ ٣٣٩.

ذكرناها وغيرها، ذلك لأنَّ هناك مواقف تؤكد تواضعه الشديد للعلم، من ذلك أسلوبه عند الحديث عن شيوخه[١]. ومن ذلك أيضًا أنَّه كان مع جلالته وعظمته يراجع تلميذه عبد القادر البغدادي في المسائل الغريبة لمعرفته مظانَّها، وسعة اطِّلاعه وطول باعه[٢]. ومن تواضعه أنَّه ربَّما نفى عن نفسه صِفة العالم[٣]، أو نفى عن شعره صفة الجودة[٤].

فما الذي دعا الخفاجي إلى أن يردد مثل هذه الأقوال في كتبه؟

أعتقد أنَّ ذلك يرجع إلى سببين هما:

الأول: أنَّه كان يدرك أن المعاصرة حجابٌ فأراد أن يُقَرِّر منزلته العلمية ومكانته في حياته وبين علماء عصره، ولذلك يقول[٥]: فكيف بكتابنا هذا؟ [يقصد عناية القاضي] الذي حرَّرنا فيه كل مشكلة... وأتينا فيه بالعَجَبِ العُجاب، ممَّا ضرب بينه وبين غيرنا الحجاب، فللَّه دَرُّ من قال[٦]:

قُلْ لِمَنْ لا يَرَى الـمُعَاصِرَ شَيئًا ... ويَـرى لـلأَوائِـلِ الـتَّـقْـدِيـمـا
إنَّ ذاكَ الـقَـديـمَ كـان جـديـدًا ... وسَيَبْقَى هـذا الـجـديـدُ قَـدِيـمـا

أما السبب الثاني فهو: أنَّه أراد بذلك أن يردَّ على خصومه؛ فلكل نابهٍ خصوم يلاحقونه ويحاولون الحطَّ من قدره، ويذكر لنا محمد الأمين المُحِبِّي ـ الابن ـ في ترجمته لوالده فضل الله المُحِبِّي أن أحد معاصري الشهاب وهو

---

(١) راجع ما كتبناه عند الحديث عن شيوخه صفحة ٢٥ من هذا البحث، وما بعدها.
(٢) انظر خلاصة الأثر ٢/ ٤٥٢.
(٣) انظر الريحانة ٢/ ٣٦٩ ما ذكره الحلو «في الهامش».
(٤) انظر خبايا الزوايا (١٠٠ ب).
(٥) انظر عناية القاضي ٤/ ٣٧٥.
(٦) البيتان لابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠ هـ/ ١١٦٨ م) ذكرهما في مسائل الانتقاد، ص١٠ (مكتبة المصطفى الإلكترونية) www.almostafa.com.pdf.

البورسوي كان يبغضه ويحاول أن يجد مَسْلَكًا لذمِّه من خلال بعض كتبه كحاشيته على تفسير البيضاوي[(١)].

وكما عرفنا من قبل ـ عند الحديث عن رحلاته ـ أنه وقعت بينه وبين غيره خصومات بسبب جرأته في الرَّد والنقد، وأشهر تلك الخصومات ما وقع بينه وبين الشيخ يحيى بن زكريا بن بيرم في القسطنطينية، يقول المحبي ـ الابن ـ: «ثم وصل إلى الروم وكان إذ ذاك مفتيها المولى يحيى بن زكريا، فأعرض عنه لأجل أمور انتقدت عليه أيام قضائه في سلانيك ومصر من الجرأة وبعض الطمع، فصنع مقامته التي ذكرها في الريحانة[(٢)] وتعرَّض فيها للمولى المذكور فكان ذلك سببًا لنفيه إلى مصر»[(٣)]. وبالطبع جرَّ ذلك عليه خصومات أخرى من المُدَاهِنين للدولة، يقول الخفاجي في ذلك[(٤)]: وفي أثناء ذلك بعد أنْ منَّ الله عليَّ بالسلامة من كيدهم ومكرهم كتبت رسالة لبعض رؤسائها ما صورته:

رَأَيتُ الدَّهْرَ يرفعُ كلَّ وَغْدٍ ... ويَخْفِض كُلَّ ذي شِيَمٍ شريفهْ
كَمِثْل البَحْرِ يَغْرَقُ فيه حَيٌّ ... ولا يَنْفَكُّ تطفو فيه جِيفَهْ
أو المِيزانِ يَخفِضُ كُلَّ وافٍ ... ويَرْفعُ كُلَّ ذِي زِنَةٍ خَفِيفَهْ

ويقول الخفاجي أيضًا في مقدمة مقامته الرومية: «فُوِّضَت صدارةُ العلماء وَوُجِّهت قيادة الفضلاء لشخص. . . . يفنى دون عدد معايبه الرَّمل والحصى، فجَرَت بيني وبينه مخاصمة أدَّت إلى المكابرة، فقلت في وصفه مقامة هذه صورتها. . . .»[(٥)].

---

(١) انظر خلاصة الأثر ٣/٢٧٨.
(٢) ذكرها كاملة في آخر الريحانة تحت عنون المقامة الرومية ٢/ ٢٨٤ وما بعدها.
(٣) خلاصة الأثر ١/ ٣٣٤.
(٤) انظر الريحانة ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٩.
(٥) الريحانة ٢/ ٢٨٤.

ويذكر الخفاجي في ريحانته[(١)] أنَّه كانت بينه وبين من يُدعى عبد الرحمن الحميدي[(٢)] (ت ١٠٠٥هـ) منافاة ومنافسة، ربَّما وصلت إلى المنافرة والمهاترة.

وفي الوقت الذي نجد فيه إشارات كثيرة أنَّ للخفاجي خصومات وقعت له، لا نكاد نظفر بمن هجاه أو ذكر خصومة وقعت معه إذا استثنينا ما قاله ابن معصوم؛ حيث يقول بعد أن امتدح علمه: «إلا أنه كان كثير الإعجاب بنفسه، ساحبًا ذيل الفخر والكبرياء على أبناء جنسه»[(٣)].

وقال فيه أحد الشعراء[(٤)]: [الوافر]

إذا نَظَمَ المَدَائِحَ والأهَاجِي ... شِهابُ الدين أحْمَدُ الخفاجِي
فلا تَعْبَأ بذلك واطَّرِحْهُ ... ومن يَعْبَأ بِقَوقَأة الدَّجاجِ؟

وكتب الآخر على طُرَّة كتابه الريحانة[(٥)]:

هذا الخَفاجِيُّ الذي لَم تَزلْ ... سَوْأتُه غَادِيَةً رائِحَهْ
أَهْدَى لَنا مِن سوءِ أَفْكارِهِ ... رَيْحانَةً ليسَ لَها رائِحَهْ

ومهما يكن من أمر فإنَّ ذلك لا يمكن أنْ يلغي مكانة الخفاجي العلمية ولا أنْ يقلل من قيمة مؤلفاته وآثاره التي خلَّفها لنا فهي مؤلفات مفيدة غزيرة المادة عميقة الفكرة تقوم على الدِّقة والتحقيق.

---

(١) انظر الريحانة ٢/ ١١٥.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن علي، الحميدي، (زين الدين) أديب شاعر شيخ الورَّاقين بمصر له ديوان شعر، والدر المنظوم في مدح النبي الأعظم (ت ١٠٠٥هـ) ترجم له في الريحانة ٢/ ١١٤، وانظر خلاصة الأثر ٢/ ٣٧٦، ٣٧٧، معجم المؤلفين ٢/ ٧٦..

(٣) سلافة العصر ٤٢٠.

(٤) سلافة العصر ٤٢٧.

(٥) سلافة العصر ٤٢٧.

ونختم حديثنا عن مكانة الخفاجي وخصوماته ببيتين قالهما الأديبُ أحمد بن محمد الحَمَويُّ في رِثائه، وكان قد توفي قبله بثلاثة أشهرٍ الفقيهُ أحمد الشوبريُّ (ت ١٠٦٩هـ) يقول[١]:

مَضَى الإمَامَان في فِقْهٍ وفي أدَبٍ … الشَّوبَرِيْ والخفاجِيْ زينةُ العَرَب

وكنت أبكي لِفَقْدِ الفِقْه منفردًا … فَصِرْت أبكي لِفَقْدِ الفقه والأدب

---

(١) خلاصة الأثر ١/ ٣٤٣.

البَابُ الأوَّل
قضايا المُعَرَّب في شفاء الغليل

ويتضمن فصولًا ثلاثة :

الفصل الأول: المصطلحات وموقف الخفاجي منها .

الفصل الثاني: المُعَرَّب وموقف الخفاجي منه .

الفصل الثالث: مداخل الكتاب . . دراسة إحصائية تحليلية .

* * *

الفَصْلُ الأوَّل
المصطلحات وموقف الخفاجي منها

الاقتراض اللغوي

الاقتراض اللغوي لا مَفَرَّ منه:

اللغة هي المعجزة التي مَنَّ الله بها على الإنسان ذلك الكائن الاجتماعي دائم الاحتكاك بمن حوله، فيؤثِّر فيهم ويتأثر بهم، ولأنَّ اللغة تجري على لسان أصحابها؛ فإنَّه من المُتَعَذِّر أنْ تظلَّ لغةٌ بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى[1]، ولعلَّ ذلك الاحتكاك هو السبب في تطوُّر أيِّ لغة؛ لأنَّ «تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يُعدُّ أمرًا مثاليًّا، لا يكاد يتحقق في أيَّةِ لغة، بل على العكس من ذلك، فإنَّ الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيرًا ما يلعب دورًا هامًّا في التطور اللغويِّ؛ ذلك لأنَّ احتكاك اللغات ضرورة تاريخية، واحتكاك اللغات يؤدِّي إلى تداخلها»[2]، وهذا التداخل هو الذي يؤدِّي إلى الإقراض والاقتراض، فمثلًا «الإنجليزية الحديثة بإنجلترا، والفرنسية الحديثة بفرنسا تتقارضان المفردات منذ أتيح للشعبين المتجاورين فرصٌ للاحتكاك وتبادل المنافع»[3]، ولعلنا نكون أكثر دقة إذا خصَّصنا الاقتراض هنا بالمفردات؛ فهي أهمُّ جانب يظهر فيه تأثير لغة في لغة[4]، حيث تنشط حركة تبادل المفردات بين اللغات تبعًا لهذا الاحتكاك والتأثير.

---

(١) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٥٢.

(٢) اللغة لفندريس ٢٤٨.

(٣) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٤٥.

(٤) انظر العربية ولهجاتها د. عبد الرحمن أيوب ص٥٦.

ويسهل علينا بعد هذه المقدِّمة أن نحدِّد مفهوم الاقتراض اصطلاحًا بأنَّه: إدخالُ أو استعارة ألفاظ أو غيرها من لغة إلى أخرى. ولعلَّ سائلًا يسأل: لماذا تعرضنا مباشرة إلى المعنى الاصطلاحي لكلمة الاقتراض دون الوقوف أمام المعنى المعجمي؟ والردُّ على ذلك هو أنَّ المعنى المعجميَّ معروف، وأنَّه لا يراد هنا لأنَّ اصطلاح (اقتراض اللغة) فيه نوع من المجاز؛ «فهو مجاراة لاصطلاح اللغويين المُحْدَثين(١)، فليس اقتراض الألفاظ اقتراضًا بمعناه الدَّقيق؛ ذلك لأنَّ اللغة المستعيرة لا تحرمُ اللغة المستعارُ منها تلك الألفاظ المستعارة بل ينتفع بها كلتا اللغتين، وليست اللغة المستعيرة مُطالبةً بردِّ ما اقترضته من ألفاظ اللغات الأخرى»(٢).

اقْتِراضُ العربيَّة مِن غيرِها:

من المُسَلَّم به إذًا أن يسري على اللغة العربية ـ بوصفها إحدى اللغات الإنسانية ـ ما يسري على سائر اللغات من احتكاك بما جاورها من لغات الأمم التي جاورت العرب فأثَّرَت في لغاتهم وتأثرت بها، وقد فطن إلى ذلك جميع اللغويين العرب من القدماء والمُحْدَثين؛ لأنَّ هذه حقيقة تاريخية لا مراء فيها، فينتقي السيوطي ـ مثلًا ـ في المُزهر قول أبي نصر الفارابي في كتابه (الألفاظ والحروف) حيث يقول: «وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط [أي في جمع اللغة العربية]، ولا عن سكان البراري ممَّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لَخْمٍ، ولا من جُذَام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان، وإيادٍ؛

---

(١) يطلق اللغويون المحدثون على هذه العملية اسم الاقتراض borrowing والنقل والاستعارة emput والإدخال innovation. وأطلق على الألفاظ التي أدخلوها في لغتهم (loan - words) انظر مثلًا:

Bloomfield: Language P.458.
Robins: An Introductory survey, p.3239.

(٢) من أسرار اللغة ص١١٧ د/ إبراهيم أنيس.

لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية؛ ولا من تغلب واليمن؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط[١] والفرس؛ ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنَّهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف؛ لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم؛ ولا من حاضرة الحجاز؛ لأنَّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم، حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علمًا وصناعة أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب»[٢]، ويقرر الأزهري[٣] أنَّ العرب قد أخذوا عن الفرس كلمات، وقاموا بتعريبها وكانت هذه الكلمات من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها، ولعلَّ ما قرَّره الأزهري يرجع إلى تلك العلاقات العسكرية والسياسية التي كانت بين العرب والفرس قديمًا؛ حيث ترجع إلى عصر (قورش الثاني)؛ Krus II الذي حكم من (٥٥٠ إلى ٥٣٠) قبل الميلاد، ولما كان الفرس قد أدخلوا تحت سيطرتهم كل تلك المناطق حتى مصر في عام ٥٢٥ ق.م؛ فإنَّه من الممكنأنْ تكون اللغة الفارسيَّة قد انتشرت حتى سوريا، وذلك قبل الميلاد

---

(١) كلمة (للقبط) تحريف، والصواب (النبط). وكذلك كلمة (اليمن) في السطر السابق تحريف، والصواب (النمر). انظر تفصيل ذلك في مناهج تحقيق التراث ص٩١. والأنباط جيل من الناس غلبوا الآروميين في بلادهم الواقعة في الجنوب الشرقي من فلسطين، وأنشؤوا لهم فيها دولة عربية عزيزة الشأن عاصمتها مدينة بطراء. . . واختلف المؤرخون في أصلهم، فأثبت أكثرهم أنَّهم عرب كانوا بالعربية يتعلمون ولكنَّهم كتبوا بالآرمية باعتبارها لغة أدب. . . وزعم (روبنس دوفال) الفرنسي وغيره أنَّهم آراميون اختلطوا بالعرب على تراخي الأيام. انظر الألفاظ السُّريانيَّة في المعاجم العربية ص٥.

(٢) انظر المزهر ١/ ٢١٢.

(٣) انظر قوله في تهذيب اللغة ١٠/ ٥٨٥.

بوقت طويل. . . . وفي عهد (شابور الثاني) (309 - 279) Saqur II سيطر الإيرانيون على شرق الجزيرة العربية[١].

ويقرر الخفاجي مبدأ الاقتراض من الفرس حيث ينقل في مقدمة الشفاء[٢] عن الجاحظ في البيان والتبيين[٣] قوله: «أهل المدينة نزل فيهم ناس من الفرس فعلقوا بألفاظهم؛ فيسمُّون البِطِّيخ الخِرْبز، والسميط الرَّوذق. . .».

وقد شغلت قضية اقتراض اللغة العربية من جاراتها كثيرًا من المُحْدَثين فأدلى كل منهم فيها بدلوه. يقول بروكلمان: «وقد أخذتِ اللهجات العربية جزءًا من مفرداتها كذلك من لغات الشعوب المغلوبة على أمرها، ولاسيما لغة الفرس»[٤].

وأمَّا ما يخص علاقة اللغة العربية بأخواتها الساميات فما أكثرَ ما قيل وما أُلِّف حَوْل هذه العلاقة، وحاصل ما قيل في هذا الموضوع أمران:

الأول: هو ما عرف باتفاق اللغات قديمًا، وعرف باسم المشترك السامي حديثًا، وسوف نفرد له مبحثًا خاصًّا عند حديثنا عن الظواهر اللغوية.

والثاني: أنَّ العربيَّة اقترضت من هذه اللغات ـ السُّريانيَّة والآراميَّة والحبشيَّة والعبريَّة والأكَّاديَّة ـ. . . إلخ، كما أقْرَضَتْها، وعن ذلك يقول إغناطيوس يعقوب الثالث عن العربية والسُّريانيَّة: «إنَّهما اللغتان العريقتان اللتان تفرعتا عن الدرجة الساميَّة الكبرى لكي تظل الواحدة في معزلٍ عن الأخرى دهرًا طويلًا، ثُمَّ تصب الواحدة إلى الأخرى فتلتقيان لتعيشا متعانقتين

---

(١) انظر المفصل، صلاح الدين المنجد ص١٤، ١٥.

(٢) انظر مقدمة شفاء الغليل ص١٠٩.

(٣) انظر البيان والتبيين ١/١٩.

(٤) انظر فقه اللغات السامية ٣٠، ٣١ كارل بروكلمان، ترجمة د/رمضان عبد التواب، وانظر (العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي) ص١٤، وانظر الكلمات الفارسيَّة المعربة لأدِّي شير ص٣.

متآزرتين متقارضتين»[١]. والذي دفع إغناطيوس إلى ذلك هو ما لاحظه من تشابه في عدد من مفردات اللغتين فيقول: «لقد تشابهت في كلتا اللغتين مئاتٌ من الألفاظ معنًى ولفظًا، وهي إمَّا ممَّا توارثته اللغة (الأكَّاديَّة)، أو ممَّا استقرضته كل منهما من الأخرى، وممَّا لا شك فيه أن السُّريانيَّة نقلت إليها كثيرًا من فرائد الأدب العربي ولاسيَّما بواسطة العلَّامة ابن العبري في القرن الثالث عشر، أمَّا العربية فقد استقرضت من السُّريانيَّة أولًا عن طريق اللهجة العاميَّة الشرقية الدارجة في شمالي العراق، ثُمَّ عن طريق الترجمات التي قام بها علماء السريان»[٢]. ويُقرِّر أنَّ هذه الترجمات صقلتها اللغة العربية بما يلائم قواعدها ودخلت المعاجم العربية. ونحن نتفق مع إغناطيوس في تقارض اللغتين لكنْ ما قرَّره من قِدم (الأكَّادِيَّة) عن العربيَّة فهذا أمر يحتاج إلى نقاش ليس هذا موضعه.

ولقد حاول إغناطيوس إفرام الأول حصر الألفاظ السُّريانيَّة التي دخلت إلى العربية في بحثه (الألفاظ السُّريانيَّة في المعاجم العربية)[٣].

ونختم كلامنا حول هذا الموضوع بأنَّ الاقتراض سُنَّة من سنن الله في لغات البشر، ولا يدل على ضعف اللغة المُقترِضَة بل ربَّما يدلُّ على قوتها «فاللغة لا تفسد بالدخيل، بل حياتها في هضمِ هذا الدخيل؛ لأنَّ مَقْدِرَةَ لُغةٍ

---

(١) انظر البراهين الحسية على تقارض السُّريانيَّة والعربية ص٩.

(٢) البراهين الحسية ص١٢، ١٣.

(٣) نشر هذا البحث تباعًا في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق من سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٥١م. وهناك مؤلفات كثيرة تناولت علاقة اللغة العربية بواحدة من اللغات السامية أو أكثر من ذلك:

١ ـ فقه اللغة السامية لكارل بروكلمان، وقد ترجمه أستاذنا الدكتور/ رمضان عبد التواب وطبعته جامعة الرياض.

٢ ـ معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية للدكتور حازم كمال الدين وطبعته مكتبة الآداب ١٩٩٤م.

ما على تمثُّل الكلام الأجنبي، تعد مزيَّة وخصيصةً لها، إذا هي صاغته على أوزانها، وصبته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها»(١)، فلا غضاضة إذن على العربية، تلك اللغة الجليلة، ذلك أنَّ الناس تعير وتستعير في كل زمان لتنمو لغتهم وتتطور، حتى تستوعب ما يَجِدُّ من مظاهر الحياة. خاصة وأنَّ الاقتراض «أسهلُ الطرق وأقربها منالًا حين يُواجَهُ [صاحبُ اللغة] بالنقص أو القصور في الثروة اللفظية»(٢).

على أنَّني أودُّ التأكيد على أنَّ نقص الثروة اللفظية ـ كما يذكر أولمان ـ ليس هو السَّببُ الوحيد للاقتراض، بل ليس العاملَ الأساسيَّ فيه، وإنَّما هناك أسباب أخرى سنتحدث عنها في الفصل الثاني (قضايا المُعَرَّب في شفاء الغليل) في مبحث (دواعي التَّعْريب).

الاقتراض في التراث اللغوي عند القدماء:

كما سبق أن أشرنا إلى أنَّ مصطلح الاقتراض مصطلحٌ قديم قِدَمَ اللغات الإنسانية، استخدمه المحدثون من علماء اللغة؛ ليعبِّر عن نفس العملية، أعني عملية إدخال اللغة ما ليس منها.

والعرب في عصر تدوين اللغة وتقعيدها لاحظوا وجود كلماتٍ غيرِ عربية في لغة الجاهليين، غيرَ أنَّها مْنسجمةٌ مع لغتهم، وقد استخدمها أسلافهم، فأطلقوا عليها مصطلح (المُعَرَّب)، وأطلقوا على عملية نقل الألفاظ أو استعارتها اسم (التَّعْريب).

---

(١) فصول في فقه العربية ص٣٦٧، ٣٦٨، وانظر ما قاله د/ أحمد عيسى حول هذا المعنى في كتابه التهذيب في أصول التعريب ص١٢٢ من أول قوله: «والاقتباس عام بين اللغات. . .».

(٢) دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، (ترجمة د/ كمال بشر) ص١٥٨.

لكن اللغويين استعملوا مصطلحات كثيرة أخرى؛ لتُعبِّرَ عن هذه العملية مدركين أحيانًا الفرق بين هذه المصطلحات، ومُخَلِّطين بينها أحيانًا أخرى.

ومن هذه المصطلحات:

الدَّخِيلُ، والمُعَرَّبُ، والأعْجَميُّ، والمُعَرَّبُ المُوَلَّدُ، والمُوَلَّد، والعاميُّ، والمُعَرَّبُ العاميُّ، وغيرها من الاصطلاحات.

لذلك آثرنا أنْ يكون الفصل الأول حول تحرير مفهوم كل مصطلح من هذه المصطلحات، حيث نعرضُ آراء اللغويين القدامى، وأصحاب المعاجم، ثُمَّ آراء المُحْدَثين محاولين بذلك الخروج بمفهوم محددٍّ لكل مصطلح.

وسنقف أمام المفهوم الذي اختاره الخفاجيُّ، ومدى تفرُّدِه فيه أو تقليدِه لِمن سبقه، مع عرض أمثلة ونماذج من كتابه شفاء الغليل الذي خصصنا له القسم الثاني من البحث لتحقيقه. ونسأل الله العون.

المصطلح وموقف الخفاجي منه

(١)
المُعَرَّب

المُعَرَّب في اللغة:

اسم مفعول من (عَرَّب) ومادته (ع ر ب) ولها معانٍ عِدَّة ذكرها أصحاب المعاجم منها:

التعَرُّب: الرجوع إلى البادية والإقامة بها[١]، والمستعربة: قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم، وقال اللَّيثُ: تعرَّبوا مثل استعربوا[٢] وإلى هذا المعنى ذهب صاحب مقاييس اللغة[٣]، وقال في ديوان الأدب: «وعرَّب الكلام وأعْرَب»[٤]، قريب من هذا قول بعضهم: «التَّعْريب: تهذيب المنطق من اللحن»[٥]، وزاد صاحب تاج العروس بقوله: «عرَبٌ متعرِّبة ومستعربة: دخلاء ليسوا بخُلَّص. . . . وقال أبو زيد الأنصاري: يقال: أعْرَب الأعجمي إعرابًا، وتعرَّبَ تعرُّبًا، واستعرب

---

(١) اللسان (عرب) ١/ ٥٨٦.

(٢) هذا قول الأزهري نقله في اللسان (عرب) ١/ ٥٨٨.

(٣) انظر مقاييس اللغة (عرب) ٤/ ٣٠٠.

(٤) ديوان الأدب (عرب) ٢/ ٣٤٠.

(٥) انظر القاموس (عرب) ١/ ١٠٢، وبنَصِّه في تاج العروس (عرب) ٣/ ٣٣٩، وانظر اللسان (عرب) ١/ ٥٨٩.

استعرابًا، كلُّ ذلك للأغتم دون الفصيح»[١]، «التَّعْريب: قطع سعف النخل، وهو التشذيب»[٢].

ولعل استقراء الأقوال السابقة لأصحاب المعاجم يعطينا المعنى اللغوي العام لتعريب الشيء؛ وهو جعله عربيًّا، أو تشذيبه، وعلى ذلك فالمُعَرَّب ـ لغةً ـ هو المجعول عَرِبِيًّا، أو المُشَذَّب.

المعنى الاصطلاحي:

وتبدو العلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فالمعنى الاصطلاحي، عند من ذكره من أصحاب المعاجم يتضح من قولهم: «تعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوَّه به العربُ على مِنْهاجها، تقول: عرَّبته العرب وأعربته أيضًا»[٣]، وذكر الزَّبِيديُّ صاحبُ التَّاج أنَّ المُعَرَّب أيضًا يحمل معنى مجرد النقل من لسان إلى لسان دون إشارة إلى تغيير في المنقول حيث يقول: «أليس التَّعْريب في الكلام هو النقل من لسان إلى لسان. فالمُعَرَّب والمُعَرَّب منه هو المنقول والمنقول منه»[٤]، ويتفق مجمع اللغة العربية في تعريفه للمُعَرَّب مع ما قاله أصحاب المعاجم غير أنَّه أكثرُ وضوحًا وشمولًا فيقول: «أعْرَبَ الاسمَ الأعجميَّ نطق به على منهاج العرب... وعرَّب الاسم الأعجمي: أعربه»، وقال أيضًا: «التَّعْريب: صبغ الكلمة بصبغةٍ عربيةٍ عند نقلها بلفظها الأجنبيِّ إلى اللغة العربية»[٥].

---

(١) انظر تاج العروس (عرب) ٣/ ٣٣٣، وقريبًا منه في الصحاح (عرب) ١/ ١٩٠.

(٢) الصحاح في (عرب) ١/ ١٩٠.

(٣) الصحاح (عرب) ١/ ١٩٠ وبنصه في اللسان (عرب) ١/ ٥٨٩، والتكملة والذيل والصلة للزبيدي (عرب) ١/ ٢٩٤، وتاج العروس (عرب) ٣/ ٣٣٩، وفي التهذيب (عرب) ١٠/ ٥٨٥: «ومن كلام الفرس ما لا يحصى ممَّا قد أعربته العرب».

(٤) تاج العروس (عرب) ٣/ ٣٤٨.

(٥) انظر المعجم الوسيط المعرب ٢/ ٦١٢.

ويبدو من التعريفات السابقة لأصحاب المعاجم أمران:

الأول: لا بدَّ من إجراء تغيير ما في اللفظ الأعجمي عند تعريبه وهذا التغيير عبَّروا عنه بقولهم (على منهاجها) أو (صبغ الكلمة بصبغة عربية) وإنْ أجازَ صاحب تاج العروس مجرَّد النقل.

الثاني: نقل الاسم الأعجمي إلى العربية وصبغه بالصبغة العربية يطلق عليه مصطلحان هما التَّعْريب، والإعراب[(١)]، وعلى ذلك يصحُّ أن نقول: كلمة (مُعْرَبة) و(مُعَرَّبة)، وإلى ذلك ذهب سيبويه إمام العربية. بقوله في (باب ما أعرب من الأعجمية)[(٢)]: «اعلم أنَّهم ممَّا يغيِّرُون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم ألبتة، فَرُبَّما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه»، فنلاحظ أن سيبويه يوجب التغير أيضًا في الاسم المُعَرَّب ولكنَّه يجيز عدم إلحاقه بأبنية كلام العرب[(٣)].

ويذكر الجواليقي ـ صاحبُ أول مؤلَّفٍ متخصِّصٍ في المُعَرَّب ـ أنَّ المُعَرَّب هو: «ما تكلمت به العربُ من الأعجميِّ»[(٤)]، لكن الجواليقي يصرح بالمدى الزمني لقبول المُعَرَّب وهو عصور الاحتجاج[(٥)] وذلك بقوله: «ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها. ليُعْرَفَ الدَّخيلُ من

(١) استخدم هذه الصيغة الخوارزمي في مفاتيح العلوم، انظر مثلًا ص٢١٩.
(٢) الكتاب ٤/٣٠٣، ٣٠٤.
(٣) ليس هدفنا هنا الحديث عن تغيير المعرب لأنَّنا سوف نتناول هذه القضية تفصيليًّا في موضعها إن شاء الله.
(٤) المعرب (شاكر) ص٣.
(٥) حدد علماء العربية عصور الاحتجاج بنهاية القرن الثاني الهجري في الحواضر والرابع الهجري في البوادي.

الصَّريحِ»[١]، ولا أدري ماذا يقصد الجواليقي بكلمة (الصريح)؟ فهناك احتمالان:

الأول: أن يقصد بها اللفظ العربي الأصيل وبذلك يكون قد استخدم مصطلح الدخيل كمرادف للمعرَّب.

والثاني: أن يقصد به اللفظ المُعَرَّب الذي تكلمت به العرب فصار عربيًّا فعلى ذلك يكون قد حدد مفهوم الدخيل عنده وهو كل ما دخل إلى العربية بعد عصور الاحتجاج.

ولن نقطع في هذا الموضوع برأيٍ الآن لأنَّنا سنتناوله في نهاية هذا الفصل.

ويكتفي فخر الدين الرازي في تفسيره كلام الأزهري بقوله: «إن الاسم قد يكون أعجميًّا فتُعرِّبه العرب فيصير عربيًّا»[٢].

ويعرِّف الشريف الجرجاني[٣] المُعَرَّب بقوله: «المُعَرَّب: اسم مفعول من التَّعْريب، وهو عند أهل العربية لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب»[٤]، ويتفق هذا التعريف مع ما قاله السيوطي في أول الباب الذي عقده في المزهر بعنوان (معرفة المُعَرَّب) حيث يقول: «هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها»[٥].

---

(١) المعرب ص٣.

(٢) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ٦/٦٥٨، وانظر اللسان ٥/١٦٣.

(٣) هو علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٧هـ)، وينتسب إلى (جرجان) من أعمال فارس، وجاء إلى مصر، درس على مباركشاه أربع سنوات ثم توجه إلى الأستانة ثم شيراز فسمرقند وتوفي بها، من أشهر مصنفاته كتاب التعريفات. انظر ترجمته في مقدمة كتاب التعريفات الذي حققه الدكتور عبد المنعم حنفي.

(٤) انظر التعريفات ص٢٤٩.

(٥) انظر المزهر للسيوطي ١/٢٦٨.

ويوافقهما في هذا التعريف ـ وإن اختلف الأسلوب ـ التَّهانويَّ[١] حيث يقول: «المُعَرَّب عند أهل العربية لفظٌ وضعه غيرُ العربِ لمعنى استعمله العربُ بناءً على ذلك الوَضع»[٢].

وأبرز ما في هذه التعريفات الثلاثة هو الإشارة إلى قضية المعنى، فالألفاظ المُعَرَّبة تدخل إلى اللغة بما تحمله من معنى وضعت له في لغتها[٣]. فاللغة العربية ليست بحاجة إلى تكثير مفرداتها ولكنَّها إذا وجدت معنى أو أداة من أدوات الحضارة عند قومٍ آخرين فإنَّها تُدْخِل هذا المعنى أو هذا الشيء، فإذا لم تسعفها مفرداتها باصطلاحٍ له فإنَّها تضطر إلى إدخال هذا اللفظ، ثُمَّ تعريبه بطرق التَّعْريب التي سنتناولها في موضعها من هذا البحث. ولعلَّني بذلك لا أتفق مع الدكتور محمد عيد حيث يُقَرِّر أنَّ التعريفاتِ المختلفة للتعريب تتَّجه إلى وصف الناحية العملية واللفظية في عملية التَّعْريب ولا تتطرق إلى معنى اللفظة المُعَرَّبة[٤].

والذين عرَّفوا التَّعْريب من القدماء حاولوا الوصول إلى صورة مختصرة موجزة للدلالة على التَّعْريب كعملية إدخال لفظة ـ بمعناها ـ غريبة إلى لغتهم غير أنَّهم ـ وبخاصة اللغويون ـ تحدَّثوا عن عملية التغيير في اللفظة باستفاضة وأشاروا إلى تغيير المعنى الأصلي ـ بصورة عملية كما سنرى عند الشهاب

(١) التهانويّ هو: محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر الفاروقي السُّنِّي الحنفي التهانوي، نسبة إلى تهانة موطنه في الهند ت (١١١٩هـ). انظر ترجمته في مقدمة تحقيق كتابه كشاف اصطلاحات الفنون.

(٢) انظر كشاف اصطلاحات الفنون ٣/ ٩٤٤.

(٣) انظر التعريب في القديم والحديث د/ محمد حسن عبد العزيز ص٥١.

(٤) هناك نوع من التعريب أطلقنا عليه تعريب المعنى؛ وهو أن يقترض العرب المعنى الجديد الذي لا يعرفونه للفظة عربية أصيلة، وسوف نفرد لهذا الموضوع مبحثًا في الفصل الثاني إن شاء الله.

مثلًا ـ أحيانًا، والحقيقة الظاهرة أنَّه كثيرًا ما ينال معنى الكلمة نفسه تغيير أو تحريف عند انتقالها من لغة إلى لغة أو من لهجة إلى أخرى: فقد يُخصَّصُ معناها العام ويقصر على بعض ما يدل عليه؛ وقد يُعَمَّم مدلولها الخاص؛ وقد تستعمل في غير ما وضعت له لعلاقة ما بين المعنيين؛ وقد تنحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال فتصبح من فحش الكلام وهجره؛ وقد تسمو إلى منزلة راقية فتعتبر من نبيل القول ومصطفاه(١).

ومن الذين عرَّفوا المُعَرَّب وعملية التَّعْريب تعريفًا مفصَّلًا ـ إلى حدٍّ ما ـ عبدُ الرشيد الحسيني صاحب المُعَرَّبات الرشيدية حيث يقول: «اعلم أنَّ التَّعْريب هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب وإجراء أحكام اللفظ العربي عليه من تنوين ولام تعريف وما أشبه ذلك. فإذا كان قد جاء في كلام العرب مثل ذلك اللفظ في الوزن والحروف، ينقلونه بعينه ويجرون عليه أحكام العربية. . . . مثل لفظ (نرد)، (بخت) وما أشبه ذلك، وهذا نادر وحينًا يبدلون حرفًا منه بحرف لم يرد في تلك اللغة ليدل على أنه جاء من تلك اللغة ودخل في لغة العرب، وإذا لم يكن قد جاء على ذلك الوزن والحروف في كلام العرب يغيرونه. . .»(٢).

ويتحدث بعد ذلك عن أنواع التغيير التي تلحق باللفظ الأعجمي المراد تعريبه، ولكنَّنا نلاحظ على تعريف صاحب المُعَرَّبات الرشيدية ما يلي:

أولًا: أنَّه يؤكِّد أنَّ التَّعْريب مداره على استعمال العرب للفظ الأعجمي سواء غُيِّر هذا اللفظ أو لم يُغيَّر. وإن كان التغيير هو الأكثر.

---

(١) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٥٣، ٢٥٤، وانظر ص٢٣٦ وقد أحال في هامش ١ ص٢٥٣ إلى كتاب (فلسفة اللغة) لدوزا (Philosophie du la ngage P.82, 83 Dauzat) ولم أتمكن من الاطلاع عليه.

(٢) المعربات الرشيدية ص١١١.

ثانيًا: يؤكِّد على ما يمكن أن نسميه انسجام اللفظ المُعَرَّب أو اتِّساقه[١] مع الألفاظ العربية وذلك بإجراء أحكام العربية عليه.

ثالثًا: حرص العرب على الحفاظ على لغتهم مع عدم رفضهم لفكرة التَّعْريب، وذلك بزيادة رغبتهم في تغيير اللفظ المُعَرَّب ـ حتى ولو جاء مُتَّسقًا مع لغتهم صَرفًا وصوتًا ـ لا كما يدَّعي البعض أنَّ العرب كانوا يتكلفون في تعريب الألفاظ[٢]. أو أنَّهم ـ قديمًا ـ لم يُعرِّبوا كلَّ هذه لاحتياجهم إليها؛ فكثيرًا ما كانوا يُعرِّبون ما يحلو لهم من غير أيِّ اعتبارٍ إلا سليقتهم وإن كانوا لا يحتاجون إلى هذه الألفاظ، وكان عندهم له رديف، مثل بهرج ورديفه (باطل) وشاهين ورديفه (صقر)[٣].

المُعَرَّب عند المُحْدَثين:

وإذا حاولت الخروج بتعريف عام للمعرب عند المُحْدَثين ممَّن تناولوا قضايا التَّعْريب نجد **أنَّهم انقسموا على ثلاثة أقسام**:

الأول: يرى أصحابه أنَّ التَّعْريب يقتضي التغيير للَّفظ الأعجمي بحيث

---

(١) يطلق بعض المحدثين على هذه العلمية اسم (انصهار اللفظ) وأفضل استخدام المصطلح الذي ذَكَرْتُه لأنَّ الانصهار يعني ذوبان اللفظ المعرب في الألفاظ العربية بحيث لا يمكن التمييز بينهما، وهذا تطبيقيًّا لا يتمُّ بدليل التأليف في المعرب وتحديد المعربات في المعاجم، ولكنَّ الذي يمكن أن يحدث هو نسيانُ أصل اللفظ المعرَّب ومن هنا يأتي خلط القدماء في نسبة المعرب إلى لغته.

(٢) يقول محمد نهالي صاحب (الطراز المذهب في الدخيل والمعرب) ص٢: «التعريب من باب التفعيل، ومن معانيه التكلف، لأنَّ العرب تكلفوا إدخال اللفظ العجمي في لغتهم».

(٣) انظر المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها للدكتور محمد ألتونجي ص١٥. وما يلاحظه الدكتور ألتونجي من وجود بعض الألفاظ المعربة إلى جوار العربية لنفس المسمَّى صحيحٌ إلا أنَّني أخالفه في تفسيره لهذه الظاهرة، وسوف أفصل الكلام حول هذه النقطة عند حديثي عن الترادف في الباب الثاني.

يصاغ على قوالب العربية صرفًا وصوتًا، وتجري عليه أحكام اللفظ العربي مع الأخذ في الاعتبار أنَّ المُعَرَّب هو الذي عرَّبهُ العربُ في عصور الاحتجاج[١].

وأصحابُ هذا الرأي ـ معظمهم ـ يُفرِّقون بذلك بين مصطلح التَّعْريب من جانبٍ والاقتراضِ أو التدخيل من جانب آخر، فالاقتراض تسمية قد لا تفي بمتطلبات التَّعْريب لأنَّ اللفظ المقترض، قد ينقل من لغته كما هو، فلا يكون عندئذٍ مُعرَّبًا. فالاقتراض إذن أعمُّ من التَّعْريب وأشمل[٢]، كما أنَّ الدَّخيل هو اللفظ الأعجميُّ الذي أُدخِلَ كلام العرب من غير أن يشتقَّ منه لمخالفته الأوزان العربية. فيستخدمه العرب بشكله وقالبه الذي دخل العربية. . . (وأصبح) من مفردات العرب المتداولة ولكنَّ من غير أي تصرف[٣].

الثاني: يرى أصحابُه أنَّ صبَّ اللفظ الأعجمي في قوالب العربية ليس شرطًا في التَّعْريب، فالمُعَرَّب عندهم هو اللفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها وصقلته على منهاجها وأوزانها أو تركته بغير صقل ورُبَّما تناولته بالاشتقاق[٤].

---

(١) انظر فصول في فقه العربية للدكتور/ رمضان عبد التواب ٣٥٩ ـ ٣٦٦، ومقدمة تحقيق كتاب المعرب للجواليقي بتحقيق د/ ف عبد الرحيم ص١٣، ١٤، وانظر ما قاله د/ إبراهيم مدكور في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١١/ ١٥٦، وانظر فقه اللغة وخصائص العربية لمحمد المبارك ص٢٩١، ٢٩٢، ومن أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص١٢٥.

(٢) من جهود المجمع العلمي العراقي في التعريب القسم الثاني: ما يتعلق بخصوص التعريب أ.د/ كاصد ياسر الزيدي (مقالة على الإنترنت).

(٣) المعرب والدخيل في اللغة العربية وآدابها ص١٣.

(٤) نقل الأستاذ عباس حسن هذا الكلام عن مقدمة تاج العروس. انظر (رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية): عباس حسن ص٧٥، وكلام العرب ص٧٢، والتعريب في القديم والحديث د/ محمد حسن عبد العزيز ٤٧، والتهذيب في أصول التعريب ١٢٠، ونقاء القرآن من الكلمات الأعجمية ص٢٠١ حيث نقلا قول السيوطي «والمعرَّب هو =

ولعلَّ أصحابَ هذا الاتجاه قد يوجَّه إليهم اعتراض، وهو أنَّ التَّعْريب والإعراب يقتضيان التغيير؛ لأنَّ هاتين الصيغتين تدلان على التفعيل والإفعال وهو تدخل من المُعَرِّب في اللفظ الأعجمي؟! والرَّدُّ كما يقول أحد الباحثين: «إنَّ مجرد نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، وتمشيه مع الذوق اللغوي الأصيل في العربية، سواء غُيِّرَ أم لم يغيِّر، فهذا تدخُّلٌ منه في اللفظ»(١).

فأصحاب هذا الرأي ـ إذًا ـ يُعوِّلون على استعمال العرب ـ في عصور الاحتجاج ـ للَّفظ الأعجمي وتمشيه مع الذوق العربي سواءً خضع لقوالب اللغة أو لم يخضع. «فالتَّعْريب [بهذا المعنى] يُصَيِّر اللفظ عربيًّا وملكًا جديدًا للغة. . . . والتدخيل [إذا لم يكن اللفظ متماشيًا مع الذوق العربي] لا يعدو أنْ يكون إيرادًا للألفاظ الغريبة في ثنايا التركيب العربي، ولا تخرج على من لا يستطيع النطق بكيفية ما أن ينطق كيفما استطاع لكنَّها تكون حالة فردية لا قاعدة اجتماعية أو سلوكًا جماعيًّا»(٢).

الثالث: حاول أصحابُه الوصول إلى صيغة تُسهِّلُ قبول المُعَرَّب بحيث يشترطون التغيير ـ مطلق التغيير ـ في أحد الجوانب التي تخصُّ المفردة سواء في جانب الصوت أو الوزن أو تأليف الحروف، ولا بأس أن يحدث التغيير في الجوانب الثلاثة إلا أنَّهم يرتبون التغيير في هذه الجوانب فيجعلون تغيير الأصوات الأعجمية إلى الأصوات العربية واجبًا. يقول الدكتور تمَّام حسَّان: «التَّعْريب هو إخضاع اللفظ الأجنبي لطرق صياغة العربية والعادات النطقيَّة العربيَّة، وهو من ثَمَّ يتضمَّنُ التزامًا صارمًا بالأصوات العربية [كما في مهندس بدلًا من مهندز]، والتزامًا أقل صرامة بظواهر التأليف وتجاور الحروف في

= ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها».

(١) العربية لغة العلوم والتقنية د/عبد الصبور شاهين ص٣٢٤.

(٢) الدخيل عند المحبِّي مع تحقيق كتابه قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل (رسالة دكتوراه) بدار العلوم ص١/٢٢.

الكلمة الواحدة. . . ولذلك حافظوا على مثل (جص والجيم والصاد تأليف ممنوع في اللغة العربية. ثُمَّ التزامًا أقل من ذلك بالصيغ الصرفية العربية. . . فقد عملت العرب على تقريب الكلمة المُعَرَّبة من الصيغ القياسية قدر الطاقة، فإذا لم يمكن ذلك أو لم يحسن أبقوا الكلمة على صورتها مكتفين بتعريب أصواتها»[١].

ولعلَّ الأب هنري فليش اليسوعي يُلَمِّحُ إلى هذا الاتجاه حيث يؤكِّد على أنَّ المُعَرَّب على الرغم من انصهاره ـ عند تعريبه ـ في القوالب العربية إلا أنَّه في كثير من الأحيان لا تؤخذ منه سلسلة الاشتقاقات المعروفة فيقول: «إن هناك كلمات أعجمية يجري تعريبها إلى الحد الذي يتلاشى معه أصلها، ولكنَّ التَّعْريب لا يفترض وجود سلسلة الاشتقاقات المشار إليها قبلُ [الفعل ـ المصدر ـ اسم الزمان والمكان ـ اسم الفاعل. . . إلخ]، فمثلًا الكلمة القرآنية (صراط) Sirat طريق تلك التي تبدو بزنة الصيغة (فِعال) ليست سوى الصورة النهائية ـ الإغريقيَّة أو الآراميَّة ـ للكلمة اللاتينية (ستراتا)، وكلمة (قميص) بزنة (فَعِيل) كلمة من كلمات الشعر القديم تأتى من الكلمة الإغريقية (كميسيون) Kamision . . . إلخ»[٢].

ولعلَّ الأمثلة التي ذكرها تؤكِّد ما ذهب إليه من بُعْدِ الكلمة المُعَرَّبة عن الأصل بحيث يصعب معرفة هذا الأصل، وقلة أو انعدام المشتقات التي تشتق منها، ولكنَّ الملاحظَ هو أنَّه اختار مثالين يعود أصلهما إلى اللاتينية والإغريقية فربَّما حاول الخروج من مأزق (اللغات السامية)، حيث نلاحظ رجوع كثير من الكلمات المُعَرَّبة من إحدى اللغات السامية مع أصلها إلى أصل واحد قديم مثل كلمة (ثاب) العربية الأصل بمعنى رجع وكلمة (تاب) المُعَرَّبة من الآراميَّة فيتضح أنَّ الكلمتين تعودان إلى أصل واحد قديم.

---

(١) الأصول د/ تمام حسان ص٢٠٨.

(٢) العربية الفصحى للأب هنري فليش اليسوعي ص٧٨.

ومَن يميل إلى هذا الاتجاه ـ اتجاه التساهل في قبول المُعَرَّب إذا حدث فيه بعض التغييرات ـ الدكتور عبد الصبور شاهين حيث يُقَرِّر ـ بعد أن استعرض تقسيم أبي حيان الأندلسيِّ لاستعمال العرب للمُعرَّب ـ أنَّ مشكلة التَّعْريب قد بقيت «محصورةً في إطار هذه الأفكار إلى أن ضعفت العربية في مواجهة اللغات الحديثة وأصبح لزامًا على أبنائها أن يعالجوا نقاط ضعفها وأن يعينوها على مواكبة التغيرات المعاصرة»(١).

ويرى أنَّ التَّعْريب قد يقتصر على إحداث بعض التغييرات الشكليَّة في الكلمة لتصبح مُعَرَّبة، ويُعلِّل لهذا الرأي بقوله: «لأنَّنا نرى أنَّ المُعَرَّب الحديث لا يلزم أن يقام على وزنٍ بصورة كاملة، ليصبح ذا هوية عربيَّة، وليعاملَ معاملةَ اللفظ العربيِّ . . . وعلى ذلك يكفينا تغييراتٌ من هذه التغييرات الجزئية في اعتبار الاسم معربًا، لأنَّ أوزان العربية الأصلية لن تتسع لتضم كل ما تفرزه اللغات الأجنبية من مصطلحات لا يمكن حصرها»(٢).

وهو بذلك يشترط التغيير في اللفظ الأعجمي لكنه التغيير الجزئي ولا يشترط إقامته على وزن عربي.

المُعَرَّب عندنا:

يبدو ممَّا سبق أنَّ المُعَرَّب له عدة تعريفات، منها:

الأول: أنَّه اللفظ الأعجمي الذي نُقل إلى لغة العرب في عصور الاحتجاج وغيَّرته العرب بحيث يخضع للقوالب العربية.

الثاني: أنَّه اللفظ الأعجمي الذي نقل إلى لغة العرب في عصور الاحتجاج سواء غيَّرته العرب أو تركته على حاله بشرط استعمال العرب له قديمًا.

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنية ص٣١٣.

(٢) العربية لغة العلوم والتقنية ص٣١٤

الثالث: أنَّه اللفظ الأعجميُّ الذي نقل إلى لغة العرب والتزم التزامًا صارمًا بالأصوات العربية، سواء غيِّر هيئة بنائه أو بعض حروفه أو لم تغيَّر، وسواء لحق بأبنية العرب أو لم يلحق.

الرَّابع: أنَّه هو اللفظ الأعجمي الذي نقل إلى لغة العرب، وغَيَّرته العرب قديمًا بحيث صار خاضعًا لمنهاج كلامها، وأجرت عليه بعض أحكام الألفاظ العربية، سواءً صار على وزن كلامها أو لا. وهو أيضًا كلَّ لفظ دخل إلى اللغة العربية بعد عصور الاحتجاج وعُرِّب على طريقة العرب القدماء.

وهذا الأخير هو الذي نختاره وذلك لسببين:

السبب الأول: أنَّ كثيرًا من القدماء أقرَّ أنَّ اللفظ المُعَرَّب هو الأعجميُّ الذي استعمله العرب القدماء سواء غُيِّر أو لم يغيَّر ما دام متماشيًا مع الوزن اللغويِّ السليم.

السبب الثاني: هو أنَّنا إن قصرناه على عصور الاحتجاج نكون بذلك قد قلنا بالسماع في المُعَرَّب وألغينا القياس، وبذلك نغلق بابًا مهمًّا من أبواب ثراء اللغة، وفي نفس الوقت لا نتساهل في استقبال الأعجميِّ دون تعريبه على منهاج العرب فتُحَوَّل اللغة إلى ثوبٍ مُرَقَّعٍ أمام هذا الطوفان الهائل من المفردات الأجنبيَّة الوافدة.

أمَّا الخفاجِيُّ:

فقد كان مُحَدِّدًا أشدَّ التحديد في تعريفه للمُعرَّب ـ نظريًّا ـ حيث يقول: «التَّعْريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التَّعْريب، وسماه سيبويه وغيره إعرابًا، وهو إمام العربية، فيقال حينئذٍ! مُعَرَّبٌ، ومُعْرَبٌ»[1].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ لفظة العجمِيَّة عند الخفاجيِّ تأخذ مدلولًا عامًّا حيث يقول: «والعجمُ ما عدا العربَ».

---

(١) مقدمة شفاء الغليل ص٢/ ١٠٣.

وأراد الخفاجي أن ينبِّه إلى الالتزام بالعامل الزمانيِّ في قبول المُعَرَّب وهو وقوع التَّعْريب في عصور الاحتجاج فقال: «والصَّحيح منه ما وقع في القرآن، أو الحديث، أو الشِّعر القديم، أو كلام من يوثق بعربيَّته»(١)، ولعلَّه يقصد بكلمة «الصَّحيح» أي ما صحَّ من المُعَرَّب في الاستعمال أو ما يَصِحُّ إطلاق لفظ المُعَرَّب عليه.

ويبدو من تعريفه التزام (المُعَرَّب) ـ عنده ـ بأمرين:

الأول: البيئة الزمانية وهو عصور الاحتجاج، أما ما دخل إلى العربية بعد ذلك فهو مولَّدٌ. يقول: «فما عرَّبه المتأخرون يُعَدُّ مُوَلَّدًا»(٢).

والثاني: استعمال العرب له ـ في عصور الاحتجاج ـ ودورانه على ألسنتهم وانسجامه مع الكلام العربي سواء غُيِّر أو لم يُغَيَّر.

ونجده يشير إلى ذلك عمليًّا في كتابه حيث ينقل عن القاضي في كلمة (جُمَّل) قوله: «. . . إن استعمال العرب كالتَّعْريب»(٣)، ولم يرفض ذلك القول.

التَّعْجِيمُ:

ومما يتَّصل بالمصطلح السابق مصطلحُ (التَّعْجيم)، وهو دخول الكلمة العربية إلى لغة العجم واستخدامهم لها، وقد تَنَبَّه الخفاجيُّ لذلك، فنجده يقول في مقدمة كتابه(٤): «ثُمَّ إنَّ العرب كما تُعَرِّبُ الأعجميَّ، كذلك العجمُ تُعَجِّمُ العربيَّ كما قالوا في (قفص) بالصاد: (قفس) بالسين، كذا قاله بعض المتأخرين».

---

(١) مقدمة شفاء الغليل ص٢/ ١٠٢ وقد نقل هذا القول عن الجواليقي في المعرب، انظر المعرب ص٢/ ١٠٥.

(٢) مقدمة الشفاء ص٢/ ١٠٣.

(٣) شفاء الغليل (جُمَّل) ٢/ ٣٥٩.

(٤) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٢٦.

ونجد المُحْدَثين[١] قد تحدثوا عن هذه العملية (التعجيم) وإن لم يستخدموا هذا المصطلح، ومن هؤلاء مثلًا رفائيل نخلة في كتابه (غرائب اللغة العربية)، حيث عقد بابًا لاقتباس اللغات من العربية وذكر فيه عددًا كبيرًا من الكلمات[٢].

(٢)
الدَّخِيلُ

الدَّخِيلُ في اللغة من الفعل (دَخَلَ)، وهو يدلُّ على مطلق الولوج، يقول ابن فارس: «(الدال والخاء واللام) أصل مُطَّردٌ منقاس وهو الولوج»[٣].

ويدور معناه اللغوي في المعاجم العربية حول هذا المعنى حيث يقولون: «فلان دخيل في بني فلان: إذا كان من غيرهم فدخل فيهم»[٤]، «ودخيل الرجل: الذي يداخله في أموره»[٥]، «والدخيل: الضيف؛ لدخوله على المضيف»[٦]، و«هو دخيل في بني فلان إذا انتسب معهم وليس منهم»[٧]، ولم يذكر صاحب الصِّحاح صيغة (دخيل) منفردة وإنَّما قال: «وهم دَخَلٌ في بني فلان إذا انتسبوا معهم وليسوا منهم»[٨]، وإلى بعض هذه المعاني أشار نفر من العلماء من غير أصحاب المعاجم إذ يقول ابن خلدون: «إنَّما يتميَّزُ العربيُّ الصريح من الدخيل في العروبيَّة والحضريَّة بالنطق بهذه القاف...»[٩]، وكما

(١) انظر مقدمة المعجم الذهبي ص٧.
(٢) انظر غرائب اللغة العربية ١٦٤ وما بعدها، وانظر مقدمة المعجم الذهبي.
(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٣٣٥.
(٤) اللسان (دخل) ١١/ ٢٤١، والمحكم (دخل) ٥/ ٨٧، والقاموس (دخل)٣/ ٣٦٣.
(٥) الصحاح (دخل) ٢/ ١٢٧٢، وتهذيب اللغة (دخل) ٧/ ٢٧٢.
(٦) المحكم (دخل) ٥/ ٨٧، واللسان (دخل) ١١/ ٢٤٢، وتاج العروس (دخل) ٢٨/ ٤٨.
(٧) أساس البلاغة ص١٩٠، والوسيط (دخل) ١/ ٢٨٥.
(٨) الصحاح (دخل) ٢/ ١٢٧٢.
(٩) مقدمة ابن خلدون ١/ ٥٥٧، وانظر أبجد العلوم ١/ ٢٧٠.

يقول البَغْدَادي: «والدخيل: الضيف إذا حَلَّ بالقوم فأدخلوه»(١)، ويقول صاحب دلائل الإعجاز: «. . . . للعرب الفضل والميزة في حسن النَّظم والتأليف، وإنَّ لها في ذلك شأوًا لا يبلغه الدُّخلاء في كلامهم والمُوَلَّدون»(٢)، وقد ورد في هذا المعنى في الحديث: «لا تؤذي امرأةٌ زوجها إلَّا قالت زوجتُه من الحور العين: لا تؤذيه ـ قاتلك الله ـ فإنَّما هو عندك دخيلٌ أوشك أن يفارق الدنيا»(٣).

فالمعنى اللغوي العام الذي يَجْمَعُ تلك المعاني جميعًا هو ولوج غريبٍ في أصيل صريحٍ يخالفُه.

الدخيل في الاصطلاح:

فإذا أردنا أن نُحَرِّرَ مفهوم (الدَّخيل) في الاصطلاح عند أصحاب المعاجم واللغويين القدماء فإنَّ المعنى الغالب عندهم هو أنَّ الدَّخيلَ مرادفٌ للمعرَّب.

يقول الخليل عند حديثه عن بناء الرباعي الخالي من حروف الذَّلاقة(٤): (فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ما هو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم، نحو (قعثج) و(دعثج) لا ينسب إلى العربية، ولو جاء عن ثقة لم يُنْكر ولم نسمع به ولكنَّ ألفناه ليعرف صحيح كلام العرب من الدخيل)(٥)، ونجده بعد ذلك في كثير من المواضع يستخدم مصطلح دخيل أو معرَّب أو يجمع بينهما فيقول دخيل معرَّب أو معرَّب دخيل(٦). فإذا تتبعنا هذا المعنى

---

(١) خزانة الأدب ٥/ ٥٧.

(٢) دلائل الإعجاز ١/ ١٩٢.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٦٤٩ رقم ٢٠١٤.

(٤) حروف الذلاقة: (هي الفاء والميم والباء والواو والنون واللام) وسماها (ابن دريد المذلقة). انظر الجمهرة ١/ ٤٥.

(٥) انظر قول الخليل في العين (ت عبد الله درويش) ١/ ٨٠، وانظر دستور العلماء ٢/ ٨٩.

(٦) انظر معجم العين في المواد: (خمس) ٦/ ٦٠، و(صوم) ٧/ ١٢٠، و(كسبج) ٥/ ٢٨٨، =

الاصطلاحي عند أصحاب المعاجم بعد الخليل نجدهم يكادون يتفقون على أنَّ الكلمة الدخيلة هي: (كلمة أُدْخِلَت في كلام العرب وليست منه) استعملها ابن دريد كثيرًا في الجمهرة[١].

ولعلَّ هذا التعريف الذي شاع في المعاجم العربية، يدلُّ على ثلاثة أمورٍ تتعلَّقُ بالكلمة الدخيلة هي:

الأول: أنَّ الكلمة الدخيلة غريبة عن اللغة العربية فهي أعجميَّة الأصل[٢].

والثاني: أنَّ هذه الكلمة أدخلت واستعملت في الكلام العربي وبذلك فقد عُرِّبَت.

والثالث: أنَّها استعملت في الكلام العربي وانسجمت مع التأليف العربي بحيث لا تبدو نافرة في الكلام.

غير أنَّ الكلمات الدخيلة يمكن تحديدها ومعرفتها بالأمور التي ذكرها أئمة اللغة[٣]، ومن ذلك مثلًا قول الجواليقي: «وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء، فإذا مرَّ بك ذلك فاعلم أنَّ ذلك الاسم (معرَّب) نحو

= و(برق) ٥/ ١٥٥، وقال في مادة (فرنق) ٥/ ٢٦٣: «والفرانق دخيل معرب»، وفي (سجل) ٦/ ٥٤: «معرب دخيل» وفي (فرند) ٨/ ١٠٣: «دخيل معرب».

(١) المحكم (دخل) ٥/ ٨٧، واللسان (دخل) ١١/ ٢٤١، والقاموس (دخل) ٣/ ٣٦٣، وتاج العروس (دخل) ٢٨/ ٤٨٠، والوسيط (دخل) ١/ ٢٨٥، وانظر مواضع استخدام الجمهرة لها (صفر) ١/ ٣٠٤ (اتور) ١/ ٣٩٦، (وسطن) ٢/ ٨٣٨ (خدم) ٢/ ٧٤٥.

(٢) انظر الجمهرة (تلك) ١/ ٧٩، ٢/ ٧٤٣، وتهذيب اللغة (دمش) ١١/ ٢٢٤ و١٥/ ٢٠٤، ٥/ ١٠ ومقاييس اللغة (روج) ٢/ ٤٥٤، واللسان (كندر) ٥/ ١٥٣ و(دمش) ٦/ ٣٠٢، وتاج العروس (كندد) ٩/ ١١٧، (كندر) ١٤/ ٧١، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٤٦٠ حيث يقول في كلمة صراط: «... ويقال إنَّها دخيلة في كلام العرب وعرَّبتها»، وانظر ص١/ ٤٦، وانظر تفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسي ص٩.

(٣) سوف نتعرض لهذه القضية بالتفصيل في الفصل الثاني في مبحث (معرفة المعرب).

نرجس. . . وليس في كلامهم (زاي) بعد (دال) إلا دخيل ومن ذلك (الهنداز). . . ولم يحكِ أحد من الثقات كلمة عربية مبنيَّة من باءٍ وسينٍ وتاءٍ، فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل»[١].

ويبدو واضحًا من كلام الجواليقي ما سبق أنْ أشرنا إليه أنَّه يستخدم الدخيل كمرادفٍ للمُعرَّب. ولقد امتلأت مؤلفات أئمة اللغة باستخدام هذا المصطلح «الدخيل» بجانب المُعَرَّب، بل إن بعضهم يجعله عنوانًا للفصل الذي يذكر فيه الألفاظ المُعَرَّبة، ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلَّام (في الغريب المُصَنَّف)، حيث أفرد فيه بابًا للمعرَّب بعنوان (ما دخل من غير لغات العرب في العربية) وهو فصل قصير في صفحتين من القطع المتوسط[٢].

وابنُ كمال باشا يُفرِّق بين ما تستعمله العرب من الكلام الأعجمي بعد التَّعْريب وهو (المُعَرَّب) وبين ما تستعمله منها وتجعله جزءًا منه قبل التَّعْريب[٣].

الدخيل عند المُحْدَثين:

اعتمد المحدثون في فهمهم للدخيل على أساس التَّفرقة بينه وبين المُعَرَّب، وقد انقسموا على قسمين:

الأول: يعتمد على البعد التاريخي أو الزمني فالدخيل عندهم هو اللفظ الذي دخل إلى العربية بعد عصر الاحتجاج، سواء غُيِّرَ وأُلحق ببناء العربية أو لم يُغَيَّرْ، ذلك لأنَّ العرب الخُلَّص لم ينطقوا بهذا اللفظ الدخيل[٤].

ومن الباحثين من يَعدُّ الدخيل شاملًا للفترة التي تلت عصور الاحتجاج

(١) المعرب للجواليقي ص١١، ١٢.

(٢) ذكر ذلك د/ حسين نصار في المعجم العربي ص١/ ٨٥.

(٣) انظر مقدمة رسالة التعريب لابن كمال باشا ٣.

(٤) انظر كلام العرب ص٧٢.

الاصطلاحي عند أصحاب المعاجم بعد الخليل نجدهم يكادون يتفقون على أنَّ الكلمة الدخيلة هي: (كلمة أُدْخِلَت في كلام العرب وليست منه) استعملها ابن دريد كثيرًا في الجمهرة[١].

ولعلَّ هذا التعريف الذي شاع في المعاجم العربية، يدلُّ على ثلاثة أمورٍ تتعلَّقُ بالكلمة الدخيلة هي:

الأول: أنَّ الكلمة الدخيلة غريبة عن اللغة العربية فهي أعجميَّة الأصل[٢].

والثاني: أنَّ هذه الكلمة أدخلت واستعملت في الكلام العربي وبذلك فقد عُرِّبَت.

والثالث: أنَّها استعملت في الكلام العربي وانسجمت مع التأليف العربي بحيث لا تبدو نافرة في الكلام.

غير أنَّ الكلمات الدخيلة يمكن تحديدها ومعرفتها بالأمور التي ذكرها أئمة اللغة[٣]، ومن ذلك مثلًا قول الجواليقي: «وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء، فإذا مرَّ بك ذلك فاعلم أنَّ ذلك الاسم (معرَّب) نحو

= و(برق) ٥/ ١٥٥، وقال في مادة (فرنق) ٥/ ٢٦٣: «والفرانق دخيل معرب»، وفي (سجل) ٦/ ٥٤: «معرب دخيل» وفي (فرند) ٨/ ١٠٣: «دخيل معرب».

(١) المحكم (دخل) ٥/ ٨٧، واللسان (دخل) ١١/ ٢٤١، والقاموس (دخل) ٣/ ٣٦٣، وتاج العروس (دخل) ٢٨/ ٤٨٠، والوسيط (دخل) ١/ ٢٨٥، وانظر مواضع استخدام الجمهرة لها (صفر) ١/ ٣٠٤ (اتور) ١/ ٣٩٦، (وسطن) ٢/ ٨٣٨ (خدم) ٢/ ٧٤٥.

(٢) انظر الجمهرة (تلك) ١/ ٧٩، ٢/ ٧٤٣، وتهذيب اللغة (دمش) ١١/ ٢٢٤ و١٥/ ٢٠٤، ١٠/ ٥ ومقاييس اللغة (روج) ٢/ ٤٥٤، واللسان (كندر) ٥/ ١٥٣ و(دمش) ٦/ ٣٠٢، وتاج العروس (كندد) ٩/ ١١٧، (كندر) ١٤/ ٧١، وانظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٤٦٠ حيث يقول في كلمة صراط: «... ويقال إنَّها دخيلة في كلام العرب وعرَّبتها»، وانظر ص١/ ٤٦، وانظر تفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسي ص٩.

(٣) سوف نتعرض لهذه القضية بالتفصيل في الفصل الثاني في مبحث (معرفة المعرب).

نرجس. . . وليس في كلامهم (زاي) بعد (دال) إلا دخيل ومن ذلك (الهنداز). . . ولم يحكِ أحد من الثقات كلمة عربية مبنيَّة من باءٍ وسينٍ وتاءٍ، فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل»(١).

ويبدو واضحًا من كلام الجواليقي ما سبق أنْ أشرنا إليه أنَّه يستخدم الدخيل كمرادفٍ للمُعرَّب. ولقد امتلأت مؤلفات أئمة اللغة باستخدام هذا المصطلح «الدخيل» بجانب المُعَرَّب، بل إن بعضهم يجعله عنوانًا للفصل الذي يذكر فيه الألفاظ المُعَرَّبة، ومن هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلَّام (في الغريب المُصَنَّف)، حيث أفرد فيه بابًا للمعرَّب بعنوان (ما دخل من غير لغات العرب في العربية) وهو فصل قصير في صفحتين من القطع المتوسط(٢).

وابنُ كمال باشا يُفرِّق بين ما تستعمله العرب من الكلام الأعجمي بعد التَّعْريب وهو (المُعَرَّب) وبين ما تستعمله منها وتجعله جزءًا منه قبل التَّعْريب(٣).

الدخيل عند المُحْدَثين:

اعتمد المحدثون في فهمهم للدخيل على أساس التَّفرقة بينه وبين المُعَرَّب، وقد انقسموا على قسمين:

الأول: يعتمد على البعد التاريخي أو الزمني فالدخيل عندهم هو اللفظ الذي دخل إلى العربية بعد عصر الاحتجاج، سواء غُيِّرَ وأُلحق ببناء العربية أو لم يُغَيَّرْ، ذلك لأنَّ العرب الخُلَّص لم ينطقوا بهذا اللفظ الدخيل(٤).

ومن الباحثين من يَعدُّ الدخيل شاملًا للفترة التي تلت عصور الاحتجاج

---

(١) المعرب للجواليقي ص١١، ١٢.

(٢) ذكر ذلك د/ حسين نصار في المعجم العربي ص١/ ٨٥.

(٣) انظر مقدمة رسالة التعريب لابن كمال باشا ٣.

(٤) انظر كلام العرب ص٧٢.

مباشرة إلى يومنا هذا فيقول: (وتمتد هذه المرحلة التي تعتبر الألفاظ المقترضة خلالها دخيلة إلى أيامنا هذه، حيث يدخل في اللغة يوميًّا ما يستجد من مُسَمَّيَات المخترعات، وأشهر أمثلة الألفاظ الدخيلة حديثًا (التليفون، والتليفزيون))[١].

ونجد الشيخ عبد القادر المغربي أكثر تحديدًا حيث يُقَسِّم الدخيل ـ على هذا الأساس التاريخي ـ إلى مُوَلَّد ومُحْدِثٍ فيقول: «فإذا كان الإدخال من صنعة المتأخرين عن عصور الاحتجاج، فهو من التَّوليد، وما تأخَّر من هؤلاء فما أدخلوا يعتبر مُحدثًا»[٢].

لكنَّنا نتساءل إلى أيِّ وقت يمتد المُوَلَّد ـ على حد تعبيره ـ ومتى يبدأ المحدث وما حكم الألفاظ التي دخلت بعد عصر الشيخ المغربي أي التي تدخل في أيامنا هذه وبعد أيامنا؟

لا شك أنَّ اعتبار ما دخل بعد عصور الاحتجاج ـ بشكل عام ـ دخيلًا أرجح وأكثر قبولًا للعقل، وإن كنَّا لا نتفق مع من قال هذا اتفاقًا تامًّا.

الثاني: يعتمد أصحابه على التعامل مع اللفظ الأعجمي من حيث صياغته وبناؤه، فهم يرون أنَّ الدخيل (يطلق في معناه اللغوي الرَّاهن على الألفاظ الأعجمية التي لم تغيِّرْها العربُ وإبقائها على صورتها الأصلية في لغتها، أو على بنائها الأعجمي على الأقل)[٣]، ومن هؤلاء الدكتور إبراهيم أنيس غير أنَّه أطلق مصطلح (الأعجميَّ الدخيل) حيث يقول: (الكلمات العجمية التي بقيت

---

(١) الكلام المعرَّب في قواميس العرب د/ سميح أبو مغلي ص١٥، وانظر اللهجة العامية في لبنان وسورية) مقال للأستاذ عيسى إسكندر المعلوم في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤/ ٣١٥٠٢٩٤، وانظر اللهجات العربية بحوث ودراسات مجمع اللغة بالقاهرة ص٥٣٨.

(٢) الاشتقاق والتعريب: عبد القادر المغربي ص٦٢.

(٣) انظر المعجم العربي نشأته وتطوره ١/ ٧١، والعربية لغة العلوم والتقنية ٣٠٩، والمعرب والدخيل في اللغة العربية وأدبها ص١٣.

على صورتها الأصلية قليل عددها، وقد ظلت قليلة الشيوع والدوران وأطلق عليها (الأعجميُّ الدخيل) كأنَّما أريد بهذا استبعادها عن الألفاظ العربية الأصيلة)(١)، ونجد باحثًا آخر يذهب إلى ما ذهب إليه أصحاب هذا الاتجاه غير أنَّه يُقَرِّرُ أنَّ اللغويين العرب القدامى قد فرقوا بين (العربيِّ) و(المُعَرَّب) و(الدخيل) حيث يقول: (ويختلف عنهما الدخيل ـ يقصد عن العربي والمُعَرَّب ـ من حيث إنَّه لم يكن أصيلًا كالعربي، ولا مغيِّرًا في الصوت أو البنية أو كليهما كالمُعَرَّب، بل ينقل إلى العربية بصورته التي كان عليها في لغته. وما يزال الدخيل لا يبرأ من غربةٍ في الصَّوت، وغربة في الزِّنَة)(٢).

ولعلَّه خرج بهذه النتيجة لمَّا رأى كلام العلماء حول المُعَرَّب وتغييره، بينما عرَّفوا الدخيل تعريفًا مجملًا ـ كما سبق ـ بأنَّه كلمة أدخلت إلى كلام العرب وليست منه، فلم يشيروا إلى أي تغيير في الكلمة.

غير أنَّ ذلك أيضًا ليس مبرِّرًا لما قاله لسببين:

الأول: أنَّ بعضهم قد صرَّح بأنَّ المُعَرَّب قد يُغيَّر وقد لا يغيَّر سواء ألحق ببناء كلامهم أو لم يلحق.

والثاني: قول السيوطي: (ويطلق على المُعَرَّب دخيل، وكثيرًا ما يقع مثله في كتاب العين والجمهرة)(٣)، ومن المُحْدَثين من يؤيد قول السيوطي هذا(٤).

الدخيلُ مصطلحٌ عام:

يرى الدكتور تمام حسان أنَّ الدخيل مصطلح عام ويشمل نوعين من

(١) من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص١٢٥، وانظر دلالة الألفاظ ١٤٩.

(٢) من جهود المجمع العلمي العراقي في التعريب، القسم الثاني د/ كاصد ياسر الزيدي (إنترنت) ص٢.

(٣) المزهر ١/ ٦٢٩.

(٤) انظر التهذيب في أصول التعريب ١٢١.

الألفاظ: **الأول** هو (المُعَرَّب) وهو الذي وفد على العربية في عصورها الأولى وهي عصور الاحتجاج.

أمَّا **الثاني** فهو (المُوَلَّد) وهو الذي طرأ على اللغة بعد عصور الاحتجاج، ولا فرق بين المُعَرَّب والمُوَلَّد إلا من حيث الزمن فقط، فالمُعَرَّب أسبق زمنًا من المُوَلَّد ولكنَّهما في الواقع شيء واحد يعرف في الحالتين باسم الدخيل[١]. ويذهب برجشتراسر إلى أنَّ الدخيل يشمل هذا المعنى العام فيقول: «وأمَّا مُصْحفٌ وصحيفةٌ، وغير ذلك ممَّا اشتق من مادة (صحف)، فيدل معناه على كونه دخيلًا، فإنَّ العرب لما أخذوا الكتابة من جيرانهم الذين سبقوهم إلى التَّمَدُّنِ يحتمل أنْ يكونوا قد أخذوا منهم الأسماء الدالة على التمدُّنِ...»[٢].

الدخيل كما نُرجِّحُه:

وبعد استقراء أقوال القدماء والمُحْدَثين حول مفهوم الدخيل في اللغة، وبعد مراجعة الأحكام التي أصدرها القدماء (أصحاب المعاجم واللغويون) على المفردات التي دخلت اللغة العربية ما بين (دخيل)[٣]، ومعرَّب دخيل[٤]، ودخيل معرب[٥]، ودخيل مستعمل[٦]، ودخيل في كلام العرب إلَّا أنَّهم قد تكلموا به، وقيل: ودخيل في كلام العرب وعربتها[٧]، ولا أحسبها إلا دخيلًا وإن كانوا تكلموا بها قديمًا[٨]، وهو دخيل ليست فارسيَّةً لَكْنَاءَ ولا عربيَّةً

(١) انظر الأصول د/ تمام حسان ص٢٨٠.

(٢) انظر التطور النحوي لبرجشتراسر ص٢١٩، وانظر المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب تحقيق د/ التهامي ص٣ (مقدمة التحقيق).

(٣) انظر العين ٤/ ٥٩.

(٤) انظر العين ٦/ ٥٤.

(٥) انظر العين ٥/ ٢٥٤.

(٦) انظر الفائق ٣/ ٢٤٠.

(٧) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٥١.

(٨) انظر تهذيب اللغة ٦/ ١٧٦.

محضةً[١]، وفارسيٌّ معرَّب دخيل أصله[٢]؛ أقول: بعد كلِّ ذلك يمكننا أن نقرِّر أمرين مُهمَّين:

الأول: أن القدماء خلطوا بين هذين المصطلحين (أعني المُعَرَّب والدخيل) بل إنَّهما عندهم مترادفان.

والثاني: أنَّ الدخيل مصطلح يشمل كلَّ ما دخل إلى اللغة العربية من اللغات الأخرى وليس له أصل في اللغة العربية.

فإن الدخيل: مصطلح عام يشمل كل ما اقترضته العربية من غيرها بشروط:

١ ـ أنْ يكون منسجمًا مع الكلام العربي غير نابٍ ولا نافرٍ سواء غُيِّر أو لم يغَيَّر.

٢ ـ أنْ يكون مستعملًا في عصور الفصاحة (الاحتجاج) أو مقيسًا على ما استعمله العرب في عصور الفصاحة.

وهذا يعني أنَّنا لا نتبع المُحْدَثين في تقسيم الدخيل باعتبار الزمن، ولا باعتبار الصيغة والتركيب؛ لأنَّ اعتماد الزمن فيه إجحاف في حق الأجيال المتعاقبة من العرب بعد عصور الاحتجاج.كما أنَّ اعتبار التغيير في الصيغة والتركيب (مجرد التغيير) سوف يحول اللغة في عصر من العصور إلى لكنة عجماء أمام هذا السيل الجارف من المفردات الوافدة، فاعتبار التغيير واجب بشرط القياس على طرق العرب في التغيير.

الدخيل عند الخفاجي:

لعلَّ ما ذهبنا إليه من أنَّ الدخيل مصطلح عام يشمل جميع الكلمات العجمية التي دخلت إلى العربية يتفق مع ما أراده الخفاجي من هذا

---

(١) انظر لسان العرب ٣/٣٨.

(٢) انظر لسان العرب ٤/ ٥٠٤.

المصطلح؛ فالدخيل عنده: هو كلُّ ما يضمُّه كتابه كما صرَّح بذلك في مقدمته حيث يقول: (فهذا كتاب جليل، جمعت فيه ما في كلام العرب من الدخيل)[١]، لكنِّي بعد مراجعة ما رواه في كتابه أجدني متردِّدًا في قبول هذا المفهوم للدخيل عنده؛ لأنَّنا لو سلَّمنا بذلك لكان الخاص، والمرذول، واللحن، والتعبيرات الاصطلاحية، والنوادر، إلى آخر ما جمعه كتابه من الدخيل. وهذا غير مقبول من عالم جليل كالخفاجيِّ!

والأقرب عندي هو أنَّ الخفاجيَّ قصد بالدخيل في كتابه شيئين أو قسمين وهما: المُعَرَّب والمُوَلَّد، والدليل على ذلك أمران:

الأول: أنه ذكر في مقدمته أنَّ من دواعي تأليفه هذا الكتاب ضعفَ ما ألَّف العرب في المُعَرَّب حيث يقول: «دعاني إليه (أي إلى تأليفه) أنَّ المُعَرَّب لما ألف فيه قوم، منهم من لم يَحُمْ حول ناديه، ومنهم من دَقَّقَ في التخريجات الغريبة. . .»[٢]، ثُمَّ يقول: «فأحببت أن أهدي تحفة للإخوان بل عروسًا منتقبة بنقاب الحسن والإحسان، وأضفت إليه فوائد، ونظمت في لباته فرائد، وضممت إليه قسم المُوَلَّد[٣]، وهو إلى الآن لم يُدَوَّن في كتاب، ولم يرفع عن وجوه مخدراته النقاب، وقد أوردت منه ما يسر الناظر، ويشرح الخاطر، مع شيء من النقد والرد، ولطائف أدبية تُذَكِّرُ عهودَ تهامة ونجد، وسميته: «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل»[٤].

لكن ربَّما يعترض معترض على أنْ يكون الدخيل شاملًا للمُعَرَّب والمُوَلَّد فقط، لأنَّ الخفاجي ذكر بعد المُوَلَّد أنَّه أضاف إلى الكتاب فوائد وفرائد ولطائف أدبية. . الخ، ثُمَّ ذكر أنَّه سَمَّى كلَّ ذلك بـ «شفاء الغليل فيما في كلام

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ص٢/ ١٠١.

(٢) شفاء الغليل (المقدمة) ص٢/ ١٠١.

(٣) يحدد الخفاجي مفهوم المُولَّد بأنَّه ما عربه المتأخرون حيث صرح بذلك ص٢/ ١٠٣.

(٤) شفاء الغليل (المقدمة) ص٢/ ١٠٢.

العرب من الدخيل» ولهذا الاعتراض وجاهته؛ غير أنَّني أكاد أقطع بما ذهبت إليه؛ لأنِّي رأيت صاحب معجم المؤلفين يذكر للكتاب اسمًا آخر مطوَّلًا وهو:

«شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل والنادر الحوشي القليل»(١).

وهذا هو الأمر الثاني الذي دفعني إلى ما ذهبت إليه.

فتفريق الخفاجي إذن ـ بين المُعَرَّب ـ إذ هو عنده سماعي وسماعه مخصوص بعصور الاحتجاج(٢).

والمُوَلَّد الذي يعني عنده ما عربه المتأخرون عن عصور الاحتجاج، ثُمَّ ذكره (الدخيل) والنادر الحوشي القليل ـ في العنوان ـ دون المُعَرَّب والمُوَلَّد، كلُّ ذلك يؤكِّد أنَّ الخفاجيَّ أراد بالدخيل ـ المُعَرَّب والمُوَلَّد(٣)، والذي يراجع كتاب شفاء الغليل يتضح له صواب ما ذهبنا إليه، فالخفاجي لم يستخدم مصطلح (الدخيل) كمرادف للمعرَّب فضلًا عن أنَّه لم يستخدمه بشكل عام إلا مرات وهي:

١ ـفي مادة (برني) حيث يقول: «فعرَّبته العرب وأدخلته في كلامها»(٤)،

---

(١) انظر معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨، وقد انفرد بهذا العنوان، فكل العناوين التي رأيتها على مخطوطات الكتاب الثلاثة تحمل العنوان المعروف، لكنني على ثقة من أن هناك مخطوطًا أو أكثر من مخطوطات الكتاب مفقودٌ كما سأوضح ذلك عند وصف النسخ في قسم التحقيق.

(٢) قال الخفاجي في مقدمة (شفاء الغليل) ص٣: «اختلف في وزن الأسماء الأعجمية فذهب قوم إلى أنَّها لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصل والزائد، وذلك لا يتحقق في الأعجمية وهو سماعي»، وانظر ما قاله في مادة (بركار). ص٢/ ٢٨٦.

(٣) نقصد بالمولَّد هنا المعنى الضيق الذي حدده الخفاجي «ما عرَّبَه المتأخرون» وهو يشير إليه كثيرًا بقوله: «إنَّ هذا معرَّبٌ عرَّبه المولَّدون»، و«بازهر: معرب بادزهر وهي مُوَلَّدة» و«بادهنج: معرب بادكير مُوَلَّد» و«باغ: فارسيٌّ عرَّبه المولَّدون»، و«بودقة: مُوَلَّد مُعرَّب»، و«تركش: كجعبة مقر السهام عرَّبه المولدون».

(٤) شفاء الغليل (برني) ٢/ ٣٠٠.

فقوله أدخلته هنا يعني استعملته ولا يدل على أنَّه مرادف للمعرَّب لأنَّه نصَّ على التَّعْريب بقوله: «فعرَّبته العرب».

٢ ـ مادة (جرم) حيث قال: «دخيل معرَّب كرم»[(١)]، فذكره الأصل (كرم) بعد قوله معرَّب يدلُّ على علاقة العموم والخصوص بين (دخيل) و(معرَّب) وليس الترادف بينهما.

٣ ـ مادة (الرُّقعة): «بالضم بمعنى الشِّطرنج كذا في بعض كتب أهل الأدب وهو دخيل»[(٢)]، فالضمير (هو) إمَّا أنْ يكون عائدًا على (المعنى) وإمَّا أنْ يكون عائدًا على قوله (الشِّطرنج)، وعلى الغرض الأول فإنَّ (دخيل) هنا تعني أنَّ هذا الاستعمال بهذا المعنى لهذه اللفظة (الرُّقعة) استعمال جديد لم تعرفه العرب.

٤ ـ مادة (سطل) قال: «ويقال سَيْطل. قال الزُّبيدي: صوابه سيطال وقيل هو دخيلٌ معرَّب»[(٣)].

فقوله (قيل) له دلالتان الأولى: هو تضعيفه لهذا القول، والثانية أنَّه ليس قوله هو.

ثُمَّ أنَّ كلمة معرَّب بعد كلمة دخيل تدلُّ على أنَّ التَّعْريب محدث لهذا اللفظ الدخيل فهي علاقة عموم بخصوص ـ كما ذكرنا ـ وليس ترادفًا.

٥ ـ مادة (مصطكا): «بالقصر والمد، دخيل تكلَّمت به العرب»[(٤)]، فقوله: (تكلمت به العرب) بعد (دخيل) يدلُّ على أنَّ دخيلاً ليست مرادفة

---

(١) شفاء الغليل (جرم) ٢/ ٣٥٤.
(٢) شفاء العليل (الرقعة) ٢/ ٤٩٩.
(٣) شفاء الغليل (سطل) ٣/ ٩.
(٤) شفاء الغليل (مصطكا) ٣/ ٢٦٤.

للمُعرَّب، إذ هذا القول ـ عنده ـ (تكلمت به العرب) يعني التَّعْريب حيث قال: «واستعمال العرب كالتَّعْريب».

ولعلَّ ما يؤكِّد ما نذهب إليه مخالفتُه القدماء أحيانًا في الحُكْمِ على بعض المواد، ففي الوقت الذي يظنُّ ابن سِيده أنَّ كلمة (الجُوقة) دخيلة، نجد الخفاجي يصرح بأنَّها (معرَّبة)[1] فلو أنَّ المُعَرَّب عنده يعني الدَّخيل لتابع ابن سيده، وعلى ذلك سار صاحب تاج العروس حيث يقول: «الجُوقة: الجماعة من الناس، نقله الجوهري. قال ابن سيده: أحسبه دخيلًا، وفي شفاء الغليل: معرَّب»[2].

ويبدو أنَّ الخفاجيَّ كان يدرك أنَّ اللغويين وأصحابَ المعاجم قبله كانوا يستخدمون الدخيل مرادفًا للمُعَرَّب حيث يقول في مادة (شاذروان): «... وهو دخيلٌ كذا في المصباح... قلت هو في كلام المُوَلَّدين أيضًا»[3].

فالدخيلُ في قول صاحب المصباح مرادف للمعرَّب ولكنَّه عند الخفاجي يشمل المُعَرَّب والمُوَلَّد ولذلك قال: «هو في كلام المُوَلَّدين أيضًا».

ولم يستخدم الخفاجي (الدخيل) بالمعنى الذي ذهب إليه المحدثون (ما دخل دون تعريب أو تغيير في رأي، أو ما دخل بعد عصور الاحتجاج في رأي آخر). ولعلَّ ذلك يتَّضح بمراجعة بعض المواد التي تندرج تحت هذين القسمين مثل (ألماس)[4]، و(بركار)[5]، و(أبيب)[6]، و(أناهيذ)[7]، و(أنبجات)[8]،

---

(١) شفاء الغليل (الجوقة) ٢/ ٣٥٦.
(٢) تاج العروس (جوق) ٢٥/ ١٣٤.
(٣) شفاء الغليل (شاذروان) ٣/ ٥٩.
(٤) شفاء الغليل (ألماس) ٢/ ١٦٧.
(٥) شفاء الغليل (بركار) ٢/ ٢٩١.
(٦) شفاء الغليل (أبيب) ٢/ ٢٣٩.
(٧) شفاء الغليل (أناهيذ) ٢/ ١٨٩.
(٨) شفاء الغليل (أنبجات) ٢/ ٢٤٢.

و(أُبُـلَّـة)[١]، و(دروغ)[٢]، و(اصطرلاب)[٣]، و(اصطبل)[٤]، ففي هذه الكلمات جميعًا لم يستخدم مصطلح (دخيل) وإنَّما استخدم عبارات مثل (منقول من النبطية)، أو (فارسيٌّ محض)، أو (ليس من كلام العرب)، أو (ألفاظ عربية) أو (هي غير عربية). . . . الخ.

(٣)
الأعجمي

تطالعنا المعاجم بالمعنى اللغوي للعجميِّ أو الأعجميِّ بأنَّه غيرُ العربيِّ، يقول ابن سيده في المُحكم: «العَجَم والعُجم خلاف العرب. يعتقب هذان المثالان كثيرًا وكلام أعْجَمٌ وأعْجَمِيٌّ بَيِّنُ العُجْمَةِ»[٥].

كما يقول صاحب التهذيب: «والأعجم والأعجمي: الذي لا يُفْصح وإن كان عربيَّ النَّسب. والعجميُّ الذي نسبته إلى العجم وإن كان يُفصِح»[٦]، وهو بذلك يُفَرِّقُ بين مصطلحين هما (الأَعْجَمِيُّ) و(العَجَمِيُّ) وعلى ذلك فإنَّ (اللفظ الأعجمي) ـ عند الأزهري ـ هو غير الفصيح، أما اللفظ العجميُّ: فهو المنسوب إلى العجم وهم: ما عدا العرب، وفي العرف جيلٌ مخصوص. . . هم فارس وقيل موالي قريش. . . وقيل «الأكراد»[٧]، وقد دار ابن فارس في مقاييسه حول هذا المعنى اللغوي حيث يقول:

---

(١) شفاء الغليل (أُبُلَّة) ٢/ ١٤٦.

(٢) شفاء الغليل (دروغ) ٢/ ٤٨١.

(٣) شفاء الغليل (اصطرلاب) ٢/ ٢١٦.

(٤) شفاء الغليل (اصطبل) ٢/ ١٤٢.

(٥) المحكم (عجم) ١/ ٢٠٧، واللسان (عجم) ١٢/ ٣٨٥، والمصباح (عجم) ٢/ ٣٩٤

(٦) تهذيب اللغة (عجم) ١/ ٣٩٠، وانظر طلبة الطلبة ١٨٤، وتاج العروس (عجم) ١/ ٢٤٩، والقاموس (فصح) ١/ ٢٩٩.

(٧) هذا تعريف الشهاب الخفاجي للعَجَم ذكره في شفاء الغليل ص٢/ ١٠٤، وكما يتضح من =

(العين والجيم والميم) ثلاثة أصول: أحدهما يدلُّ على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدة، والآخر على عضٍّ ومذاقة.

فالأول: الرجل الذي لا يفصح، هو أعجم والمرأة عجماء بَيِّنَةُ العُجْمة... ويقال للصَّبيِّ ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صُبِيٌّ أعْجَمُ... وقولهم: العجمُ الذين ليسوا من العرب، فهذا من هذا القياس كأنَّهم لمَّا لم يفهموا عنهم سَمَّوْهُم عجمًا(١).

المعنى الاصطلاحي:

والملاحظ أنَّ العلماء من القدماء وأصحابَ المعاجم قد عاقبوا بين اللفظين، فاستخدموهما بمعنًى واحد فقالوا: لفظٌ عجمِيٌّ، ولفظ أَعْجميٌّ، ويبدو من أقوالهم أنَّ المعنى الاصطلاحي للفظ الأعجمي هو: اللفظ الأجنبي الذي ليس من كلام العرب، والغالب أنَّه اصطلاح لتمييز اللفظ قبل تعريبه أو إدخاله إلى لغة العرب(٢)، فابنُ دُرَيْد يعقد بابًا في الجمهرة بعنوان: باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة(٣)، وكذلك ابن سيده

= كلامه أنَّ لفظ العجم له مفهومان: أحدهما مُوَسَّع؛ وهو ما عدا العرب، والآخر ضيق؛ وهو جيل أو جنس مخصوص وهم الفرس أو الأكراد... الخ. ويذهب برجشتراسر إلى أن العجم يراد بهم الفرس؛ حيث يقول في كتابه التطور النحوي ص٢٢٦: «وبعض الكلمات الآراميَّة المُعَرَّبَة لم تدخل في اللغة مباشرة بل بِتَوَسُّط لغة أخرى، من ذلك كلمة (الزنديق) فإنَّ العرب أخذوا هذه الكلمة من (العَجَم) الذين أخذوها من الآراميين؛ وذلك لأنَّ المانوية في أوائل الإسلام لم تكن شائعة إلا عند(العجم)».

(١) انظر مقاييس اللغة (عجم) ٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) يبدو هذا المعنى واضحًا من عنوان كتاب الجواليقي (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم)، وكذلك من تعريف المصباح (فستق) ٢/ ٤٧٢ للتعريب حيث يقول: «التعريب حمل الاسم الأعجمي على نظائره من الأوزان العربية»، وانظر اللسان (عرب) ١/ ٥٨٨، والتلخيص لأبي هلال العسكري ص٢١٧.

(٣) انظر الجمهرة ٣/ ٤٩٩ ـ ٥٠٣.

في المخصَّص: المُعَرَّب من الأعجمي[١]، وفي التهذيب: «ويقال جملٌ بُخْتِيٌّ وناقة بختيه وهو أَعْجَمِيٌّ دخيل عَرَّبَتْهُ العرب[٢]، وقال أبو حيان في الارتشاف: «يوسف ويونس... ولا يثبت به أصل بناء لأنَّه أعجمي»[٣]، وفي اللسان «الأقلش اسم أعجمي وهو دخيل لأنَّه ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة»[٤]، وفي الاقتضاب: «الديوان اسمٌ أعجميٌّ عرَّبته العرب وأصله دُوَّان»[٥]، وينصُّ الجرجاني في التعريف على أنَّ «العُجْمَة هي كون الكلمة من غير أوزان العرب»[٦]، وهذا المعنى الاصطلاحي للأعجمي (اللفظ الأجنبي الذي من كلام العرب) يبدو عند الخفاجي في قوله ـ نقلًا عن الجواليقي ـ: اعلمْ أنَّ العرب تكلمت بشيء من الأعجمي.... «ولعل هذا المعنى يبدو أكثر وضوحًا عنده في قوله: طَسْتٌ مُعرَّب طِشْت بالمعجمة. وفي المُغْرِب: أنَّها مؤنَّثة أعجمية وتعريبها طَسٌّ، وخُطِّئ فيه لأنَّها معرَّبة، و(طَسٌّ مُخَفَّفٌ منها، أو لغة فيها»[٧].

وفي الوقت الذي نجد فيه أنَّ مصطلح (الأعجمي) أو (العجمي) شائع عند القدماء وأنَّهم استخدموه كمرادف للمصطلحين الآخرين (دخيل ومعرَّب)[٨]، فإننا نجد المُحْدَثين ـ أغلبهم ـ لم يستخدموا هذا المصطلح بهذا المعنى باستثناء صاحب الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية الذي يذكر مصطلح

---

(١) انظر المخصص ١٤/ ٣٩ ـ ٤٤.

(٢) تهذيب اللغة (بخت) ٧/ ١٣٧.

(٣) ارتشاف الضرب ١/ ٢٦.

(٤) اللسان (قلش) ٦/ ٣٣٧.

(٥) الاقتضاب ١/ ١٩٢.

(٦) التعريفات ١٦٩.

(٧) شفاء الغليل (طست) ٣/ ٩٥.

(٨) انظر المحكم (غ ص ر) ٥/ ٤٢١، واللسان (صليح) ٢/ ٣١٠ و(ددن) ١٣/ ١٥١، والتلخيص ٢٩١.

العُجْمَة ولكنَّ إشارة إلى مفهومه عند القدماء حيث يقول: «عُنِيتُ بجمع شمل الألفاظ الدخيلة في العربية. . . . وبان لي أيضًا أنَّ بعضهم (يعني أصحاب المعاجم وكتب اللغة من القدماء) هرب من عناء التنقيب عن أصول الألفاظ، بأنْ يُطْلِق اسم (دخيل) على كل لفظة غير عربية جريًا على عادة الأئمة الذين أطلقوا العجمة على كل لفظ ليس من أوضاع العرب»(١)، ومن الذين استخدموا مصطلح (الأعجمي) بالمعنى الذي ذكرنا الشيخُ عبد القادر المغربي حيث يقول: «إنَّ العرب لم يخالطوا الأعاجم لذلك لم يألفوا بلغتهم وألسنتهم النطق بالكلمات الأعجمية وأسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها. . .»(٢)، ويتضح هذا المفهوم الاصطلاحي أكثر عند صاحب العَلَمِ الأعجميِّ في القرآن حيث يقول:

«واللفظ الأعجمي هو اللفظ بلغة أعجمية لا تفهم معناه إلا أنْ تتعلَّم تلك اللغة. وهو أعجمي أيضًا لأنَّه يلتوي به لسانك، إنَّه في الغالب الأعم لفظ لا تستطيع النطق به على أصل وضعه عند أصحابه. . . وتنطق به مُحَرَّفًا بعد أن تُهَذِّبَه وتصلح فيه حتى يستقيم لك نطقه على وزن عربي بأصوات عربية»(٣)، ويشير بهذا التنقيح إلى عملية التَّعْريب فيقول: «الأعجميُّ المُنَقَّحُ على هذا النحو يسميه اللغويون: الأَعْجَمِيَّ المُعَرَّبَ، وفي هذه التسمية إشارة إلى أنَّ الأعجمي المُعَرَّبَ يظل عجميًّا بعد تعريبه»(٤).

ولقد قَسَّم العلماء الأعجمي أو العُجْمَة إلى جِنسيَّةٍ وشخصيَّةٍ، فأمَّا العجمة الجنسية فهي ما نقلته العرب إلى لسانها نكرة فتصرفت فيه بإدخال (أل) تارة والاشتقاق تارة، وأمَّا الشخصية فهي ما نقلته في أحواله إلى اللسان

---

(١) الدخيل في اللغة العربية ص٢.

(٢) الاشتقاق والتعريب ٦٣.

(٣) انظر العلم الأعجمي في القرآن ٨٢.

(٤) العلم الأعجمي ٨٣.

عَلَمًا، ومذهب الجمهور أنَّه لا يشترط كونه علمًا في لسان المعجم أولًا[١]، وأسماء الأجناس الأعجمية هي التي تعرب ويجري عليها أحكام اللفظ العربي أما «ما كان في تلك اللغات علمًا فأجروه على علميته كما كان لكنَّهم غيروا لفظه وقرَّبوه من ألفاظهم وربما لم يُلحقوه. . . . كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق. . . . »[٢]، ولذلك يكتفى في العلم الأعجمي أن تُجْرَى عليه أحكامٌ خاصَّةٌ به (بالأعلام) من جمعٍ وتصغيرٍ ونِسبةٍ. . . إلخ[٣].

فإذا أردنا أن نُحَرِّرَ موقف الخفاجي من أقسام الأعجميِّ وجدناه ـ تطبيقيًّا ـ في كتابه يفرق بين اسم الجنس الأعجميِّ المُعَرَّب، وبين العلم الأعجميِّ فنجده ينصُّ في بعض الأحيان على عَلَمِيَّة اللفظ الأعجميِّ كما في مادة (إسفنديار)[٤]، و(أبرهة)[٥]، و(بسطام)[٦]، و(صابي بن لامك)[٧]، و(يحيى)[٨]، وفي كثير من الأحيان يقول: «علم أعجمي معرَّب[٩]، واسم بلدة معرَّب[١٠]، أو من أسماء الشهور عجمي معرَّب»[١١]، أو اسم ملك أو

---

(١) انظر ارتشاف الضرب ٢/ ٨٧٥ والكتاب ٣/ ٢٣٤، ٢٣٥، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٠٨ والأشموني ٣/ ٢٥٦، والمساعد ٣/ ١٨.

(٢) المزهر ١/ ٢٨٦.

(٣) انظر المزهر ١/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) شفاء الغليل (اسفنديار) ٢/ ٢٣٨.

(٥) شفاء الغليل (أبرهة) ٢/ ١٤٦.

(٦) شفاء الغليل (بسطام) ٢/ ٢٦٠.

(٧) شفاء الغليل (صابي بن لامك) ٣/ ٨٠.

(٨) شفاء الغليل (يحيى) ٣/ ٣٧٤.

(٩) كما في مادة (إسرائيل) و(آزر) وغيرها من المواضع ٢/ ١٣٦، ١٣٧.

(١٠) كما في (أرَّجَان) ٢/ ١٦٢، و(قطربل) ٣/ ١٨٥، و(مَنف) ٣/ ٢٩٣، و(ميافارقين) ٣/ ٢٦٨، و(هراة) ٣/ ٣٤٧، و(كابل) ٣/ ٢٢١.

(١١) كما في مادة (آب) ٢/ ٢٠٨.

قائد معرَّب[١] أو علم معرَّب[٢] ـ وقد يقول: «اسم موضع معرَّب[٣]، أو يكتفي بقوله (معرَّب)»[٤].

فإذا تعرض الخفاجي لاسم من أسماء الأجناس الأعجمية يقول: «أعجمي معرَّب»[٥]، وقد يكتفي بقوله: «أعجمية»[٦]، ويبدو من هذه الأمثلة أنَّ الخفاجي يجيز تعريب الأعلام العجمية والتَّعْريب عنده كما سبق أن أشرنا قد يغير وقد لا يغير، غير أنَّه قصر المُعَرَّب على عصور الاحتجاج وما عُرِّب بعد عصور الاحتجاج سماه المُعَرَّب المُوَلَّد أو المُعَرَّب المحدث، فالمُعَرَّب عنده سماعي ولكنَّه يستثني منه العلم المُعَرَّب فهو ليس سماعيًّا، يقول: «وهو سماعي (أي الأعجمي)... ولعلَّ سماعيته مخصوصة بغير الأعلام إذْ كلٌّ ينادى بعَلَمِه من غير نكير»[٧]، وبذلك فإنَّه يجيز تعريب أيِّ عَلَم أعجميٍّ في أيِّ عصرٍ من العصور ويُطْلَقُ عليه ـ كما سبق ـ عَلَمًا أعجميًّا معرَّبًا.

ولكنَّنا نجد بعض العلماء يُخْرِجُ العَلَم من المُعَرَّباتِ فلا يُطْلِقُ عليه معرَّبًا، ومن هؤلاء الفيُّومِيُّ في المصباح حيث يقول: "والاسم (المُعَرَّب) الذي تلقَّتْه العرب من العجم نكرة نحو إبريسم، ثُمَّ ما أمكن حمله على نظيره من الأبنية العربية حملوه عليه، وربَّما لم يحملوه على نظيره بل تكلموا به كما تلقَّوْه، وربَّما تلَعَّبوا به فاشتقوا منه، وإن تلقوه عَلَمًا فليس (بِمُعَرَّبٍ)، وقيل فيه

---

(١) كما في مادة (قباذ) ٣/ ١٨١، و(أسبذ) ٢/ ١٧١.

(٢) كما في (شرحبيل) ٣/ ٤٨، و(عيسى وعزير) ٣/ ١١١، و(عاديا) ٣/ ١١٢.

(٣) كما في (ميسان) ٣/ ٢٦٨، و(كسيوم) ٣/ ٢١٩، و(كربلاء) ٣/ ٢٢٠، و(هكر) ٣/ ٣٤٩.

(٤) كما في مادة (هرقل) ٣/ ٣٤٧، و(مريم) ٣/ ٢٦٨، و(موسى) ٣/ ٢٦٣، و(ماروت ومأجوج) ٣/ ٢٦٨، و(يهود) ٣/ ٣٧٧.

(٥) كما في مادة (قطونا) ٣/ ١٨٦، و(ناي) ٣/ ٣١٥.

(٦) كما في مادة (بارجاه) ٢/ ٢٨٢.

(٧) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٣.

أعجمي مثل إبراهيم وإسحاق[١]. ويذهب إلى ذلك بعض المُحْدَثين ومنهم الدكتور عبد الوهاب عزام حيث يقول في مقدمة كتاب المُعَرَّب: ممَّا يؤخذ على المؤلِّف: ذِكْرُ أسماء البلاد في المُعَرَّبات حيث لا يتوهَّمُ أحدٌ أنَّها عربية مثل (أرمِينَّية، وأذربيجان) فقد شغل نفسه بذكر هذه الأسماء بغير جدوى[٢].

ولا أتفق مع هؤلاء لأنَّ العلمَ العجميَّ إذا دخل إلى لغة العرب واستُعمل وانسجم مع الكلام العربي ـ سواء غُيِّر أو لم يغيَّرْ ـ فقد أصبح معرَّبًا؛ فيجوز أن نطلق عليه مصطلح (معرَّب) أو (أعجمي معرَّب) كما فعل الخفاجي. ثُمَّ إن العلم الأعجمي إذا دخل لغة العرب فقد يُحَوَّلُ عن عَلَمِيَّتِهِ، وكذلك في أسماء الأجناس فقد يُسَمَّى بأحدها بعد دخوله لغة العرب، بل إن بعض الأعلام الأعجمية مختلف حولها هل هي عربية مأخوذة من كلام العرب أو هي أعجمية؟ ومن هذه الأعلام مثلًا (إسحق وإبليس)[٣]، لذلك أرى أنَّ ذكرها في كتب المُعَرَّبات أمر واجب لا كما يرى الدكتور عبد الوهاب عزام، ومن المفيد في نهاية هذا المبحث أن نتعرض لموقف المُحْدَثين من تعريب (العلم الأعجمي) متمثِّلًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث أصدر المجمعُ عِدَّةَ قرارات تخصُّ الأعلام الأعجمية (تعريبًا وكتابة)[٤]، حيث ركزت هذه

---

(١) المصباح المنير (عرب) ص٤٠٠.

(٢) المعرب ص٥ (المقدمة).

(٣) يقول صاحب اللسان (سحق) ١٠/ ١٥٤: «إسحق اسم أعجمي؛ قال سيبويه: ألحقوه بناء إعصار، إسحق اسم رجل فإنْ أردت به الاسم الأعجمي لم تصرفه في المعرفة لأنَّه غُيِّرَ عن جهته فوقع في كلام العرب غير معروف المذهب، وإن أردت المصدر من قولك أسحقه السفر إسحاقًا أي أبعده صرفته لأنَّه لم يغيِّرْ»، وانظر قول الخفاجي عن إبليس في مقدمة شفاء الغليل ص٢/ ١٠٣.

(٤) انظر تفصيل ذلك في مجلة مجمع اللغة العربية ج٤ سنة ١٣٥٦هـ ص (١٨ ـ ٢١)، وانظر (مجموعة القرارات العلمية) في خمسين عامًا (١٩٣٤ ـ ١٩٨٤) لمجمع اللغة العربية من ص١٩٦ ـ ص٢١٧.

القرارات على كتابة الحروف (الأصوات) غير العربية بحروف عربية تحمل رموزًا خاصة لمحاولة النطق بها، كما في لغاتها الأصلية مثل كتابة حرف (P) باء بثلاث نقاط (پ)، وحرف (V) فاء بثلاث نقاط (ڤ)، والرمز لباقي الأصوات غير العربية برموز فوق الحروف العربية القريبة منها.

وفيما يخص الكتابة ارتأى المجمع أن يكتب العلم الإفرنجي الذي يكتب في الأصل بحروف لاتينية بحسب نطقه في اللغة الإفرنجية، ومعه اللفظ الإفرنجي بحروف لاتينية بين قوسين في البحوث والكتب العلمية على حسب ما يُقره المَجْمَعُ في شأن كتابة الأصوات اللاتينية التي لا نظير لها في العربية مثل: بوردر (Bordeavx)، وأمَّا الأعلام التي ترسم بغير الحروف اللاتينية والعربية فإنَّها تكتب بحسب النطق بها في لغتها الأصلية، أي كما ينطق بها أهلها لا كما تكتب، مع مراعاة ما يأتي من القواعد، مثل: روتم (Wrotham)[(١)]، ومن يقرأ القرارات كاملة يشعر بخطورة العمل بها، فنطق الأعلام العجمية بالحروف التي ينطقها بها أهلوها سيؤثر لا محالة ـ بمرور الزمن ـ على اللسان العربي فتصير فيه لكنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب، كما أنَّ تسجيل هذه الحروف الأعجمية برموز اصطلاحية تضاف إلى الرسم العربي سيُثمِر في النهاية رسمًا غريبًا عن رسم العربية المعروف، وبذلك فإننا نجد «اللغة العربية» في رسمها والرسوم الرمزية، ووجدنا ألسنة أبنائنا لا تقيم حرفًا من العربية على ما نطق به العرب. ونجد العلَّامة أحمد شاكر يستعرض ما يحتاج إلى ردٍّ من هذه القرارات، ثُمَّ يرد عليها ردًّا علميًّا حيث يقول: «إنَّ لغة العرب قَبِلت نُطقًا ونُقِلَت سماعًا، لم يضع لها العرب الأقدمون القواعد. . . ثُمَّ استنبط علماء الإسلام القواعد العلمية في النحو

---

(١) انظر القرار الأول والثاني من قرارات كتابة الأعلام الأعجمية بحروف عربية ضمن (مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا) مجمع اللغة العربية ص١٩٦.

والصرف. . . ولكنَّهم لم يرسموا الحدود الدقيقة، والقواعد الواضحة في التَّعْريب، ونقل الكلمات العجمية إلى العربية فيما علمنا، أو لعل بعضهم فعل ولم يصل إلينا، فيما فقد من آثارهم بعوادي الزمن، وأحداث الدهر، فإذا جئنا نحن وأردنا أن نضع القواعد لهذا ـ كما وضعوا هم لغيره ـ وجب أن نترسم خطاهم، ونتبع آثارهم فيما صنعوا واستنبطوا، فاستقصينا النظائر، وتتبعنا الأمثال، حتى نُخْرِجَ القاعدة الغالبة. . . فإذا أردنا أن نضع قاعدةً لتعريبِ الأعلام على مِثَالِ العرب، وجب أنْ نستقصي كلَّ عَلَمٍ أجنبي نطقَ به العربُ، وماذا كان أصله في لغة أهله، وماذا صنع فيه العرب حين نقلوه، لنأخذ من ذلك معنًى جامعًا لصُنعهم، يكون أساسًا لما نضع من قاعدة أو قواعد، وأكثر الأعلام التي نقل العرب وأوثقها نقلًا ما جاء في القرآن الكريم من أسماء الأنبياء وغيرهم[(١)].

فلو شئنا أن نخرج منها معنى واحِدًا تشترك كلها فيه، بالاستقصاء التام والاستيعاب الكامل، وجدنا فيها معنى لا يخرج عنه اسم منها وهو (أنَّ الأعلام الأجنبية تنقل إلى العربية مُغَيَّرَةً في الحروف والأوزان، إلى حروف العرب وحدها، وإلى أوزان كلمهم أو ما يقاربها وإنَّها لا تنقل أبدًا كما ينطقها أهلها).

فهذا الاستقصاء والاستيعاب يُخْرِجُ إذن قاعدة على النقيض من القواعد التي قررها المجمع اللغوي، وهي قاعدة لا نجادل فيها، إذ هي من القواعد القطعية الثبوت لبنائها على الحصر الكامل[(٢)].

وأجد نفسي مُتَّفِقًا مع ما قاله العلَّامة أحمد شاكر، إذ لا أدري كيف يقرُّ

---

(١) للشيخ شاكر موقف من المُعرَّب في القرآن حيث يرى خلوه من الألفاظ المعربة خلا الأعلام، وسوف نعرض لرأيه في الفصل الثاني في مبحث المعرب في القرآن ـ إن شاء الله ـ.

(٢) المعرب من الكلام الأعجمي (المقدمة) ص١٩، ٢٠.

المجمعُ اللغويُّ قواعد لنقل الأعلام وكتابتها، سيكون لها وبالُها الذي ربَّما لا يمكن دفعه وعلاجه مستقبلًا، وبخاصة أمام هذا السيل الجرار من الأعلام الأجنبية التي نُرْمَى بها كل يوم بعد أن أصبح العالمُ كلُّه قريةً صغيرة.

إنَّ ما يجب علينا هو التماسك أمام هذا الطوفان اللفظيِّ الوافد، وذلك بتنقيحه (تعريبه) قبل دخوله ـ على صعوبة هذه الخطوة ـ وليس بتطويع لغتنا وألسنتنا له.

(٤)
توافُقُ اللغَاتِ

وثَمَّة مصطلح آخر ورد في شفاء الغليل، ذلك المصطلح هو (توافق اللغات)، وقد ورد هذا المصطلح قديمًا عند علماء العربية فقد تكرَّر ذكرُه مثلًا في كتاب (اللغات في القرآن) المنسوب لابن عباس، من ذلك قوله عند حديثه عن كلمة (الطُّور): «وافقت لغةُ العرب في هذا الحديث لغة السُّريانيين[١]، كما قال في كلمة (مشكاة)» يعني الكوة.

(٥)
المُوَلَّد

وهو من المصطلحات التي استخدمها الخفاجيُّ كثيرًا في كتابه «شفاء الغليل»، والمُوَلَّد في اللغة مأخوذ من مادة (و ل د) وهي تدلُّ على النَّجْلِ والنَّسْلِ[٢]، ويقال رجل مُوَلَّد: إذا كان عربيًّا غيرَ مَحْضٍ[٣].

والمُوَلَّد: المُحْدَثُ من كلِّ شيء.

---

(١) اللغات في القرآن ص١٧.

(٢) مقاييس اللغة: ٦/ ١٤٣.

(٣) اللسان (ولد): ٣/ ٤٦٩.

ثُمَّ تصرَّفوا في معناه فقالوا: بَيِّنةٌ مُوَلَّدة، أي غير مُحقَّقةٍ، وكتاب مُوَلَّد، أي مُفْتَعَل، وشاعرٌ مُوَلَّد، أي: مُحْدَث[١].

وممَّا تقدم نلاحظ أن المدلول العام للمُوَلَّد هو الحُدوثُ أو التَّجدُّد. أمَّا المعنى الاصطلاحي: فقد عُرف أوَّلَ ما عُرِفَ عند نَقَدَة الشِّعر ورواتِه.

ومن أوائل من عَرَف هذا المعنى الاصطلاحي أبو عَمْرو بنُ العلاء[٢] (ت ١٥٤هـ) الذي كان يقول[٣] في شعر الفرزدق[٤] وجرير[٥]: «لقد أحسن هذا المُوَلَّد حتى هممتُ أنْ آمُرَ صبياننا بروايته»، فجعل شعرهما مُوَلَّدًا بالقياس على شعر الجاهليين والمُخضرمين. ومنهم الأصمعيُّ[٦] الذي طعن[٧] في شعر الأُقَيْشَر[٨].

---

(١) اللسان (ولد): ٣/ ٤٧٠.

(٢) هو: أبو عمرو زَبَّان بن العلاء بن عمار التيمي المازني، من أهم علماء اللغة المتقدمين، توفي سنة (١٥٤هـ) من مصادر ترجمة: أخبار النحويين البصريين: ٤٦، وطبقات النحويين واللغويين: ٣٥، ومراتب النحويين: ٣٣.

(٣) العمدة ١/ ٩٠.

(٤) هو: همام بن غالب بن صعصعة، من أهل البصرة، من الشعراء الإسلاميين المشهورين، توفي سنة (١١٠هـ) من مصادر ترجمته: طبقات فحول الشعراء: ١/٢٩٨، والمؤتلف والمختلف: ١٦٦، ومعجم الأدباء ١٩/٢٩٧.

(٥) هو: جرير بن عطية الخطفي، أبو حرزة، شاعر إسلامي كبير، وهو من أقران الفرزدق، توفي سنة (١١٠هـ) من مصادر ترجمته: طبقات فحول الشعراء: ١/٢٩٨، والمؤتلف والمختلف: ٧١، ووفيات الأعيان: ١/٣٢١.

(٦) هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد، لغوي مشهور، توفي سنة (٢١٠هـ)، من مصادر ترجمته: أخبار النحويين البصريين: ٧٢، ومراتب النحويين: ٨٠، وإشارة التعيين: ١٩٢.

(٧) ينظر: الموشح ٢٨٢.

(٨) هو: المغيرة بن عبد الله بن الأسود الشهير بالأقيشر، توفي سنة (٨٠هـ)، من مصادر ترجمته: معجم الشعراء ٣٦٩، والمؤتلف والمختلف: ٥٦.

وحكى السيوطي عن الأصمعي قوله[١]: «أيام العجوز ليس من كلام العرب في الجاهلية وإنَّما وُلِّد في الإسلام».

وقال الزمخشري[٢]: «ومن المجاز: ولَّدوا حديثًا وكلامًا: استحدثوه، وكلام مولَّد: ليس من أصل لغتهم».

ويقول السيوطي[٣]: «هو ما أحدثه المُوَلَّدون الذين لا يُحْتَجُّ بألفاظهم»، لكنَّهم اختلفوا في هؤلاء المُوَلَّدين، فقد رأينا أنَّ أبا عمرو بن العلاء جعل الفرزدقَ وجريرًا مولَّدَيْنِ، وهما كذلك عند بعضهم؛ كالأصمعيِّ وغيره.

والذي استقر عليه العلماء فيما بعد هو أنَّ المُوَلَّد في اللغة: هو ما أحدثه المُوَلَّدون مُقيَّدًا بعصر الاحتجاج. فما أُحْدِث قبل نهايته فليس مُوَلَّدًا وما أحدث بعده فهو المُوَلَّد. وفي ذلك يقول صاحب اللسان: «سُمِّيَ المُوَلَّد من الكلام مُوَلَّدًا إذا استحدثوه ولم يكن من كلامهم فيما مضى»[٤].

وقد عَرَّفه مجمعُ اللغة العربية بقوله[٥]: «المُوَلَّد: هو اللفظ الذي استعمله الناس قديمًا بعد عصر الرّواية». أي بعد عصر الاحتجاج. وجاء في مجلة مجمع اللغة العربية المَلَكِيِّ: «المُوَلَّد: هو اللفظ الذي استعمله المُوَلَّدون على غير استعمال العرب»[٦].

ويشمل مفهوم مصطلح «المُوَلَّد» عند الخفاجي في كتابه أمرين:

الأول: ما استعمله المُوَلَّدون بعد عصور الاحتجاج في الألفاظ أو المعاني أو التراكيب.

---

(١) المزهر ١/ ٣٠٤.

(٢) أساس البلاغة ٥٠٨.

(٣) المزهر ١/ ٣٠٤.

(٤) اللسان (ولد) ٣/ ٤٦٩.

(٥) المعجم الوسيط: ١/ ١٦.

(٦) مجلة المجمع الملكي ٣/ ٧، وانظر أيضًا ١١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤.

الثاني: ما عرَّبه المتأخرون.

أمَّا النوع الأول وهو ما استعمله المُوَلَّدون بعد عصور الاحتجاج فقد أورد له أمثلة كثيرة جدًّا في كتابه.

وينقسم هذا النوع على قسمين:

الأول: المُوَلَّد في اللفظ والمعنى.

الثاني: المُوَلَّد في المعنى دون اللفظ، وهو ما استعمل لفظه القديم بمعنى جديد.

فمثال الأول قوله[١]: «الجريدة: دفتر أرزاق الجيش في الديوان، وهو اسم مولَّد».

ومثال الثاني قوله[٢]: «ذَقْن: هي في الأصل مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْن، واستعماله بمعنى اللِّحية من كلام المُوَلَّدين».

وقوله[٣]: «حاشية: صغار الإبل التي تكون كالحشو، ثُمَّ اسْتُعِيرَتْ لِرُذَّالِ الناس والخدَّام».

أمَّا النوع الثاني، وهو ما عربه المتأخرون أو المُوَلَّدون، فهو نوع من المُعَرَّب، والخفاجيُّ يسميه ـ أيضًا ـ مُوَلَّدًا. وفي ذلك يقول[٤]: «... فما عَرَّبه المتأخرون يُعَدُّ مُوَلَّدًا، وكثيرًا ما يقع في كتب الحكمة والطب».

وقد أورد له مادةً كثيرة، منها: قال في مادة (باسليق)[٥]: «عرق الذراع،

---

(١) شفاء الغليل: (الجريدة) ٢/ ٣٧٧.

(٢) شفاء الغليل: (ذقن) ٢/ ٤٨٦.

(٣) شفاء الغليل (حاشية) ٢/ ٤٠٦.

(٤) شفاء الغليل ٢/ ١٠٣.

(٥) شفاء الغليل (باسليق) ٢/ ٢٨٩.

ذكره الثعالبي[١] وهو ممَّا عربه المُوَلَّدون»، وقال في مادة (تركش)[٢]: «مقر السهام، عرَّبه المُوَلَّدون».

(٦)
العامِّيُّ والملحون والمرذول

وثَمَّة مصطلحات أخرى استخدمها الخفاجي في كتابه كـ «المُحْدَث» و«العامِيّ» و«الملحون» و«المُبْتَذَل» و«المرذول» و«الرَّديء».

أما **المُحْدَث**: فهو ما استعمله الشُّعراء المحدثون، وهم الطبقة الخامسة التي تلي المُوَلَّدين[٣].

والخفاجيُّ لا يُفرق بين المُوَلَّد والمُحْدَث من حيث المستوى الصَّوابي، فهو يستعملهما مترادفين، فمن ذلك قوله[٤]: «تجَوَّز في كذا: اكتفى منه بالقليل، وفي حديث البخاري: «تجوَّز في صلاته»[٥] أي خَفَّفَها، هذا الذي نعرفه، وأمَّا تَجَوَّزَ من المجاز فمُحدثٌ». وقوله: (نِظارة الأوقاف): «لفظ لم يَرِد في كلام العرب بهذا المعنى، لأنَّه أمرٌ مُحْدَثٌ»[٦].

أمَّا العامِّيُّ: فهو ما تكلمت به العامَّةُ، وهي ما تُقَابل الخاصَّة، وهو تحريف سوقيٌّ لألفاظٍ كانت من قبل عربيَّةً صحيحة[٧]. والخفاجي يستخدم

(١) الذي في فقه اللغة تحقيق محمد إبراهيم سليم ص٨٩: «فأما الباسليق والقيفال فمُعَرَّبان»، والثعالبي هو: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، أديب ناثر مؤلف، من مصادر ترجمته: نزهة الألبا: ٢٦٥، ومعاهد التميمي: ٣/ ٢٦٦ وشذرات الذهب: ٣/ ٢٤٦

(٢) شفاء الغليل (تركش) ٢/ ٣٥٠.

(٣) ينظر: ريحانة الألبا: ٢/ ٤٥٠.

(٤) شفاء الغليل (تجوز في كذا) ٢/ ٣٤٧.

(٥) انظر صحيح البخاري: حديث رقم ٦١٠٦ الأدب، ومسند أحمد: ٣/ ٢٥٧، وابن ماجه: حديث رقم ٩٨٤ الإقامة، وفي بعض الراويات اختلاف مع وجود شاهد الخفاجي.

(٦) شفاء الغليل (نظارة الأوقاف) ٣/ ٣٤١.

(٧) كلام العرب: ٨٠.

هذا المصطلح في الكلمات التي انحطَّ مستواها الصَّوابي عن المُوَلَّد أو المُحْدَث. ومن ذلك قوله في مادة (أوراه): «بمعنى أراه عامِّيَّة» وفي مادة (الإعادة): «. . . وكونه مَرَّات عامي» وفي مادة (تلاشى): «بمعنى الاضمحلال عامية لا أصل لها في اللغة».

ويقرن ـ كثيرًا ـ مصطلح (العامي) بمصطلحات أخرى تحطُّ من مستواه الصَّوابيِّ.

أمَّا (**الرَّديء**) فقد ذكروا[١] أنَّه أقبح اللغات وأنزلها درجة، و(المرذول) مرادفٌ له.

وأما (**المُبْتَذَل**): فهو الكلام المستعمل الملهوجُ به[٢] غيرُ المُصانِ.

وهو المُمْتَهَن، وهو مأخوذٌ من معناه اللغوي، ويقال: رجل بَذَّال ومبتذل: إذا كان كثير الإنفاق في ماله، والإعطاء منه، والمبالغة فيه، وهو ضد الصِّيانة[٣].

ومن أمثلة «العامي» عند الخفاجي في كتابه ممَّا قرنه بمصطلح «المبتذل» قوله: «ردَّ الباب» بمعنى أغلقه، عاميَّة مبتذلة[٤].

وممَّا قرنه بمصطلح «المرذول» قوله: «الخروج: قُبْحُ الصَّوتِ، والدخول: حسنه، عاميَّةٌ رذيلةٌ جدًّا»[٥]. وقد يُقْرِنُه بالمُصطلحينِ، كقوله: «طارَ بمعنى الدُّفِّ، عامية رذيلة مبتذلة»[٦].

---

(١) ينظر: المزهر: ١/ ٢٢١، البلغة في أصول اللغة: ١٦٢.
(٢) المعجم الوسيط: ١/١٦.
(٣) اللسان: ١١/ ٥٠.
(٤) شفاء الغليل (رد الباب) ٢/ ٤٩٢.
(٥) شفاء الغليل (الخروج) ٢/ ٤٤٥.
(٦) شفاء الغليل (طار) ٣/١٠٦.

أمَّا (اللَّحْنُ): فيرجع معناه اللغوي إلى معنى رئيسٍ، وهو إمالة الشيء عن أصله[(١)].

أمَّا معناه الاصطلاحي: فهو الخطأ في اللغة أو الانحراف أو الميل عن الأصل منها. قال ابن فارس في تعريفه[(٢)]: «فأمَّا اللَّحْنُ ـ بسكون الحاء ـ فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية».

والعامي والملحون مترادفان فكلاهما تحريف في اللفظ أو المعنى. وقد استعمل الخفاجيُّ مصطلح «اللَّحنِ» بهذا المعنى كثيرًا في كتابه.

ومن ذلك قوله في مادة (إحنة): «ولا تقل حِنة، وعَدُّوه لحنًا»[(٣)]، وقوله في مادة (تعال): «في الأمر بفتح اللام، قال ابن هشام: وكسرها لَحْنٌ»[(٤)]، وقوله في مادة (حَسَّاسٌ): «قال في شرح التسهيل: إن قولهم جِسْمٌ حَسَّاسٌ لحنٌ لم يُسمع...»[(٥)].

ومن المصطلحات التي استخدمها الخفاجي في كتابه كثيرًا مصطلح **(الخطأ)**، وهو مصطلح قديم استعمله اللغويون قبله، والخطأ هو «العدول عن الجهة[(٦)]، وهو ضِدُّ الصواب[(٧)]، ومن المواضع التي استخدم فيها هذا المصطلح قوله في مادة (أبزيم): «وبزيم خطأ»، وفي مادة (أشهب): «بمعنى أبيض خطأ»، وفي مادة (أزليّ): «وقال ابن الجوزي والأزهري: الأزلي خطأ

---

(١) مقاييس اللغة (لحن) ٥/ ٢٣٩.

(٢) مقاييس اللغة (لحن): ٥/ ٢٣٩.

(٣) شفاء الغليل (إحنة) ٢/ ١٩٨.

(٤) شفاء الغليل (تعال) ٢/ ٣٣٩.

(٥) شفاء الغليل (حساس) ٢/ ٤٠٠.

(٦) المفردات في غريب القرآن (خطأ) ١٥١.

(٧) اللسان (خطأ) ١/ ٦٥.

لا أصل له في كلام العرب...»، وفي مادة (بغض): «... لكنه لازم فمبغوض خطأ كمتعوب ومفسود».

هذه أهم المصطلحات اللغوية الواردة في الكتاب ولها علاقة بموضوعه.

(٧)

اللغات واللهجات

استخدم علماء اللغة العربية بعامة، وعلماء فقه اللغة بخاصة مصطلحي «اللغة» و«اللهجة» للتعبير عن مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتهي إلى بيئة خاصة.

وثَمَّة فرق بين اللغة واللهجة:

فاللهجة: «هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»(١).

أمَّا **اللغة**: فهي مجموعة ظواهر لغوية تنتمي إلى بيئة «أوسع وأشمل تضُمُّ عِدَّة لهجات، لكلٍّ منها خصائصُها»(٢).

فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص.

والملاحظ أنَّ القدماء أطلقوا على اللهجات «لغات»(٣)، وسأستخدم هذين المصطلحين على اعتبار أنَّ الظواهر اللغوية للقبائل العربية القديمة زمن الاحتجاج (لغات). والظواهر اللغوية للبيئات العربية المتأخرة بعد عصور الاحتجاج (لهجات).

---

(١) في اللهجات العربية: ١٦.

(٢) في اللهجات العربية: ١٦.

(٣) ينظر مثلًا: الإبدال لابن السكيت: ١٣٨، الفائق: ٣/ ٢٤٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ١٠/ ٤١، وغير ذلك.

أولًا: اللُّغات:

ذكر الخفاجي بعض اللغات في كتابه، ونسب بعضها، ولم ينسب بعضها الآخر.

فممَّا نسبه:

١ ـ لغة طي:

ولم يذكر منها إلا مظهرًا واحِدًا، وهو القُطْعةُ، حيث يقول: «القُطْعَةُ في طَيئ كالعنعنة في تميم، وهو أن يقول: «يا أبا الحكا يريد: الحكم، فيقطع الكلام، ذكره في التهذيب، وعلى هذا قول العامة بايزيد ونحوه»(١)، وقد فَصَّل أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر التي تخص قبيلة طيئ في كتابه بحوث ومقالات في اللغة(٢).

٢ ـ لغة ربيعة:

وذكر منها الشِّهاب مظهرًا واحِدًا، وهو الإشباع في نحو قولهم: ضربتيه في موضع ضربته، حيث يقول: «المُوَلَّدون يزيدون ياء في خطاب المؤنثة فيقولون موضع ضِرْبتِه: ضربتيه، قلت: هي لغةٌ لربيعة لكنَّها رَدِيَّة «وكذا يصلون فتحة الضمير وكافه ألفًا، فيقولون قمتا وإنَّكا»(٣).

وإن كان الخفاجيُّ قد حكم على هذه اللغة بالرداءة فإنَّ بعض المُحْدَثين يرون أنَّ هذه لُغَةُ الحَضَر مِنْ ربيعة(٤).

٣ ـ لغة حِمْيَر:

ذكر منها مظهرًا واحِدًا أيضًا، وهو أنَّهم يقلبون الألف قبل ياء المتكلم ياءً فيقولون في مولاي: مَوْلَيَّ.

---

(١) شفاء الغليل (القطعة) ٣/ ١٨٨.

(٢) انظر بحوث ومقالات ١٢٠ وما بعدها.

(٣) شفاء الغليل (أول حرف الياء) ٣/ ٣٧٢.

(٤) ينظر: اللهجات العربية في التراث: ٢/ ٧٠٨.

واستشهد بقراءة الحسن البصري[١] (يا بُشْرَيّ)[٢]، ولم أجد أحدًا يؤيِّد الخفاجيَّ في عَزْوه هذه الظاهرة اللغوية إلى حِمْيَر بالذات، فأكثر أهل اللغة يعزونها إلى هُذَيل. فقد جاء في المحتسب: «قال أبو الفتح: هذه لغة فاشية في هذيل وغيرهم...»[٣].

وعزاها بعضُهم إلى طيئ[٤] أو إلى قريش[٥]. ولا يُخَطَّأ الخفاجيُّ في نسبتها إلى حمير، وبخاصة أنَّ العلماء قد اختلفوا فيها. ولعلَّها كانت لأكثر من قبيلة فقد ذكرها سيبويه[٦]، ولم يُعزِها، واكتفى بتعليلها.

٤ ـ لغة تميم:

وذكر منها مظهرًا واحِدًا، وهو كسرهم فاء (فَعِيل)[٧]، وقد نقلها الخفاجيُّ عن الأزهريِّ في التهذيب[٨]، وذكر أنَّها لغةٌ شنعاء، والعاليةُ النَّصْبُ، أي فتح الفاء في «فَعِيل».

٥ ـ لغة اليمن:

وعزا الخفاجي خمس[٩] مواد لغوية إلى اليمن. ومنها ما نقله عن

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ٢٩٠.

(٢) سورة يوسف: ١٢/ ١٩.

(٣) المحتسب: ١/ ٧٦ وانظر: شرح أشعار الهذليين: ١/ ٧، والصحاح (هوي) ٦/ ٢٥٣٧، والتسهيل: ١٦٢، وشرح عمدة الحافظ ٥١٤، وشرح ابن عقيل: ١/ ٩٠، والفرائد الجديدة: ٢/ ٥٩٦، والمقاصد النحوية للعيني: ٢/ ٢٨٢، والمقتبس من اللهجات العربية ٤٣، واللهجات في الكتاب: ٢٦٤، ولغة هذيل: ٧٧، واللهجات العربية في القراءات القرآنية: ١٣٢.

(٤) حكاها الواحدي: ينظر: التصريح بمضمون التوضيح: ٢/ ٦١.

(٥) عزاها لهم عيسى بن عمر: ينظر: التصريح بمضمون التوضيح: ٢/ ٦١.

(٦) الكتاب: ٣/ ٤١٤.

(٧) شفاء الغليل (شهيد) ٣/ ٦٤.

(٨) تهذيب اللغة: (شهد) ٦/ ١٧٥.

(٩) وهي: (بيان) ٢/ ٢٨١، و(الزب) ٢/ ٥١٩، و(طسة الظفر) ٣/ ١٠١، و(فنجانة) ٣/ ١٤٥، و(فل) ٣/ ١٦١.

الأزهري أنَّ بَبَّان بباءين لغة يمانية[١]، وقوله نقلًا عن القالي في أماليه في (طسة الظفر) أنَّ أهل اليمن يقولون طسه إذا تناوله بأطراف أصابعه[٢].

٦ ـ لغة الشَّحْر:

وذكر منها مظهرًا واحِدًا في مادة (الحوف) يتعلق بإحدى دلالاتها حيث يقول: «الحَوْف كالهودج بلغة الشَّحْر»[٣].

وقد ذكر بعضَ اللغاتِ الأخرى أو أشار إليها دون أن ينسبها إلى قبيلة من القبائل، ومن ذلك قوله: «إبراهيم فيه لغاتٌ إبراهام، وإبراهِم، وإبرهَمَ، وإبراهُم»[٤]، وقوله: «إسماعيل ويقال: إسماعين بالنون»[٥]، وقوله: «ميدة لغة في المائدة»[٦]، وغيرها من المواضع[٧].

ثانيًا: اللهجات:

يمتاز كتاب شفاء الغليل للخفاجي باحتوائه عددًا من اللهجات المُوَلَّدة تعد من أهم المصادر التي يمكن أن تمد الباحثين بنصوص لهجية لدراسة اللهجات وتطورها في العصور المتأخرة التي تلت عصر الفصاحة إلى عصر الخفاجي.

ففيه لهجات حجازية مدنية ومكية ومصرية وشامية وبغدادية ومغربية وغيرها، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) شفاء الغليل (ببان) ٢/ ٢٨١.

(٢) شفاء الغليل (طسة الظفر) ٣/ ١٠١، وانظر الأمالي ١/ ٥٦.

(٣) شفاء الغليل (الحوف) ٢/ ٤١٠، وانظر اللسان (حوف) ٩/ ٥٩.

(٤) شفاء الغليل (إبراهيم) ٢/ ١٣٣.

(٥) شفاء الغليل (إسماعيل) ٢/ ١٣٣.

(٦) شفاء الغليل (ميدة) ٣/ ٣٠٥.

(٧) انظر شفاء الغليل في مواد (آزر) ٢/ ١٣٧، و(تخريص) ٢/ ٣٣٣، و(جبريل) ٢/ ٣٦٦.

١ ـ لهجة الحِجَاز:

ذكر في هذه اللَّهجة أربع مواد[١]، ومن أمثلة هذه اللهجة قوله: «أهل الحجاز يقولون للهِرِّ الذَّكَر «بِسّ» وللأنثى «بِسّة» ـ بكسر الموحدة ـ ويستعملونهما لزجرهما أيضًا»[٢].

ولم يزل هذا الاستعمال الذي ذكره الخفاجي قائمًا، عند بعض الحجازيين إلى اليوم وهو عندنا في لهجتنا العامية وبخاصة في محافظات الوجه البحري.

٢ ـ لهجة أهل المدينة:

ذكر منها ثلاث مواد[٣]، ومن ذلك ما قاله في (بالغا) بأنَّه: الأكارع بلغة أهل المدينة، معرب بايها[٤]. ولعلَّ ما ذكره الخفاجي بالقاف والألف المقصورة تحريف من النساخ.

٣ ـ لهجة أهل مكة:

وذكرها في مادة واحدة هي مادة، (دورق)، حيث قال: «. . . وأهل مكة يطلقونه [دورق] على جَرَّة الماء»[٥].

ولا يزال هذا الاستعمال الذي ذكره الشهاب قائمًا إلى اليوم عند بعضهم كما ذكر لي بعض الأصدقاء الذين مكثوا في مكة بعض الوقت.

٤ ـ أهل الطائف:

ومثال ذلك أنَّه ذكر نقلًا عن الصفدي في الوافي بالوفيات أنَّ أهل

---

(١) انظر شفاء الغليل: المواد التالية: (بس) ٧/ ٢٨٢، و(بطيخ) ٢/ ٣٢٢، و(سنبوك) ٣/ ٦، و(سنبك) ٣/ ٨.

(٢) شفاء الغليل (بس) ٢/ ٢٨٧.

(٣) انظر شفاء الغليل: المواد: (بالغا) ٢/ ٢٥٧، و(غم) ٣/ ١٣٢، و(قيع) ٣/ ٢٠٤.

(٤) نفسه (بالغا) ٢/ ٢٥٧.

(٥) شفاء الغليل (دورق) ٢/ ٤٥٦.

الطائف يسمون الخمار «صاحب السقط»[(١)].

٥ ـ لهجة أهل مصر:

ذكر الشِّهابُ جُملةً مِن مظاهر لهجتهم[(٢)] وليس ذلك غريبًا عليه وهو من أهل مصر.

ومن ذلك قوله في مادة (غيط): «وأهل مصر تستعمله (الغيط) بمعنى البستان، وهو صحيح أيضًا لأنَّه من هذا»[(٣)]، فهذا الاستعمال عنده موافق للعربي الفصيح. ولأنَّ الخفاجيَّ من أهل مصر، فإنَّنا نجده يَرُدُّ بعض ما نسبه اللغويون إلى أهل مصر، ومن ذلك قوله في مادة (قيطون): «فقول الجوهري: القيطون: المخدع بلغة أهل مصر فيه شيء»[(٤)].

٦ ـ لهجة أهل الشام:

وذكرها في خَمْس مواد لُغويَّة[(٥)].

ومن ذلك قوله في مادة (صالى): «بمعنى صابر مُتَرَقِّب لغة للعامة من أهل الشَّام وحَمَاة، ومثلها لا يليق ذكره، لكنَّ بعض مَنِ ادَّعى الأدبَ استعملها في شِعْرِه»[(٦)]، ونلاحظ أنَّه نسب دلالة هذه المادة على معنى الصبر

---

(١) شفاء الغليل (صاحب السقط) ٣/ ٨٦.

(٢) انظر شفاء الغليل: المواد: (استحسان) ٢/ ٢٤٦، و(بركار) ٢/ ٢٩١، و(بطيخ) ٢/ ٣٢٢، و(جملون) ٢/ ٣٩٣، و(رحل) ٢/ ٤٩٤، و(سدلي) ٣/ ٧، و(غنج) ٣/ ١٣٢، و(فاعل) ٣/ ١٥٩، و(قيطون) ٣/ ١٧٦، و(قطر) ٣/ ١٩٤، و(قصطل) ٣/ ٢٠٢، و(نيلوفر) ٣/ ٣١٢، و(نمام) ٣/ ٣٤٠.

(٣) شفاء الغليل (غيط) ٣/ ١٣٣.

(٤) شفاء الغليل (قيطون) ٣/ ١٧٦.

(٥) انظر شفاء الغليل (اصطبل) ٢/ ١٤٢، و(جلفاط) ٢/ ٣٧٠، (صالي) ٣/ ٨٣، و(طوبة) ٣/ ٩٢، و(فندق) ٣/ ١٥٥.

(٦) شفاء الغليل (صالي) ٣/ ٨٣.

والترقب إلى عوام الشام وحماة، ومن ذلك أيضًا قوله في مادة (فندق): «وهو بلغة أهل الشام معناه الخان»[١].

٧ ـ لهجة بَغداد:

وذكرها في خمسة مواضعَ[٢].

من ذلك قوله أنَّهم يُسمُّون السّماط طبقًا[٣].

٨ ـ لهجة أهل المغرب:

وذكرها في أحدَ عشرَ مَوضِعًا لُغويًّا[٤].

ومن ذلك قوله في مادة (قسطل): «. . . قال في المُعجم: هو في لغة أهل المغرب الشاهبلوط»[٥].

ومن مظاهر هذه اللهجة من حيث البنيَّة أنَّهم يقولون لبائع الحَرِير حَرَّار[٦]، وذكر نقلًا عن ابن حجر[٧] أنَّها لغةٌ مولَّدة لأهل المغرب.

وهذه وإن كانت مُوَلَّدة فإنَّ لها نظيرًا في لغة العرب، إذ جاءت صيغة فَعَّال[٨] في النسب بمعنى ذي كذا كالجَمَّال والبَغَّال والسَّيَّاب واللبَّان وغيرها.

---

(١) شفاء الغليل (فندق) ٣/ ١٥٥.

(٢) انظر شفاء الغليل (بردج) ٢/ ٢٥٢، و(بذر) ٢/ ٣٠٩، و(طبق) ٣/ ٩٧، و(القراح) ٣/ ١٩٣، و(مزملة) ٣/ ٣٠٢.

(٣) شفاء الغليل (طبق) ٣/ ٩٧.

(٤) انظر شفاء الغليل، المواد: (بقسماط) ٢/ ٢٨٨، و(بطيخ) ٢/ ٣٢٢، و(بسباس) ٢/ ٣٢٣، و(حرَّار) ٢/ ٤٠٨، و(سلاهم) ٣/ ٥، و(قسطل) ٣/ ١٩٧، و(مركاز) ٣/ ٢٧٧، و(مُرْ) ٣/ ٢٩٧، و(نبات) ٣/ ٣٢٩، و(النغلة) ٣/ ٣٣٢، (نغلة) ٣/ ٣٤٣.

(٥) شفاء الغليل (قسطل) ٣/ ١٩٧.

(٦) شفاء الغليل (حرار) ٢/ ٤٠٨.

(٧) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ١/ ٣٣٠، وينظر: المشتبه في الرجال ١٦٠.

(٨) الكتاب: ٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٣، والمقتضب: ٣/ ١٦١.

وقد اعتمد الخفاجيُّ على مصادر لغوية لبعض علماء المغرب والأندلس فنقل عنها، ومن أشهرها: تثقيف اللسان لابن مكي[1]، ولحن العوام للزبيدي.

(١) هو: أبو حفص عمرو بن خلف بن مكي الحميري الصقلي، لغوي، نحوي، محدِّث، توفي سنة (٥٠١هـ)، من مصادر ترجمته: المطرب: ٩٢، وإنباه الرواة: ٢/٣٢٩، وبغية الوعاة: ٢/٢١٨.

الفَصْلُ الثَّاني

المُعَرَّب وموقف الخفاجي منه

١ـ طرق معرفة المُعَرَّب

اتَّخذ علماء العربية مقاييس متفرقة، يحكمون من خلالها على الكلمة بأنَّها دخيلة على العربية أو أصيلة فيها.

وقد تحدث عنها العلماء المتأخرون كالجواليقيِّ[(١)]، والسِّيوطيِّ[(٢)]، والخفاجيِّ[(٣)] ـ في مقدمة كتابه هذا ـ، والمُحِبِّي[(٤)]، والنَّهالِي[(٥)]، وبعضِ المعاصرين[(٦)].

أما الخفاجي ـ وهو محور دراستنا ـ فقد نقل ما ذكره الجواليقي، وأضاف إليه من بعض مصادره الأخرى.

وأوجز مقاييسه في أمرين رئيسين: أولهما مقياسٌ صوتيٌّ، وثانيهما مقياس بنائيٌّ.

أولًا: المقياس الصوتي:

بعض الأصوات في العربية لا تأتلف في كلمة واحدة، إلا نادرًا، وإذا وجد شيء من ذلك استُدِلَّ به على العُجْمَة.

---

(١) المعرَّب: ٥٩ وما بعدها.

(٢) المزهر: ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٣) شفاء الغليل ١٠٣ ـ ١٢٨.

(٤) قصد السبيل: ٦ أ، ٧ أ.

(٥) الطراز المذهب: ٢ ب، ٣ أ.

(٦) ينظر: التهذيب في أصول التعريب: ١٢١ ودليل لغة العرب: ١٤ ـ ٥١.

وفيما يلي ما ذكره الخفاجي في كتابه واستدل به على عُجْمَةِ بعض الكلمات:

١ ـ اجتماع الجيم والقاف:

قال الشهاب: «ومِمَّا يُعرف به المعرب اجتماع الجيم والقاف فإنَّهما لم يجتمعا في كلمة واحدة من كلام العرب إلا أنْ تكون معربة، أو حكاية صوت»[(١)].

وكلام الخفاجي هنا غيرُ دقيق، فلم يوضِّح ما يعنيه باجتماعهما، هل يعني أنَّهما لا يجتمعان بغير حاجز، أو أنَّ اجتماعهما مطلق في الكلمة؟

غير أنَّ مراده يتضح من خلال أمثلته؛ وهو أنَّهما لا يجتمعان في كلمة عربية مطلقًا بحاجزٍ أو بغير حاجز.

فقد مَثَّل بالكلمات المعرَّبة التالية: (الجَرْدَقَةُ) للرغيف، و(الجَرَامِقَةُ) لقوم بالموصل، و(جَوْسَقٌ)[(٢)]، و(جِلَّق)[(٣)]، و(جُلاهِق)[(٤)]، و(مَنْجنِيق)[(٥)]، ويبدو أنَّ الخفاجي اعتمد على الجواليقي[(٦)] فيما ذكره بدون تدقيق.

فلم يطَّلِعْ على كلام ابن دريد الذي كان أكثرَ دِقَّة وتحديدًا حين قال: «ولم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية إلا بحاجز بينهما، إلا في ستة أحرف منها: جلوبق، وهو اسم، وجرندق، وهو اسم أيضًا، ورجل أجوق وهو الغليظ العنق، والجوقة الجماعة من الناس وأحسبه دخيلًا، وأتان جلنفقة سمينة، وامرأة جبنشقة نعت مكروه، وامرأة جعفليق كثيرة اللحم مسترخية... وجاءت كلمة القاف فيها قبل الجيم وهي القنجل؛ وهو العبد»[(٧)].

(١) شفاء الغليل: ٢/ ١١٤.

(٢) وهو تصغير قصر «كوشك» أي صغير. ينظر: المعرب: ١٤٤.

(٣) الذي يرمي به. ينظر: المعرب: ١٤٩.

(٤) الذي يرمي به الصبيان، وهو الطين المدور. ينظر: المعرب: ١٤٤.

(٥) آلة يرمى بها الحجارة. ينظر: اللسان: ١٠/ ٣٧ (جنق).

(٦) المعرب: ٥٩.

(٧) الجمهرة: ٢/ ١١٠.

ولمْ يُعَلِّلِ الشِّهاب لعدم اجتماع هذين الحرفين في الكلمة العربية، والعِلَّةُ عند ابن دريد[١] هي تقارب الجيم والقاف في مخرجيهما ممَّا يكون مدعاة للثقل.

٢ ـ اجتماع الصاد والجيم:

ذكر الخفاجي[٢] أنَّ الصاد والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة في كلام العرب، أما (الجَصُّ) وهو نوع من الطلاء، و(الصِّنْجَة) وهي كفة الميزان، و(الصَّوْلَجَان) وهي عصا يعطف طرفها، و(الإجاص) وهو نوع من الفاكهة ـ فمعرَّب.

والخفاجي في هذا متأثر بالجواليقي[٣] ـ أيضًا ـ ولكنَّه استثنى كلمة عربية اجتمع فيها الصاد والجيم وهي (الصَّمْجُ) وهي القناديل، وقد ذكر الجواليقي[٤] أنَّها معرَّبة.

ونقل السَّرْقُسْطِيُّ[٥] كلمة أخرى اجتمع فيها الجيم والصَّاد؛ وهي: جَصَّصَ الجرو تجصِيصًا إذا فتح عينيه ولعلَّه نقلها عن الأزهري[٦].

ونقل ابن منظور[٧] كلمة أخرى وهي: صَجَّ إذا ضرب الحديد بعضه على بعض.

---

(١) الجمهرة: ٢/ ١١٠.

(٢) شفاء الغليل: ٢/ ١١٥.

(٣) المعرب: ٥٩.

(٤) نفسه: ٢٦١.

(٥) الأفعال: ٢/ ٣١٧. والسرقسطي هو أبو عثمان سعيد بن محمد المعافري القرطبي ثم السرقسطي اللغوي، توفي بعد (٤٠٠هـ)، من مصادر ترجمته: الصلة: ١/ ٢١٣، وبغية الوعاة: ١/ ٥٨٩، وكشف الظنون: ١/ ١٣٣.

(٦) ينظر: تهذيب اللغة: ١/ ٤٤٨.

(٧) اللسان (صج): ٢/ ٣١٠.

٣ ـ نون بعدها راء:

وذكر الشهاب[١] ـ أيضًا ـ أنَّه لا تأتي في كلام العرب نون بعدها راء في كلمة واحدة «فنرجس ونَوْرَج معرَّبتان».

ويؤخذُ عليه في هذا عدمُ الدِّقة والاستقصاء.

أما عدم الدقة فإنه لم يوضح لنا صفة هذا التتابع، هل يريد أولية النون فحسب على الراء بفاصل أو بغير فاصل، أو أنَّه يريد أنْ يكون التوالي بغير فاصل، وهو ما يوحي به نصُّ كلامه.

ولكنَّه أوقعنا في الحيرة عندما مثل بمثالين، أحدهما جاءت الراء تالية فيه النون بدون فاصل، وهو (نرجس)، والثاني تلتها ولكنَّ بفاصل، وهو (نَوْرَج).

ولا يقال: إنَّه فاصل غير حصين؛ لأنَّ هذا أيضًا يحتاج إلى تنبيه فمثله «نَوْر» و«نار» وهما عربيان.

أما عدم الاستقصاء عنده، فلأنِّي وجدت في كلام العرب خمس كلمات تلت فيها الرَّاءُ النونَ، بغير حاجز، ولم يذكر أهل اللغة أنَّها معرَّبة، فقد جاء في العين «الهنرة: وَقْبَةُ الأذن»[٢].

وقال الصغاني[٣] في (وَنَر): قال ابن الأعرابي: «وَنَرْتُه: إذا عَلَيْته»[٤]. وجاء في التاج في (زنر): «زنره ـ أي الإناء والقربة ـ ملأه»[٥].

وجاء فيه ـ أيضًا ـ في (شَنَّر): «شَنَّرَ عليه تشنيرًا: عابه أو شَنَّر الرجل

---

(١) شفاء الغليل: ٢/ ١١٦.

(٢) العين (هنرة) ٤/ ٤٤.

(٣) هو: الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر القرش الصغاني، من اللغويين البارزين، توفي سنة (٦٥٠هـ)، من مصادر ترجمته: معجم الأدباء: ٣/ ٢١٧، وإشارة التعيين: ٩٨، وبغية الوعاة: ١/ ٥١٩.

(٤) التكملة (ونر): ٣/ ٢٢٧، وينظر: التاج (ونر): ٣/ ٦٠٨.

(٥) تاج العروس (زنر) ٣/ ٢٤٣.

تشنيرًا إذا سَمَّعَ به وفضحه»[١]. وفيه ـ أيضًا ـ في (سَنَر): «السَّنَرُ ـ محركة ـ شراسة الخُلُق وضيقه»[٢].

ولا يرد عليه هذا المأخذ إذا أراد أنَّ اجتماعهما في أول الكلمة. وكان ابن السَّرَّاج أكثر دقة حين قال في ائتلاف أصوات الكلمة العربية: «فإذا ابتدأت بالنون قبل الراء في أول البناء لم يأتلفا، فأما في آخر البناء، فقد ائتلفا»[٣].

ونقل عن سيبويه قوله[٤]: ليس في كلام العرب نون ساكنة بعدها راء مثل: قَنْر و لا زَنْر، وهذا يعني أنَّ هذه النون لا يشترط فيها ـ كما ذكر ابن السراج ـ أن تقع في أول الكلمة؛ لأنَّه لا يبتدأ بساكن في العربية.

وللتوفيق بين القولين أقول: إنَّه يمتنع تتابع النون والراء، إذا كانت النون سابقة في أول الكلمة، كما أنَّه يمتنع هذا التتابع في حشو الكلمة؛ إذا كانت النون ساكنة في كلمة عربية، لصعوبة نطق الراء بعد النون الساكنة بغير إدغام.

٤ ـ زاي بعد دال:

ومن المقاييس الصَّوتية لمعرفة المعرَّب ـ عند الخفاجي ـ أنَّه لا يوجد في كلام العرب زاي بعد دال «فمهندز وهنداز معربة؛ ولذا أبدلوها سينًا»[٥].

والخفاجي في هذا متابع للجواليقي[٦] ـ أيضًا ـ وغيره من علماء العربية، وكلامه ـ هنا ـ مطلق كسابقه، فلم يقيد تتابع الحرفين بأنَّه بدون فاصل، ولم يذكر أين يمتنع هذا التتابع أفي أول الكلمة أم في حشوها أم في آخرها؟ وإن كانت أمثلته تدلُّ على أنَّه يريد آخر الكلمة.

---

(١) تاج العروس (شنر) ٣/ ٣١٦.

(٢) تاج العروس (سنر) ٣/ ٢٨١.

(٣) رسالة في الاشتقاق: ٤٨.

(٤) المعرب: ٢٢٠.

(٥) شفاء الغليل: ١/ ١١٦.

(٦) المعرب: ٥٩.

وقد احتاط السِّيوطيُّ[(١)] فقَيَّد هذا التَّتابع بأنْ يكون في آخر الكلمة، أمَّا اجتماع الحرفين مع تقدم الدال في أول الكلمة فجاء في كلمة عربية إذ نقل الأزهريُّ[(٢)] عن ابن الأعرابيِّ أنَّه قال: «الدَّزر»: الدفع، يقال: «دَزَرَه ودَسَره ودَفَعه، بمعنى واحد».

٥ ـ **اجتماع الباء والسين والتاء:**

وهو من مقاييس معرفة المعرَّب عند الخفاجي حيث قال[(٣)]: «ولا يركب لفظ عربي من باء وسين وتاء؛ وبُسْت لبلدة: أعجميٌّ»، والخفاجي ـ هنا ـ متأثر بكلام الجواليقي[(٤)].

ومقياسه هذا في حاجة إلى توضيح؛ فإنْ أراد اجتماع هذه الحروف بالترتيب الذي ذكره فقد أصاب، وإن لم يشترط ذلك فإنَّ في العربية لفظ (سبت) وله معان عربية عديدة، فقد نقل ابن منظور: أنَّ «السَّبْت: الجلد المدبوغ. . . والسبت والسبات: الدهر. . وسبت يسبت سبتًا: استراح وسكن»[(٥)].

٦ ـ **اجتماع السين والزاي:**

ومن مقاييسه ـ أيضًا ـ لمعرفة المعرب اجتماع السين والزاي[(٦)] في الكلمة، فإن وُجِد ذلك في كلمة فهو دليل عُجْمَتِها.

ويبدو أنَّ الشهاب أراد بذلك مطلق الاجتماع، سواء في أول الكلمة أم في حشوها أم في آخرها، بحاجز أم بغير حاجز، بتقدم السين أم الزاي.

---

(١) المزهر: ١/ ٢٧٠.

(٢) تهذيب اللغة: ١٣/ ١٨١، والأزهري هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري اللغوي، توفي سنة (٣٧٠ هـ)، من مصادر ترجمته: معجم الأدباء: ١٧/ ١٦٤، وإنباه الرواة: ٤/ ١٧٧، وبغية الوعاة: ١/ ١٩.

(٣) شفاء الغليل: ٢/ ١١٦.

(٤) المعرب: ٦.

(٥) اللسان (السبت): ٢/ ٣٦، ٣٧.

(٦) شفاء الغليل: ٢/ ١١٦.

ولم أقف على كلمات عربية تمنع هذا الإطلاق، فكلمة (السهريز) مثلًا ـ وهو ضرب من التمر ـ معرَّبة، كما حكاه ابن منظور[١].

والعِلَّةُ في ذلك اتِّحادُ الحرفين في المخرج وصفتي الرخاوة والانفتاح[٢].

٧ ـ اجتماع السين والذال:

وهذا ـ أيضًا ـ من مقاييسه لمعرفة المعرَّب، فلا يجتمع السين والذال إلا في كلمة معرَّبة كساذَج معرَّب «ساده ـ بمهملة ـ وسذاب اسم بقلة، معرَّب سَدَاب»[٣].

وحكى ابن منظور[٤] أنَّه: «أهملت السين مع الطاء والدال والثاء إلى آخر حروفها[٥]، فلم يستعمل من جميع وجوهها شيء في مُصاص كلام العرب، فأمَّا قولهم هذا قضاء سذوم، بالذال، فإنَّه أعجمي، وكذلك البُسَّذ لهذا الجوهر، ليس بعربيٍّ، وكذلك السَّبَذة فارسي».

وعِلَّة عدم اجتماع هذين الحرفين في كلمة هي تقارُبُ مَخْرَجَيهِما، فالسين أسلية والذال لثوية، وهما مخرجان متجاوران، كما أنَّهما مُتَّحِدان في صفتي الرَّخاوة والانفتاح[٦].

٨ ـ اجتماع الطاء والجيم:

قال الخفاجي: «ولا يجتمع الطاء والجيم في كلمة، فَطَاجَن معرَّبة»[٧]،

---

(١) اللسان (سهرز): ٥/ ٣٦٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

(٣) شفاء الغليل: ٢/ ١١٦.

(٤) اللسان: ٣/ ٤٩٣.

(٥) الذي في تهذيب اللغة (١٢/ ٣٢٦) أن السين مع الطاء مهملتان مع الدال والتاء والظاء والذال والثاء.

(٦) انظر الكتاب: ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

(٧) شفاء الغليل: ٢/ ١١٧.

وقد سبقه الجوهري في هذا حين قال[١]: «الطَّيْجَنُ والطَّاجَن: الطابق يقلى عليه، وكلاهما معرَّب؛ لأنَّ الطاء والجيم لا يجتمعان في أصل كلام العرب».

ويؤخذ على الخفاجي إطلاقه، فقد وجد اجتماع الطاء والجيم وبينهما حاجز من غير حروف العلة.

ففي اللسان[٢]: «الطَّبْجُ ساكنٌ: الضرب على الشَّيء الأجوف كالرأس وغيره.... والطَّبْجُ: استحكام الحَمَاقَة».

وذكر ابن منظور غير هذه الكلمة دون أن يشير إلى أنها معرَّبة وهي (الطَّعْجُ)[٣] بمعنى النكاح، و(الطُّنُوجُ)[٤] وهي الكراريس، و(الطَّثْرَجُ)[٥] وهو النمل.

٩ ـ شين بعد لام:

ونقل الخفاجي[٦] عن «المحكم»[٧] أنَّه ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية.

وقد نقل هذا القول السيوطي[٨] وتمامه: «الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات»، وهو معزو إلى الخليل[٩].

وكلام الخفاجي في هذا المقياس غير واضح، فلم يبين صفة هذا التتابع أهو بحاجز أم بدونه.

---

(١) الصحاح (طجن): ٦/ ٢١٥٧.

(٢) اللسان (طبج) ٢/ ٣١٦.

(٣) اللسان (طعج): ٢/ ٣١٧.

(٤) اللسان: (طِنج) ٢/ ٣١٧.

(٥) اللسان: (طَثْرَج) ٢/ ٣١٧.

(٦) شفاء الغليل: ٢/ ١١٧.

(٧) انظر المحكم (قلش) ٦/ ١٦٧، وتمام قوله هو: «... محضة، إنما الشينات كلها من كلامهم قبل اللامات». وهذا القول معزو إلى الخليل. كما في اللسان (لشش) ٦/ ٣٤٤.

(٨) المزهر: ١/ ٢٧٥.

(٩) اللسان (لشش) ٦/ ٣٤٤

وقد وجدت كلمة عربية جاءت فيها الشين بعد اللام بغير حاجز، فقد نقل ابن منظور في (لشش)[1] عن الأزهري قوله: «وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام، قال ابن الأعرابي وغيره: رجل لشلاش، إذا كان خفيفًا، قال الليث: اللشلشة كثرة التردد عند الفزع واضطراب الأحشاء في موضع بعد موضع، يقال: جَبَانٌ لَشْلاشٌ».

كما وجدت الشين بعد اللام بحاجز، نحو: (اللَّمش)[2] وهو العبث، و(اللَّكَش)[3] وهو الضرب بكلتا اليدين.

١٠ ـ اجتماع الصاد والطاء:

قال الخفاجي[4]: «ولا تجتمع الصاد والطاء في كلمة عربية فالإِصْطِفْلِينَةُ وهي شيء كالجزر معرَّبة، وكذا الأُصْطُبَّةُ، وهي المَشَاقَةُ معرَّبة أَسْتُبِي... وأمَّا الصِّراط فصاده بدلٌ من السين، وليسَتا لغتين كما ظُنَّ».

ومن أمثلته نتبين أنَّه لا يشترط التوالي.

وقد سبق الخفاجي إلى هذا شَمِرٌ فيما حكاه عنه الأزهري بقوله:

قال شَمِر: الإصطفلينة كالجزرة، وليست بعربية محضة؛ لأنَّ الصاد والطاء لا تكادان تجتمعان في محض كلام العرب. قال: وإنَّما جاء في الصراط والإصطبل والأَصْطُم، وأصلها كلها السين[5].

وقد وجدت كلمةٌ عربية اجتمع فيها الصاد والطاء فيما حكى ابنُ منظور عن الأزهريِّ قوله: «سمعت أعرابيًّا من بني حنظلة يسمي المَصْطَبة المَصْطَفة،

---

(١) اللسان (لشش): ٦/ ٣٤٤.

(٢) التاج (لمش) ٤/ ٤٣٦.

(٣) التاج (لكش) ٤/ ٤٣٦.

(٤) شفاء الغليل ٢/ ١٢١.

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٧٢.

بالفاء؛ وهي سندان الحدَّاد»[١]، ولم يشر ابن منظور إلى أنَّها معرَّبة.

وحكى ابن منظور أيضًا «المَصْطَبَّة والمِصْطَبَّة ـ بالتشديد ـ مُجْتمعُ النَّاس»[٢]، ولعلَّ هذه الصاد مبدلة من السين، كما ذكر الشهاب في «الصراط»[٣].

١١ ـ اجتماع الراء مع اللام:

قال الخفاجي: «وندر اجتماع الراء مع اللام إلا في ألفاظ محصورة»[٤]، وكلام الشِّهاب في هذا ـ أيضًا ـ غير واضحٍ، فلا ندري ما صفة هذا الاجتماع، هل هو على التوالي، أو بحاجز، وهلْ هو في أول الكلمة، أو في حشوها، أو في آخرها؟ وهل هو مطلق الاجتماع، أو يشترط فيهاأنْ تكون الراء سابقة اللام أو العكس؟

والذي أُرَجِّحه أنَّ الخفاجيَّ أراد مطلق الاجتماع بشرط توالي الحرفين، وقد نقل عن أبي هلال العسكري[٥] قوله: «لا تلتقي الراء مع اللام في العربية إلا في أربع كلمات: (أرل)، وهو اسم جبل، و(ورل) وهي دابة معروفة، و(جرل)، وهو ضرب من الحجارة، و(الغرلة) وهي القلفة»[٦] في المذكر.

١٢ ـ خُلُوُّ الكلمةِ من حروف الذَّلاقة:

وهو من المقاييس التي يُعْرَف بها المعرَّب، فإذا خلت كلمة رباعية أو خماسية من أحد هذه الحروف يكون ذلك دليلًا على عجمتها.

---

(١) اللسان (صطف) ٩/ ١٩٣ ولم أقف عليه في التهذيب.

(٢) اللسان (صطب) ١/ ٥٢٣.

(٣) شفاء الغليل: ٢/ ١٢١.

(٤) شفاء الغليل: ٢/ ١٢٢.

(٥) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن يحيى العسكري، لغوي أديب توفي سنة (٤٠٠هـ) تقريبًا، من مصادر ترجمته: إنباه الرواة ٤/ ١٨٩، وإشارة التعيين: ٩٦، وبغية الوعاة: ١/ ٥٠٦.

(٦) وِفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم: ٣٩ ب، وهذا النص غير موجود في طبعة مكتبة الإيمان فهو ملحق بالنسخة الخطية. انظر: التاج (أرل) ٧/ ٢٠٥.

وحروف الذَّلاقة ستة مجموعة في قوله (مر بنفل)[(١)].

وفي ذلك قال الخفاجيُّ: «فإذا وردت كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها شيء من حروف الذَّلاقة فاعلمْ أنَّها غيُر أصيلة في العربية»[(٢)]، وإلى ذلك ذهب الخليل[(٣)] والأزهري[(٤)] والجوهري[(٥)] والجواليقي[(٦)] والسيوطي[(٧)].

وللخفاجيِّ اعتراض على ما ذكروه، ذكره في غير هذا الموضع[(٨)]، ومُلَخَّصه أنَّه يرى أنَّ مقياس خُلُوِّ الكلمة من حروف الذلاقة يُعتمَدُ عليه في الخُماسيِّ فقط، أمَّا في الرباعي فلا؛ لوجود كلمات رباعية كثيرة خالية من حروف الذلاقة، ولا أدري لماذا لم ينبه على ذلك في شفاء الغليل؛ ولعلَّه ألَّف تلك الرسالة (رسالة في الحروف الذولقية) بعد كتاب «شفاء الغليل».

ثانيًا: المقياسُ الصَّرفيُّ الخروج عن أبنية العرب:

هذا المقياس من المقاييس المُهِمَّة؛ التي اعتمد عليها علماء العربية في تمييز المعرَّب فإذا وجدوا كلمةً خارجةً عن أبنية العربية رجَّحُوا عُجْمَتها.

وقد اعتمد الخفاجيُّ على هذا المقياس في تمييز المعرَّب، ونصَّ على شيء منه في مقدمته، كما اعتمد عليه تطبيقيًّا عند التعليل بعجمة بعض المواد التي ذكرها في كتابه، ومن الظواهر التي ذكرها في هذا المقياس:

---

(١) المزهر: ١/ ٢٧٠.

(٢) شفاء الغليل: ٢/ ١٢١.

(٣) العين: ١/ ٥٢.

(٤) تهذيب اللغة: ١/ ٤٤.

(٥) الصحاح (عسجد) ٢/ ٥٠٨.

(٦) المعرب: ٦٠.

(٧) المزهر: ١/ ٢٧٠.

(٨) رسالة في الحروف الذَّولقية: ١٥٢ ب (ضمن مجموع) (وقد تحدثنا عنها في ترجمته ضمن مؤلفاته).

أولًا: الأوزان:

١ ـ وزن فُعَالان:

قال الخفاجي: «ليس في كلامهم وزن فُعَالان؛ فخُرَاسان أعجميَّة»[(١)] وقد ذكر ذلك بعض القدماء، كالسيوطي[(٢)] والمنشي[(٣)].

٢ ـ وزن فَاعِيل:

ذكر الخفاجي[(٤)] ـ أيضًا ـ أنَّه ليس في كلامهم وزن (فَاعِيل) ولذا قيل: إن (آمين) عبراني .**والخفاجي في ذلك متأثر بسيبويه**في قوله: «وليس في الكلام فَاعَيْلٌ ولا فَاعِيلٌ»[(٥)].

أمَّا (آمين) التي مثَّل بها الشِّهاب، وذكر أنَّها عِبْرانية، فقد اختلفوا في أصلها، فثعلبٌ[(٦)] يرى أنَّها عربية، والمد فيها إشباع. ويرى ثعلبٌ ـ في مجالسه[(٧)] ـ أنَّ (آمين) اسم من أسماء الله ﷻ.

وذكر الزَّبيدِي[(٨)] أنَّ القصر والمدَّ لغتان، والمدُّ لغةُ بني عامرٍ مِنْ قيس[(٩)]، ونقل ابن الخَشَّاب[(١٠)] عن ابن درستويه أنَّها كلمةٌ عبرانية معرَّبة.

---

(١) شفاء الغليل: ٢/ ١١٧.

(٢) المزهر: ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٣) رسالتان في المعرب: ١٣١، والمنشي هو: محمد جمال الدين ابن بدر الدين، المتوفى سنة (١٠٠١هـ)، من مصادر ترجمته: كشف الظنون: ١/ ٨٥٣، وهدية العارفين: ٢/ ٢٦٠، ومقدمة رسالة الأضداد لمحمد حسين آل ياسين: ٢٠.

(٤) شفاء الغليل: ٢/ ١١٧.

(٥) الكتاب ٤/ ٢٥٠.

(٦) انظر الفصيح ٣١٥، ٣١٦.

(٧) مجالس ثعلب ١٢٦.

(٨) تاج العروس (أمن) ٩/ ١٢٥.

(٩) انظر: لغات قيس ٢٨٤.

(١٠) لمعة في الكلام على لفظة آمين ص١٧١، وابن الخشاب هو عبد الله بن أحمد البغدادي، =

كما نقل ـ أيضًا ـ عن أبي هلال العسكري أنَّها فارسيَّةٌ معرَّبة، وأصلها (آذون) أي: كذا يكون[١].

غير أنَّ ابن الخشَّاب لا يرضيه كلام أبي هلال فيُعَلِّق عليه بقوله: «وأنا لا أدري ما هذه الفارسيَّة التي ذكرها أبو هلال؟»[٢]. ولو مَثَّل الخفاجيُّ بغير هذه الكلمة المختلف في أصلها ككلمة (دارين) مثلًا[٣] لكان أجدر، وأثبت لما ذهب إليه.

٣ ـ وزن فِعْلَل:

وذكر الخفاجي[٤] ـ أيضًا ـ «أنَّه ليس في كلام العرب وزن فِعْلَل ـ بكسر الفاء وفتح اللام ـ إلا (دِرْهَم) و(هِبْلَع) و(قِلْعَم) و(ضِفْدَع) في لغة ضعيفة».

ولكنَّهم ذكروا غير هذه الكلمات الأربع التي ذكرها الخفاجي، ومنها: (هِجْرَع) للأحمق و(عِثْيَر) للغبار[٥].

٤ ـ وزن إفْعِيلِل:

وذكر[٦] ـ أيضًا ـ أنَّه ليس في كلام العرب إفْعِيلِل ـ بكسر اللام ـ لكن بفتحها كإهْلِيلَج.

والخفاجي في ذلك يتابع ابن الأعرابي فيما حكاه عنه الجوهري في

= نحوي، لغوي، توفي سنة (٥٦٧هـ)، من مصادر ترجمته: معجم الأدباء ١٢/١٧، وإنباه الرواة ٢/٩٩، وإشارة التعيين ١٥٩.

(١) انظر لمعة في الكلام على لفظة آمين ١٧١.

(٢) لمعة في الكلام على لفظة آمين ١٧١.

(٣) المعرب ١٩٥.

(٤) شفاء الغليل: ٢/١١٧.

(٥) انظر الكتاب ٤/٢٨٩، والأصول ٣/١٨٣، والممتع في التصريف ١/٦٦، وسفر السعادة ١/٤٩٩.

(٦) شفاء الغليل ٢/١٢٢.

قوله: «هو الإهليلَج، بفتح اللام الأخيرة. قال: وليس في الكلام إفعيلِل ولكنَّ إفعيلَل، مثل: إهلِيلَج، وإبْرِيْسَم، وإطْرِيفَل»[١].

ثانيًا: عدم دخول الألف واللام:

وجعل الخفاجي (عدم دخول اللام على العلم) من المقاييس البنائية لمعرفة الأعلام المعرَّبة عند بعض العلماء حيث يقول: «وقال بعضهم: ممَّا يعرف به تعريب العلم، عدم دخول الألف واللام، وأخطأ من قال: المسيح مُعَرَّب؛ لدخول الألف واللام عليه»[٢].

ولكنَّنا نجد الخفاجيَّ يُضَعِّف هذا القول[٣] لقولهم في إسكندر: علم معرَّب (الإسكندر) ـ بالألف واللام ـ وهو المعروف فيه[٤].

ويضعفه أيضًا قولهم في (أندلس) وهو علم لبلاد معروفة (الأندلس) ـ بالألف واللام ـ وهو الكثير فيه. ولا أدري هل غاب عن الخفاجي ـ في نقله هذا الرأي ـ أنَّ المعرفة في العربية ـ ومنها العلم ـ تنقسم على قسمين[٥]: أحدهما: ما لا يقبل (أل) نحو زيد وعمرو ومحمد، والثاني ما يقبل (أل) ولكنَّها غير مفيدة للتعريف كحارث وعباس وضحاك.

فهل نقول فيما جاء على القسم الأول كزيد وعمرو ومحمد: إنَّها معرَّبة لعدم دخول الألف واللام عليها؟

هذه هي المقاييس التي ذكرها الخفاجي لتمييز المعرَّب من العربي.

---

(١) الصحاح (هلج) ١/٣٥١، وينظر: التاج (هلج) ٢/١١٦.

(٢) شفاء الغليل ٢/١١٧ ـ ١١٨.

(٣) شفاء الغليل ٢/١١٨.

(٤) شفاء الغليل (إسكندر) ٢/ ١٦٤.

(٥) انظر أوضح المسالك: ١/٨٣، التصريح بمضمون التوضيح: ١/ ٩٤.

ونستطيع أن نقرِّرَ أنَّ ما ذكره ـ سواء في المقياس الصوتي أم المقياس البنائي ـ غير دقيق، ومن الصعب الركون إليه؛ لأمور منها:

الأول: ما ذكرناه من ملحوظات في أكثر المقاييس التي ذكرها.

الثاني: أنَّ لغة العرب لم تنته إلينا بكاملها.

فقد روي عن أبي عمرو بن العلاء قوله[١]: «ما انتهى إليكم ممَّا قالته العرب إلَّا أقله، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير».

وقال ابن فارس: «ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أنَّ الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل... وأَحْرِ بهذا القول أنْ يكون صحيحًا»[٢]. ومن هنا فمن ذا يستطيع أن يقول ـ مطمئنًّا ـ: ليس في كلام العرب؟

الثالث: كثير من الألفاظ المعرَّبة جاءت على أبنية العرب وأوزانها، وقد درس الكرملي[٣] نحو خمسمائة وسبعة آلاف كلمة معرَّبة، وجد نحو الألفين منها خارجًا عن أبنية العرب. وهذا يعني أنَّ ضعف ذلك ـ على وجه التقريب ـ جاء موافِقًا لأبنية العرب. فهل يمكننا أن نركن إلى مقياسي الأصوات والأبنية، والحالة هذه؟

أعتقد أنَّ الأمر يحتاج إلى دراسةٍ متأنِّيَةٍ تعتمد على الإحصاء والتحليل، لعلنا نستطيع أن نحصر الكلمات المُعَرَّبة في اللغة العربية.

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٥، والخصائص: ١/ ٣٨٦

(٢) الصاحبي: ٥٨.

(٣) التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر: ٣٠٥، ٣٠٦.

٢ـ تغيير المُعَرَّب

لكي يُلحقَ المعرَّبُ بكلام العرب لا بدّ من توافر أمرين:

الأول: أن تكون أصواتُه من أصوات العرب.

الثاني: أنْ توافقَ أبنيتُه أبنيةَ العرب.

فإذا توافر ذلك اتفاقًا عفويًّا فإنَّ التغيير لا يلزم، أما إذا اختلفت بعض أصواته عن أصوات العرب أو اختلف البناء فيه عن أبنية العرب فقد يغيرونه ليلحق بأبنيتهم.

وفي تغيير المعرَّب من حيث الأصوات عقد الشِّهابُ فصلًا لذلك في مقدمته، فذكر أنَّهم يغيرون الحروف التي ليست من حروفهم لتباين العربية والأعجمية في بعض الأصوات، فيبدلون الحرف بما يناسبه في قرب مخرجه، وذلك في قوله: اعلم أنَّهم قد يغيرون الكلمة العجمية، كما سيأتي، والتغيير أكثرُ من عدمه[١] فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا[٢].

والخفاجي في هذا متأثر بكلام بعض القدماء كسيبويه[٣] وابن السراج[٤]، ويرى أنَّ هذا التغيير لازم؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه[٥].

---

(١) أي: ما جاء بتغيير حرف بما يناسبه في العربية أكثر ممَّا جاء بلا تغيير.

(٢) شفاء الغليل ٢/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) انظر الكتاب: ٤/٣٠٣ ـ ٣٠٦.

(٤) انظر الأصول: ٣/٢٢٣.

(٥) شفاء الغليل: ٢/١٠٨.

وقد ذكر الخفاجيُّ أنَّ طرق التغيير ستةٌ وهي:

١ ـ إبدال حرف بحرف آخر.

٢ ـ تغيير الحركة.

٣ ـ تسكين المتحرِّك.

٤ ـ تحريك السَّاكِن.

٥ ـ إنقاص بعض الحروف.

٦ ـ زيادة بعض الحروف.

وذلك في قوله: «فيبدلون حرفًا بآخر، ويغيرون حركته ويسكنونه، ويحركونه، وينقصون، ويزيدون»[١].

ثم حَدَّدَ الخفاجيُّ الحروف المبدلة بأنَّها عشرة حروف بقوله: «والحروف المبدلة عشرة: خمسة يطرد إبدالها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء ممَّا ليس في كلامهم وهي المخلوطة، وخمسة لا تطرد وهي السين والشين والعين واللام والزاي»[٢].

ويبدو أنَّ الخفاجي قد نقل هذا القول عن ابن بري[٣] أو عن السيوطي[٤] الذي نقله عن ابن بري.

وأما ما وافق أبنية العرب:

فقد نقل الخفاجيُّ عن سيبويه[٥] قوله في تغيير الأبنية: فربَّما ألحقوه بكلامهم، وربَّما لم يلحقوه، فأمَّا ما ألحقوه ببناء كلامهم: فدِرْهَم، ألحقوه

---

(١) شفاء الغليل ٢/١٠٨.

(٢) شفاء الغليل ٢/١٠٨.

(٣) حاشيته على المعرب: ٢٠.

(٤) المزهر: ١/٢٧٤.

(٥) الكتاب: ٤/٣٠٤.

بِهجْرَع، وبَهْرَج ألحقوه بسَلْهَبٍ، ودينار ألحقوه بديماسٍ وديباج كذلك. وقالوا: إسحاق فألحقوه بإعصار، ويعقوب فألحقوه بيربوع، وجَوْرَب فألحقوه بِفَوْعَل[١].

ويدفع الشهاب شيئًا من اللبس عما نقله عن سيبويه، بقوله:

«فإن قلت: في قوله في أول كلامه: (ربما ألحقوه، وربما لم يلحقوه) وفي أثنائه: (التغيير منه ما يطَّرد وما لا يطَّرد) وفي آخره: (للتَّغيير الذي قد لزم) نوع تنافٍ»[٢].

قال الخفاجي: «قُلْتُ: لا تنافي. فإنَّ الإلحاق والتغيير ـ فيما يقتضيه ـ لازم بحسب الأصل، غير لازم بحسب الورود والاستعمال، كما هو في كلماتهم العربية، فحيث رأيت ذلك فَرُدَّه إلى أصله ولا تَغْفَل، فإنَّ منهم مَنْ تعسَّف فيه»[٣].

(١) شفاء الغليل ٢/ ١٠٩.
(٢) شفاء الغليل ٢/ ١١١ وينظر نصُّ كلام سيبويه في: الكتاب ٤/ ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦.
(٣) شفاء الغليل (٢/ ١١١).

٣ـ المُعَرَّب في القرآن

تمهيد:

اختلف علماء العربية ـ فقهاء ولغويين، قدماء ومحدثين ـ حول وقوع المعرَّب في القرآن الكريم، وقد أثمر هذا الخلاف ثلاثة اتجاهات متباينة:

الأول: رفض أصحابه وقوع المعرَّب في القرآن الكريم.

والثاني: قال أصحابه بوقوع المعرَّب فيه.

الثالث: حاول أصحابه التوفيق بين الاتجاهين الأول والثاني.

والحق يقال: إن لكل اتجاهٍ أدلَّتُه التي اعتمد عليها.

أمَّا الخفاجيُّ فقد أشار إلى هذه القضية وذكر خلاصة ما قيل فيها، ثم اختار لنفسه مذهب القائلين بوقوع المعرَّب في القرآن، وأوضح رأيه من خلال طريقين:

الأول: الطريق النظري.

الثاني: الطريق العمليُّ أو التَّطبيقيُّ.

وسوف نتناول هذه القضية في الصفحات التالية في ضوء ذلك التمهيد الذي ذكرناه كما يلي:

أولًا: اتجاه المنكرين لوقوع المعرَّب في القرآن الكريم:

يبدو أنَّ أصحاب هذه الاتجاه خافوا من الوقوع في الحرج الديني إذا أقرُّوا

بوجود المعرَّب في القرآن؛ ذلك لمَّا رأوا الآيات القرآنية الصريحة تُقِرُّ بعروبة القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] (١)، وقوله تعالى ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

وأصحابُ هذا الاتِّجاه كثيرون كما وصفهم السيوطي فقال(٢): «فالأكثرون ومنهم الإمامُ الشَّافعيُّ، وابنُ جرير وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر وابنُ فارسٍ على عدم وقوعه فيه».

فالإمام الشافعي رحمه الله يقف على رأس هؤلاء حيث يقول: «والقرآن يدلُّ على أنَّ ليس من كتاب الله شيءٌ إلا بلسان العرب»(٣)، ونجد أبا عبيدة معمر بن المُثَنَّى يصف مَنْ يقول بوجود المعرَّب بأنَّه قد أعْظم القولَ فيقول: «نزل القرآن بلسان عربيٍّ مبين، فمن زعم أنَّ فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن «طه» بالنبطية فقد أكْبَرَ، وإن لم يُعْلَم ما هو...»(٤)، وقال: «ومن زعم أنَّ ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] بالفارسيَّة فقد أعظم...»(٥).

(١) وردت عبارة (قرآنًا عربيًّا) في القرآن ست مرات: يوسف: ٢، طه: ١١٣، الزمر: ٢٨، فصلت: ٣، الشورى: ٧، والزخرف: ٣.

(٢) المهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب (التهامي) ٥٧، والإتقان ١/ ١٣٥.

(٣) انظر الرسالة (بتحقيق أحمد شاكر) ٤١.

(٤) مجاز القرآن (فؤاد سزكين) ١/ ١٧، والصاحبي ٤٣، وانظر المعرب ٥٢، وقصد السبيل ١/ ١٠٥.

(٥) مجاز القرآن ١/ ٨١.

ونلمحُ موقف الباقلاني من قوله: «ويشهدُ لذلك من القرآن أنَّ الله تعالى وصفه بأنَّه بلسان عربيٍّ مبين، وكرر ذلك في مواضع كثيرة، وبيَّن أنَّه رفعه عن أن يجعله أعجميًّا. . .»[١]، أمَّا ابن فارس فقد عقد بابًا في كتابه الصاحبيِّ بعنوان: (باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن وأنَّه ليس في كتاب الله جلَّ ثناؤه شيءٌ بغير لغة العرب)[٢]، وإذا حاولنا تحديد المنطلقات التي انطلق منها هؤلاء الرافضون لوقوع المعرَّب في القرآن؛ فإنَّنا نجدها منطلقاتٍ أربعةً.

الأول: هو القرآن الكريم نفسُه؛ بما فيه من آيات كثيرة تُصَرِّحُ بعروبة القرآن: فوقف أصحاب هذا الاتجاه أمام هذه الآيات، وقد سبق أن ذكرنا بعض هذه الآيات.

والمنطلق الثاني: هو اعتقاد بعضهم أنَّ وجود الكلمات غير العربية فيه قد يجعل البعض يتوهَّمُ أنَّ العرب إنَّما عجزت عن الإتيان بمثله لأنَّه أتى بلغة لا يعرفونها. وقد صرح ابنُ فارس بذلك حيث يقول: «فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيدة: فقد أعظمَ وأكبر؟ قيل له: تأويله أنَّه أتى بأمر عظيم وكبير. وذلك أنَّ القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيءٌ لتوهَّم مُتوَهِّمٌ أنَّ العرب إنَّما عجزت عن الإتيان بمثله لأنَّه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه»[٣].

والمنطلق الثالث: هو أنَّ هذه الألفاظ التي يُظَنُّ أنَّها أعجميَّةٌ إنَّما هي من لغة العرب، ولكنَّ أحدًا لم يُحِط بهذه اللغة إلا النبي ﷺ. يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «ولا نعلمُه يحيطُ بجميع عِلْمِه ـ أي لسان العرب ـ إنسانٌ غيرُ نبيٍّ»[٤].

---

(١) إعجاز القرآن (على هامش الإتقان في علوم القرآن) ١/ ٤٤.

(٢) انظر الصاحبي ٤١ ـ ٤٧.

(٣) انظر الصاحبي ٤٦، ونقل بعضه السيوطي في المهذب ٥٨ والإتقان ١/ ١٣٥، وفي قصد السبيل ١/ ١٠٦.

(٤) انظر الرسالة (أحمد شاكر) ص٤٢، ونقله المحبي في قصد السبيل ١/ ١٠٦، وفي المهذب ٥٩، وفي الإتقان ١/ ١٣٦: «قال الشافعي في الرسالة: لا يحيط باللغة إلا نبي».

ومن ذلك أيضًا قول السِّيوطيِّ: «وقال آخرون: كلُّ هذه الألفاظ عربية صِرْفة، ولكنَّ لغة العرب مُتَّسِعَةٌ جدًّا، ولا يبعد أن يخفى على الأكابر الجلائل، وقد خفي على ابن عباس معنى (فاطر)»[١].

أما المنطلق الرابع: فهو أنَّ هذه الألفاظ التي في القرآن وادَّعى البعض أنَّها أعجمية إنَّما هي من توافق اللغات، ولعلَّ من انطلق من هذه الوجهة قد دفعه إليها تلك الألفاظ التي لا تتفق مع كلام العرب في بنيتها أو أصواتها، ولم يَرِدْ بها سماعٌ عن العرب فوجد نفسه مضطرًّا إلى اعتبارها من توافق اللغات، يقول أبو عبيدة: «وقد يوافق اللفظُ اللفظَ ويفارقُه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسيَّة أو غيرها»[٢]، وقال السِّيوطيُّ: «قال ابنُ جرير: ما ورد عن ابن عباس وغيره من تفسير ألفاظٍ من القرآن أنَّها بالفارسيَّة والحبشيَّة والنَّبطيَّةِ أو نحو ذلك إنَّما اتفق فيها توارد اللغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظٍ واحد»[٣]، ويُفَصِّلُ الطَّبريُّ القول في هذه القضية في مقدمة تفسيره ـ جامع البيان ـ في ثلاث صفحات[٤] مؤَكِّدًا موقفه ـ بعدم وقوع المعرَّب في القرآن ـ حيث يردُّ على الأسئلة التي قد توجَّه إليه حول ما أورده من أخبار في تفسيره حول هذا الموضوع إلى أن يقول: «إذا ما جاء شخص وعَدَّدَ لنا ما ذكرناه من كلمات، وقال بأنَّ تلك الكلمات التي قلنا إنَّها عربية هي متفقة مع أخرى في الفارسيَّة في اللفظ والمعنى، أو أنَّه يوجد ما يشبهها في الفارسيَّة، أو قال بأنَّها فارسية وليست عربية، أو أنَّها عربية وليست فارسية، أو قال بأنَّ جانِبًا منها عربي والآخر فارسي، أو أنَّها ذات أصل عربي وأخذها الفرس واستخدموها أو العكس من ذلك. . . لو قال

---

(١) المهذب ٥٩.

(٢) مجاز القرآن ١/١٧، والصاحبي ٤٣.

(٣) المهذب ٦٠.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١/٨ ـ ١١.

ذلك لعُدَّ من الجاهلين، . . . إذ إن استعمال ذلك بلفظ واحد ومعنى واحد موجود في الناحيتين، ومن يدَّعي بأنَّ هذا أو ذاك هو المصدر، عليه أن يُورِدَ ما يثبت به العلمُ ويُزيلُ الشَّكَّ ويقطع بالصِّحة».

ولعل موقف الطبري هذا كان مرجعه إلى تحرُّجه من القول بوقوع المعرَّب في القرآن وبخاصة أننا نجد كلامه يصطدم بما هو معروف عن خصائص اللغات التي أقَرَّها الدرس اللغوي الحديث وبخاصة الاقتراض اللغوي الناشئ عن احتكاك اللغات.

ويؤكِّد ما نقوله هنا موقفُ الطَّبريِّ نفسه في موضعٍ آخر من تفسيره حيث يقول بعد أن استعرض الآراء التي وردت حول كلمة (اليَسع) في الآية (٨٦) من سورة الأنعام: «إن وجود أداة التعريف (أل) في كلمة (اليسع) يُتَّخذ للتدليل على وجهة النظر القائلة بوجوبأنْ تكون اسمًا أجنبيًّا، وذلك على أساس أنَّها لا يمكن أن ترد على رأس الأسماء التي على وزن «يَفْعَل» في اللغة العربية فيما عدا بعض الضرورات الشعرية»[١].

وقد عرض القرطبي لهذه القضية في إيجازٍ في مقدمة تفسيره وبدأ بقوله: «لا خلافٌ بين الأئمة أنَّه ليس في القرآن كلام مُرَكَّبٌ على أساليب غير العرب، وأنَّ فيه أسماءً أعلامًا لمن لسانُه غير لسان العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط»[٢]، ثم قال «واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب؟ . . . .»[٣]، وفي نهاية كلامه يُعلِنُ رأيَه وهو أنَّه ليس فيه شيء من غير لغة العرب ويؤكِّد رأيه بقوله: «فإن قيل ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه قلنا: ومن سلَّم أنكم حصرتم

---

(١) انظر جامع البيان ٧/ ٢٦٢.

(٢) تفسير القرطبي ١/ ٦٨.

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٦٨.

أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها؟، . . . وأمَّا إنْ لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربيًّا مبينًا ولا يكون الرسول مخاطِبًا لقومه بلسانهم، والله أعلم»(١).

المنكرون لوقوع المعرَّب في القرآن من العلماء المعاصرين:

أنكر بعض المعاصرين وقوع المعرَّب في القرآن وبخاصة من غير الأعلام؛ ومن هؤلاء:

١ ـ العلَّامة الشيخ أحمد محمد شاكر:

حيث يقول في مقدمة تحقيقه لكتاب المعرَّب للجواليقي: «والقائلون بأنَّ (ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب) كالشافعي الإمام، وأبي عبيدة والقاضي أبي بكر الباقلاني وأكثر أهل العلم من المتقدمين لم يكن ليخفى عليهم أن الكلمة إذا أخذها العرب من غيرهم وصاغوها على أوزان حروفهم، ودارت في أشداقهم، ومرنت عليها ألسنتهم أنَّها صارت من لغتهم بالنقل والاقتباس، ولكنَّهم ذهبوا إلى معنى أعلى، وفقه في اللغة والقرآن أسمى؛ ذهبوا إلى أن هذا الكتاب المعجز المبين، كما جاء هدى للناس. . . جاء حافظًا لُغَتَهم، موحِّدًا لما اختلف من لهجاتهم. . . لا يُعْقَل أنْ تكون كلمة من كلماته ـ حاشا الأعلام ـ دخيلة على لغة العرب. . . .»(٢)، ويتابع الشيخ شاكر كلامه حتى يبرر سبب موقفه بقوله: «فلعل الألفاظ القرآنية التي يُظَنُّ أنَّ أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعلها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده. . . .»(٣).

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٦٩.

(٢) المعرب (١١ ـ ١٢)، وانظر ص١٥ هامش ١٠، وص١٧ هامش ٨، وص١٤٨ هامش ٦.

(٣) المعرب ص١١.

والشيخ شاكر في قوله هذا لم يأت بجديد لأنَّ هذا القول سبقه إليه القدماء ممَّن رفضوا وقوعَ الألفاظ المعرَّبة في القرآن[١].

ولكنني مع إكباري للشيخ شاكر وتقديري لمكانته وإخلاصه في خدمة العربية والدين أراه متعصِّبًا فيما ذهب إليه؛ إذ يشتد في النكير على القائلين بوقوع المعرَّب في القرآن زاعمًا بأنَّ قولهم: «ينبو عنه التحقيق، وإنَّما ذهب إليه من ذهب، إعظامًا لما روي عن بعض الأقدمين في ألفاظ قرآنية أنَّها معرَّبة، وعجزًا عن تحقيق صحَّة الرِّواية عنهم، وعن تحقيق صحة هذه الحروف في كلام العرب، ثم تقليدًا لأولئك القائلين، وجمعًا بين القولين كما زعموا!!»[٢].

ولا أدري لماذا لم يُحَقِّق الشيخ شاكر صِحَّة ما روي عن القدماء أمثال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم وهو العلَّامة المحدِّث؟! بدلًا من هذه الجرأة على هؤلاء بنسبتهم إلى الجهل؟!

ورحم الله أبا عبيد القاسم بن سلَّام الذي تحرَّج مِمَّا تجرأ عليه الشيخ شاكر حيث يروي عنه ابنُ فارس قوله: «وإنَّما فسرنا هذا لئلا يُقدم أحد على الفقهاء ـ [يقصد الذين قالوا بوقوع المعرَّب في القرآن] ـ فينسبهم إلى الجهل، ويتوهَّم عليهم أنَّهم أقدموا على كتاب الله جل ثناؤه بغير ما أراد جلَّ وعزَّ، وهم كانوا أعلم بالتأويل وأشدَّ تعظيمًا للقرآن»[٣]، ويُعَقِّبُ عليه ابنُ فارس بأنَّ المخالفة في الرأي لا تستلزم النِّسبةَ إلى الجهل. وهذا قول صحيح. ولعلَّ موقف الشيخ شاكر هو الذي دفع أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الرَّد عليه بقوله: «وراح الشيخ شاكر يتعقب الجواليقي في كتابه: (المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) ويحاول أن يعثر على اشتقاقٍ عربيٍّ

---

(١) راجع ما ذكرناه في ص١٥٤ (المنطلق الثاني).

(٢) المعرب ص١١.

(٣) الصاحبي ٤٦.

للكلمات التي ذكرها الجواليقي من هذا الكتاب مُعْتَسِفًا الطريقَ في محاولاته تلك تارةً، وغافلًا عن سُنَن اللُّغات في الاقتراض عن غيرها تارةً أخرى»(١).

٢ ـ الدكتور أحمد علم الدين الجندي:

درس الدكتور الجندي موضوع المعرَّب في القرآن في كتابه: «في القرآن والعربية»، وانتهى إلى نتيجتين هما:

الأولى: أن اللغة العربية هي «الأصل الأول لجميع اللغات والمنبع الوحيد لها، وأنَّ ما سلف من اللغات كان قنواتٍ وروافدَ منها؛ ولذلك اختار الله العربية وِعاءً للقرآن»(٢).

والثانية: «أنَّ لغة القرآن عربيَّةٌ خالصةٌ صدورًا من منطق التاريخ اللغوي والتاريخ العام»(٣).

وفي النهاية نقد الدكتور الجندي كُتبَ المعرَّب في القرآن على أساس أن عزوَ الألفاظ في كتب المعرَّب صدر عن غير ثقةٍ في الموضوع وعن أُناسٍ لا خبرة لهم باللغات التي نقلوا عنها، ولهذا كان مُعَرَّبُ القرآن عندهم مبنيًّا على الظن(٤).

والرَّد على الدكتور الجليل سهلٌ ميسورٌ إذ إنَّنا نفتقد الدليل المادي على أن اللغة العربية هي الأصلُ الأول لجميع اللغات، ولو أننا افترضنا صحة هذا القول فلماذا لم تتفق العربية الفصحى مع غيرها من اللغات إلا في هذه الألفاظ المعرَّبة فقط؟ ويزداد الأمر صعوبة إذا وضعنا في الحسبان أن أغلب الألفاظ المعرَّبة من ألفاظ الحضارة أي أنَّها لمُسمَّياتٍ لم يعرفها العرب قديمًا

---

(١) فصول في فقه العربية ٣٦١.

(٢) في القرآن والعربية ٢١٧.

(٣) في القرآن والعربية ٢١٦.

(٤) في القرآن والعربية ٢١٩.

لأنَّ "المفردات التي تقتبسها لغة عن غيرها من اللغات، يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل هذه اللغات أو برزوا فيها، . . . فمعظم ما انتقل إلى العربية، من المفردات الفارسيَّة واليونانية، يتصل بنواحٍ ماديَّة أو فِكريَّة، امتاز بها الفرس واليونان، وأخذها عنهم العرب[(١)].

وثمة أمر آخر وهو ماذا نصنع بالروايات الواردة عن السلف ـ وهم أقربُ إلى اللغة الفصيحة تاريخيًّا وواقعيًّا ـ في تأييد المعرَّب؟

٣ ـ الدكتورة نشأة ظبيان الكيلاني:

طلعت علينا الدكتورة نشأة ظبيان بكتابها: «المُعرَّب المزعوم في القرآن المجيد» فإذا بها أكثرُ تعصُّبًا ممَّن سبقها في نفي المُعرَّب عن القرآن الكريم، حيث إنَّها تقرر نفي المُعرَّب بشكل عام فضلًا عن نفيه عن القرآن الكريم. وقد بدأت كتابها بمقدمة طويلة حاولت فيها إثبات أنَّ العربيَّة هي أصل اللغات السامية وتعتبر الأخيرة لهجات للعربية[(٢)]، بل إنَّها ترفض فكرة اللغات السَّاميَّة من بابها حيث تقول[(٣)]: «أما بدعة السَّاميَّة فلا يصدِّقُها عقلٌ، وسام اسم لابن نوح، وليس بعنصر، ولا هو باسم لغة، ولا هو بحضارة، لذلك لا يستطيع الذي يزعم بوجود لغة اسمها الساميَّة أن يأتي بكلمة واحدةٍ لهذه اللغة، أو أن يأتي بحرف من أبجدية تخص هذا الاسم، وإنَّما هي من تَوَهُّم الكُتَّاب الذين ظهروا بعد قيام مؤتمر (بال). . .»[(٤)].

---

(١) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٥٥، وقد ضرب مثلًا بما اقترضته العربية من الفارسيَّة واليونانية انظرها هامش رقم ١ في الصفحة ذاتها.

(٢) انظر المعرب المزعوم ص٢٠.

(٣) إن ما تذهب إليه يعارض كثيرًا من الأبحاث التي أجراها العلماء، حول هذا الموضوع وأثبتوا هذه البدعة ـ على حَدِّ زَعْمها ـ والخلاف بينهم في تفاصيل تخص هذه الشعوب والعلاقة بينها وأصالة لغاتهم. . . إلخ انظر مثلًا كتاب فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٦ ـ ١٩.

(٤) المعرب المزعوم ص١٩.

ونجدها تخلط بين اللغات السامية فتقول[(١)]: «فالسُّريانيَّة مثلًا هي نفسها الآراميَّة الغربية؛ ألفاظها كالآراميَّة الشرقية، والاثنتان منحدرتان من العربية العاربة لغة سام وابنه ونسبتها إلى إرم، وليست الأكَّاديَّة إلا الآراميَّة، تغيَّر لقبُها بحسب موضع سكانها، ومثل ذلك الآشورية، والبابلية منسوبة للحضارة البابلية، والسومرية نسبة إلى سومر، والنبطية نسبة إلى النَّبَط، وجميعًا لَسْنَ إلا لغاتٍ للسانٍ واحدٍ هو اللسان العربي العارب المنسوب إلى إرم...»[(٢)].

فلمَّا أدرَكَتْ أنَّها وجدت حلًّا مناسبًا ـ من وجهة نظرها ـ لمشكلة الاقتراض من اللغات السامية لكنَّها لم تجد مخرجًا لباقي اللغات كالفارسيَّة مثلًا قالت: «قد أخطأ كثيرون حين عدُّوا الألفاظ التي اقترضتها العربية بالمئين وخاصة من الفارسيَّة، وقد قرأنا سابقًا أنَّ الآراميَّة وهي العربية العاربة قد كانت مهيمنةً على المعاملات الرسمية في دولة الفرس... مثال ذلك ما كتبه السيد (أدّي شَيرَ) في كتابه (الألفاظ الفارسيَّة المعرَّبة)، ويتهم العربية بأنَّها استعارت من الفارسيَّة ألفاظًا كثيرة...»[(٣)].

ولعل الدكتورة تُلَمِّحُ في قولها ـ فيما يخص اللغة الفارسيَّة ـ إلى ما عُرِف عند بعض العلماء المحدثين بسياحة الألفاظ[(٤)] أو إعادة الاقتراض[(٥)]، وقد تعرَّض فندريس لهذه الظاهرة في كتابه «اللغة»[(٦)].

وهي ترى أنَّ آدمَ عليه السلام كان يتكلم العربية، وتقول: «... العربية هي

---

(١) المعرب المزعوم ص١٦.

(٢) المعرب المزعوم ص١٦، وانظر ما كتبه أستاذنا الدكتور/رمضان في (فصول في فقه العربية) بعنوان اللغة العربية واللغات السامية ٢٣ ـ ٤٩.

(٣) المعرب المزعوم ص١٨ ـ ١٩.

(٤) التطور اللغوي ١٤٨.

(٥) دراسات لغوية للدكتور عبد الصبور شاهين ٢٨٢.

(٦) انظر اللغة لفندريس ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

اللسان الذي تعلَّم به آدمُ الأسماء كلها. . . واقترضت منه اللغات الأخرى ما احتاجت إليه من ألفاظ»[١]، وإذا كان الأمر كما تقول فإنَّ اللغات الأخرى لم تقترض من العربية لأنَّه لم يوجد لغاتٌ أخرى غير العربية ولكنَّ جميع اللغات تطوَّرت بجملتها عن العربية!! وتصل الدكتورة إلى ما تريد بعد هذه المقدمة الطويلة فتقول: «والحق يقال: إنَّ ألفاظ القرآن المعظَّم ليس منها شيء من الدَّخيل، وما ذلك إلا لأنَّ القرآن الكريم كُتِبَ أول ما كُتِبَ على اللوح المحفوظ، وسَجَّل القلمُ كلام الذَّات العليَّة باللسان العربي المبين، لذلك كان اللسان العربي أزليَّ الوجود مع أزليَّةِ الكتاب المعظَّم، فلا يمكن لعاقل الادعاء باقتراض اللسان من اللهجات ولا من اللغات التي كانت متأخرة عنه»[٢].

ثم تستعرض الدكتورة الكلمات المعرَّبة في القرآن وتنفي عنها العجمة، وتبحث لها عن أصل عربي، والعجيب أنَّها لا تفرِّق في ذلك بين الأعلام وغيرها، فـ (إبراهيم وطالوت، وهاروت وماروت، وإسحاق ويعقوب) كُلها عربية عندها. ولنأخذ مثالًا على ذلك؛ تقول: عن هاروت وماروت[٣]: «فالأصل فيهما الاسم (هاريء وماريء) زيدت عليهما الواو والتاء لكثرة حُبِّ الأول للتجاوز على الواقع، وشدة مماراة الآخر فيما عرف عنهما من الاحتجاج ـ والله أعلم ـ وكلها تمنع من الصرف للعدل فيها وليست للعجمة فيها من شيء»[٤]، وتستمر على هذا المنوال في تناولها للألفاظ، وتصف القائلين بالمعرَّب في القرآن بأنَّهم مُغْرِضون، ولكنَّ آراء الدكتورة الفاضلة ـ مع إيماني بإخلاصها ـ تحتاج إلى مناقشة طويلة يضيق عنها المقام هنا وذلك لما فيها من المبالغة والتَّكلُّف أحيانًا دون الاستناد على دليل علميٍّ يؤيدها.

---

(١) المعرب المزعوم ص٢٠.

(٢) المعرب المزعوم ص٢٧.

(٣) انظر قصتهما في الحبائك في أخبار الملائك ٦٣ وما بعدها.

(٤) المعرب المزعوم ص٤٤.

ومن المعاصرين الذين تناولوا هذه القضية الدكتور حسن ضياء الدين عتر حيث يكتب مقالًا في مجلة كلية الشريعة[١] بعنوان «نقاء القرآن الكريم من الكلام الأعجميِّ»، وهو عنوان يُوهِمنا بأنَّ الرجل ينفي وقوع المعرَّب في القرآن غير أنَّه بنى فكرة مقاله على التفريق بين مصطلحين متداخلين هما (الأعجمي والمعرَّب) فيرفض أنْ يكون الأعجمي قد وقع في القرآن ـ وهو لا يزال على عُجْمَته ـ وإنَّما ما وقع في القرآن هو من الاشتراك في بعض الألفاظ بين العربية وغيرها من اللغات وهذا الاشتراك يرجع إلى «الاشتقاق من أصل لغوي واحدٍ قديم، أو الاتفاق اللغوي بين اللغات في وضع اللفظ أو تعريب بعض الكلام الأعجمي»[٢].

ولا أدري كيف يجعل الدكتور الفاضل التعريب من أسباب الاشتراك اللفظي بين اللغات؟! وفي رأيي أن الدكتور العتر قد حاول نفيَ أمرٍ عن القرآن لم يقل به أحدٌ من القدماء أو المحدثين حيث يقول «ننفي أن يقصدوا ـ يقصد الأئمة من أمثال ابن عباس وعكرمة وغيرهما ـ بكلامهم ورود أعجميٍّ محتفظٍ بطابعِ عُجْمَته في القرآن. ونُنَزِّهَهُم عن مثل هذه الجهالة الجهلاء. . . . وبعد الذي أسلفنا من بيان فإننا نؤكد عدم تنافي مقاصد الفريقين ونحكم بأنَّ الخلاف بينهما إنَّما هو خلاف لفظي بحت»[٣].

وأعتقد أن الأولى بالدكتور عتر أن يوفق بين الرأيين على شكل ما فعله السَّلفُ لا أن يوهمنا أنَّه لا فرق بين العربي والمعرَّب وإنَّما هو خلاف في اللفظ ـ على حد تعبيره ـ!!

---

(١) انظر مجلة كلية الشريعة ١٩٨/٢٤ وما بعدها، كما أنه ذكر ملخَّصًا لمقالته هذه عند تحقيقه لكتاب (فنون الأفنان) لابن الجوزي، وانظر فنون الأفنان ص٣٤٢.

(٢) نقاء القرآن الكريم من الكلام الأعجمي ١٩٩.

(٣) نقاء القرآن الكريم من الكلام الأعجمي (مقال في مجلة كلية الشريعة العدد ١٩٩/٢٤).

ثانيًا: اتجاه المؤيدين لوقوع المعرَّب في القرآن الكريم.

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه ـ فيما ذهبوا إليه ـ على أمرين أساسيين وهما:

الأول: نظريٌّ أو (روائيٌّ) ويتمثَّل فيما رُوي عن أكابر السَّلف ـ ﷺ ـ كابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وعكرمة، وعطاء وغيرهم ممَّن لقَّبَهم أبو عبيد القاسم بأهل العلم أنَّهم: «قالوا في أحرفٍ كثيرة: إنَّها بلغاتِ العجم، منها: طه، واليَمُّ، والطُّور، والرَّبانيون، فيقال: إنَّها بالسُّريانيَّة... فهذا قول أهل العلم من الفقهاء»[(١)].

والثاني: هو الواقع الذي بين أيديهم أقصد تلك الألفاظ التي وقعت في القرآن ولا يجد اللغويون لها أصولًا في كلام العرب، كما أنَّ بعضهم ممَّن كانت له دراية باللغات الأخرى كالفارسيَّة أو السُّريانيَّة أو الحبشيَّة[(٢)] قد وجد هذه المفردات ـ أو على الأقل أُصولَها ـ في تلك اللغات، وقد ثبت لديهم احتكاكُ العرب بالأمم المجاورة فَعَلَقَتْ بألفاظهم بعض من ألفاظ تلك الأمم، ومن ذلك ما رواه القرطبيُّ عن ابن عطية قال: «قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنَّها في الأصل أعجميَّةٌ لكن استعملتها العرب وعَرَّبَتْها فهي عربيَّةٌ بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعضُ مخالطة لسائرِ الألسنةِ بتجاراتٍ، وبرحْلَتَي قريش... فعلقت العرب بهذا كلِّه ألفاظًا أعجميَّة غيَّرَت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العُجْمَة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الصحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن. فإنْ جهلها عربيٌّ

---

(١) انظر الصاحبي ٤٤، ٤٥ والمعرب للجواليقي ٥، والمزهر ١/٢٦٨، والزينة في الكلمات العربية الإسلامية ١٣٧.

(٢) تحدث أستاذنا الدكتور رمضان عن معرفة بعض علمائنا القدامى باللغات السامية أمثال الخليل بن أحمد وأبي القاسم بن سلام والسُّهيلي وأبي حيَّان الأندلسي. انظر في فقه العربية ٤٢ ـ ٤٥.

ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرفْ ابنُ عبَّاسٍ معنى (فاطر) إلى غير ذلك»[(١)].

ومن أصحاب هذا الاتجاه الإمامُ السِّيوطيُّ الذي يجعل النوع الثامن والثلاثين في كتابه الإتقان في علوم القرآن بعنوان: «ما وقع في القرآن بغير لغة العرب[(٢)] بل نجده يؤلِّفُ فيه كتابين مستقلين أولهما المُهَذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، حيث فَصَّل الكلام في قضية المعرَّب في القرآن في مقدمته[(٣)]، وذكر اختلاف القدماء، ثم اختار وقوع المعرَّب في القرآن حيث يقول: «وأقوى ما رأيته ـ وهو اختياري ـ ما أخرجه ابن جرير... عن سعيد بن جبير، قال: (قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميًّا وعربيًّا؟ فأنزل الله: ﴿لَقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، فأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكلِّ لسانٍ، فيه: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ فارسية[(٤)]. وهذه المقولة «حِجَارَة مِنْ سِجِّيلٍ» وردتْ في القرآن في ثلاث مواضع هي: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤]، بل إنَّ السِّيوطيَّ يذكر أدلة أخرى وفوائد لوقوع المعرب في القرآن نجملها في الآتي:

١ ـ الكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرج القرآن عن كونه عربيًّا، وذلك ردًّا على من احتجَّ بقوله تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[(٥)].

---

(١) تفسير القرطبي ١/ ٦٨ ـ ٦٩، والمهذب ٥٩ وراجع الدراسة التي أعدَّها صاحب كتاب التعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسيَّة مع ترجمة كتاب المعربات الرشيدية عن علاقة العرب بالأمم المجاورة وخاصة الفرس ص١٧ وما بعدها، وانظر ص٩٧، وانظر فقه اللغة لوافي ص١٠١ وما بعدها، وانظر المحرر ١/ ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر الإتقان ١/ ١٣٦.

(٣) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ٥٧ ـ ٦٥.

(٤) المهذب ٦٠.

(٥) المهذب ٥٩.

٢ ـ إذا اتُّفِقَ على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس[1].

٣ ـ حكمة وقوع المعرَّب في القرآن أنَّه حوى علوم الأولين والآخرين ونَبَّأ كلَّ شيءٍ، فلا بدَّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيءٍ[2].

٤ ـ أن الرسول ﷺ مرسل إلى كُلِّ أمَّةٍ وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾، فلا بدّ وأنْ يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كلِّ قوم وإن كان أصله بلغة قومه هو[3].

٥ ـ ثم يذكر فائدة عظيمة عن الإمام الجُوينيِّ خلاصتها أنَّ فصحاء العالم لو اجتمعوا ليضعوا لفظة مكان لفظة من المعرَّب في القرآن لتقوم مقامها في الفصاحة لعجزوا عن ذلك، وضرب مثالًا بلفظة إستبرق[4]، ثم سرد السيوطي الألفاظ المعرَّبة في القرآن الكريم ورتبها على حروف المعجم وبلغ عددها في المهذب (١٢٣) لفظة.

والكتاب الثاني الذي أَلَّفَه السِّيوطيُّ مستقلًّا بهذا العلم هو (المتوكِّلي).

وقد أحصى الدكتور منير جمعة في رسالته لنيل درجة الدكتوراه عددًا من علماء معاني القرآن يؤيدون وقوع المعرَّب فيه ومنهم الأخفش، والفرَّاء، والزجَّاج، وأبو منصور الأزهري، والنَّحاس وغيرهم[5].

ثالثًا: اتجاه المُوَفِّقين بين أصحاب الاتجاه الأول والاتجاه الثاني:

وحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يلتمسوا الصَّواب لكلا الاتجاهين

---

(١) المهذب ٦٠.

(٢) المهذب ٦١ ـ ٦٢.

(٣) المهذب ٦٢.

(٤) المهذب ٦٣، ٦٤.

(٥) انظر (تراث معاني القرآن في العربية، دراسة صوتية دلالية) رسالة دكتوراه، ٢٠٠٥م آداب المنوفية، منير جمعة أحمد، ص(٥٦٠ ـ ٥٧٩).

السابقين حيث قالوا: إنَّ الألفاظ أعجميَّةٌ بحسب الأصل، ولكنَّ العرب عرَّبتها قبل نزول القرآن وتصرفوا فيها بالحذف والزيادة والتخفيف، «وقد طال الأمد على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية، وألف الناس استعمالها وصارت جزءًا من لغتهم، وربَّما نسوا أصلها في كثير من الأحيان، وجاء القرآن الكريم، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية التي أصبح هذا المُعَرَّب من مقوماتها، فجاء فيه شيء من تلك الألفاظ التي عرَّبها القوم من لغات الأمم المجاورة»(١).

وأوَّل مَنْ ذهب هذا المذهب أبو عبيد القاسم بن سلَّام(٢) الذي حاول التوفيق بين ما ذهب إليه شيخه أبو عبيدة معمر بن المثنى (١١٠ ـ ٢٠٨هـ)، وما ذهب إليه السلف الصالح، حيث يروي الجواليقي عن أبي عبيد أنَّه قال: «(سمعت أبا عبيدة يقول: من زعم أنَّ في القرآن لسانًا سوى العربية فقد أعظم على الله القول... قال أبو عبيد: وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم، في أحرفٍ كثيرة: أنَّه من غير لسان العرب.... فهؤلاء أعلمُ بالتأويل من أبي عبيدة. ولكنَّهم ذهبوا إلى مذهب، وذهب هذا إلى غيره. وكلاهما مصيب إن شاء الله). وذلك: أنَّ هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، فقال أولئك على الأصل، ثم لفظت به العرب بألسنتها، فعرَّبته، فصار عربيًّا بتعريبها إيَّاه، فهي عربيَّة في هذه الحال، أعجميَّةُ الأصل»(٣)، ويُعلِّق الجواليقيُّ بقوله: «فهذا القولُ يُصَدِّق الفريقين جميعًا»(٤)، ويبدو أنَّ ما قاله أبو عبيد لاقى قبولًا عند كثير ممَّن جاؤوا بعده أمثال الجواليقي

(١) فصول في فقه العربية ٣٥٩، ٣٦٠

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الأزدي ولاءً، فقيه محدِّث لغوي من مصنفاته الغريب المصنف ت (٢٢٤هـ) وهو تلميذ أبي عبيدة معمر بن المثنى انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٤ وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥.

(٣) المُعرَّب (شاكر) ٥.

(٤) المُعرَّب (شاكر) ٥.

وتلميذه ابن الجوزي[١]، وتناقلت كثير من المصادر[٢] كلام أبي عبيد وأخذ أصحابها بكلامه خروجًا من هذا الخلاف، ومن الذين مالوا إلى هذا الاتجاه أيضًا الغزالي[٣] والشَّوكانيُّ[٤] وابنُ عطيَّة[٥] والشَّاطِبيُّ[٦].

المثبتون للمعرَّب في القرآن من المحدثين:

على الرغم ممَّا سبق الإشارة إليه من أنَّ بعض المحدثين ينكرون وقوع المعرَّب في القرآن إلا أنَّ الكثرةَ من العلماء والباحثين المُحدَثين يُثبتون المعرَّب في القرآن الكريم.

وباستقراء طائفةٍ مِنْ هؤلاء فإنَّنا يمكن أن نقسمهم إلى طائفتين:

الأولى: هم المعتدلون في إثبات المعرَّب، وقد اعتمدوا في آرائهم على ما ذكره أبو عبيد والجواليقي ومن تبعهم. ومن هؤلاء: الشيخ حسنين محمد

---

(١) انظر فنون الأفنان (ت د حسن عتر) ٣٤١ ـ ٣٥٢.

(٢) انظر مثلًا المهذب ٥٩، والإتقان ٢/١٠٦ (ت أبي الفضل)، والمزهر ١/٢٦٨، والصاحبي ٦١، وتهذيب اللغة ١٤/٢٦٩، وقصد السبيل (١/١٠٦)، واللسان (تتر) ٥/١٦٣، ومقدمتان في علوم القرآن ٢٧٨، وتفسير القرطبي ١/٦٨ ـ ٦٩

(٣) انظر المستصفى في علم الأصول ١٠٦، والغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي، فقيه أصولي، له مؤلفات عديد أشهرها: إحياء علوم الدين، والمستصفى، وتهافت الفلاسفة وغيرها. توفي (٥٠٥هـ). انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٢١٦، وطبقات الشافعية ٤/١٠١.

(٤) انظر إرشاد الفحول ٢٨، والشوكاني هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد، مفسِّر محدث، أصولي، توفي (١٢٥٠هـ). انظر ترجمته في: هدية العارفين ٢/٣٦٥، والبدر الطالع ٢/٢١٤.

(٥) انظر مقدمتان في علوم القرآن ٢٧٨، والمحرر الوجيز ١/٣٦، ٣٧، وتفسير الطبري ١/٦٩، وابن عطية هو أبو محمد عبد الحق بن غالب المحاربي، لغوي مفسر، ومن مصادر ترجمته بغية الوعاة ٢/٧٣.

(٦) انظر الموافقات للشاطبي ٢/٦٥.

مخلوف في كتابه صفوة البيان لمعاني القرآن، حيث جزم ببعض الكلمات المعرَّبة فيه[١].

ومنهم الدكتور أحمد عيسى صاحب كتاب (التهذيب في أصول التعريب) حيث يقول: «وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسيَّة والسُّريانيَّة والحبشيَّة والعبرانية والهندية الشيء الكثير ممَّا لا يجحده جَاحدٌ ولا يخالِفُ فيه مُخالِفٌ، وكذلك في القرآن الشريف، إذ سقطت إلى العرب تلك الكلمات فأعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب، فمن قال إنَّها عربيَّة فهو صادقٌ، ومن قال عجميَّة فهو صادق، فهي عجميَّة باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال»[٢].

ومنهم أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ـ رحمه الله ـ حيث أفاض في هذه القضية فاستعرض الآراء حولها واختار لنفسه مذهب التوفيق بين الرأيين مؤكِّدًا أن المعرَّب دليلُ قوَّةٍ في اللغة العربية وليس ضعفًا، كما أنَّه سُنَّةٌ مِن سُنن اللغات، وردَّ على الشيخ شاكر في موقفه من إنكار المعرَّب[٣].

ومن هؤلاء الدكتورُ إبراهيمُ خليفة حيث يقول: «فمن نفى وجود الأعجميِّ في القرآن إنَّما يقصد الذي لا تعرفه العرب ولا تستعمله. ومن قال بوجوده فهو يقصد الذي عرفه العرب واستعملوه حتى لأنَّ وانقاد للسانهم. وهكذا يكون الخلاف بين الفريقين لفظيًّا، لأنَّه توارد على محلين لا محلٍّ واحدٍ»[٤].

ونجد باحثًا آخر هو رؤوف سعدة صاحب (العلم الأعجمي في القرآن)

---

(١) انظر صفوة البيان لمعاني القرآن ٣٦٤، ٧٧٠.

(٢) التهذيب في أصول التعريب ١٢٠، ١٢١.

(٣) انظر فصول في فقه العربية ٣٥٩ ـ ٣٦٢.

(٤) انظر الإحسان في مباحث من علوم القرآن ص١٨٧.

يبرر وقوع العلم الأعجمي في القرآن تبريرًا منطقيًّا حيث يقول: «لا تجوز ترجمة الاسم العلم إلى معناه في اللغة المنقول إليها وإنَّما الجائز فقط هو تعريبه، أي تهذيبه على مقتضى مخارج أصوات اللغة وأوزانها؛ يجوز لك تعريب (جيورجيوس) اليونانية إلى جرجس، ولا يجوز ترجمتها إلى (الحارث) أو (الفلاح). . . . لا يجوز أيضًا الإبدال منه [أي من العلم] بمرادف من نفس اللغة في ذات معناه كأن تنادي صاحبك زيدًا بقولك: يا فضل. . . وإن تطابق المعنى. وهذا يفسر لك أخيرًا ضرورة احتواء القرآن هذا الشَّطر من اللفظ الأعجمي، أي العلم الأعجمي. . . »[١].

ويستخدم رؤوف سعدة مصطلحين للفظ الأعجمي يثبت بهما موقفه من قضية المعرَّب في القرآن؛ هذان المصطلحان هما: الأعجميُّ المعرَّب، والأعجمي الأعجم؛ فالأعجمي المعرَّب بمجرد سيرورته على اللسان وإيناسه في الأذن تنفك بالتعريب عجمته، وتستبين دلالته فيصير عربيًّا»، أمَّا (الأعجمي الأعجم) الذي يقع في سمع العربي غريبًا بجرسه مستغلقًا بمعناه، لا يفهمه إلا أن يُتَرجم له فمحالٌ وقوعه في القرآن[٢].

الطائفة الثانية: هم المتعسِّفون في تكثير المعرَّب في اللغة العربية بشكل عام وفي القرآن بشكل خاص؛ إذ يحاولون الإيحاء لمن يقرأ كتبهم أنَّ القرآن مشحونٌ بالمعرَّب[٣]، ومعظم هؤلاء من المستشرقين، ومنهم آرثر جفري في كتابه[٤] The foreign vocabulary of the Quran (الكلمات الأعجمية في القرآن).

---

(١) انظر العلم الأعجمي ٨٩، ٩٠.

(٢) انظر العلم الأعجمي ٧٧.

(٣) انظر تفصيل هذه القضية في كتاب الدكتور أحمد علم الدين الجندي: في القرآن والعربية ص٢٢٢ وما بعدها. وكذا في كتاب كلام العرب ص٦٦ وما بعدها للدكتور حسن ظاظا.

(٤) الكتاب مطبوع باللغة الإنجليزية عام ١٩٣٨ في (بارودا).

فمن مغالاة جفري في نسبة كثير من كلمات القرآن إلى اللغات السامية أنَّه يحكم بأنَّ معظم الاصطلاحات الدينية من مثل (الصلاة، والإيمان، والإسلام، والزكاة، والطهارة، والقيامة، والفرقان، والدين. . . . إلخ) قد أخذت من اللغات السامية، ودخلت العربية لا لشيء إلا لوجود تعبيرات مشابهة لها في تلك اللغات ـ عبرية أو آرامية أو حبشية(١) ـ.

وإذا أردنا أن نناقش هذا الحكم مناقشة موضوعيَّة يتبين لنا أنَّه توسُّعٌ غيرُ مقبول، وحكم لا يقوم على دليل لغويٍّ قويٍّ. فالشعوب الساميَّة قد دانت بديانات سماوية ومعلوم أنَّ أصل هذه الديانات واحد، وعائلتها اللغوية واحدة؛ فمن الطبيعي أن يوجد تشابه بين المصطلحات الدينية في تلك اللغات في معناها أو لفظها.

وقد يقول قائل: إن جفري وغيره ممَّن أصدروا مثل هذه الأحكام قد اعتمدوا على خُلُوِّ الشِّعر والنَّثرِ العربيِّ قبل الإسلام من هذه الكلمات، فإنَّ الرَّد على ذلك هو أنَّ الأجناس الأدبية (الشعر والنثر) قبل الإسلام لم يصل إلينا منها إلا القليل، وقد ضاع أكثره كما هو معلوم ثابت عند علماء العربية(٢). وأمر آخر هو أنَّ الأدب العربي ـ كما يقول النُّقاد ـ كانت وظيفته الأساسية تصوير حياة العرب قبل الإسلام فالشعر ديوان العرب، ومعلوم أنَّ أغلب العرب كانوا يدينون بعبادة الأصنام ولا يدينون بدين سماوي، فما قيمة هذه الاصطلاحات في شعرهم؟ بل إنَّ «معظم آثار الأدب الجاهلي تكاد تخلو من الأمور التي تشير إلى العقائد والعبادات الوثنية، مع أنَّه قد كان لهذه الشؤون سلطان كبير على نفوس العرب قبل الإسلام، كما يحدثنا بذلك القرآن وتدل عليه حقائق التاريخ، فلا شك إذن أنَّ الرواة قد تعمدوا حذف كثير من النصوص المتضمنة

---

(١) انظر مثلًا جفري ٦٢، ٧٠، ١٥٣، ١٩٧.

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥، والخصائص ١/ ٣٨٦.

لهذه الأمور أو تغييرها[١]. فالحق إذن في مثل هذه الاصطلاحات الدينية أو في معظمها أنَّها كانت موجودة وجرِّدت من معانيها القديمة واكتسبت معانيَ جديدة خاصَّة تتصل بالعبادات والشعائر بعد نزول الإسلام[٢].

ومن هؤلاء المغالين المتعسفين في تكثير المعرَّب[٣]:

ـ برجشتراسر في كتابه (التطور النحوي)[٤].

ـ ورفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية)[٥].

ـ وفرنكل في كتابه (الكلمات الآراميَّة المعرَّبة في العربية الفصحى)[٦]، Die aramaishen fremdworter im Arals cheniوقد احتوى هذا الكتاب على طائفة كبيرة من الألفاظ التي أخذتها العربية من الآراميَّة.

ـ وأغناطيوس أفرام برصوم في (الألفاظ السُّريانيَّة في المعاجم العربية)[٧]، وأغناطيوس يعقوب الثالث في كتابه: (البراهين الحسيَّة على تقارض السريانيَّة والعربيَّة)، وقد طبع على نفقة المؤلف عام ١٩٦٩ في دمشق. وأجد نفسي مُضطرًّا إلى الإشارة إلى شدَّة تعسُّفِه وضعف حُجَّتِه حول بعض الألفاظ المعرَّبة التي نسبها إلى السُّريانيَّة لا لشيء إلا لأنَّها كتبت بغير واو المد أو ألف المد يقول[٨]: «إنَّ من أتقن السُّريانيَّة أدرك سبب استعمال القرآن الكريم للألفاظ

---

(١) فقه اللغة لوافي ٩٠.

(٢) انظر فقه اللغة لوافي ٩٤.

(٣) انظر (في القرآن والعربية) ١٧٥، ١٧٦.

(٤) محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية وجمعها واعتنى بها وعلق عليها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ـ رحمه الله ـ ونشره بمكتبة الخانجي عام ١٩٩٥م.

(٥) الكتاب مطبوع بدار المشرق بيروت ١٩٨٦م.

(٦) الكتاب مطبوع بالألمانية بمدينة لايدن عام ١٨٨٦م.

(٧) نشر هذا الكتاب في مقالات متتابعة بالمجمع العلمي بدمشق ١٩٤٨ ـ ١٩٥١م.

(٨) البراهين الحسية ص١٦.

(حيوة، وصلوة، وزكوة) بالواو لا بالألف، وللألفاظ سِرَط، والله، وثلٰثة، وثلثمئة، وبسم، والرحمن) بدون ألف؛ وذلك كما في السُّريانيَّة.

Hayouta, slout, Zakouta, serta, Allah, Tlatha, Tlathma, Bchem, Rahmana. بالطاء

وقد نسي أغناطيوس يعقوب أنَّ القرآن يؤخذ مشافهةً، وأنَّا لم نسمع عمَّن قرأ هذه الكلمات بغير المد!.

وقد أرجع بعض العلماء هذا الشكل ـ الذي كتبت به هذه الكلمات ـ إلى كَتَبَة القرآن وأنَّ هذه كانت مرحلة في مراحل الخط العربي، أو لعلَّ بعض كتبة الوحي كانوا يعرفون السُّريانيَّة فكتبوا هذه الكلمات على هذه الصورة لاستحضارهم صورتها في الخط السرياني.

وممن غالى في تكثير الكلمات المعرَّبة في العربية عمومًا:

ـ المطران أدِّي شَيَر في كتابه: الألفاظ الفارسيَّة المعرَّبة(١).

ـ وأنطوان شال في مقالته: «Der arabische wortschatz» الثروة اللغوية العربية(٢).

غير أننا لا نعدم بعض المستشرقين الذين نظروا إلى القضية من منظور أقرب إلى الحياد، وعلى رأس هؤلاء (جزنيوس) Gesenius المستشرق الألماني في كتابه (معجم اللغة العبريَّة والآراميَّة في الكتاب المقدس(٣).

Hebraisches und Aramaishes Hand worterbuch

---

(١) الكتاب نشر في المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٨، ثم طبع الطبعة الثانية في دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨م.

(٢) ترجم هذه المقالة الدكتور سعيد بحيري ونشرها ضمن كتاب (الأساس في فقه اللغة العربية) الذي حرره المستشرق الألماني فيشر من ص٢٧ إلى ٧٢. وطبع الكتاب بمؤسسة المختار للنشر والتوزيع ٢٠٠٢م.

(٣) طبع هذا المعجم في مدينة لايبزك بالألمانية عام ١٩٢١ م.

حيث ذكر الألفاظ المشتركة في الساميات جنبًا إلى جنب دون أن يقطع بأنَّ إحداهما قد أُخِذَت عن الأخرى إلا قليلًا، وفي تلك الحالة يميل بوجه عام إلى القول بأنَّ العبريَّة والسُّريانيَّة والآراميَّة هي التي أخذت عن العربية(١)، ويعلق د. أحمد علم الدين الجندي بقوله: «وهو على حق إذ العربية أرقى صورة كما أنَّها تُعدُّ أعلى قمة بَلَغَتْها اللغاتُ الساميَّةُ، وأنها احتفظت في عزلتها الصحراوية بعدد من الأصوات والصيغ القديمة التي هجرتها بعض اللغات السامية الأخرى، ففيها أعرق خصائص السامية الأم»(٢).

وأشير هنا إلى أنَّني أضرب بالرجل مثلًا في الإنصاف والإخلاص للبحث العلمي والبعد عن العصبيَّة وهذا لا يعني أنِّي أتفق تمامًا، مع الدكتور الجندي فإنَّ كلامه لا يُسَلَّمُ به تمامًا، فالعربية لم تكن في عزلة تامَّة كما أنَّ كلَّ لغة سامية احتفظت ببعض خصائص من اللغة الساميَّة الأم وليس هذا مقصورًا على العربية، وإن تفوَّقت العربية في هذه الميزة على أخواتها السَّاميات.

وأجد باحثًا آخر هو الدكتور منير جمعة في رسالته للدكتوراه(٣) يُقَرِّر موقفنا تجاه الرجل وإنصافِه.

موقف الخفاجي من المعرَّب في القرآن الكريم:

سبق أن أشرنا في بداية هذا المبحث إلى موقف الخفاجي من هذه القضية وها نحن أولاء نُفَصِّل القول فيها.

يقول الخفاجي في مقدمة كتابه(٤): «واعلم أنَّ أبا عبيدة قال: ليس في القرآن لسان سوى العربية، ومن زعم خلافه فقد أعظم على الله حُجَّته، قال

---

(١) انظر كلام العرب للدكتور حسن ظاظا ٦٧.

(٢) في القرآن والعربية ١٧٦.

(٣) تراث معاني القرآن في العربية ٥٥٩.

(٤) مقدمة شفاء الغليل ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦.

تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣]. ورُوي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في أحرف كثيرة أنَّها غير عربية: كسِّجيل، ومِشْكاةٍ، وأبارِيقَ، وإسْتَبْرَقٍ، ويَمٍّ، وطُور. وهم أعلم بالتأويل من أبي عبيدة»(١).

فهذا الذي قاله الخفاجي هو كلام أبي عبيد الذي رواه عنه الجواليقيُّ في المعرب باختلافات طفيفة(٢).

ثم يُكْمِلُ الخفاجيُّ قائلًا: «وجمع أبو منصور بين القولين بأنَّ الألفاظ أعجميَّةٌ بحسب الأصل عربيَّةٌ حالًا؛ فمنهم من نظر إلى الأصل، ومنهم من نظر إلى الحال»(٣).

والحق أنَّ أول من جمع بين القولين هو أبو عبيد القاسم نفسُه كما سبق أن بَيَّنا في موضع سابق من هذا المبحث(٤)، ثم تابعه أبو منصور ومن بعده ابن الجوزي تلميذ أبي منصور وغيره من العلماء، ثم يُنهي الخفاجيُّ كلامه بقوله:

«وذهب أبو عبيدة إلى أنَّه ليس فيه أعجميٌّ وما وقع فيه من اتفاق اللغتين». ويبدو من كلام الخفاجي ملحوظتان هامتان:

الأولى: أنَّه يتبنى فكرة وقوع المعرَّب في القرآن لأنَّه لم يُصرِّحْ بأنَّ عبارة (وهم أعلم بالتأويل من أبي عبيدة) لأبي عبيد ولا أنَّها لأبي منصور الجواليقي وهو بذلك ينسب هذا القول لنفسه وهذا دليل على إيمانه بذلك.

لكن يبقى سؤال وهو: لماذا ختم كلامه بتكرار موقف أبي عبيدة؟! فلعلَّ

---

(١) ذكر الجواليقي في المعرب ص٤ هذه الرواية عن أبي عبيد القاسم وهو تلميذ أبي عبيدة، لذلك قال: سمعت أبا عبيدة يقول: وفيه (القول) بدلًا من (حجته) واحتج بقوله تعالى... الآية.

(٢) راجع المعرب ص٥.

(٣) شفاء الغليل ٢/١٠٦.

(٤) راجع ما قلناه في ص١/١٦٥.

ذلك يرجع إلى طبيعة التأليف في ذلك العهد وهي الاعتماد على الإملاء؛ لأنَّه يستحيل أنْ يكون ذلك دليلًا على إنكاره لوقوع المعرَّب؛ لأنَّه هو نفسُه حكم على بعض الألفاظ القرآنية بأنَّها معرَّبةٌ كما سنبين بعد قليل.

الثانية: أنَّ الخفاجيَّ لم يكن له وجهة واضحة نحو أصحاب المذهب التوفيقي حيث أشار إلى أنَّ أبا منصور الجواليقي جمع بين القولين ولم يعقب على ذلك بشيءٍ.

وعلى أيَّةِ حال تبدو علاقة القربى واضحة بين أصحاب الاتجاه الثاني ـ المؤيدين لوقوع المعرَّب في القرآن ـ وبين أصحاب الاتجاه الثالث (التوفيقي)، فكلاهما مُقِرٌّ بوجود المعرَّب في القرآن.

رأينا كيف أنَّ الخفاجي يؤيِّدُ ـ نظريًّا ـ وقوع المعرَّب في القرآن ويبقى أن نشير إلى أنَّه أيد ذلك تطبيقيًّا حيث حكم على كثير من المفردات القرآنية بأنَّها معرَّبة ومن ذلك:

يقول في (ص٢/ ١٢٣) (المقدمة): أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا صالحًا، وشعيبًا ومحمّدًا (ﷺ)، ومن أسماء الأنبياء التي ذكرها: (إبراهيم) و(إسماعيل). وممَّا ذكر أنَّه معرَّبٌ أيضًا: (إنجيل)، و(تنُّور) فارسي معرَّب، و(جهنَّم)، وهي أعجمية، و(جبريل) معرَّب، و(سجيل) معرَّب (سنك وكل)، و(سندس) معرَّب، و(سلسبيل) معرَّب، و(سينين) معرَّب، و(صلوات)، وهي بالعبرانية صولثا، و(طالوت) معرَّب، و(قسطاس) رومي معرَّب، و(قرطاس) قيل هو معرَّب، و(كُوِّرت) حكى الأزهري عن ابن جبير أن معناه غُوِّرت كذا في الجوهري على أنَّه معرَّب كوربود. . . . و(موسى) معرَّب موشى أي ماء وشجر، و(مجوس) معناه صغير الأذن في الأصل معرَّب منج كوش، و(مريم) معرَّب على الصحيح.

٤. المُعَرَّب في الحديث

اختلفت مذاهب النُّحاةِ حول الاحتجاج بالحديث النبويِّ الشريف في الدراسات اللغوية[١] لحذرهم من موضوع الحديث وما روي منه بالمعنى، على أنَّ الخفاجيَّ أولى الحديث أهمية بالغة فجعله من شواهده الأساسيَّةِ.

فقد احتجَّ الخفاجيُّ بالحديث النبويِّ في مجال المعرَّب في مواضع متعددة منها: (أسبذ) و(بريق) و(باسنة) و(بندق) و(باسور) و(ترعة) و(جلاب) و(زفت) و(سكرجة) و(سور) و(سنة) و(قيروان) و(قارورة) و(نرد).

ولا يهتم الخفاجي بسند الحديث ولا يذكره كاملًا، ولكنَّه يكتفي بذكر الجزء الذي فيه الشاهد ومن ذلك قوله في (سكرجة)[٢]: . . . معرَّب ومعناه (مقرب الخل)، وقال بعضهم: الصواب اسكُرَّجَة بالهمزة، لكن وقع في حديث أنس: «**ما أكل نبي على خِوان ولا في سُكُرَّجة. . .**[٣]». وكقوله في (نرد)[٤]: معرَّب وفي الحديث الشريف «**من لعب بالنردشير**»[٥].

---

(١) انظر ما كتبه أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب حول هذه القضية بعنوان (الاستشهاد بالحديث) في كتابه فصول في فقه العربية.

(٢) شفاء الغليل (سكرجة) ٣/ ١٠.

(٣) ينظر: البخاري: الحديث رقم ٥٣٨٦ الأطعمة والترمذي: الحديث رقم ١٤٦، وابن ماجه الحديث رقم ٣٢٩٢، والنهاية في غريب الأثر ٢/ ٣٨٤، وفي روايات هذا الحديث بعض اختلاف عمَّا ذكره الخفاجي.

(٤) شفاء الغليل (نرد) ٣/ ٣١٩.

(٥) ينظر: مسلم: ٤/ ١٧٧٠ الحديث رقم ٢٢٦٠ الشعر، وأبو داود: الحديث رقم ٤٩٢٨ الأدب، =

وربَّما لا يذكر الحديث وإنَّما يشير إلى وقوع الكلمة المعرَّبة التي يفسرها كقوله في (سور)[١]: «بمعنى عروس ووليمة، فارسيٌّ تكلم به عليه الصلاة والسلام».

وهو يريد قوله عليه الصلاة والسلام: «يا أهل الخندق: إنَّ جابرًا قد صنع سورًا»[٢].

وكقوله في (باسور)[٣]: «مرض معروف تكلمت به العرب. قال أبو منصور: أحسبه معرَّبًا، وصاحبه مبسور، كما وقع في حديث البخاري».

فلم يذكر الخفاجي الحديث، وهو يريد ما في البخاري[٤] قول عبد الله بن بريدة: «حدثني عمران بن حصين ـ وكان مبسورًا ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعدًا....».

= وابن ماجه: الحديث رقم ٣٧٦٣. ومسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٣٦١ الحديث رقم ٣٣١٠٦.

(١) شفاء الغليل (سور) ٣/ ١٣.

(٢) انظر البخاري: الحديث رقم ٣٠٧٠ الجهاد، ومسلم: الحديث رقم ٢٠٣٩ الأشربة. والنهاية ٣/ ٤٢٠.

(٣) شفاء الغليل (باسور) ٢/ ٢٧١.

(٤) انظر البخاري: ٢/ ٤٧ الحديث رقم ١١١٥ صلاة القاعد، وفتح الباري: ٢/ ٥٨٤.

٥. المعرَّب في الشعر القديم

نصَّ الخفاجيُّ على وقوع المعرَّب في الشِّعر القديم الجاهلي والإسلامي، وكان ذلك في مواد محدودة[١]، حيث ذكر فيها أبياتًا تحوي كلمات مُعرَّبة.

ولم يلتزم منهجًا مُطَّردًا في ذلك، فتارة يذكر البيت وصاحبه، وتارة يكتفي بمثل قوله: «ورد في الشعر القديم»[٢]، وَرُبَّما ذكر اسم الشاعر الذي وقع في شعره المعرَّب دون أن يذكر ذلك الشِّعر[٣]. وممَّا ذكر فيه الشِّعرُ وقائلُه قوله في (درب)[٤]:

.... وهو في قول امرئ القيس: [الطويل]

بكى صَاحِبي لَمَّا رأى الدَّرْبَ دُونَه وأيقنَ أنَّا لاحقَانِ بِقَيْصَرا[٥]

وكقوله في (جُمان)[٦]: ... وجعلها لبيدٌ الدُّرَّة في قوله:

كجمانة البحري سل نظامها[٧]

---

(١) وهي: (أستار) و(أسبذ) و(جعان) و(درب) و(صبهبذ) و(قيطون) و(قلايا) و(كعك) و(مأموسة).

(٢) انظر شفاء الغليل: (أستار) و(بنفسج) و(كعك).

(٣) انظر شفاء الغليل: (أسبذ) و(صبهبذ).

(٤) شفاء الغليل (دَرْب) ٢/ ٤٥٤.

(٥) البيت في ديوان امرئ القيس ٦٥.

(٦) شفاء الغليل (جمان) ٢/ ٣٧٠.

(٧) الشطر الثاني من البيت ٤٣ من معلقة لبيد. انظر شرح القصائد السبع ٥٦١، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١٨١.

وقد يذكر أكثر من كلمة معرَّبة في أكثر من بيت لشاعرٍ واحدٍ في مادةٍ واحدة كقوله في (مأموسة)(١): قال ابن قتيبة(٢) في طبقات الشعراء(٣): أتى عمرو بن أحمر(٤) بأربعة ألفاظ لا تعرفها العرب، سمى النار «مأموسة» في قوله: [البسيط]

تطايح الطَّلُّ من أعطافها صُعُدًا كما تطايح عن مأموسةَ الشَّرَرُ(٥)

وسمَّى حوار الناقة «بابوسًا» في قوله: [البسيط]

حَنَّتْ قَلُوصِي إلى بابُوسِها فزعًا(٦)

وقال يذكر بقرة: [البسيط]

وبنَّس عنها فرقدٌ خَصِر(٧)

ولا تعرف العرب التبنيس. وقال: [الكامل]

---

(١) شفاء الغليل (مأموسة) ٣/ ٢٧٣.

(٢) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد لغوي نحوي، توفي سنة (٢٧٦هـ)، من مصادر ترجمته: إنباه الرواة: ٢/ ١٤٣، وإشارة التعيين ١٧٢، وبغية الوعاة: ٢/ ٦٣.

(٣) طبقات الشعراء ١/ ٣٥٦.

(٤) هو: عمرو بن أحمر بن فراص الباهلي، شاعر مخضرم، عمر تسعين سنة، توفي بعد سنة ٧٥هـ، ينظر ترجمته في: المؤتلف والمختلف ٣٧، ومعجم الشعراء: ٢١٤، وسمط اللآلي: ١/ ٣٠٧. والشعر والشعراء برقم ٤٧ ص١/ ٣٥٦ ومن اسمه عمرو من الشعراء ص١٢٩، وطبقات فحول الشعراء ٤٨٥، ٤٩٢.

(٥) البيت في الديوان ص١٠٠، وفيه: (عن أردافها) بدلاً من (من أعطافها) و(ماموسة) بدون همزة. وجمهرة أشعار العرب: ٢/ ٤٣٦، وكتاب المعاني الكبير: ٤٣٢، والشعر والشعراء ١/ ٣٦٥.

(٦) البيت في الديوان ص١٠٢، جمهرة أشعار العرب: ٢/ ٨٤٨، واللسان: ٦/ ٢٤ (ببس) وتمامه: وفيه: (جزعاً) بدلاً مَن (قرعا)

فَما حَنِينُكَ أَمْ مَا أَنتَ والذِّكَرُ

(٧) وهو جزء من البيت في الديوان ص٩٧:

مَارِيَّةٌ لُؤْلُؤانِ اللَّونِ أَوَّدَها طَلٌّ، وَبَنَّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ

وتَقَنَّعَ الحِرْباءُ أُرْنَتَهُ مُتَشَاوِسًا لِوريدِهِ نَقْرُ[(١)]

وزعم أنَّ الأُرْنَةَ ما يُلَفُّ على الرَّأسِ ولا تعرفه العرب، وقد استشهد الخفاجي في المعرَّب بشعر بعض الإسلاميين كالفرزدق[(٢)] وجرير[(٣)].

---

(١) وانظر: كتاب المعاني الكبير: ٢/٧١٢، والعقد الفريد: ٦/٢٠٨.
البيت في الديوان ص٨٨، وكتاب المعاني الكبير: ٢/٦٥٨، والعقد الفريد: ٦/٢٠٧.

(٢) شفاء الغليل: (كَرْد) ٣/٢١١.

(٣) نفسه: (صبهبذ) ٣/٧٩.

٦ـ المعرَّب بعد زمن الفصاحة
(المعرَّب والمولَّد)

أطلق الخفاجيُّ على المفردات التي عُرِّبت بعد زمن الفصاحة مصطلح (المعرَّب المولَّد) أو المحدث، وهو كثير في «شفاء الغليل» فقد قارب ثُلُثَ موادِّ الكتاب المُعَرَّبة، حيث بلغ نحو ستٍّ ومائتي مادةٍ.

وقد بذل الخفاجي جهدًا كبيرًا في جمع مادة هذا القسم، ودمجه في المعرَّب القديم، وساعده على ذلك سعةُ اطلاعه على التراث العربي قديمه وحديثه.

وأكثر مواد هذا القسم ممَّا لا وجود له في معرَّب الجواليقي ممَّا يضفي أهميةً خاصةً على كتاب الخفاجي.

والتزم الخفاجيُّ ـ إلى حدٍّ كبير ـ التنبيه على مادة هذا القسم بأنَّه مولَّد أو مُحْدَثٌ، كما في مادة (خانقاه): «رباط الصوفيَّة، معرَّب مولَّد، استعمله المتأخرون»[١]، وقوله في (بادهنج) ـ[٢] وهو المنفذ الذي تجيء منه الرِّيحُ ـ: «معروفٌ، معرَّب بادكير، مولَّد».

ويُعَرِّفُ الخفاجيُّ المولَّد بعدم وروده في شعر قديم، أو شعرِ من يُوثقُ به، ومن ذلك قوله في (بركار): «آلة معروفة، ولم يُسْمَعْ في شعر قديم»[٣].

---

(١) شفاء الغليل (خانقاه) ٢/ ٤٣٦.

(٢) شفاء الغليل (بادهنج) ٢/ ٢٩٥.

(٣) شفاء الغليل (بركار) ٢/ ٢٩١.

وقوله في (فرفير): «والفرفير باللغة الرُّومِيَّة هو لون يقرب من الكحلي، إلا أنَّه أُشبع. قلتُ: فعرَّبوه، ولم أره في كلام العرب»[١]. وكثيرٌ من مُعرَّب الخفاجيِّ المولَّد وقع في شعر المُولَّدين[٢].

ما تردد في الحكم عليه:

وفي كلماتٍ معدودةٍ تردَّد الخفاجيُّ في كونها معرَّبةً أوْ لا، ومن هذه الكلمات: (خُرَّم) و(ديوان) و(زُنَّار) و(غَسَّاق) و(فردوس) و(كثرى) و(كرد) و(لجام) و(مواخير).

فمن تردده قوله في (غَسَّاق)[٣]: . . . قيل: هو عربيٌّ، وقيل: معرَّبٌ. فلم يُرجِّح أحد القولين وربَّما أعلن تَردُّده، كقوله في (سِدِلَّى): «سِدِلَّى على فِعِلَّى، وقيل «سِهْ دَلْه» وقيل: معناه ثلاثة بيوت في بيت، ولست على ثقة منه»[٤].

وقد ذكر الجواليقي[٥] أقوالًا مختلفة فيه حكاها عن العلماء. وربما مال الخفاجي ضمنًا إلى أحد القولين كقوله في (لجام): «معرَّب لكام أو لغام، وقيل هو عربي». فبقوله: «وقيل» مال إلى الرأي الأول وهو أنَّه معرَّب[٦]. ومثل ذلك في مادة (زنار)[٧].

---

(١) شفاء الغليل (فرفير) ٣/ ١٥٣.

(٢) انظر شفاء الغليل على سبيل المثال (أنسون) و(بازهر) و(باب) و(باغ) و(بابه) و(براقيل) و(سيان) وغيرها.

(٣) شفاء الغليل (غساق) ٣/ ١٢٩.

(٤) شفاء الغليل (سِدِلَّى) ٣/ ٧.

(٥) المعرب: ٢٣٦.

(٦) شفاء الغليل (لجام) ٣/ ٢٤٢.

(٧) شفاء الغليل (زنار) ٢/ ٥١٠.

الفصل الثالث

مداخل شفاء الغليل

دراسة إحصائية تحليلية

أولًا: مواد الكتاب

بذل الخفاجي جهدًا واضحًا؛ في جمع مادته اللغوية من بُطون عدد كبير من الكتب اللغويَّة والأدبيَّة وغيرها في شتَّى العصور، بدءًا من العصر الجاهلي وانتهاءً بعصره هو.

فجاءت مادَّتُه وافرةً في بابها مقارنة بما سبقه من المؤلَّفات في مجال الدَّخِيل، فقد أورد ثمانيَ وستين وأربعمائة وألف مادة لغوية (١٤٦٨) منها اثنتان وأربعون مادة مُكرَّرة، قَدَّم لها بمقدمة ضافية في نحو عشر صفحاتٍ (مخطوطة). ووزَّع مادته على حروف المعجم كما يلي:

الحرف	عدد المواد	المكرر	
		العدد	المواد المكررة
الهمزة	١٧٤	٣	أخذ ـ أزلى ـ أزيب
الباء	١٢٦	٥	بربط ـ بزر ـ بنكام ـ بهرام ـ بقسماط
التاء	٤٢	١	تليس
الثاء	٢		
الجيم	٧٢	١	جلال
الحاء	٤٥	٤	حارة ـ حاط ـ حكمية ـ حمص
الخاء	٥٠	٣	خالي الغرفة ـ الخروج ـ خفيف الشفة
الدال	٥٨	١	دولاب

الذال	٧		
الراء	٣٦		
الزاي	٣٩		
السين	٨٦	٢	سجل ـ سكردان
الشين	٥٧	٦	شاهين ـ شباك ـ شد ما ـ شرق ـ شهرة ـ شيب
الصاد	٣١	١	صدق
الضاد	٤		
الطاء	٤٠	٣	طبق ـ طرح ـ طلسم
الظاء	١		
العين	٥١		
الغين	٢١		
الفاء	٥٣		
القاف	١١٦	٣	قحبة ـ قلاية ـ قرطاس
الكاف	٦٨	٢	كرد ـ كنه
اللام	٢١		
الميم	١٤٤	٦	ماه ـ مجلس ـ مشق ـ ميدة ـ ميزاب ـ ميضأة
النون	٥٧	١	نيلوفر
الهاء	٢٤		
الواو	٢٢		
لا	٢		
الياء	١٩		

وقد عالج الخفاجيُّ ـ أثناء حديثه في كتابه ـ قضايا لغوية كثيرة، وقد رتبتها حسب حجمها في كتابه، وهي:

١ ـ الألفاظ المعرَّبة، وهي أكثر قضايا الكتاب مادةً، حيث بلغ حجم هذه المادة نحو خمسٍ وثلاثين وسبعمائة كلمة (٧٣٥)، وهو ما يزيد على نصف حجم الكتاب تقريبًا، ويمثِّل نسبة (٥٠,١٧٪) من الحجم العام للكتاب.

٢ ـ الألفاظ والتراكيب المولَّدة، وعدَّتها عشرون ومائتا كلمة (٢٢٠) تقريبًا، ونسبته (١٤,٧٪) من حجم الكتاب.

٣ ـ الألفاظ العاميَّة والملحونة، وذكر منها نحو خمس وتسعين ومائة كلمةٍ (١٩٥) تقريبًا، ونسبتها (١٣,٣١ ٪) من حجم الكتاب.

٤ ـ ما سكت عن الحُكْم عليه، نصًّا أو إشارة، ويمكن إرجاع بعضه إلى العربيِّ الصحيح وبعضه إلى المُولَّد أو الملحون، وعدد كلماته نحو خمسٍ وسبعين ومائة كلمة (١٧٥)، ونسبته (١١,٩٥٪) من حجم الكتاب.

٥ ـ الألفاظ العربية الفصيحة، وعدَّتُها نحو ثمان وتسعين كلمةً (٩٨)، ونسبته (٦,٧٪) من حجم الكتاب.

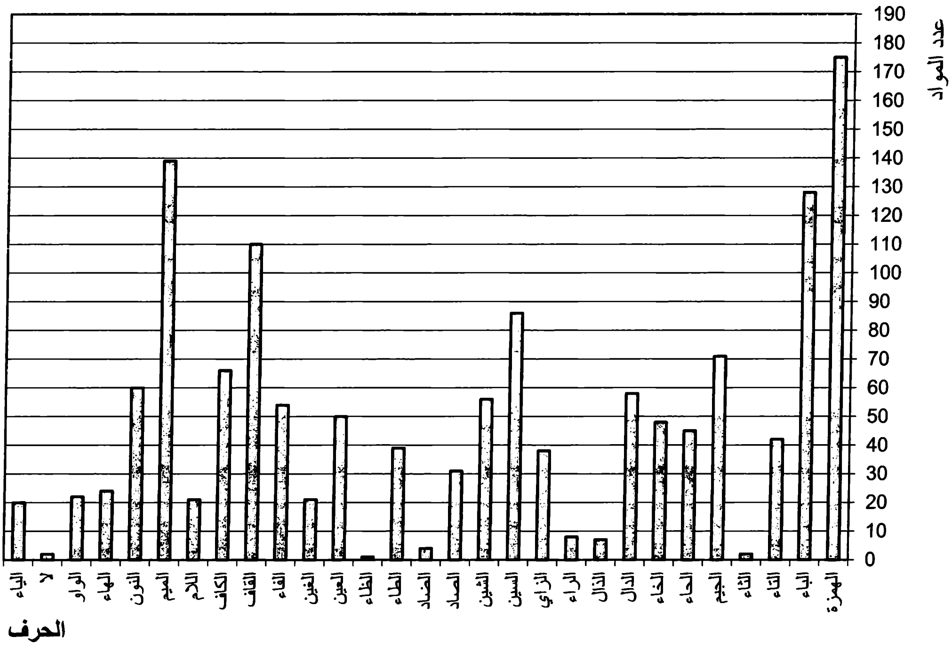
٦ ـ الألفاظ النادرة أو الغريبة، وعدتها نحو اثنتين وعشرين كلمةً (٢٢)، ونسبته من حجم الكتاب (١,٥٪) تقريبًا.

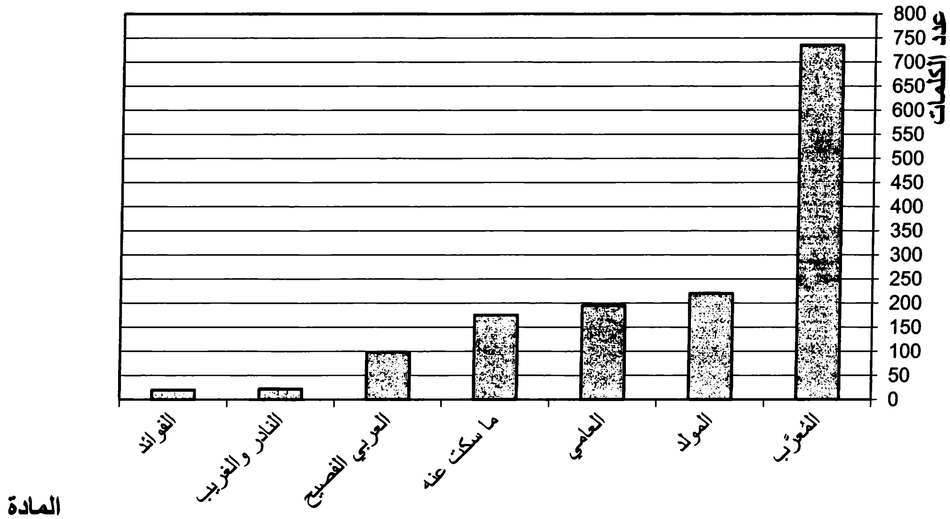
٧ ـ الألفاظ التي صحبها فوائدُ لُغويَّة أو لطائفُ أدبيَّة، وعدّتُها نحو عشرين كلمة (٢٠)، ونسبته (١,٣٧٪) من حجم الكتاب.

وفيما يلي رسوم بيانية لتوضيح ما تقدَّم.

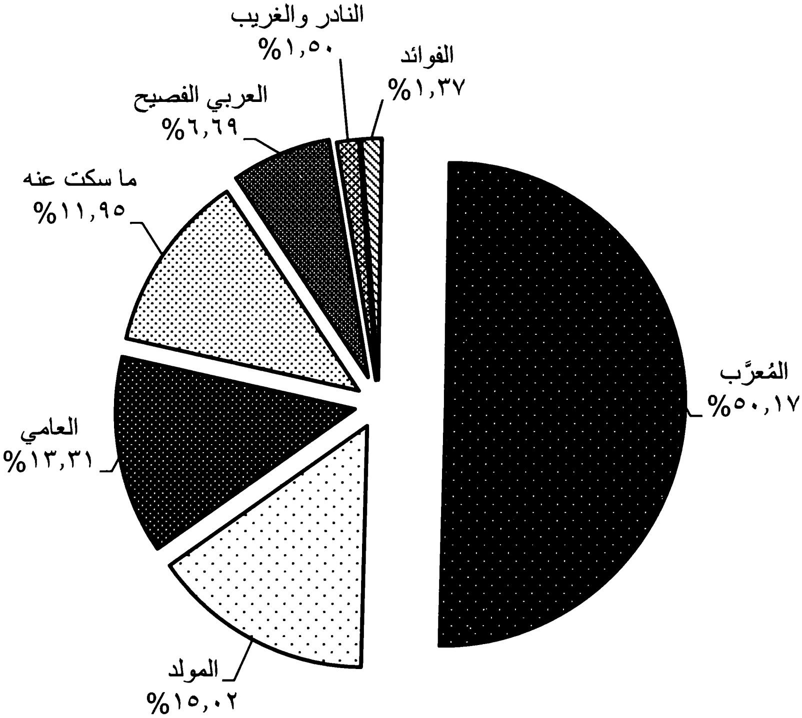
ثمَّ أُتْبِعُ ذلك بالحديث عن تلك القضايا بشيء من التفصيل، وتلك القضايا هي: المعرَّب، والمُولَّد، والعامِّيُّ، والملحونُ، والنوادرُ والفوائدُ والخطأ.

رسم بياني لتوزيع المادة على حروف الهجاء في الكتاب





رسم بيانيٌّ لحجم القضايا اللغوية في الكتاب (شكل رقم١)



رسم توضيحيٌّ لحجم القضايا اللغوية في الكتاب (شكل رقم٢)

ملاحظة:

بُني هذا الرَّسمُ البيانيُّ على قسمة درجات الدائرة وهي (٣٦٠) درجة على عدد المواد وهو (١٤٦٨) مادة، ثم ضرب الناتج وهو (٠,٢٤٥٣) في عدد مواد كل قضية، فتنتج ما يخصها من الدرجات.

ثانيًا: تحليل مادة الكتاب

١ ـ المُعرَّب:

ذكرتُ أنَّ أكثر من نصف مادة الخفاجي في كتابه «شفاء الغليل» من المعرَّب، وعدَّتُها نحو خمس وثلاثين وسبعمائة كلمة، من أصل ثمان وستين وأربعمائة وألف كلمة.

ومن المُسَلَّم أنَّه لم يتم تعريب هذا العدد الكبير من المعرَّب في زمن واحد، ولكنَّ تعريبه جاء متواليًا على امتداد العصور، منذ العصر الجاهلي إلى عصر الخفاجي.

وقد حاولت أن أُمَيِّزَ ما عُرِّب في عصور الفصاحة من غيره، وقد كفاني الشهاب مؤونة ذلك في بعض مادته، بجهده؛ فتارة ينصُّ على زمنٍ تقريبيٍّ لتعريب الكلمة، وتارة يكتفي بذكر القرائن التي يمكن من خلالها استنباطُ تاريخٍ تقريبيٍّ للكلمة.

ومع هذا فإنَّه في كثير من الأحيان لا يذكر شيئًا في ذلك، فضلًا عن تفرُّدِه في ذكر بعضها. ولكنَّ ما قمت به من تحقيق للكتاب في القسم الثاني من هذا البحث ساعدني إلى حدٍّ كبيرٍ في هذا التحليل.

وفيما يلي بيان ذلك:

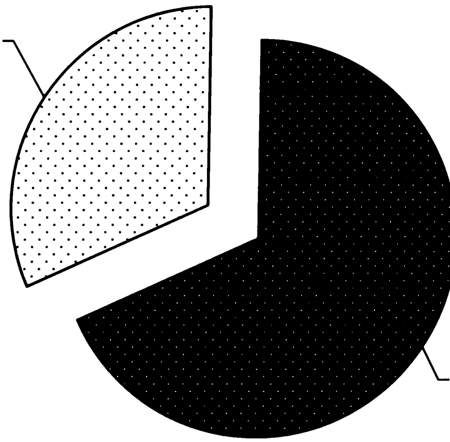
ـ اهتم الخفاجي بالمعرَّب القديم، أي بما عُرِّب زمن الفصاحة، فجاء

أكثرُ من ثلثي مادته في المعرَّب من تلك العصور، حيث بلغت تلك المادَّةُ نحو سبعٍ وتسعين وأربعمائة (٤٩٧) كلمة تقريبًا.

ـ أمَّا ما عُرِّب بعد زمن الفصاحة ـ وهو جزء من المُولَّد ـ فقد خصَّه ببعضٍ من جهده ووقته، لأنَّه من منهجه وشرطه، كما نصَّ عليه في مقدمته[1].

ـ فجاءت مادته من المعرَّب المُولَّد نحو ثمان وثلاثين ومائتي كلمة تقريبًا، والمعرَّب زمن الفصاحة في «شفاء الغليل» منه ما وقع في الشِّعر القديم الجاهلي أو الإسلامي، ومنه ما وقع في القرآن الكريم، ومنه ما جاء في الحديث الشريف.

ـ أما الأعلام المُعرَّبة زمن الفصاحة فقد ذكر الخفاجي منها نحو ستَّةٍ وثمانين علمًا تقريبًا.



رسم توضيحي يبيِّن نسبة المعرَّب

نسبة المعرَّب إلى لغته الأصلية:

لم يُعْنَ الخفاجيُّ كثيرًا بنسبة الكلمة المعرَّبة إلى لغتها الأصلية، فما نَسَبَهُ إلى لغةٍ معينةٍ أقلُّ من خُمْسِ المادة المعرَّبة في الكتاب، فمن بين خمس

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ١/ ١٠٣.

وثلاثين وسبعمائة كلمة هي عدة ما في الكتاب من كلمات معرَّبة؛ نسب تسعًا وخمسين ومائة كلمة إلى لغاتٍ ساميَّةٍ وغير ساميَّة.

فمن اللغات الساميَّة: العِبرانيَّة والسُّريانيَّة والحبشيَّة والنَّبَطِيَّة. ومن اللغات غير الساميَّة: الفارسيَّة والهندية والرومية واليونانية والتركية والقبطية.

ولا يؤاخذ الخفاجيُّ في عدم عنايته بعزو الكلمات إلى لغاتها الأصليَّة؛ لأنَّ نسبة الكلمة إلى لغتها يتطلب الإلمام بتلك اللغة المنسوب إليها، وهذا وإنْ كان ممكنًا في لغة أو لغتين فهو في غاية الصعوبة إذا تعددت اللغات وتباينت.

ويبدو أنَّ الخفاجي كان مُلِمًّا بعض الإلمام باللغة التركية (العثمانية)؛ لاتصاله بالأتراك العثمانيين، في العاصمة القسطنطينية، وبقائه بين ظهرانيهم نحو أربعين سنةً من عمره ـ كما تقدَّم ذكره في ترجمته ـ.

وما عزاه إليها قليل مع إلمامه بها والسَّبب في ذلك ـ عندي ـ يرجع إلى منهجه في الاعتماد على النَّقل عمَّن سبقه من اللغويين في عزو أكثر مواده من المعرَّبات إلى لغاتها، وبخاصَّةٍ الجواليقي وابنِ دُرَيد. وفيما يلي توضيح ما تقدَّم:

أ ـ المعرَّبات المنسوبة:

ذكرتُ أنَّ الخفاجي نسب تسعًا وخمسين ومائة كلمةٍ، وهذه الكلمات يمكن تقسيمها على قسمين:

١ ـ المعرَّبات المنسوبة إلى لغاتٍ ساميَّةٍ.

٢ ـ المعرَّبات المنسوبة إلى لغاتٍ غيرِ ساميَّةٍ.

أمَّا القسم الأول، وهو **المعرَّبات المنسوبة إلى لغات سامية** ـ وهي العبرانية، والسُّريانيَّة، والحبشيَّة، والنبطية ـ فقد بلغت ستًّا وعشرين كلمة وهي قليلة إذا قورنت باللغات الأخرى غير السامية.

ولا أظنُّ أنَّ الخفاجيَّ كان على علم بما نسميه ـ اليوم ـ اللغات الساميَّة، وما بينها من وشائجَ قُربى، وبخاصة أنَّ الكشف عن اللغات السامية جاء متأخرًا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي(١)، ومن ثَمَّ لا يوجَّه إليه ما يترتب على هذه المعرفة من نتائج وهو أنَّ هذه اللغات لما كانت منحدرة من أصل واحد؛ فمن الراجح أنْ تحمل خصائص مشتركة أو متقاربة في أصواتها وبناء كلماتها ودلالتها وتراكيبها، وهذا ما كُشف عنه مؤخَّرًا، وأثبتته بعض الدِّراسات(٢).

فمن الصعب ـ حينئذ ـ أنْ يُعدَّ جميعُ ما في العربية من هذه اللغات معرَّبًا لاحتمال أنْ يكون من المشترك السامي بين هذه اللغات. أمَّا قلة ما عُزِي إلى هذه اللغات في كتاب «شفاء الغليل» فإنَّ مردَّه ـ في تقديري ـ يرجع إلى أنْ تلك اللغات كانت في عصور ضعفها، ولم تكن ذات حضارة في عصر انفتاح العرب على غيرهم من الأمم، بعد العصر الإسلامي، على العكس من الفارسيَّة واليونانية والرومية.

لذلك جاء تأثير هذه اللغات قليلًا.

وأكثر اللغات السامية ورودًا في كتاب الخفاجي العبرانِيَّةُ التي عزا إليها الخفاجيُّ ثماني كلمات، وهي: (أريس)، و(شلم)، و(دهل)، و(ربانيون)، و(زرنامقة)، و(صلوات)، و(لاهوت)، و(ناسوت).

وقد تردَّد الخفاجي في نسبة بعضه، وممَّا تردد في نسبته إليه كلمة (زرنامقة) حيث قال: «جبة صوف عبرانية معرَّبة»(٣). ونفى الدكتور ف.

---

(١) فقه اللغة لوافي ٦، وتاريخ اللغات السامية ٢.

(٢) اللغات السامية ١٥ وما بعدها، وفقه اللغات السامية ٨ وما بعدها، فقه اللغة لوافي ١٧.

(٣) شفاء الغليل (زرنامقة) ٢/ ٥٠٧.

عبد الرحيم[(١)] أنْ تكون هذه الكلمة عبرانية لعدم وجودها في تلك اللغة. وذكر ابن منظور[(٢)] والزبيدي[(٣)] أنَّها فارسية، وعليه فإنَّ ما قاله الخفاجي غير مسلم به.

وممَّا تردَّد فيه قوله في (رَبَّانيُّون)[(٤)]: «أي علماء، قيل هي عبرانية، معرَّبة»، ثم علل كونها عبرانية بقوله: «لأنَّ العرب لا تعرفها».

وما ذكره يصلح تعليلًا لعجمة الكلمة لا لكونها عبرانية.وقد تردد فيها ـ قبله ـ أبو عبيد حين قال: «إنَّما هي عبرانية أو سريانية»[(٥)]، ورجَّح السَّمِينُ الحلبيُّ كونَها عربية، لموافقتها أصول العربية لفظًا ومعنى[(٦)] ويلي العبرانيَّةَ النَّبَطيَّةُ، حيث ذكرها الخفاجي سبع مرات في (برطلة)، و(برابي)، و(جوذيا)، و(فدان)، و(قنبيط)، و(كشمخة)، و(كرخ).

ومن ذلك قوله في (فدان)[(٧)]: «نَبَطيٌّ معرَّب، ويخفَّف ويشدَّد»، وقد سبق الخفاجي في هذا الجواليقي[(٨)]. وسكت عن تعريبه الأزهريُّ[(٩)] والجوهريُّ[(١٠)] وابن منظور[(١١)] وذكر الدكتور ف. عبد الرحيم[(١٢)] أنَّه بالسُّريانيَّة فدنًا (فدانًا).

---

(١) المعرب بتحقيقه ٣٤٩.

(٢) اللسان ١٠/ ١٤٠.

(٣) التاج ٦/ ٣٧٠.

(٤) شفاء الغليل (ربانيون) ٢/ ٤٨٩.

(٥) المعرب ٢٠٩.

(٦) انظر عمدة الحفاظ ١٩٢.

(٧) شفاء الغليل (فدان) ٣/ ١٤٤.

(٨) المعرب ٢٩٣.

(٩) تهذيب اللغة (فدن) ١٤/ ١٤١.

(١٠) الصحاح (فدن) ٦/ ٢١٧٦.

(١١) اللسان (فدن) ١٣/ ٣٢١.

(١٢) المعرب بتحقيقه ٤٧٦.

ويلي النَّبَطيَّة السُّريانيَّةُ حيث عزا الخفاجيُّ إليها ستَّ كلمات وهي (برنسا)، (ترعة)، و(صير)، و(كفر)، و(كُنَاش)، و(ياهيا). ومن ذلك قوله في (كُنَاش): «بضم الكاف العربية، وتخفيف النون وآخره شين معجمة بزنة غراب، لفظ سرياني معناه المجموعة والتذكرة، والكُنْش الجماعة...»[١].

ولم يوافقه ـ فيما أعلم ـ في دعوى أنَّها سريانية إلا المُحِبِّي[٢] حيث نقل كلام الخفاجي بنصِّه في كثير من المواد؛ كما سيأتي في القسم الثاني (التحقيق).

وذكر الخفاجي أنَّه اعتمد في ذلك على أحد معاصريه، من ثقات الأجناد كما يقول. ولعلَّه هو الذي أخبره بأنَّها سريانية. وفي التاج: والكُنَّاشات ـ بالضم والشد ـ الأصول التي تشعبت منها الفروع... ومنه الكُنَّاشة لأوراق تجعل كالدفتر، يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط، وهكذا يستعمله المغاربة[٣].

ورابع اللغات السامية في «شفاء الغليل» الحبشيَّة. وقد عزا الخفاجي إليها ست كلمات ـ أيضًا ـ وهي: (دِرْكِلةٌ)، و(سنة)، و(سجل)، و(هندكي وقندكي)، و(نيزر)، و(هرج).

يقول الخفاجي في مادة (دِرْكِلةٌ): «لُعْبَةٌ للحبشة، مُعَرَّبٌ من لغتهم»[٤]، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن دريد[٥] والأزهري[٦] والجواليقي[٧]. وقوله في (هَرْجُ):

---

(١) شفاء الغليل (كناش) ٣/ ٢٣٩ وهي في (محيط المحيط ٧٩٤) بتضعيف النون.

(٢) قصد السبيل ٢/ ٢٦١.

(٣) التاج (كنش) ٤/ ٣٤٧.

(٤) شفاء الغليل (دركلة) ٢/ ٤٦٢.

(٥) الجمهرة ٣/ ٣٣٤.

(٦) تهذيب اللغة (دركل) ١٠/ ٤٣٩.

(٧) المعرب ١٩٩.

«قيل هو بلغة الحبشة القتل، معرَّب»[١]، وقد نقل ذلك عن أبي موسى الأشعري[٢].

وقال ابن منظور: «الهَرْج: الاختلاط... والهَرْج الفتنة في آخر الزمان، والهرج شدة القتل وكثرته»[٣]، ولم يُشر إلى أنَّها معرَّبة. وقد مال العلَّامة أحمد شاكر إلى كونه عربيًّا حيث يقول: «لعلَّ أبا موسى الأشعري سمعه من بعض الحبشِ منقولًا إليهم عن العربية، ولم يكن من لغة قبيلته، فظنَّه لفظًا حبشيًّا»[٤].

ويبدو أنَّ الخفاجي أيضًا لم يكن مطمئنًّا لكونه معرَّبًا، فضعَّفه بقوله «قيل»[٥].

أما القسم الثاني من المعربات المنسوبة: فهو ما نسب إلى لغات غير سامية:

وهي الفارسيَّة، والهندية، والرومية، واليونانية، والتركية، والقبطية. وعدته تسع عشرة ومائة كلمة، وهي كالآتي:

ما نسب إلى الفارسيَّة هو الكثير الغالب من هذا النوع وعِدَّتُه سبعٌ وثمانون كلمة[٦].

---

(١) شفاء الغليل (هرج) ٣/ ٣٤٩.

(٢) تهذيب اللغة (درك) ٦/ ٤٧، وأبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس بن سليم، صحابي جليل، توفي سنة ٤٤هـ، من مصادر ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٤٤، وغاية النهاية/ ٤٤٢، والإصابة ٢/ ٣٥١.

(٣) اللسان (هرج) ٢/ ٣٨٩.

(٤) المعرب ٤٠٠ حاشية رقم ١١.

(٥) شفاء الغليل (هرج) ٣/ ٣٤٩.

(٦) انظر شفاء الغليل مثلًا في مادة (أساه)، و(أهل كذا)، و(أخذ)، و(بزريق)، و(بارجاه)، و(بقسماط)، و(بازهر)، و(بشنين)، و(تجفاف)، و(جبس)، و(جربان القميص)، و(جرى)، و(دكان)، و(دينار)، و(دبوقة)، و(الدخول)، و(ذرياب)، و(روشم)، و(رباط)، و(الرفع)، و(زرنورد)، و(زبرجد)، و(زيزب)، و(سذاب)، و(سندان)، و(سنه)، و(شعشعة =

وكان اعتماد الخفاجي في نسبة تلك الكلمات على آراء العلماء المتقدمين، وبخاصة ابن دريد، والجوهري، والجواليقي.

ومن أمثلة الكلمات الفارسيَّة عند الخفاجي قوله في (بَرِيد): «هو في الأصل البغل، كلمة فارسية، وأصله (بريدة دم) أي محذوف الذنب، لأنَّه يقال: إنَّ دابة البريد كانت كذلك»[١].

وفي المعجم الذهبي: «بريدة دم الحيوان مقطوع الذنب»[٢]، وبذلك فالخفاجي مصيب في عزو هذه الكلمة إلى الفارسيَّة.

- ويلي الفارسيَّة في «شفاء الغليل» الرُّوميَّة، حيث نسب إليها نحو ثلاثٍ وعشرين كلمة[٣]. ومن أمثلتها قوله في (سِجِلَّاط): «ياسمين، وقناع من صدف أو ثياب كتان، وخزٌّ سِجِلَّاطيٌّ، رومية معرَّبة»[٤].

وقد سبقه إلى ذلك الأزهري[٥] وذكر الجواليقي[٦] أنَّها معرَّب «سجلاطس».

= الشمس)، و(شاروق)، و(شخصه)، و(شتوى)، و(شهره)، و(صوفى)، و(طلاه فانطلى)، و(فوارة الماء)، و(قطايف)، و(قفدان)، و(كرد)، و(كرخ)، و(لحن)، و(ميدان)، و(ميضأة)، و(نيروز)، و(نورج)، و(النقلة)، و(ليزر)، و(هيولى)، و(هزار)، و(همايون)، و(يطق).

(١) شفاء الغليل (بريد) ٢/ ٢٨٦.

(٢) المعجم الذهبي ١١١.

(٣) انظر شفاء الغليل في المواد: (تسبيح)، و(جوته)، و(خرسان)، و(دكان)، و(ذرياب)، و(سجل)، و(سذاب)، و(سنه)، و(طيز)، و(قطايف)، و(قانون)، و(قيطون)، و(قفدان)، و(القراح)، و(مكتان).

(٤) شفاء الغليل (سجلاط) ٣/ ١٢.

(٥) تهذيب اللغة ١١/ ٢٤٢.

(٦) المعرب ٢٣٢.

وقال الدكتور ف. عبد الرحيم[١]: إنَّها لاتينية، وأصلها (سكلاتس)، ومعناه ثوب مُوَشًّى بوَشْي الخاتم.

ويجب التنبيه على أنَّ اللاتينية في قوله هي الرومية في قول الخفاجي.

ـ ويلي الرومية عند الخفاجي التركيَّةُ والهنديَّة، وفي كل منهما ذكر سبع كلمات.

منها ممَّا نسبه إلى التركية: (بلخش)، و(سردار)، و(بنوقنطورا)، و(قلق)، و(القرتكيني).

ومن أمثلة ما عُرِّب من هذه اللغة قوله في مادة (قلق)[٢]: «هو في اللغة بمعنى الاضطراب، والمولَّدون يستعملونه بمعنى مقعد الحزام الذي يدخل فيه... قال الموصلي في شرح بديعيته: إنَّه معرَّب قولاق بالتركية»، ونلاحظ اعتماده على النقل حتى في اللغة التي سبق أن أشرنا إلى إلمامه بها بعض الشيء.

وقد تابع المحبي[٣] فيها الخفاجي. ومن أمثلة ذلك أيضًا قوله في (قراتكيني): «عمود قراتكيني منسوب إلى قراتكين، وهو رجل تركي»[٤].

ولم أقف على هذه الكلمة في المعاجم العربية.

ومن أمثلة الكلمات الهندية: (أوج)، و(أنبجات) و(شبداز)، و(شاش)، و(مندلي).

يقول الخفاجي في (أوج)[٥]: «معرَّب (أود) كلمة هندية، معناها العلو».

---

(١) المعرب بتحقيقه ٣٧١.

(٢) شفاء الغليل (قلق) ٣/ ٢٠١.

(٣) قصد السبيل ٢/ ٢٤٥.

(٤) شفاء الغليل (قراتكيني) ٣/ ٢٠٥.

(٥) شفاء الغليل (أوج) ٢/ ١٦٨.

وذكر أدِّي شير[١] أنَّها معرَّب «أو گ» ولفظة هندية. وذكرها الصَّغاني[٢] ولم يتكلم في أصلها، وذكر أنَّها من اصطلاحات المنجِّمين.

ـ أما الكلمات المنسوبة إلى اللغة اليونانية فإنها ستٌّ منها: (أنسون)، و(بنكام)، و(كيمياء)، و(هيولي).

يقول في (كيمياء): «لغة مولدة من اليونانية، وأصل معناها الحيلة والحِذْق»[٣].

وقد خالف الخفاجيُّ اللغويين فيها؛ فهي عند ابن دريد[٤] فارسية، وعند الخوارزمي[٥] عربية مشتقة من «كَمَى يَكْمِي: إذا ستر وأخفى، ويقال: كَمَى الشهادة يكمِيها إذا كتمها».

وذكر الزَّبِيدي[٦] الخلاف فيها، وذكر رأيَ الخفاجيِّ. وأُرَجِّح أنَّ الخفاجي مصيب في رأيه؛ فقد ذكر الدكتور ف. عبد الرحيم[٧] أنَّها يونانية وأصلها: (خيميا).

وأما آخر اللغات (من غير السامية) عند الخفاجي فهي القبطية. التي ذكر ثلاث كلمات معرَّبة منها وهي (أبيب)، و(بابه)، و(منف) ولم يذكرها الجواليقي في المعرَّب.

---

(١) الألفاظ الفارسيَّة المعربة ١٣.

(٢) التكملة ١/ ٣٩٨.

(٣) شفاء الغليل (كيمياء) ٣/ ٢٠٧.

(٤) الجمهرة ٣/ ٢٦٧.

(٥) مفاتيح العلوم ١٤٦، والخوارزمي هو محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مشارك في بعض العلوم، توفي سنة (٣٨٧هـ)، من مصادر ترجمته: كشف الظنون ٢/ ١٧٥٦، وهدية العارفين ٢/ ٥١، والأعلام ٥/ ٣١٢.

(٦) التاج ٩/ ٥٢.

(٧) المعرب (٥).

قال الخفاجي في (أبيب): «اسم شهر قبطي وليس بعربي»[١].

ب ـ المعرَّبات غير المنسوبة:

وهي أكثر المعربات في الكتاب، وعدتها نحو ست وسبعين وخمسمائة كلمة.

ويكتفي الخفاجي في تأصيلها بقوله: معرَّب[٢]، أو أعجمي[٣]، أو ليس بعربي محض[٤]، وما شابه ذلك، ومن ناحية أخرى فإنَّ المعرَّبات تنقسم عند الخفاجي على قسمين من حيث ذكر أصل الكلمة في نطقها قبل تعريبها:

القسم الأول: ذكر فيه الأصل، وهو القليل.

القسم الثاني: لم يذكر فيه الأصل، وهو الكثير.

فمن الأول: قوله في (أذريون): «معرَّب آذرگون»[٥]، وقوله في (بالغا): «معرَّب پايها»[٦]، وقوله في (بنفسج) «معرَّب بنفشه»[٧].

أما في القسم الثاني:

فإنه يكتفي بما يشير إلى أنَّه معرَّب. وأكثر مادة المعرَّب من هذا القسم، ومن ذلك قوله في (ترياق): «معروف معرَّب وفيه لغات»[٨]، دون أن يذكر أصله قبل التعريب، وقوله في (ديدبان): «بمعنى رقيب فارسي معرَّب»[٩].

---

(١) شفاء الغليل (أبيب) ٢/ ٢٣٩.

(٢) ينظر مثلًا (إسرائيل)، (أنقرة)، (أوج)، (برزيق)، (بندق)، (بط)، (بربر)، (بازهر).

(٣) ينظر مثلًا (إبراهيم)، (آب)، (برزيق)، (بط).

(٤) ينظر مثلًا (اسكندر)، (أخيل)، (بطاقة)، (بندق)، (جبس)، (خولى).

(٥) شفاء الغليل (آذريون) ٢/ ١٣٥.

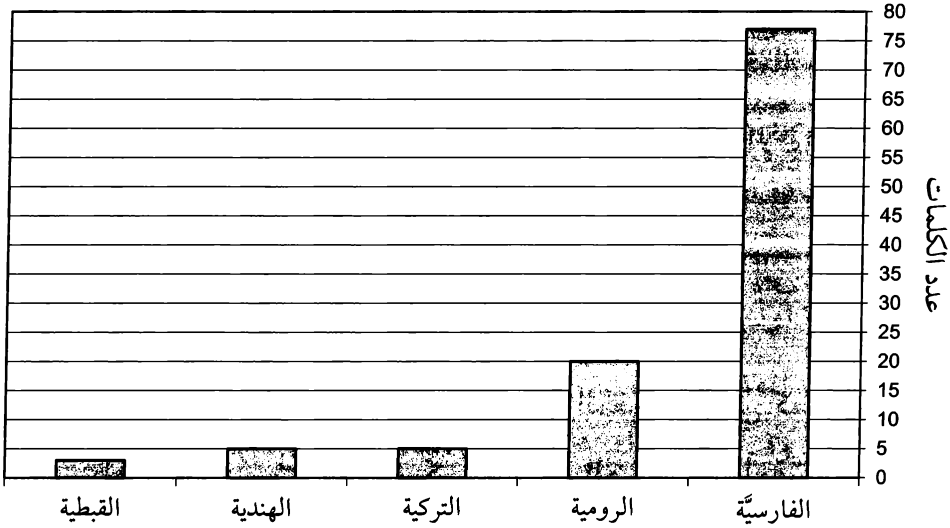
(٦) شفاء الغليل (بالغا) ٢/ ٢٥٧.

(٧) شفاء الغليل (بنفسج) ٢/ ٢٨٤.

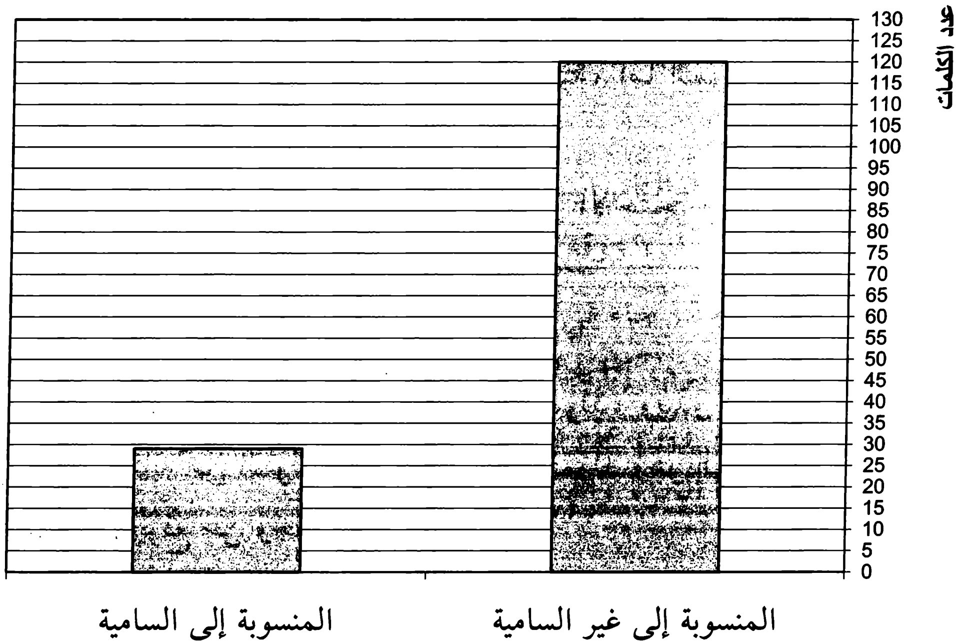
(٨) شفاء الغليل (ترياق) ٢/ ٣٣٤.

(٩) شفاء الغليل (ديدبان) ٢/ ٤٥٠.

عدد كلمات المعرَّبات غير السامية



مقارنة بين المعرَّبات المنسوبة إلى السامية وإلى غير السامية



٢ ـ الألفاظ والتراكيب المُوَلَّدة:

ذكرنا فيما تقدم أنَّ مفهوم المولَّد عند الخفاجي واسع يشمل نوعين رئيسيين وهما:

الأول: ما استعمله المولَّدون بعد عصور الاحتجاج من الألفاظ والمعاني والتراكيب.

الثاني: ما عرَّبه المتأخرون، وقد ضممت هذا القسم إلى المعرَّب في دراستي له.

ويمكن أن نضع بعض الفروق بين المولَّد والمعرَّب، وهي كما يلي:

١ ـ ظهر المعرَّبُ منذ وقت مبكِّرٍ في اللغة العربية منذ العصر الجاهلي، أما المولَّد فلم يظهر ـ حسب اصطلاح اللغويين له ـ إلا بعد انقضاء عصور الاحتجاج، وإن كان التوليد بمعناه اللغوي قد ظهر في العصر الإسلامي وكلاهما ـ أي المعرَّب والمولَّد ـ استمر حتى عصرنا الحديث، إذا ضممنا المُحْدَث إلى المولَّد.

٢ ـ المعرَّب يرجع إلى أصول غير عربية، أما المولَّد فيمكن رَدُّه إلى أصول عربية.

وما عُرِّب من لغات أجنبية بعد عصور الاحتجاج فهو معرَّب مولَّد، معرَّب باعتبار الأصل، ومولَّد باعتبار الزمان.

وهذه جهة اتحاد بين المولَّد والمعرَّب.

والخفاجي من أوائل العلماء اهتمامًا بالمولَّد، ويبدو أنَّه شعر بذلك فقال في مقدمة كتابه عن المولَّد: «وضممت إليه المولَّد وهو إلى الآن لم يدوَّن في كتاب، ولم يُرْفَع عن وجوه مُخدِّراته النقاب»[١].

وقال في غير هذا الكتاب ـ كما سيأتي ـ: «لو اقتصرنا في الألفاظ على

---

(١) شفاء الغليل ٢/١٠٢.

ما استعملته العرب العاربة والمستعربة حجرْنا الواسع، وعَسُرَ التَّكلُّمُ بالعربية على من بعدهم»[(١)].

ولعل هذه المقولة تكشف عن ميل الخفاجي إلى قبول المولَّد، لذلك ضَمَّ المولَّد إلى المعرَّب. وبخاصة بعد أن أدرك جهة الاتحاد بينهما.

فجاءت مادة المولَّد في الكتاب من غير المعرَّب نحو عشرين ومائتي كلمة تقريبًا.

وسوف أتناول جهد الخفاجي في المولَّد من خلال النقاط التالية:

أ ـ المُوَلَّد المَقِيس:

من المعروف أنَّ المولَّد خارج عن نطاق السَّماع؛ لأنَّه ولد بعد إقفال بابه، إلا أنَّ جزءًا كبيرًا منه يمكن أن يوافق القياس.

ولمَّا كان الخفاجي من أنصار المولَّد؛ فقد تحرَّى في ألفاظه ـ في شفاء الغليل ـ أنْ تكون مقيسة فجاءت أكثرها كذلك.

وقد دَوَّن بعض ما شذَّ عن القياس من المولَّد إمَّا لشُهْرَته أو للتنبيه عليه.

فمن أمثلة النوع الأول ـ أعني المقيس ـ ممَّا صرَّح بقياسيَّته:

١ ـ غم وغمة[(٢)]:

يقول الخفاجي: «والناس يسمون بعض اللحوم المشوية مغمومة، وهو صحيح ـ أيضًا ـ لكنه مولَّد، ووقع في أشعار المتأخرين».

وما قاله قريب ممَّا جاء في اللسان من معاني غم: «يقال: غم علينا الهلال غمًا، فهو مغموم، إذا حال دون رؤية الهلال غيم رقيق، من غممت الشيء إذا غطيته... ويوم غام وغم ومغم: ذو غم.... قيل: هو إذا كان يأخذ بالنفس من شدة الحر، وأغم يومنا مثله»[(٣)].

---

(١) شرح درة الغواص ٧٠.

(٢) شفاء الغليل (غم وغمة) ٣/ ١٣٢.

(٣) اللسان (غمَّ) ١٢/ ٤٤٢، ٤٤٣.

وقال الفيومي[(١)]: «غمه الشيء غمًّا ـ من باب قتل ـ غَطَّاهُ ومنه قيل للحزن (غم)؛ لأنَّه يغطي السرور والحلم».

وبناء على ما ذكروا فإنَّ (غمم) يدلُّ على معان رئيسة، منها الحجبُ أو السَّتْرُ وشدة الحر.

وكلا المعنيين حاصل في المعنى المولَّد من «غمم» على نحو ما ذكر الخفاجي.

فاللحم المشوي مستور لونه الحقيقي الأصلي بما علق على ظاهره بفعل النار، وفيه ـ أيضًا ـ المعنى الثاني، وهو شدة الحرِّ.

٢ ـ أيش[(٢)]:

بمعنى أيِّ شيء. نقل الخفاجي قول بعض الأئمة أنَّها مولَّدة[(٣)] وهي مقيسة، فقد ذكر أنَّها تخفيف أيِّ شيء، كما يقال: «ويلمَّه» في معنى ويلٌ لأمِّه على الحذف لكثرة الاستعمال، فهي مقيسة عنده، ورد على الشريف الجرجاني في «حواشي الرَّضي» في قوله: إنَّها كلمة مستعملة بمعنى أيِّ شيء وليست مخففة منها، بقوله: «ليس بشيء».

وقد استعملها ابن مالك[(٤)] وهو ثقة في اللغة بقوله[(٥)]: «ولعلَّ قائلًا يقول: المراد من هذا أيش»، واستعملها قبله إبراهيم الحربي[(٦)] وهو إمام في

(١) المصباح (غمَّ) ٢/ ٤٥٤ والفيومي هو أحمد بن محمد بن علي، لغوي فقيه، توفي بعد (٧٧٠هـ)، من مصادر ترجمته: الدرر الكامنة ١/ ٣١٤، وبغية الوعاة ١/ ٣٨٩، ومعجم المؤلفين ٢/ ١٣٢.

(٢) شفاء الغليل (أيش) ٢/ ١٧٥.

(٣) وينظر تقويم اللسان ٧٦، ومعجم تيمور الكبير ٢/ ٨٨.

(٤) هو جمال الدين محمد بن مالك الحياني النحوي، توفي سنة (٦٧٢هـ)، من مصادر ترجمته غاية النهاية ٢/ ١٨٠، وبغية الوعاة ١/ ١٣٠.

(٥) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٣٤.

(٦) وذلك في قوله «أيش أنتم»، ينظر طبقات الحنابلة ١/ ٩٠، والحربي هو أبو إسحاق =

اللغة والحديث، واستعملها قبلهما في زمن الاحتجاج الكميت[١] بن زيد في قوله: «أيشٍ تقول؟»[٢].

وذكر أحمد رضا[٣] أنَّ هذا الاستعمال ليس بغريب عن كلام العرب، وذكر أنَّ الاختزال، أو قطع بعض الحروف لكثرة الاستعمال جاء عن العرب، ومثَّل لذلك بقولهم «حاش الله» في حاشى لله، وقولهم «لا أدر» في لا أدري، وقولهم «سو ترى» في سوف ترى، ثم قال: «وكل هذا وإن كان مولَّدًا فقد جرى على ألسنة الفصحاء وأسلة أقلام الكُتَّاب، بلا لُكنة»[٤].

وبناء على ما تقدم أرى أنَّ الخفاجي مصيب في دفاعه عن هذه الكلمة المولَّدة؛ لكونها مقيسة على فصيح كلام العرب، وإن اختلف فيها العلماء[٥].

ومن المفيد ـ هنا ـ أن أقول: إنَّ هذه الكلمة (أيشٍ) مرت بمراحل في تطورها منها ما هو مولَّد مقبول على نحو ما ذكر الخفاجي، ومنها ما هو عامي يرد على ألسنة بعض العوام، ويمكن توضيح ذلك بالجدول التالي:

أيُّ شيءٍ هذا؟	أَيْشٍ هذا؟	إيشٍ هذا؟	إشْ هذا؟	وِشْ هذا؟
الفصحى	فصيحة	عامية قديمة ما زالت مستعملة	عامية حديثة	عامية حديثة

= إبراهيم بن إسحاق الحربي، فقيه محدث لغوي، توفي سنة (٢٨٥هـ)، من مصادر ترجمته: تاريخ بغداد ٦/ ٢٧، وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١/ ٨٦، ونزهة الألبا ١٦١.

(١) هو الكميت بن زيد بن الأخنس الأسدي، شاعر نسابة صاحب ديوان الهاشميات، توفي سنة (١٢٦هـ)، من مصادر ترجمته: المؤتلف والمختلف ١٧٠، ومعجم الشعراء ٣٤٧، وخزانة الأدب ١/ ١٤٤.

(٢) المسائل البصريات ١/ ٣٩٣.

(٣) رد العامي إلى الفصيح ٢٤، ٢٥.

(٤) رد العامي إلى الفصيح ٢٥.

(٥) انظر الاقتضاب ٢٦٤، وتكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ٤٧، وتقويم اللسان ٧٦، وتصحيح التصحيف ١٤١، وذيل الفصيح ٢٥.

وممَّا لم ينص على أنَّه صحيح لوضوح أمره قوله في (غِرْبال)[١]: غِرْبالٌ هو المَنْخُل الواسع الخصاص، ثم قيل للمذياع الذي لا يستودع سرًّا إلَّا أفشاه: غربالًا على التشبيه، قال[٢] [الوافر]

أَغِربالًا إذا اسْتُودِعْتَ سِرًّا وكَانُونًا على المُتَحدِّثِينَا

وما ذكره الشهاب صحيح قياسًا على المعنى الحقيقي للكلمة.

ويشهد بذلك قول الصَّغَاني[٣]: «ويقال للنَّمام: إنَّه لَغربالٌ».

ب ـ غير المقيس:

أما غير المقيس في المولَّد عند الخفاجي فقليلٌ، إذا ما قُورِنَ بالمقيس لما ذكرت[٤] ومن أمثلته:

١ ـ كُشَاجم[٥]:

ذكر الخفاجي أنَّه اسم شاعر، وأنه مأخوذ من صناعاته أو أوصافه فالكاف من كاتب، والشين من شاعر، والألف من أديب، والجيم من جميل، والميم من منجم.

وما ذكره الخفاجي من تركيب هذا الاسم من أوائل كلمات خمس غير معهود في كلام العرب فهو غير مقيس.

وهو مثيل لما نراه اليوم في بعض اللغات الأجنبية[٦] في اختزال المصطلحات المركبة من عدد من الكلمات. كذلك ما يعرف عند العرب

---

(١) شفاء الغليل (غربال) ٣/ ١٣٥.

(٢) وهو الحُطيئة يهجو أمه. ينظر ديوانه ١٢٣، والتكملة والذيل والصلة ٥/ ٤٥٨.

(٣) التكملة ٥/ ٤٥٨.

(٤) ينظر ص٢٥٤ من هذه الرسالة.

(٥) شفاء الغليل (كشاجم) ٣/ ٢٣٥.

(٦) قضايا التراكيب في لغة العرب ٣٣٢ وما بعدها.

بالنَّحت في اللغة، وهو "أن تعمَدَ إلى كلمتين أو جملة، فتنزع من مجموع حروف كلماتها، كلمةً فذَّة، فتدلَّ على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها"[١].

وعليه فإنَّ ما نظنُّه ـ في عصرنا ـ جديدًا وافدًا من اللغات الغربية، من مثل هذا التركيب ـ له جذوره في لغة العرب المولَّدة على نحو ما ذكر الشهاب.

ونقل المحبي[٢] قول الخفاجي. وذكر ابن هشام[٣] أنَّه مرتجل للعَلَميَّة دون أن يوضحه.

٢ ـ ماهِيَّة[٤]:

قال الخفاجي: «ماهيَّة بمعنى الحقيقة نسبة إلى (ما هو) مولَّدة لم تُسْمَعْ».

وذكر الشريف الجرجاني[٥] أنَّ ماهيَّة الشيء: ما به الشيء من حيث هو هو وهي من حيث هي هي، لا موجودة ولا معدومة ولا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام.

وهذه الكلمة المولَّدة خارجة على القياس من جهتين:

الأولى: المعنى.

الثانية: اللفظ.

أما المعنى فإنَّ الكلمة منسوبة إلى كلمتين مركبتين، وهما «ما» و«هو» ولا نجد لهذه الكلمة أثرًا في المعاجم العربية إلا بعد إعادتها إلى أصليها.

فأما «ما» فتدل على معان منها: الاستفهام، والنفي، والشرط، والتعجب، والمصدرية، كما تأتي موصولة[٦].

(١) الاشتقاق والتعريب ١٣.

(٢) قصد السبيل ٢/ ٣٩٧.

(٣) أوضح المسالك ٤/ ١١٨.

(٤) شفاء الغليل (ماهية) ٣/ ٢٧٧.

(٥) سبق التعريف به ١/ ١٠٩، التعريفات ١٩٥.

(٦) ينظر حروف المعاني للزجاجي ٥٣، ورصف المباني ٣٧٧، والجنى الداني ٣٢٢.

أما «هو» فضمير المفرد المذكر الغائب.

وفي كلا العنصرين اللذين تكونت منهما الكلمة تكاد لا تلمح الدلالة الجديدة للكلمة المنسوبة إليهما، إذ تدلُّ كلمة «ماهية» ـ كما ذكر الخفاجي ـ على حقيقة الأمر.

أما الجهة الثانية التي خرجت عنها هذه الكلمة المولَّدة فهي جهة اللفظ.

فالمعروف في قواعد النَّسب أنَّ المنسوب إليه إذا كان مُرَكَّبًا نُسب إلى صدره دون عجزه(١)، فقد قال الرَّضي(٢): «اعلم أنَّ جميع أقسام المركبات ينسب إلى صدرها، سواء كانت جملة محكيَّة، كتأبَّط شرًّا أو غير جملة، وسواء كان الثاني في غير الجملة متضمنًا للحرف، كخمسة عشر، وبيت بيت، أو لا كبعلبك».

ولكي يكون الحكم أكثر دقة أقول: إن كلمة «ماهيَّة» المنسوبة إلى «ما هو» غير قياسية في هذه النِّسبة على الكثير الغالب، احترازًا من القليل لأنَّه قد ينسب إلى المركب من غير حذف إذا خف اللفظ(٣).

ج ـ المولَّد بين الإفراد والتركيب:

أكثر ألفاظ الخفاجي المولَّدة مفردة وقد بلغت نحو خمس وثمانين ومائتي كلمة تقريبًا، أمَّا المرُكَّبة فهي الأقل؛ إذ بلغت نحو عشرين كلمة تقريبًا، وأغلبها من الأمثال:

وما تقدَّم من أمثلة يصلُح أنْ يكون تمثيلًا للمفرد.

أما أمثلة المولَّد المركب عند الخفاجي فمنها:

---

(١) ينظر الكتاب ٣/ ٣٧٧.

(٢) شرح الشافية ٢/ ٧١، ٧٢.

(٣) شرح الشافية ٢/ ٧٣.

١ـ جرَّ النَّارَ إلى قُرْصِه[١]:

ذكر الخفاجي أنَّه يقال لمن يُؤْثِر نَفْسَه على غيره: «يَجُرُّ النَّارَ»، وذكر أنَّه مولَّد.

وقد ذكره الثعالبي[٢] ونقله المُحِبِّي[٣] والقنوجي[٤] وأشاروا إلى أنَّه مولَّد.

٢ ـ رَكِبَ رَأْسَه[٥]:

ذكر الخفاجي قوله: ركب رأسه بمعنى تعسَّف، قال: «وأصله في الوعل إذا أراد انحِدارًا من شاهق ركب قرنيه فيزلق عليهما إلى الحضيض».

وقد نقل ذلك عن الزمخشري[٦]، وذكر ـ أيضًا ـ مثله في «أساس البلاغة»[٧] بقوله: «ومن المجاز. . . وركب رأسه: مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدًا».

د ـ طرقُ التَّوليد عند الخفاجي:

يلاحظ على ألفاظ الخفاجي المولَّدة أنَّ توليدها تم بطرقٍ متعددة منها:

أولًا: تحويل المعنى أو نقل الدلالة:

ذلك عن طريق إعطاء بعض الألفاظ العربية القديمة دِلالةً جديدةً لم تكن معروفة. وهو ما يعرف في علم اللغة الحديث بالتحوُّل الدلالي[٨]، ومن ذلك:

---

(١) شفاء الغليل (جر النار إلى قرصه) ٢/٢٨٧.

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٦٣.

(٣) قصد السبيل ١/٣٧٩.

(٤) لف القماط ٥٣.

(٥) شفاء الغليل (ركب رأسه) ٢/٤٩٧.

(٦) شرح مقامات الزمخشري مقامة المنذرة ٥٥.

(٧) أساس البلاغة (ركب) ١٧٥.

(٨) انظر نظريات علم الدلالة المعجمي ص٧٠.

١ ـ الرفع:

قال الخفاجيُّ[(١)]: «الرفع ضد الخفض، وهو في اصطلاح النحاة منقول معروف، وعند الحُسَّاب فذلكة كل درجة من العدد أو المجموع منه، ولم تكن كلمة رفع تدلُّ ـ عند العرب القدماء ـ على هذين المعنيين الاصطلاحيين، فهو معنى مولَّد مُحَوَّل عن معناه القديم».

٢ ـ أدب:

ذكر الشهاب[(٢)] نقلًا عن المطرزي[(٣)] أنَّ الأدب الذي تعرفه العرب هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم.

وذكر أنَّ الناس اصطلحوا بعد الإسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشِّعر: أديبًا، وعلوم العربية أدبًا. ثم ذكر أنَّ ذلك مولَّد.

وذكر الأزهري[(٤)] أنَّ الأدبَ هو الذي يتأدب به الأديب من الناس وعلَّل التسمية بقوله: «سُمِّي أدبًا لأنَّه يَأْدِب الناس الذين يتعلمونه إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح».

ثانيًا: الاشتقاق:

وهو وضع صيغة جديدة عن طريق الاشتقاق من كلمة عربية مستعملة، وهو الطريق الثاني من طرق التَّوليد عند الشِّهاب، ومن الأمثلة على ذلك عنده:

١ ـ تسبيح:

ذكر الشهاب[(٥)] أنَّ المولدين يقولون للمُسَبِّحَة «سُبْحة».

---

(١) شفاء الغليل (الرفع) ٢/ ٤٩٥.

(٢) شفاء الغليل (أدب) ٢/ ٢١١.

(٣) هو أبو الفتح ناصر عبد السيد المطرزي، لغوي، أديب، وتوفي سنة (١٠١هـ) من مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٥/ ٣٦٩، وإشارة التعيين ٣٦١، وبغيه الوعاة ٢/ ٣١١، وينظر كلامه في (أدب) في كتابه المغرب ١/ ٣٢/ ٣٣.

(٤) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٠٩.

(٥) شفاء الغليل (تسبيح) ٢/ ٢٣٨.

وقال ابن منظور[١]: «السُّبْحة: الخرزات التي يَعُدُّ المُسَبِّحُ بها تسبيحه، وهي كلمة مولَّدة». وقال الزبيدي[٢]: «إنَّها ليست من اللغة في شيء ولا تعرفها العرب».

والقياس في اسم الآلة «مِفْعَل» ـ كما ذكر سيبوبه ـ[٣] أو «مِفْعَال» فقياسها: مِسْبَحَة.

٢ ـ قَحْبَة:

ذكر الخفاجيُّ[٤] أنَّها بمعنى فاجرة، للمرأة البغي المتكسِّبة بالفجور، وذكر أنَّ القُحَابَ السُّعالُ، ولكنَّهم سمُّوها بهذا الاسم لأنَّها إذا أرادت أحدًا يراها سعلت له.

ومثل ذلك في المزهر[٥].

ثالثًا: التوليد المجازي:

قد تنتقل دلالة الألفاظ من معنى أصلي إلى معنى فرعي لعلاقة المشابهة وهو ما يسمى بالمجاز.

وكثير من ألفاظ الخفاجي المولَّدة منقولة بالمجاز أو الاستعارة ومن ذلك:

١ ـ حفى:

ذكر الشهاب[٦] أنَّ أصل الحفا المشي بغير نعل، وتقوله العرب لما يصيب الرجل من كثرة المشي. وذكر أنَّ الكتاب استعاروا من ذلك المعنى القديم معنى جديدًا، فقالوا: حَفِيَ القلم إذا تشعث تشبيهًا له بالماشي.

---

(١) اللسان ٢/ ٤٧٣.

(٢) التاج ٢/ ١٥٧.

(٣) الكتاب ٤/ ٩٤، ٩٥، وينظر شرح الشافية للرضي ١/ ٨٦.

(٤) شفاء الغليل (قحبة) ٣/ ١٩٠.

(٥) المزهر ١/ ٣٠٦.

(٦) شفاء الغليل (حفى) ٢/ ٤٢٠.

واستدلَّ على هذا المعنى المستعار المولَّد بقول ابن النبيه[(١)] من «الدوبيت» لما انكسر قلمه وهو يكتب بين يدي الملك الأشرف[(٢)]:

قَالَ المَلِكُ الأَشْرَفُ قَولًا رشدا   أَقْلامُكَ يا كَمالُ قلَّتْ عَدَدا
نادَيتُ لأجْلِ كُثْرِ ما تُطْلِقُه   تَحْفَي، فَتَقِطُّ فهي تفنى أبَدًا

٢ ـ حاشية:

قال الخفاجي[(٣)] إنَّها «صغار الإبل التي تكون كالحشو، ثم استعيرت لرذال الناس والخدم»، وذكر مثل ذلك الزبيدي[(٤)].

٣ ـ العامي والملحون:

ذكرنا أن العاميَّ والملحونَ بلغت مادتُه عند الخفاجي ثمانيًا وسبعين ومائة كلمة، ووقفنا على دلالة هذين المصطلحين في بداية هذا الفصل.

ورأينا أنَّ كليهما انحراف عن الأصل.

وقد استخدم الخفاجيُّ المصطلحين في كتابه عند التعرُّض لتلك المواد، ولا سيما العامي الذي أكثر من ذكره، وصنَّفه إلى طبقات في المستوى الصَّوابيِّ: عاميٍّ، وعاميٍّ مرذول، وعاميٍّ مرذولٍ جدًّا.

ويبدو أنَّ الخفاجي أحس بما يمكن أن يوجَّه له من لوم أو نقد بسبب تضمين كتابه تلك الكلمات العامية أو الملحونة، وبخاصة المرذول منها أو

---

(١) هو كمال الدين علي بن محمد بن الحسن بن يوسف المصري، شاعر أديب، توفي سنة (٦١٩هـ)، من مصادر ترجمته: فوات الوفيات ٣/٦٦، وشذرات الذهب ٥/٨٥، وروضات الجنات ٤٨٨.

(٢) ديوان ابن النبيه ٣٠٢، والملك الأشرف هو موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر، الملقب بالملك الأشرف، توفي سنة (٦٦٢هـ)، وترجمته في: وفيات الأعيان ٥/ ٣٣٠وما بعدها، والبيتان فيه (٥/ ٣٤٤).

(٣) شفاء الغليل ٦٩، ٢/٤٠٦.

(٤) التاج ١٠/٨٩.

المبتذل، فأجاب عن ذلك بقوله بعد أن ذكر استعمالًا عاميًّا مبتذلًا في مادة (أبْعَدَ)[١]: وإنَّما يُذكرُ مثلها لما قيل [من الهَزَج]:

عــرفــتُ الــشَّــرَّ لا لــلــشَّــرِّ ... لــكــن لــتــوقــيــهِ
ومــن لا يَــعْــرِفُ الــشَّــرَّ ... مِــنَ الــنَّــاسِ يــقــعْ فــيــهِ

كما تُوصفُ السُّموم لتجتنب.

وهذا قول عالمٍ واعٍ بما يجمعه من مادة، أعلن من خلاله ـ بوضوح ـ أنَّه عندما عُنِيَ بالمولَّد وجعله قسمًا مُهِمًّا في كتابه وقَبِلَه في اللغة، وبخاصة ما كان منه مقيسًا ؛ لم يكن ذلك حافزًا له ومسوِّغًا لقبول العامي والملحون أيضًا. وإنَّما أراد بذلك أن ينصَّ عليه ليُحَذِّرَ منه، فيُجْتنب.

والعاميُّ عند الخفاجي درجاتٌ:

١ ـ قد يكون عاميًّا صِرْفًا، كقوله في (الدخول)[٢]: إنَّ المحدثين يسمون حُسْنَ الصوت دخولًا، وهو «عاميٌّ صِرف».. وقد أصاب في حكمه، فلم تذكر المعاجم هذا المعنى في معاني تلك الكلمة باستثناء المُحِبِّي[٣] الذي نُقِل عن الخفاجي.

٢ ـ وقد يكون رَذِلًا مبتذلًا كقوله في (طار)[٤] إنَّه: «بمعنى الدُّفِّ عامية رَذِلة مُبتذلة».

٣ ـ وقد يكو عاميًّا قبيحًا، كقوله في (بابا)[٥]: إنَّه «بمعنى مُزَيِّن، عامية قبيحة».

---

(١) شفاء الغليل (أبعد) ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.
(٢) شفاء الغليل (الدخول) ٢/ ٤٨٠.
(٣) قصد السبيل ٢/ ١٨.
(٤) شفاء الغليل (طار) ٣/ ١٠٦.
(٥) شفاء الغليل (بابا) ٢/ ٢٩٦.

٤ ـ وقد يكون للعامي ـ في مقابل ذلك ـ أصل في اللغة، كقوله في (قذافة)[١]: إنَّ العامة تقول للقذافة والقذيفة «مقلاع» وهو معروف. وهذا الذي ذكره الشهاب استعمال صحيح وإن لم يُسمَع، فهو مشتق من (قلع) التي من معانيها[٢] تحويل الشيء من موضعه.

وذكره بهذا المعنى الزَّبيدي[٣] ولم يذكرْ أنَّه خطأ.

٥ ـ وقد ينص على أنَّه صوابٌ كقوله في (أوْراه)[٤]: إنَّه بمعنى أراه عامية ثمَّ صوبه اعتمادًا على قراءة ذكرها الزمخشري[٥]، وهي قراءة الحسن البصري[٦]: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[٧] بواو ساكنة بعد الهمزة على ما يقتضيه رسم المصحف.

قال الخفاجي نقلًا عن الزمخشري: «وهي لغة فاشية بالحجاز، يقال: أورني كذا وأوريته، ووجهه أنْ يكون من أوريتُ الزِّنْد؛ كأنَّ المعنى بيِّنْه لي وأنِرْهُ». وهذا الذي ذكره الخفاجي أحد وجهين.

أما الآخر منهما فذكره أبو حيَّان[٨]: وهوأنْ تكون الواو بعد الهمزة إشباعًا للضمة.

---

(١) شفاء الغليل (قذافة) ٣/ ١٩٩.

(٢) اللسان ٨/ ٢٩.

(٣) التاج ٥/ ٤٨٢.

(٤) شفاء الغليل (أوراه) ٢/ ١٧٨.

(٥) الكشاف ٢/ ٩٣.

(٦) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي،كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، توفي سنة (١١٠م) من مصادر ترجمته: ميزان الاعتدال ١/ ٢٥٤، ووفيات الأعيان ٢/ ٦٩، وتهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣.

(٧) في تفسير أبو السعود ٣/ ٢٧١ ذكر هذه القراءة ولم ينسبها، وانظر تفسير البيضاوي ٣/ ٥٩، ونسبها صاحب تفسير روح المعاني ٩/ ٦٠ للحسن البصري، وقال «بضم الهمزة وواو ساكنة وراء خفيفة مكسورة وهي لغة فاشية في الحجاز».

(٨) البحر المحيط ٤/ ٣٨٩، وأبو حيان هو محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، نحوي =

ولم يذكر الخفاجي هذا الوجه، لأنَّه لا حُجَّة فيه لما ذكر.

وأما الملحون:

فمنه ما نصَّ على أنَّه خطأ لا وجه له في اللغة، كقوله في (أزليٍّ)(١) إنَّه خطأ، ومردُّ ذلك عنده إلى أمرين:

الأول: المعنى إذْ لا يصحُّ أن يوصف به عز وجل، لأنَّه ليس من أسمائه أو صفاته، التي سمَّى بها نفسه، أو وصفها بها.

ولم يثبت ذلك عن رسول الله ﷺ كما ذكر الزُّبيديُّ(٢).

الثاني: اللفظ، فإنَّ الخفاجي ذكر أنَّه منسوب إلى «لم يزل».

وقال: «ولم يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف... ومخالفته للقياس ظاهرة لأنَّه نسب إلى (لم يزل) بعد حذف «لم» وأبدلت الهمزة من الياء وكلها تكلفات.

ولم يجزه الزُّبيدي(٣)، وظاهر كلام الجوهري أنه يجوز، لاستدلاله بقولهم في ذي يزن «أَزَني»(٤).

وقد أصاب الخفاجيُّ في حكمه.

أما ما ذكره الجوهري فيصبح ـ قياسًا على القليل ـ(٥) لو كان لم يزل «علمًا» كذي يزن.

= مشهور، توفي سنة (٧٤٥)، من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/ ٢٨٠، والوافي بالوافيات ٥/ ٣٨١، ونفح الطيب ٣/ ٢٨٨.

(١) شفاء الغليل (أزلي) ٢/ ١٧٥.

(٢) لحن العوام ٦٩ (رمضان)، والزبيدي هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذجح الزبيدي الأندلسي، لغوي نحوي، توفي سنة (٣٧٩هـ)، من مصادر ترجمته: بغية الملتمس ٥٦، معجم الأدباء ١٨/ ١٧٩، إشارة التعيين ٣٠٧.

(٣) لحن العوام ٦٩ (رمضان).

(٤) الصحاح ٤/ ١٦٢٢.

(٥) انظر شرح الشافية للرضي ٢/ ٧٣.

ومن الملحون ما نقل خلافًا فيه عن العلماء.

فقد ذكر في (إحنة)[(١)] وهو الحقد أنَّ أهل اللغة عدُّوا قولهم: «حنة» لحنًا صوابه «إحنة».

ثم نقل رأيًا لبعض أهل اللغة بجواز حِنَة لأنَّه سمع في روايته لبيت أبي الطمحان القيني[(٢)]: [الطويل]

وإنْ كانَ في صَدْرِ ابنِّ عمِّكَ إِحْنَةٌ فَلا تَسْتَثِرْها سوف يَبدو دَفينُها[(٣)]

ونقل الشهاب أيضًا حديثًا شريفًا[(٤)] رويت فيه الكلمة بإسقاط الهمزة. ولا يكتفي الخفاجي بذكر اللحن أو الخلاف فيه، ولكنَّه في كثير من الأحيان يشفعه بذكر الصواب[(٥)].

٤ ـ الألفاظ العربية الفصيحة:

ذَكَرْتُ أنَّ شفاء الغليل «حوى ثمانيًا وتسعين مادة تقريبًا» عربية صحيحة.

ومن المعلوم أنَّه لم يكن من منهج الخفاجيِّ أو هدفه ذكرُ العربي الصحيح من الفصاحة، فكتابه مخصَّصٌ لمادة معينة، هي المعرَّب والمولَّد والعامِي وبعض النوادر.

ولكنَّ الخفاجيَّ حين أورد هذه المادة من الألفاظ العربية الصحيحة كان

---

(١) شفاء الغليل ٢/١٩٨.

(٢) هو حنظلة بن شرقي من بني القين، توفي سنة ٣٠هـ، ينظر ترجمته: الشعر والشعراء ١/ ٣٨٨، والأغاني ١٣/٣/١٣، والإصابة ١/٣٨١، وسمط اللآلي ٣٣٢.

(٣) روي البيت في الصحاح ٥/٢٠٦، وإصلاح المنطق ٢٨٢، واللسان ١٣/٩، والتاج ٩/ ١١٨، على أنه «إحنة» وليس «حنة»، واتفقت مطبوعات الشفاء التي وقفت عليها على أنه «حنة». وفي (ك): إحنة.

(٤) شفاء الغليل (إحنة) ٢/١٩٨.

(٥) انظر شفاء الغليل في المواد التالية على سبيل المثال (اشترت)، و(غفيت)، و(قنطرة)، و(مليسي)، و(مهول).

يهدف إلى شيء مُهِمٍّ، وهو محاولة رفع الظَّنِّ أو التَّوهُّم عن بعض المواد أو الاستعمالات التي ظُنَّ أو تُوُهِّمَ أنَّها مُعرَّبة أو مُولَّدة أو ملحُونة.

فكان يُصرِّح في بعض الأحيان بما توهَّموا فيه وقد لا يصرح، وكان يردد مثل العبارات التالية: ليس معرَّبًا ولا مولَّدًا ولا محرفًا[١]، أو ليس بمولَّد[٢]، أو ليس بمُحدَثٍ[٣]، أو ليس بلحن[٤]، وجزء من هذه الكلمات العربية الفصيحة ذكرها لأنَّها حدثت بعد العصر الأول، أي بعد ظهور الإسلام وقد نصَّ على ذلك كما سيأتي توضيحه.

ففي محاولته رفع الظَّنِّ أو التَّوَهُّم ذكر في (إبرام)[٥] أنَّها بمعنى الإلحاح مجاز مشهور وليس بمحدث كما تُوهِّمَ.

وقال في (مَشْوَرة)[٦]: ظن بعضهم أنَّه لحن وليس كما ظن.

ونحو ذلك قاله في: (أيْوَة)[٧]، و(شدَّ ما فعل كذا)[٨]، و(محصول)[٩]، وممَّا قال فيه: إنه ليس بمولَّد (أملس)[١٠] و(اللهم نعم)[١١] و(جائزة)[١٢]

---

(١) شفاء الغليل (كَدِّي) ٣/ ٢٣٠.

(٢) شفاء الغليل (ميدة) ٣/ ٢٥١.

(٣) شفاء الغليل (إبرام) ٢/ ٢٤٧.

(٤) شفاء الغليل (مشورة) ٣/ ٢٩٤.

(٥) شفاء الغليل (إبرام) ٢/ ٢٤٧.

(٦) شفاء الغليل (مشورة) ٣/ ٢٩٤.

(٧) شفاء الغليل (إيوه) ٢/ ١٨٩.

(٨) شفاء الغليل (شد ما فعل كذا) ٣/ ٥٨.

(٩) شفاء الغليل (محصول) ٣/ ٢٧٥.

(١٠) شفاء الغليل (أملس) ٢/ ١٩٦.

(١١) شفاء الغليل (اللهم) ٢/ ١٩٦.

(١٢) شفاء الغليل (جائزة) ٢/ ٣٨١.

و(ميدة)[١] وغير ذلك.

ومن المواد العربية التي ذكر الشهاب أنَّها ليست ملحونة: (الآكلة)[٢] و(رايز)[٣] و(مسقوطة)[٤] بمعنى ساقطة.

وقد يأتي بمواد لينص على أنَّها عربية فصيحة، دون أن ينفي عنها شائبة.

فمن ذلك مثلًا مواد: (بضعة وثلاثون)[٥]، و(دفتر)[٦]، و(غَلْق)[٧].

ولعله أراد بنصه على فصاحة تلك الألفاظ أن ينفي ما يمكن أن يدور في الأذهان ممَّا قد يعكر فصاحتها.

أما ما ذكره من العربي الفصيح الحادث بعد العصر الأول يعني بعد ظهور الإسلام خلاف ما استدل بالحديث عليه فمنه (تمرة خير من جرادة)[٨]، و(دعوة كوكبية)[٩]، و(سِجْن)[١٠]، و(غالية)[١١]، و(ما عدا ممَّا بدا)[١٢].

فقال في مادة (سجن) مُعِلِّلًا ذكرها: «... وإنَّما ذكرتُه ـ هنا ـ لأنَّ هذه الأسماء حدثت بعد العصر الأول»[١٣].

---

(١) شفاء الغليل (ميدة) ٣/ ٣٠٥.

(٢) شفاء الغليل (الآكلة) ٢/ ٢٤٠.

(٣) شفاء الغليل (رايز) ٢/ ٥٠٠.

(٤) شفاء الغليل (مسقوطة) ٣/ ٢٧٦.

(٥) شفاء الغليل (بضعة وثلاثون) ٢/ ٣١٤.

(٦) شفاء الغليل (دفتر) ٢/ ٤٥١.

(٧) شفاء الغليل (غَلْق) ٣/ ١٤٠.

(٨) شفاء الغليل (تمرة خير من جرادة) ٢/ ٣٤٥.

(٩) شفاء الغليل (دعوة كوكبية) ٢/ ٤٧٣.

(١٠) شفاء الغليل (سجن) ٣/ ٣١.

(١١) شفاء الغليل (غالية) ٣/ ١٣٦.

(١٢) شفاء الغليل (ما عدا ممَّا بدا) ٣/ ٢٧١.

(١٣) شفاء الغليل (سجن) ٣/ ٣١.

والخفاجيُّ بذلك يميل إلى التأريخ للألفاظ والاستعمالات ولو حاول تطبيق ذلك على مادة الكتاب كُلِّها لأسدى خدمة جليلة للمعجم العربي.

٥ ـ النوادر والفوائد:

ذَكَرْتُ في تحليل المادة اللغوية في «شفاء الغليل» أنَّه حوى قدرًا من النوادر والفوائد والألفاظ الغريبة.

وبلغت هذه المادة ـ كما ذكرت ـ اثنتين وعشرين مادة في النوادر، وعشرين مادة في الفوائد واللطائف.

وقد أشار الخفاجيُّ في مقدمته أنَّه طَعَّم كتابه ببعض الفوائد واللطائف. ومثال النوادر عند الخفاجي قوله في (عيشة)(١) بمعنى عائشة: إنَّها لغة نادرة.

ومنعه ابن السكيت(٢) بقوله: «وتقول عائشة ولا تقل عيشة»، وكذلك التبريزي(٣) ونقله ابن منظور(٤).

وقد ذكر الشهاب أنَّه نقلَهُ عن ابن فارسٍ، ولم أقف عليه فيما تحت يدي من مصنفاته(٥).

ومثال الاستعمال الغريب للكلمة قوله في (فَتَحَ)(٦) نقلًا عن أبي تمام: [الوافر]

«يقال: فتح السيف إذا انتضاه، وأنشد أبو تمام ليزيد بن مفرغ(٧):

---

(١) شفاء الغليل (عيشة) ٣/ ١١٠.

(٢) إصلاح المنطق ٢٩٧.

(٣) تهذيب إصلاح المنطق ٢/ ١٣٥.

(٤) اللسان ٦/ ٣٢٢.

(٥) ومنها «تمام الفصيح» و«الصَّاحبي» و«مقاييس اللغة» و«المجمل».

(٦) شفاء الغليل (فَتَحَ) ٣/ ١٥٧.

(٧) هو يزيد بن مفرغ الحميري، شاعر من أهل «تبالة» بالحجاز اتصل بمروان بن الحكم، توفي سنة (٦٩هـ)، والبيت من قصيدة يهجو فيها عبيد الله بن زياد عندما قال: «افتحوا =

ويَومَ فَتَحتَ سَيفَكَ من بَعيدٍ أَضَعْتَ وكلُّ أمرِكَ للضَّياعِ[١]

قال الخفاجي: «وإنَّما ذكرناه لأنَّه استعمال غريب»، وذكره المحبي[٢] وأشار إلى أنَّه غريب تبعًا للخفاجي.

أما الفوائد واللطائف فذكر الخفاجي منها نحو أربع عشرة مادة في كتابه، ومثال ذلك ما ذكره في مادة «الرَّتَّة» ممَّا يسمى بأمراض الكلام وعيوبه كالرتة والتمتمة والفأفأة والحبسة والغمغمة والطمطمة واللثغة والغنة والخنة.

وقد وضح كلًّا ممَّا تقدم وفصَّله.

ومن ذلك كلامه في (ويه)[٣] وغيره[٤].

= سيوفكم»، ينظر: ديوانه ١٥٥، وأمالي الزجاجي ٢٢٩، والبيان والتبيين ٢/ ١١١، والأغاني ١٨/ ٢٠٧، والحماسة البصرية ٢/ ٢٩٣. والبيت في نقائض جرير والأخطل تأليف أبي تمام ص٨.

(١) في نص الخفاجي «لا يضيع» وهو تحريف لرواية البيت ومخالف لروي القصيدة.

(٢) قصد السبيل ٢/ ٢٣٦.

(٣) شفاء الغليل (ويه) ٣/ ٣٦٤.

(٤) ينظر على سبيل المثال المواد التالية من شفاء الغليل (شتوي) و(شوت) و(طير) و(القطعة) و(كان وكان) و(لو) و(نون العظمة) و(يلمه).

البَابُ الثَّانِي

القضايا اللغوية في شفاء الغليل

ويتضمن فصولًا ثلاثة:

الفصل الأول: من الظواهر الصوتية.

الفصل الثاني: من قضايا الدلالة.

الفصل الثالث: من الظواهر البنائية.

❁ ❁ ❁

الفَصْلُ الأوَّل

مِنَ الظَّوَاهِرِ الصَّوتِيَّة

تمهيد

من يقرأ شفاء الغليل مقدمته ومادته يستطيع أن يُقَرِّر من البداية أنَّ الظاهرة الصوتية المسيطرة على الكتاب؛ هي ظاهرة الإبدال بمعناه العام، أعني التغيير؛ تغيير حرف إلى حرف آخر في الكلمة الواحدة أو تغيير أكثر من حرف.

ولأنَّ الأمر يتعلق بالتعريب فإنَّه يبدو صعبًا أن نُصنِّف مادة الكتاب التي حدث فيها تغييرات في الأصوات تحت ما عُرِف بالإبدال في التراث العربي، وتأتي هذه الصعوبة من جانبين أساسين فيما نرى:

الجانب الأول:

هو اختلاف علماء العربية القدماء ـ والمحدثين أيضًا ـ حول مفهوم الإبدال، فهناك الإبدال الصرفي، والإبدال اللغوي. . . وهناك من جعل الحروف التي تبدل تسعة كابن مالك[1] مجموعة في قوله «هدأت موطيا» وكذلك فعل ابن الناظم[2]، وهناك من جعلها أحدَ عشر حرفًا وعلى رأسهم سيبويه[3]، وهي عنده (الهمزة والألف والياء والواو والميم والنون والهاء والطاء والدال والجيم والتاء)، وأبو البركات الأنباري[4]، وهناك من جعلها

---

(١) انظر البيت رقم ٣٧٧ من الألفية. كتاب الخلاصة في النحو: ك ألفية ابن مالك ١٣١.

(٢) شرح ابن الناظم ٥٩٤.

(٣) الكتاب ٤/ ٢٣٧.

(٤) الوجيز في التصريف ٣٨.

اثني عشر حرفًا مجموعة في قولهم (طال يوم أنجدته) كالمبرد[١]، وهناك من جعلها خمسة عشر حرفًا وجمعها في قوله: «استنجده يوم صال زط» كالزمخشري[٢]، ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّها تبلغ عند ابن مالك اثنين وعشرين حرفًا[٣]... كل ذلك فيما أطلقوا عليه الإبدال الصرفي، وهو إبدال لازم أو قياسي، وهناك أيضًا الإبدال اللغوي، وهو إبدال غير لازم، ويشمل الألفاظ التي رُوي كل منها بوجهين بينهما اختلاف في حرف واحد[٤]، أما حروفه فقد توسعوا فيها، فأجاز بعضهم[٥] وقوعه في جميع حروف الهجاء.

ولذلك نجد العلماء يفرِّقون بين الإبدال اللغوي، والإبدال الصرفي، يقول أبو علي القالي: «اللغويون يذهبون إلى أنَّ جميع ما أمليناه إبدال، وليس هو كذلك عند علماء النحو، وإنَّما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفًا، تسعة من الزوائد، وثلاثة من غيرها. فأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا: «اليوم تنساه» وهذا عمله أبو عثمان المازني، وأما حروف البدل فيجمعها قولنا: «طال يوم أنجدته» وهذا أنا عملته»[٦]. ولم يفت الصرفيين كذلك «أن يفرقوا في الإبدال بين شائع مشهور ونادر لا ينقاس، فقد رأوا الشائع يكثر وقوعه في حروف لا تزيد على اثني عشر كالتي جمعها أبو علي القالي.. وجعلها بعضهم أربعة عشر حرفًا... وأراد ابن يعيش أن يعلل حصرها في واحد من تلك الأعداد المذكورة، فرأى أنَّ مراد الصرفيين استقراء الحروف التي كثر إبدالها واشتدت واشتهرت بذلك، ولم يريدوا أنَّه لم يقع البدل في

---

(١) المقتضب ١/ ٦١.

(٢) المفصل ٣٦.

(٣) من أسرار اللغة ٧٢.

(٤) انظر ظاهرة الإبدال اللغوي ٢٥.

(٥) المزهر ١/ ٤٦١.

(٦) الأمالي لأبي علي القالي ٢/ ١٨٦، وانظر الأمثلة التي ساقها هناك.

شيء من الحروف سوى ما ذكر[1]. أما النادر الذي لا ينقاس، فقد لاحظ الصرفيون إمكان وقوعه في جميع حروف الهجاء. ولعلهم بإدراكهم هذه الحقيقة فتحوا الباب للغويين على مصراعيه حتى استكثروا في الإبدال من الغرائب والنوادر، وطلعوا على الباحثين بأحرف وقع فيها الإبدال على الرغم من تباعدها صفة ومخرجًا»[2].

الجانب الثاني:

أما الجانب الثاني فيتمثل في ثلاثة أمور:

الأول: أنه عند التعريب وجد في بعض الكلمات الأعجمية أصوات ليست من أصوات العرب ـ كما صرح بذلك العلماء ـ مثل صوت الـ (باء) الفارسيَّة أو بمعنى أدق غير العربية ورمزها الآن (p)، وغيرها من الأصوات التي سنتعرض لها بالتفصيل، أقول كيف يمكن أن نعد انتقال هذا الصوت الأعجمي إلى صوت من أصوات العربية ولو كان قريبًا منه في المخرج أو الصفات إبدالًا ـ؟

والأمر الثاني: هو أننا وجدنا كثيرًا من المواد في شفاء الغليل قد حدث فيها تغير لصوتين؛ أو أكثر في الكلمة الواحدة، وربما وجدنا علاقة صوتية بين الأصوات التي تغيرت وأصولها، ولكنَّ العلماء ـ كما قلنا من قبل ـ ذكروا أنَّ الإبدال اللغوي هو انتقال صوت واحد في الكلمة إلى صوت آخر[3] مع وجود علاقة صوتية بينهما من قرب المخرج، أو اتحاده، أو قرب الصفات.

وأحيانًا نجد مع تغير الأصوات عملية أخرى؛ من حذف أو زيادة.

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٧ (ط المنيرية بالقاهرة).

(٢) دراسات في فقه اللغة ٢٣٣، ٢٣٤ (صبحي الصالح).

(٣) ذلك إذا استثنينا ما عرف عند ابن جني بنظرية «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني» الخصائص ١/٥٣٨.

والأمر الثالث: هو حدوث التغيير بين صوتين لا علاقة بينهما؛ من حيث قرب المخرج، أو تشابه الصفات فلربما تناول ذلك أكثر من صوت في الكلمة الواحدة، بحيث تنتقل إلى أصوات أخرى بعيدة تمامًا عنها من حيث المخرج والصفات.

لذلك رأينا أنْ تأتي دارستنا لهذا الفصل على النحو التالي:

أولًا: الاعتماد على مبدأ التطور الصوتي في دراسة الأصوات عند الخفاجي في شفاء الغليل، وذلك اعتمادًا على ما ذهب إليه المحدثون حيث «يردون أكثر صور الإبدال إلى ضرب من التطور الصوتي الذي يدخل أحيانًا في اختلاف اللهجات»(١). وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنَّها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنَّها جميعًا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أنَّ إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو تطور عنها. غير أنَّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه»(٢).

وعلى ذلك فسوف نحاول تفسير عمليات التغير أو الإبدال التي تحدث عنها الخفاجي نظريًّا أو تطبيقيًّا ـ ما دام هناك علاقة صوتية بين الصوتين المتبادلين ـ تحت نوعين أساسيين من التغيرات الصوتية وهي:

١ ـ التغيرات التاريخية للأصوات.

---

(١) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح ص٢١٣.

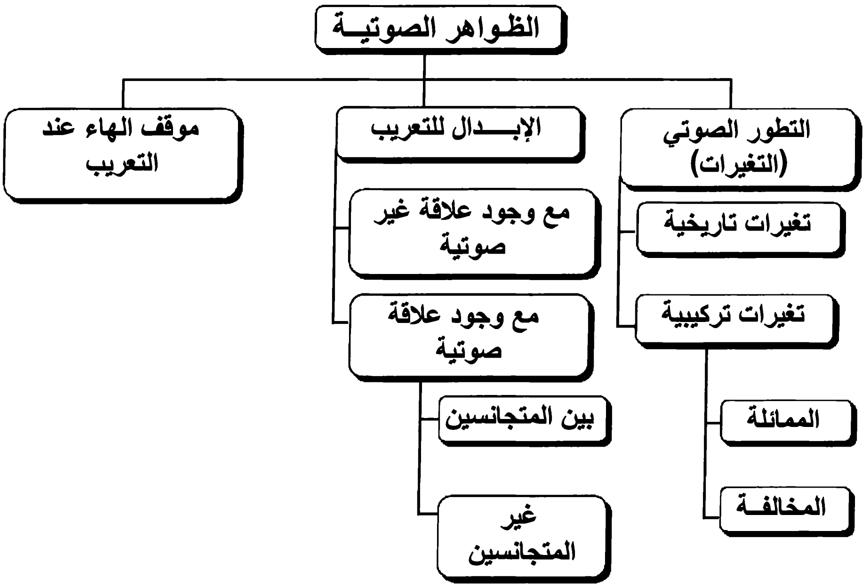
(٢) من أسرار اللغة ٥٨.

٢ ـ التغيرات التركيبيَّة[١] أو السِّياقيَّة[٢].

ثانيًا: دراسة أيِّ تغير آخر أو إبدال بين الحروف التي لا علاقة بينها من حيث المخارج أو الصفات، ودراسة الكلمات التي حدث فيها إبدال لأكثر من صوت وبين الأصوات المبدلة علاقة صوتية تحت ما أسميناه بـ (الإبدال للتعريب).

ثالثًا: موقف العرب من الهاء المتطرفة في الكلمة الأعجمية عند التعريب.

وذلك كما في المخطط التالي:



(١) كذلك أطلق عليها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه التطور اللغوي ٢٤.

(٢) كذلك أطلق عليها الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه مدخل إلى علم اللغة ٨٥، ٨٦.

أولاً: التطور (التغيير) الصوتي

١ ـ التغيرات الصوتية التاريخية:

ونعني بها «تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتًا آخر»[١]. وقد أطلق برجشتراسر على هذه التغيرات اسم التغيرات المطَّردة المطلقة[٢].

ولعله من الأمور التي لا تحتاج إلى برهان أنَّ نطق أيِّ لغة، أو بمعنى أكثر دقة، أصوات أي لغة لا تبقى على حالة واحدة أو ثابتة عبر الأزمان؛ ولكنَّ هذا النطق «يتعرض خلال تاريخه لتغيرات عديدة، تكون أحيانًا بطيئة وأحيانًا أخرى سريعة»[٣].

ومن الضروري أن نؤكِّد أنَّ أخطر نتائج هذا النوع ـ التغيير التاريخي للأصوات ـ هو اختفاء صوت معين وتحوله إلى صوت آخر له علاقة ما بهذا الصوت ربَّما من ناحية المخرج أو الصفات.

ولا يمكن بحال من الأحوال الوصول إلى الصوت الأصلي الذي تغير عبر فترات زمنية طويلة ربَّما تصل إلى مئات بل آلاف السنين إلا عن طريق مقارنة اللغات وبخاصة لغات العائلة الواحدة.

---

(١) التطور اللغوي ٢٤، وانظر مدخل إلى علم اللغة (حجازي) ٨٣، والأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية ٦٣ وما بعدها.

(٢) انظر التطور النحوي ٢٦، ٢٧.

(٣) علم الأصوات لبرتيل مالمبرج ٢٥٥.

فلقد أثمرت مقارنة اللغات السامية نتائج هائلة في معرفة الكثير عن تطور بعض الأصوات لدرجة اختفائها من إحدى اللغات السامية وبقائها في لغة أخرى.

ولذلك نجد علماءنا القدماء ـ ومنهم الخفاجي ـ يقررون بما لا يدع مجالًا للشك أنَّ هناك أصواتًا لا توجد في اللغة العربية ولذلك يجب أنْ تبدل إلى أصوات عربية إذا ما أردنا أن نُعَرِّب كلمة من الفارسيَّة أو الآراميَّة أو التركية أو الرومية. . الخ.

يقول الخفاجي: «اعلم أنَّهم قد يغيرون الكلمة الأعجمية ـ كما سيأتي ـ، والتغيير أكثر من عدمه؛ فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجًا. . .»[١]، وكلام اللغويين القدماء ومنهم الخفاجي يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون، فإنَّه من المقرر عند المحدثين أنَّ «الشعوب البشرية قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي استخدامًا كاملًا؛ وهذا هو السبب في أنَّ اللغات الإنسانية تتفق فيما بينها في بعض الأصوات، وتختلف في بعضها الآخر، وذلك تبعًا لاختلافها في استخدام إمكانات الجهاز النطقي المتعددة؛ فالشعوب الهندية والأوربية ـ مثلًا ـ لم تستخدم كل إمكانات النطق في إخراج الأصوات من الحلق؛ ولذلك تخلو بعض لغاتهم من صوتي الخاء والعين، وذلك بعكس اللغة العربية ومعظم اللغات السامية مثلًا»[٢].

غير أنَّنا لا نستطيع التسليم للأمثلة التي أوردها الخفاجي ومن قبله بأنَّها من هذا النوع حيث يضرب أمثلة لذلك بقوله: «فما كان بين الكاف والجيم يجعلونه جيمًا أو كافًا أو قافًا كما قالوا: كربج وقربق»[٣].

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٠٨.

(٢) مدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان ٢٩، وانظر علم اللغة لوافي ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٠٨.

والحرف الذي بين الكاف والجيم غير المعطشة التي ينطقها أهل القاهرة اليوم في مثل كلمة (جَمَل) Gamal.

ويذكر حرفًا آخر وهو حرف (پ) ويرمز له (p) وهو النظير المهموس للباء فيقول: «ويبدلون (الباء المخلوطة بالفاء) بالباء أو بالفاء نحو برند وفرند».

فالحروف العربية التي تبدل بالحروف التي ليست من لغة العرب ـ عند الخفاجي ومن سبقه من القدماء ـ هي خمسة حروف، وإبدالها مُطَّرد حيث يقول: «والحروف المبدلة عشرة؛ خمسة يطرد إبدالها وهي الكاف، والجيم، والقاف، والباء، والفاء ممَّا ليس في كلامهم وهي المخلوطة»[1]، فالخفاجي يستخدم مصطلح (الحروف المخلوطة) وهو قريب ممَّا استخدمه بعض المحدثين لبعض الأصوات وهي الأصوات المشوبة[2].

ولم يسبق أحدٌ الخفاجي في استخدام مصطلح (المخلوطة)، وإن كان قد ردَّد كلام من سبقوه في اعتبار هذه الحروف (ب p، ج J، گ G) ليست من حروف العرب بدءًا من سيبويه حتى عصر الخفاجي، فقد نقل عن سيبويه ـ بتصرُّفٍ ـ باب اطِّراد الإبدال في الفارسيَّة. وممَّا نقله عنه:

«يبدلون من الحروف التي بين الكاف والجيم: الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد لأنَّها ليست من حروفهم نحو: (الجُرْبُز) و(الآجُرُّ) و(الجَوْرب)، كما قالوا في (كَام) و(بن گ) بالكاف العجمية: (لجام) و(بينج)، وربما أبدلوا القاف لأنَّها قريبة أيضًا. قال بعضهم (قربز) وقالوا: (كربق) (وقربق)...»[3].

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٠٨.

(٢) استخدم الدكتور إبراهيم السامرائي مصطلح (الجيم المشوبة بالشين) عند تعليقه على كلمة قفشليل. انظر حاشية ابن برى ٢١ حاشية ١٨.

(٣) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٠٩، وانظر سيبويه ٤/٣٠٥.

ويلاحظ على هذا النص أمران:

الأول: تفرُّد الخفاجي في استخدام مصطلح (الكاف العجمية ـكَ) بينما استخدم سيبويه ومن بعده مصطلح (الحرف الذي بين الكاف والجيم) لأنَّ عبارة: (كما قالوا في لگَام)، و(بنگ) بالكاف العجمية: (لجامَ) و(بينج) هي من كلام الخفاجي وليست من كلام سيبويه.

الثاني: أنَّ الخفاجي قد غيَّر بداية كلام سيبويه من (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم)[1] إلى «يبدلون من الحروف التي بين الكاف والجيم. . . .» وذلك يعني أنَّ الخفاجي أراد أن يقول أنَّ هناك حرفين أو أكثر بين الكاف والجيم. والمؤكَّد لدينا من خلال أمثلة سيبويه ومثالي الخفاجي أنَّهما حرفان هما: (G) الجيم غير المعطشة وتنطق كالجيم القاهرية أو كالقاف البدوية يقولون (جَال) في (قال) وكذا أسمعها في لهجة بعض قرى محافظة الشرقية، ويبدو أنَّها منتشرة إلى الآن ـ في كثير من لهجات مصر. والحرف الثاني هو الذي صرَّح به الخفاجي وهو الكاف الأعجمية (گ) وهو قريب الشبه جِدًّا من سابقه. وسوف نتحدث بعد قليل عن موقف المحدثين من هذين الحرفين في ضوء اللغات السامية.

وينقل الخفاجي عن سيبويه أيضًا قوله: «ويبدلون من الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء نحو (الفرند)، و(الفندق)، وربما أبدلوا الپاء لأنَّهما قريبتان جميعًا. وقال بعضهم: (برند). فالبدل مُطَّرِد في كل حرف ليس من حروفهم يُبْدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية»[2].

ولنا على هذا النص أيضًا ملاحظتان:

---

(١) كذا في الكتاب ٤/ ٣٠٥، وقد غيره الخفاجي إلى ما أثبتناه في النص السابق، وانظر مقدمة الشفاء ص٢/ ١١١.

(٢) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١١٠، وانظر سيبويه ٤/ ٣٦.

الأولى: سبق أن أشرنا إليها وهي استخدام الخفاجي مصطلح (الحرف المخلوط) في مقابل (الحرف الذي بين الفاء والباء) عند سيبويه. وهذا الحرف هو حرف (p) (پ) الباء المهموسة. وسوف نتناول موقف المحدثين منه بعد قليل أيضًا.

الثاني: قول الخفاجي - نقلًا عن سيبويه -: «فالبدل مُطَّرد في كل حرف ليس من حروفهم. . . » هو أهمُّ سمة وضعها المحدثون للتغييرات الصوتية التاريخية.

ولنقف الآن وقفة مع الأصوات الثلاثة التي وصفها القدماء حتى عصر الخفاجي بأنَّها ليست عربية - وهي (پ p، وج الأعجمية، وگ الأعجمية) من وجهة نظر علم الأصوات المقارن.

أولًا: صوت الـ (پ p):

يقول برجشتراسر: «وهذه التغييرات (يعني الصوتية) كلها ممَّا أسماه قدماء العرب أصولًا مُطَّردة، ونحن نسميه: (قوانين صوتية). ومعنى ذلك أنَّ كل باء (p) مثلًا في أي كلمة وجدت من السامية الأم (الأصلية) صارت فاءً في اللغة العربية بغير استثناء، وإن وجدت استثناءات قليلة فلها سبب خاص يلزمنا استخراجه»[١]. ويؤكِّد أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب رحمه الله أنَّ الباء المهموسة (p) من أصوات اللغة السامية الأم، وقد تطور إلى فاء في اللغات السامية الجنوبية وهي العربية والحبشيَّة، وقد بقي الأصل كما هو في السامية الشمالية وهي العبريَّة والآراميَّة والأكَّاديَّة، مثال ذلك كلمة (PoL) پول في العبريَّة التي صارت في العربية: (فول)، وفي الحبشيَّة fal. ويضرب مثالًا آخر لذلك وهو كلمة Palag في العبريَّة بمعنى (شقَّ) تحولت إلى Falag في الحبشيَّة بمعنى (جدول) و(فَلَج) في العربية بمعنى (شقَّ)[٢]، فصوت الباء

---

(١) التطور النحوي ٢٦، ٢٧.

(٢) انظر التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٢٤، ٢٥.

٤لمهموسة صوت أصيل في اللغة السامية غير أنَّه تحول في العربية إلى صوت الباء المهجورة التي ننطقها اليوم، فهي تخرج من نفس مخرج الباء (p) بنفس طريقة النطق وبنفس الصفات ما عدا صفة الهمس، لأنَّ الأوتار الصوتية تهتز عند النطق بالباء العربية ولا تهتز عند النطق بالباء (p)، فالأولى مجهورة والثانية مهموسة، ويسهل علينا بعد ذلك تعليل انتقال الباء (p) إلى صوت الفاء العربية، فهو صوت مهموس رخو مرقق مخرجه من بين الشفة والأسنان؛ أي قريب من مخرج الباء العربية والپاء المهموسة؛ فهما شفويتان. ويذكر بروكلمان أنَّه تحول في السامية الجنوبية (العربية والحبشيَّة) إلى الصوت الرخو المهموس (ف). ولم يُشِرْ إلى تحوله إلى صوت الباء الفصيحة (المجهورة)[١]. ويذكر برجشتراسر علاقة القربى بين الأصوات الثلاثة فيقول: «إذا أطبقنا الشفتين ثم فتحناهما، فالصوت الخارج إما الباء، أو الباء الإفرنجية (p) والفرق الأهم بينهما، أنَّه إذا نطقنا الباء، وُجِدَ صوت ثان علاوة على صوت فتح الشفتين، وهو صوت خارج من الحنجرة، من اهتزاز الأوتار الصوتية. وعند نطق الباء (p) ينعدم هذا الصوت. . . . وإذا لم نطبق الشفتين تمامًا، بل تركنا فتحة صغيرة، ليخرج الهواء من بين الشفة السفلى والثنايا العليا، صار الصوت فاءً؛ فهذه الحروف الثلاثة، يعني الباء، والباء الإفرنجية، والفاء، قريبة المخرج بعضها من بعض مختلفة الصفات، فالحرفان: الباء، والپاء آنيَّان. وثالثهما أي: الفاء، متماد وأول الآنيين، أي: الباء صوتي والثاني والثالث أي: الباء الإفرنجية، والفاء، غير صوتيين»[٢]. ويعني برجشتراسر بالآني أي: الشديد أو الانفجاري، والمتماد أي: الرخو، والصوتي أي: المجهور، وغير الصوتي أي: المهموس.

---

(١) انظر فقه اللغات السامية لبروكلمان ٥١. كما يُقَرِّر في صفحة (٣٩) أن صوتي و(پ) من الأصوات التي اشتركت فيها اللغات السامية في يوم ما.

(٢) التطور النحوي ١٣، وانظر في اللهجات العربية ١٠١.

فليس بدعًا إذا قامت العربية بإبدال هذه الباء المهموسة إذا جاءت في كلمة أعجمية إلى أحد الصوتين كما ذكر الخفاجي[١] واللغويون القدماء من قبله. فهذا مثال جيد من أمثلة التغييرات التاريخية في الأصوات.

ثانيًا: صوت (الجيم):

تتحد الجيم الفصيحة مع الشين والياء في المخرج، فمخرجها من وسط الحنك ـ باصطلاح كثير من المحدثين[٢] ـ أو «من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى على حدِّ تعبير سيبويه[٣] وأكثر القدماء»[٤]. وتسمى هذه الأصوات بالأصوات الشجرية نسبة إلى «شجر الفم» كما ذكره الخليل بن أحمد[٥]، وقد تابع الدكتور إبراهيم أنيس القدماء في استخدام مصطلح الشجرية حيث يقول: «وكذلك الشأن في مصطلحهم (الشجريَّة) الذي يتضمن أصوات وسط الحنك، كالجيم الفصيحة أو الجيم الشامية كثيرة التعطيش وكالشين، ولا داعي لأنَّ ننهج منهج هؤلاء الدارسين حين يطلقون عليها لفظ (الغارية) لأنَّ الغار في الحقيقة يشمل كل أجزاء الحنك الأعلى»[٦]. واعتراض الدكتور أنيس على إطلاق لفظ الغارية على هذه الأصوات لا يستند إلى دليل، لأنَّ الغار يطلق على الجزء الصلب من سقف الحنك الأعلى وليس على كل أجزاء الحنك لأنَّ الطبق من أجزاء الحنك الأعلى، كما أنَّه لا تعارض بين الشجرية والغارية.

---

(١) انظر شفاء الغليل (المقدمة) ص٩، ١٠، وانظر أيضًا فيه مادة (بركار)، و(شاهسرم)، و(فندق)، وانظر أيضًا المعربات الرشيدية ١١٥، والمعرب الصوتي ١٢٦.

(٢) انظر الأصوات اللغوية ٧٦، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١٢١.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٤) انظر مثلًا: سر الصناعة ١/ ٤٧، وسر الفصاحة ١٩، والمفصل ٣٩٤.

(٥) العين ١/ ٦٥، وانظر النشر لابن الجزري ١/ ٢٠٠، وكذا عدَّها برجشتراسر في التطور النحوي ١٢.

(٦) الأصوات اللغوية ١٠٧.

فصوت الجيم الفصيحة هو «صوت مجهور يجمع بين الشِّدة والرخاوة[١]، وهو ما سبق أن سميناه بالصوت المزدوج. ويتم نطقه بأنَّ يرتفع مقدم اللسان، في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحتجز وراءه الهواء الخارج من الرئتين، ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة كما في الأصوات الشديدة، وإنَّما يتم انفصال العضوين ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين احتكاكا شبيهًا بالاحتكاك الذي نسمع صوته مع الشين المجهورة (چ)، وعلى ذلك تعد هذه الجيم في الحقيقة: صوت دال مُغَوَّر، يعقبه صوت شين مجهور»[٢].

ولعلَّ ما قرره المحدثون من أنَّ الجيم من الأصوات المزدوجة أو المركبة[٣] أو أنَّه يمثل «وحدة أصواتية ينتمي إليها عدة تنوعات نطقية يمكن أن يحل أحدها محل الآخر دون أي تغيير في المعنى»[٤].

أقول: لعل ذلك يسهم في تفسير أمرين:

الأول: تَطوُّر صوت الجيم إلى الجيم غير المعطشة (القاهرية) (G) أو الجيم الشامية (چ) أو حتى إلى الشين المهموسة الفصيحة أو الدال... الخ.

الثاني: إبدال الحرف الذي بين الجيم والكاف ـ على حد تعبير القدماء

---

(١) يرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن الجيم من الأصوات الانفجارية أو الشديدة. انظر المنهج الصوتي ٢٧.

(٢) مدخل إلى علم اللغة ٥١.

(٣) مدخل إلى علم اللغة ٥١، وانظر فقه اللغات السامية ٤٨.

(٤) نقل بريتل مالمبرج ذلك عن تروبتسكي. انظر علم الأصوات لمالمبرج ٢٣٨، وقد نقل تعريف الوحدة الصوتية في صفحة ٢٤١ عن P40.Principes de phona، وذلك التعريف هو أن الوحدة الصوتية هي: «مجموع الخصائص الفونولوجية المتوافقة التي تحتويها صورة أصواتية واحدة»، وانظر تعريف ماريوباي لها في كتابه أسس علم اللغة ٤٩.

والخفاجي ـ عند التعريب إلى الجيم المعطشة أو إلى الكاف أو الشين أو القاف وكذلك الجيم الأعجمية (چ) التي تشبه الشامية إلى الشين أو الكاف.

ولقد حاول بعض المحدثين تفسير هذه الإبدالات لصوت الجيم بأنَّه ينطق شينًا مجهورة أو جيمًا شامية (چ) أو ينطق جيمًا شديدة مجهورة وهي ما نسميه بالجيم القاهرية[(١)] أو صوت (G) في اللاتينية؛ فَسَّروا هذه الإبدالات بانتقال مخرج الجيم إلى الأمام أو إلى الخلف، وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن هذا الانتقال أنَّه «مرَّة إلى الوراء حتى أصبح من مخرج الكاف فكانت الجيم القاهرية التي هي صوت شديد مجهور نظيره المهموس هو الكاف، وأخرى إلى الأمام حتى أصبح من مخرج الشين، وتلك هي الجيم الشامية التي هي صوت مجهور نظيره المهموس هو الشين، وقد ازدادت الجيم في الحالة الأولى شِدَّة وفي الثانية رخاوة»[(٢)].

وهذا تفسير صحيح من الناحية الصوتية غير أنَّه ينقصه الدقة، فالأولى أن يقول الدكتور أنيس: إنَّه يقترب من مخرج الشين أو من مخرج الكاف وإلا فلماذا لم يصبح كافًا خالصة أو شينًا خالصة؟

ولعل الخفاجيَّ ومن قبله من القدماء كانوا أكثر دقة عندما وصفوه بأنَّه صوت بين الكاف والجيم[(٣)]، وهو الذي سماه الخفاجي الكاف الأعجمية[(٤)]،

---

(١) يرى الدكتور عبد الرحمن أيوب في كتابه العربية ولهجاتها ١٥، أن هذه الجيم تخرج من اللهاة وهو مخرج القاف عنده أيضًا، والفرق بينهما أن الأولى مجهورة شديدة، والثانية مهموسة شديدة وهذه الجيم هي الجيم القاهرية المفخمة، وهناك جيم قاهرية مرققة مجهورة تخرج من الطبق (الجزء الرخو من سقف الحنك) ونظيرها المهموس من نفس المخرج هو الكاف).

(٢) اللهجات العربية (ط٥) ١٤٣.

(٣) انظر سيبويه ٤/٣٠٥، وحاشية ابن برِّي ٢١.

(٤) مقدمة الشفاء ٢/١٠٩.

ولقد أدركوا قرب هذه المخارج من بعضها حيث يقول الخفاجي ـ نقلًا عن سيبويه ـ بتصرف يسير: «يبدلون من الحروف التي بين الكاف والجيم: الجيم لقربها منها، ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنَّها ليست من حروفهم نحو: (الجُرْبُز) و(الآجُرُّ) و(الجَوْرب)، كما قالوا في (لكَام) (وبنكَ) ـ بالكاف العجمية ـ: (لجام)، و(بينج)، وربما أبدلوا القاف لأنَّها قريبة أيضًا قال بعضهم: (قربز) وقالوا: (كُرْبُق) و(قربق)»[١].

فالخفاجي يُقَرِّر مع القدماء قرب مخرج الجيم الفصيحة من الكاف الأعجمية (گ) وهي الجيم القاهرية (G)[٢]، وكذلك قرب هذه الكاف الأعجمية من مخرج القاف، ومن مخرج الكاف الفصيحة المهموسة ولذلك تتحول إلى صوت من الأصوات الثلاثة (الجيم الفصيحة، أو القاف أو الكاف العربيتان).

ويقرر الخفاجي مع القدماء أنَّ هذا الإبدال لازم؛ لأنَّ هذا الصوت (گ) ليس من أصوات العربية.

فتحول الكاف الأعجمية (گ) إذن إلى (الجيم الفصيحة) ليس إلا صورة

---

(١) مقدمة الشفاء ٢/ ١١٠، وانظر المعربات الرشيدية ١١٥، والمعرب الصوتي ١١٧.

(٢) يؤكِّد المحدثون أن الكاف الأعجمية أو الحرف الذي بين الكاف والجيم هو الصوت الثقيل الأعجمي نظير (G) في اللاتينية. وهو نطق المصريين أو القاهريين خصوصًا للجيم الآن. انظر تعليق الدكتور إبراهيم السامرَّائي على قول ابن برِّي (.. حرف بين الكاف والجيم) صفحة ٢١ من حاشية ابن برِّي الحاشية رقم (١٥) من حواشي التحقيق، وانظر فقه اللغات السامية ٤٨، ومدخل إلى علم اللغة ٥٢، ويرى برجشتراسر أن «الجيم السامية بسيطة مجهورة شديدة، مثل نطقها الحالي عند المصريين، لكنَّها لم تكن مثل الجيم المصرية بعينها؛ لأنَّ مخرج الجيم المصرية هو مخرج الكاف، ومخرج الجيم العتيقة في جدول المخارج هو مخرج الشين والياء، فالرأي الأقرب إلى الصواب، أن الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية في مثل كلمة (كاه) أي أنَّها كانت مشجرة Palatalise... [و] الجيم المصرية (g) مثله إلا أنه لا تشجير فيه» التطور النحوي ١٧.

مكررة لما حدث من قبل في العربية القديمة من تحول الجيم السامية (G) إلى الجيم العربية المعطشة (الفصيحة)، «فإن مقارنة اللغات السامية كلها تشير إلى أنَّ النطق الأصلي لهذا الصوت [الجيم الفصيحة] كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية تمامًا؛ فكلمة (جمل) مثلًا في اللغة العبريَّة: (gamal)، وفي الآراميَّة: (gamla)، وفي الحبشيَّة (gamal)، أما العربية الفصحى فقد تحول فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج، يبدأ من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة»(١).

أما تحول الكاف الأعجمية (گ) G إلى القاف العربية فيسهل تصوره في ضوء ما ذكره الدكتور عبد الرحمن أيوب من أنَّ مخرجهما واحد من اللهاة، «فإذا انحبس الهواء ثمَّ خرج من الفم منطلقًا بعد انحباس وكان الصوت مجهورًا حدثت جيم قاهرية مُفَخَّمة... [فإن] كان الصوت مهموسًا حدث صوت القاف»(٢).

ويجعل الدكتور أيوب للجيم القاهرية مخرجين؛ الأول ما ذكرناه والثاني من الطبق ـ وهو الذي ذكره المحدثون وهو النظير المجهور لصوت الكاف العربية، ويمثل الجيم السامية (G) ولا فرق بينه وبين الكاف العربية غير أنَّه مجهور، والكاف العربية صوت مهموس «فإذا التقت مؤخرة اللسان بهذا الجزء [الرخو من سقف الحنك] وانحبس الهواء ثم انفجر خارجًا من الفم وكان الصوت مجهورًا حدثت جيم قاهرية غير مفخمة... فإذا كان الصوت مهموسًا حدث صوت الكاف»(٣).

---

(١) التطور اللغوي ٢٥، وانظر فقه اللغات السامية ٤٨.

(٢) العربية ولهجاتها، لعبد الرحمن أيوب ١٥.

(٣) العربية ولهجاتها ١٥.

فالجيم القاهرية عند الدكتور أيوب إمَّا مفخمة وإمَّا مرققة، والأولى نظيرها المهموس هو القاف والثانية نظيرها المهموس هو الكاف.

وعلى أيَّة حال سواء كانت الأولى هي الجيم السامية (G) والكاف الأعجمية (گ) أو كانت الثانية فإنَّ المخرجين متجاورين: (اللهاة) وسقف الحنك الرخو، فمن الطبيعي إذن أن تتحول تلك الكاف الأعجمية (گ) عند التعريب إلى الكاف العربية أو إلى القاف العربية كما ذكر الخفاجي وغيره من القدماء.

ولقد نثر الخفاجي أمثلة للإبدالات الثلاثة في شفاء الغليل فمن أمثلة إبدالها إلى الجيم مادة (بركار) و(جوزهر) و(جردق)، و(جرداب) و(جرم) و(جوسق)، و(جُلَّاب) و(جورب)، و(جردبان)، و(جوالق)، و(جُذَّاذ)، و(جلستان) و(جاموس) و(زرجون) و(لجام). ومن أمثلة إبدالها إلى القاف مادة (كريج)، و(قدف) و(قرميد) و(قفش)، و(قربز) و(كيلجة) و(قرطق)، و(قلعى) و(قمارى).

ومن أمثلة إبدالها إلى الكاف العربية مادة (كوش) حيث يقول الخفاجي: «كوش بمعنى إذن معرَّب (كَوش) بالكاف المعجمة»[١].

ثالثًا: الجيم الفارسيَّة (چ):

ذكر الخفاجي أن الجيم الفارسيَّة تبدل عند التعريب؛ وهذا الإبدال قد يكون إلى الجيم العربية كما صرح بذلك في مادة (جنك) حيث يقول: «جَنك بفتح الجيم العربية... معرَّب جنك بالجيم الفارسيَّة»[٢]. وقال أيضًا: «كمنجا: معرَّب كمانجه»[٣]. وهذه الجيم الفارسيَّة ليست في الحقيقة إلا

---

(١) شفاء الغليل (كوش) ٣/ ٢٣١.

(٢) شفاء الغليل (جنك) ٢/ ٣٩٧.

(٣) شفاء الغليل (كمنجا) ٣/ ٢٠٦.

النظير المجهور للشين العربية وليس في العربية نظير مجهور للشين، إلا أنَّها قد تجهر بتأثير الأصوات المجهورة المجاورة لها مثل الشين في كلمة (مشغول) وهذه الشين المجهورة، توجد في نطق بعض الشوام للجيم العربية. ونحن نميز هذه الشين المجهورة بالرمز (ﭺ) ونطقها يماثل نطق الصوت الأخير في الكلمة الفرنسية: (rouge) = رُوﭺ[(١)].

ويذكر الخفاجي أيضًا أنَّ الدال تحولت إلى الجيم العربية من خلال تمثيله لذلك بمادة (أوج) حيث قال: «أوج معرَّب (أود)»[(٢)].

ويمكن فهم هذين الإبدالين (إبدال الجيم) الفارسيَّة، والدال إلى الجيم العربية في ضوء ما ذكره المحدثون عن الجيم العربية من أنَّها قد تحولت من صوت بسيط (G) غير معطش في السامية الأم إلى صوت مزدوج في العربية يبدأ من الغار ثم ينتهي بشين مجهورة[(٣)]، أو إلى صوت مُغَوَّر (movilliert) مركب من جزأين، أحدهما شديد والآخر رخو (Affrikata)[(٤)]. ويفسر المستشرق إنُّوليتمان Ennolittmann كيفية حدوث هذا التطور للجيم السامية فيقول: «ونعرف أنَّ نطق هذا الحرف الأصلي، كان كما هو الآن في مصر وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية، مثلًا كلمة: (جمل) في العبريَّة (gamal)... وتاريخ هذا النطق كما يأتي: في الابتداء تغير نطق gim فصار: gim قبل حركة الكسرة فقط، ثم لفظت عند أهل الحجاز gim إذا

---

(١) مدخل إلى علم اللغة ٥١، ويطلق الدكتور عبد الرحمن أيوب على هذه الجيم اسم (الجيم السوريَّة)، وهي عنده تخرج من مخرج الجيم الفصيحة (سقف الحنك الصلب) ولكنَّه صوت احتكاكي أو رخو مجهور (ﭺ) ونظيره المهموس هو الشين العربية. انظر العربية ولهجاتها ١٦.

(٢) الشفاء مادة (أوج).

(٣) انظر التطور اللغوي ٢٥.

(٤) فقه اللغات السامية ٤٨.

وقعت قبل كل الحركات أي الفتحة، الضمة والكسرة، وكان هذا النطق نطق القرشيين في زمان النبي (ﷺ) Yصار نطق القرآن الشريف»[١].

ولقد انحلَّ هذا الصوت المزدوج (الجيم) أو المركب في اللهجات العربية الحديثة إلى عنصريه المكونين له وهما صوت (الدال) كما نسمعه في صعيد مصر

في بعض الكلمات مثل: (الداموسة) في الجاموسة و(دَمَل) في الجمل، و(دردا) في جرجا، ونسمع صوت الجيم الشامية أو الشين المجهورة (ج) في نطق الشوام للجيم.

ومن أمثلة انحلال الجيم إلى صوت الدال قديمًا أنَّهم كانوا يقولون: (دشيش) في: (جشيش)[٢]، ويقولون: (تدشيت) في (تجشأت) مع تسهيل الهمزة[٣].

ويذكر لنا الخفاجي مثالًا على تطور صوت الجيم إلى الشين مُفسِّرًا ذلك التطور حيث قال: «اشترت الدابةُ: خطأ، والصواب: اجترت، قاله الزَّبيدي. . . والأمر فيه سهل لقرب المخرج»[٤]، فالخفاجي قد تنبه إلى أنَّ انقلاب الجيم المعطشة إلى شين في أفواه الناس سببه قرب مخرج الصوتين من الآخر، ويؤيد رأيه الواقع اللغوي على ما ذكرناه منذ قليل. فهذا من انحلال الجيم إلى عنصرها الثاني وهو الشين المجهورة (چ) وقد ضاع منها الجهر فصارت شينًا مهموسة، ومن أمثلة ذلك قديمًا ما روي عن قبيلة تميم أنَّهم كانوا يقولون في المثل: «شرُّ ما أشاءك إلى مُخّة عرقوب»[٥]. بدلًا من:

(١) بقايا اللهجات في الأدب العربي ١ ـ ٢.

(٢) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦، ٢٤١.

(٣) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤١، وتصحيح التصحيف ١٨٢.

(٤) شفاء الغليل (اشترت) ٢/ ٢٢١.

(٥) انظر الصحاح (شيأ) ١/٥٩ (عطار)، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٦٤.

(أجاءك) أي ألجأك. ومن أمثلة ذلك أيضًا: (فلان مشتهد) في: (مجتهد)، و(اشترأ على فلان) في: (اجترأ عليه)، و(شخَّ الصبي) في: جخَّ الصبي، و(فشر) في: فجر، و(وشٌّ) في: وجه[(١)]، ويذكر لنا الخفاجي عِدَّة أمثلة على عكس ذلك التطور أي قلب الجيم إلى شين عند التعريب ومن ذلك: «قفشليل: المغرفة معرَّب كفجلاز»[(٢)]، وفيها يقول ابن بَرِّي: «أبدلوا الشين من الجيم، واللام من الزاي، والأصل قفچليز، وقيل: قفچلاز، ...»[(٣)].

ويقول الدكتور إبراهيم السامِرَّائي معلقًا على هذا الرأي بقوله: «الجيم هنا ليست كالجيم العربية، بل هي الجيم المشوبة بالشين، كالجيم في عدد من الألسن الدارجة، كما في لغة اللبنانيين أو التوانسة في عصرنا، أو كالحرف (J) في النطق الفرنسي»[(٤)]. وذلك يعني أنَّها الجيم الفارسيَّة التي ذكرها الخفاجي من قبل.

ومن ذلك أيضًا قول الخفاجي: «قوش: .... معرَّب (كوجك)»[(٥)]، وقوله: «ماشي.... قال أبو منصور: هو فارسي ومعرَّبه مَجٌّ»[(٦)]، فالشين في (ماش) هي المجهورة (چ).

ومن أمثلة إبدال الدال جيمًا عند التعريب قوله: «أوج معرَّب أود»[(٧)].

ويمكننا أن نطلق على هذا النوع من الإبدال: الرِّدة الإبدالية وذلك مثال جيد للتغيرات الصوتية التاريخية.

---

(١) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦، ٢٤١، ٣١٥، ٣٣٥.

(٢) الشفاء (قفشليل) ٣/ ١٧١.

(٣) حاشية ابن بَرِّي ٢١.

(٤) حاشية ابن بَرِّي ٢١ الحاشية رقم ١٨ من حواشي التحقيق.

(٥) الشفاء (قوش) ٣/ ١٧٢.

(٦) الشفاء (ماش) ٣/ ٢٦٦.

(٧) الشفاء (أوج) ٢/ ١٦٨.

٢ ـ التغيرات التركيبية أو السياقية:

التغييرات التركيبية[١] هي التي تصيب الأصوات ويكون سببها وجود صلات أو علاقات بين هذه الأصوات محل التغيير بشرطأنْ تكون في كلمة واحدة أو في الكلمتين بحيث يتشابه (يتماثل) فيه آخر حرف من الكلمة الأولى مع أول حرف من الكلمة الثانية[٢]، ويمكننا أن نطلق عليها أيضًا: التغييرات الصوتية السِّياقيَّة[٣]، وهي عند المحدثين تغيرات مشروطة حيث تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغيير. وقد أطلق جرامونت على هذا النوع من التغييرات اسم «قانون الأقوى»، حيث يقول: «عندما تتبادل وحدتان أصواتيتان (فونيمان) التأثير بوجه أو بآخر فإنَّ أضعفهما (بمواقعه في المقطع أو بقوته النطقية الخاصة) هو الذي يتحمل تأثير الآخر»[٤]، ويرد الدكتور وافي هذا النوع من التغيرات الصوتية إلى ما أطلق عليه تفاعل أصوات الكلمة بعضها مع بعض حيث يقول: «يحدث بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة في الكلمة من ظواهر التفاعل أنواع كثيرة يؤدي كل نوع منها إلى نتائج ذات بال في التطور الصوتي»[٥].

وهذا النوع من التغييرات التركيبية ليس لازمًا في جميع الكلمات، ولم يصرِّح الخفاجي بهذا المصطلح الذي أطلقه المحدثون غير أنَّه قال عند حديثه

---

(١) انظر التطور اللغوي ٢٤، ويطلق عليها برجشتراسر في التطور النحوي ٢٨ وما بعدها اصطلاح: التغييرات الاتفاقية أو المطردة المقيدة بالشروط.

(٢) التطور النحوي ص٣١.

(٣) انظر مدخل إلى علم اللغة (حجازي) ٨٥.

(٤) علم الأصوات لمالمبرج ٢٥٧.

(٥) علم اللغة لعلي عبد الواحد وافي ٢٩٨، وراجع ظواهر التفاعل التي عدَّدها هناك ومنها المماثلة وقد أطلق عليها اسم (ظاهرة التشاكل assimilation) والمخالفة وسماها (ظاهرة التباين dissimilation).

عن الحروف التي تبدل: «والحروف المبدلة عشرة، خمسة يطرد إبدالها. . . . » وهو ما تناولناه في المبحث السابق (التغييرات الصوتية التاريخية). ثم يكمل الخفاجي قائلًا: «. . . . وخمسة لا تطرد وهي السين، والشين، والعين، واللام، والراء، وكل حرف وافق الحروف العربية»(١). فقوله (لا تطرد) أي إبدالها يتفق مع ما ذهب إليه المحدثون من أنَّ التغييرات التركيبية الصوتية ليست بمطردة في جميع الكلمات التي يقع فيها البدل. ولكنَّها ما وجدت العلة التركيبية بين الصوتين فإنه غالبًا يحدث التأثير والبدل، ولذلك نجد الخفاجي يقول بعد ذلك: «. . . وهذا كله أغْلبيٌّ»(٢).

ويقسِّمُ المحدثون هذا النوع منَ التغييرات الصوتية التركيبية على قسمين رئيسين وهما:

١ ـ المماثلة Assimilation.

٢ ـ المخالفة Dissimilation.

١ ـ المماثلة(٣) Assimilation:

يعرف «دنيال جونز» المماثلة بأنَّها: «عملية استبدال صوت بصوت آخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في الكلمة أو في الجملة»(٤).

(١) الشفاء المقدمة ٢/١٠٨.

(٢) الشفاء المقدمة ٢/١٠٨.

(٣) اتفق المحدثون على مفهوم المماثلة غير أنَّهم أطلقوا عليها تسميات عِدَّة، فهي عند برجشتراسر (التشابه والتماثل) التطور النحوي ٢٩، وهي عند الدكتور علي عبد الواحد وافي (التشاكل) كما في (علم اللغة) له ٢٩٨، ٢٩٩، وانظر الأخطاء الشائعة للدكتور ماجد الصائغ ص٥٩، وهي المماثلة أو المناسبة عند الدكتور تمام حسان (انظر بحثه: اللغة والنقد الأدبي ١٩، مجلة فصول ١٩٨٣م ٢/١٩)، وقد عبر عنها جرامونت بقانون الأقوى. انظر علم الأصوات لمالمبرج ٢٥٧ وهي التوافق عند فندريس (انظر اللغة لفندريس ٩١).

(٤) D.Jones! An Outline! 217.

وهذا التعريف هو الذي يذهب إليه المحدثون[١]، ولحدوث هذا التقارب أو الانسجام بين الصوتين تتغير المخارج أحيانًا وأحيانًا أخرى تتغير صفات الصوت بتوافق مع الصوت الآخر.

ومن أمثلة ذلك التغير قول بعض العرب: «قرأ فما تلعثم وما تلعذم»[٢]، وقولهم: «جذوت وجثوت»[٣]؛ ففي المثال الأول أثر صوت الميم وهو مجهور على صوت الثاء وهو مهموس فتحول إلى صوت الذال ليماثل صوت الميم في صفة الجهر. وفي المثال الثاني نجد أن صوتي الجيم والواو ـ وهما مجهوران ـ قد حصرا بينهما صوتًا مهموسًا هو صوت الثاء، فأثَّر عليه لتتماثل الأصوات الثلاثة في صفات الجهر، فتحولت الثاء المهموسة إلى نظيرها المجهور وهو صوت الذال.

وقد تنبه كثير من اللغويين القدماء لظاهرة المماثلة الصوتية ويكاد يتفق مفهومهم لها مع ما ذهب إليه المحدثون، فمن ذلك قول ابن جنِّي في سر الصناعة[٤]: «. . . قولهم في افتعل من الثريد: اتَّرد، وهو متَّرد، وإنَّما قلبت [الثاء] تاءً لأنَّ الثاء أخت التاء في الهمس، فلما تجاورتا في المخارج أرادوا أنْ يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء، وأدغموها في التاء بعدها ليكون الصوت نوعًا واحدًا». غير أنَّهم أطلقوا عليها مصطلحات أخرى؛ فهي عند سيبويه المضارعة أو التقريب[٥].

---

(١) انظر المصادر المذكورة في الحاشية (٤) ص٢٣٦، وقد ارتضى أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب تعريف دانيال جونز للمماثلة فنقله في كتابه التطور اللغوي ٣٠.

(٢) الإبدال لابن السكيت ١٠٨.

(٣) الإبدال لابن السكيت ١٠٨.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ١٧١، وانظر تعليله لقلب السين في (سقت) صادًا بسبب (القاف) في ٢/ ٨١٧.

(٥) انظر كتابه سيبويه ٤/ ٤٦١.

وعند ابن الحاجب المناسبة[١]، وعند ابن يعيش المشاكلة[٢].

ولا ضير في ذلك، فإنَّ المحدثين أنفسهم أطلقوا عليها اصطلاحات كثيرة بعضها يتفق مع ما قاله القدماء، كما أنَّ هذه الاصطلاحات جميعًا يضمها معنى عام وهو التوافق أو التشابه.

ولم نظفر بأي إشارة عند الخفاجي تشير إلى مفهوم المماثلة الاصطلاحي، وأحيانًا كان يُعبِّر عن إبدال صوت بصوت بمصطلح الإبدال أو لغة فيه، وأحيانًا يشير إلى هدف هذا الإبدال كأن يقول إنَّ ذلك للتخفيف مثل قوله في مادة (طست): «وطس مخفف منها أو لغة فيها»[٣]، وسيتَّضح ذلك من خلال الأمثلة التي نثرت في شفاء الغليل وتصلح لتفسير التغيير الصوتي الذي حدث بها بالمماثلة الصوتية.

علاقة المماثلة بالإدغام:

يذهب أكثر المحدثين إلى التفريق بين المماثلة والإدغام، فالإدغام «اتحاد الحرفين في حرف واحد مُشدَّدٍ تماثلًا أو اختلافًا؛ نحو: (آمنَّا) و(ادَّعى)، أما (آمنَّا) فالنون المشدَّدة نشأت عن نونين، أولاهما لام الفعل، والثانية الضمير. فاتحادهما إدغام وليس بتشابه.

وأما (ادَّعى) فأصل الدال المشدَّدة دال وتاء، والدال فاء الفعل والتاء تاء الافتعال، قلبت دالًا فهذا إدغام، وهو تشابه أيضًا[٤].

فالمماثلة والإدغام قد يلتقيان في بعض الأمثلة كما في (ادَّعى) وقد يفترقان إلى إدغام فقط كما في (آمنَّا)، أو مماثلة فقط كما في مادة (ازدجر)

(١) انظر شرح الكافية ٣/ ٤.

(٢) انظر شرح المفصل ١٠/ ٣١٨.

(٣) شفاء الغليل (طست) ٣/ ٩٥.

(٤) التطور النحوي ٢٩.

مثلًا، فأصلها ازتجر فأَثَّرَ صوتُ الزاي وهو مجهور في صوت التاء وهو مهموس فتحول إلى نظيره المجهور وهو الدال ليحدث توافق بين الصوتين.

وقد تنبه ابن جني إلى حدوث التشابه أو التقريب من غير حدوث إدغام، فعقد بابًا في كتابه الخصائص بعنوان «الإدغام الأصغر»، وعرفه بأنَّه «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك»(١). وقد ضرب أمثلة لذلك كقولهم: (صقت) في (سقت)، و(مزدر) في (مصدر) ثم قال: «وعليه قول العرب في المثل: (لم يحرم من فزد له) أصله فصد له»(٢). وكلام ابن جني ذلك يرُدُّ على الدكتور محمود فهمي حجازي الذي يُقَرِّر أنَّ نحاة العرب لم يصفوا هذا النوع من المماثلة بأنَّه إدغام، فيقول عن دلالة كلمة (إدغام) في التراث بأنَّها «للتعبير عن تغير صوتي ينتج عنه صوت مشدَّد، مثل: اصَّبر واتَّصل، أما مصطلح Assimilation فلا يقتصر على ما سبق، ولكنَّه يفيد تحول صوتين مختلفين نسبيًّا إلى صوتين متقاربين نسبيًّا أو متماثلين، مثل تحوُّل الصيغة القياسية المفترضة ازتهر إلى ازدهر، وهذا التغير لم يصفه نحاة العرب بأنَّه إدغام؛ ولكنَّه ممَّا نعبر عنه بالتماثل والمماثلة، ولهذا لا يجوز خلط مفهومين مختلفين في مصطلح واحد»(٣). وكلام الدكتور حجازي ـ وإن كان مقبولًا فيما يخص التفريق بين المماثلة والإدغام ـ يحتاج إلى إضافة جملة واحدة ننصف بها نحاة العرب وهي: إلا أنَّهم وصفوه بأنَّه الإدغام الأصغر.

وإذا أردنا تحديد العلاقة المنطقية بين المماثلة والإدغام فإنَّ «بينهما [بناءً على ما ذكرناه] عمومًا وخصوصًا، من وجه يجتمعان في حالة التفاعل الصوتي الكامل، وتنفرد المماثلة بحالات التأثير الناقص، وينفرد الإدغام

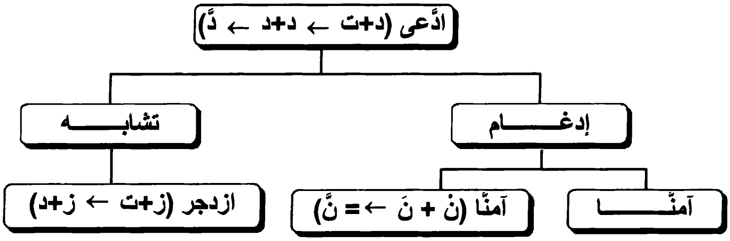
---

(١) الخصائص ٢/ ١٣٩.

(٢) انظر الخصائص ٢/ ١٣٩ ـ ١٤٥.

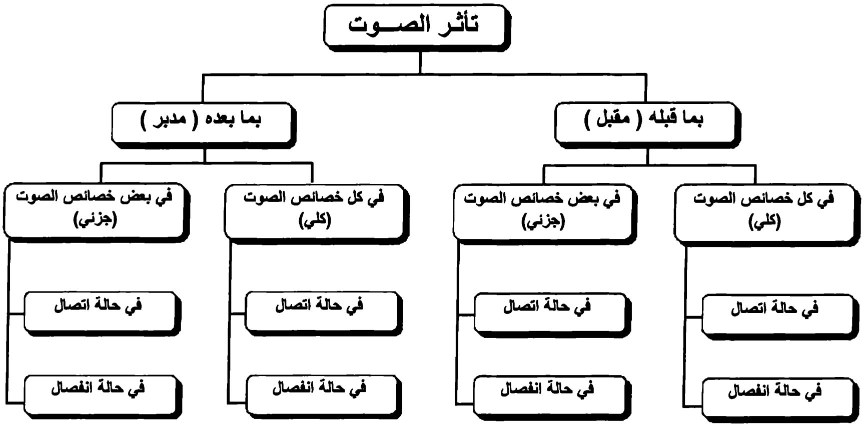
(٣) الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٢٢٢.

بحالة التضعيف»[١]، ويمكننا التعبير عن هذه العلاقة بالمخطط الآتي:



أنواع المماثلة من حيث التأثير والتأثر[٢]:

يمكن تلخيص أشكال التأثر الصوتي في المماثلة بالمخطط الآتي[٣]:



المُقبل	المُدْبِر
١ ـ مقبل كلي في حالة اتصال	١ ـ مدبر كلي في حالة اتصال
٢ ـ مقبل كلي في حالة انفصال	٢ ـ مدبر كلي في حالة انفصال
٣ ـ مقبل جزئي في حالة اتصال	٣ ـ مدبر جزئي في حالة اتصال
٤ ـ مقبل جزئي في حالة انفصال	٤ ـ مدبر جزئي في حالة انفصال

(١) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٣٦ للدكتور عبد الصبور شاهين.

(٢) انظر التطور النحوي (٢٩ ـ ٣٣)، وفقه اللغات السامية ٥٦ ـ ٦٣.

(٣) التطور اللغوي ٣١.

أمثلة لظاهرة المماثلة الصوتية عند الخفاجي في شفاء الغليل:

لم يهتم الخفاجي بالتنظير لظاهرة المماثلة في كتابه، ولا نكاد نظفر في أمثلتها المنثورة في كتابه على تعليق له يحمل وجود هذا المصطلح لديه، اللهم إلا استخدامه لبعض الكلمات التي تدلُّ على الهدف من المماثلة. كما سيبدو من تحليلنا لبعض الأمثلة من كتابه على النحو التالي:

أ ـ المماثلة التقدمية (المقبلة) Progressive: وفيها يتأثر الصوت الثاني بالأول.

١ ـ التأثر المقبل الكلي المتصل:

يقول الخفاجي في مادة (طست): «معرب طشت بالمعجمة، وفي المغرب: إنَّها مؤنثة أعجمية وتعريبها طَسٌّ مخفف منها أو لغة فيها. وقال الجوهري: طست عربية وأصلها طِسٌّ وهي لغة طيئ أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف» ورُدَّ، وقال الفراء: «طيئ تقول: طِسْت، وغيرهم يقول: طسٌّ، وهم الذين يقولون: لصتٌ في لِصٍّ»[(١)].

فعلى ما ذهب إليه الخفاجي في هذه المادة، من أنَّها معرَّب (طشت) وطَسٌّ مخفف منها أو لغة فيها، يكون قد حدث فيها تحولان صوتيان:

الأول: إبدال الشين سينًا عند التعريب وهو جائز ومستساغ لاتفاق السين مع الشين في الهمس والرخاوة وتجاور مخرجيهما.

الثاني: وقوع صوت التاء تحت تأثير السين بحيث تتغلب صفة الرخاوة فيها على صفة الشدة في التاء فتتحول إلى السين ثم تدغم إلى السين الأولى.

فإذا كانت الكلمة عربية على ما ذهب إليه الجوهري والفراء فإنَّها تكون قد وقعت تحت تأثير المخالفة الصوتية، حيث يُفكُّ التضعيف ثم تقع السين المتطرفة تحت تأثير صوت الطاء، فتؤثر فيها الطاء وتقلبها إلى نظيرها المرقق.

---

(١) شفاء الغليل (طست) ٣/ ٩٥.

٢ ـ التأثير المقبل الجزئي المتصل:

ومن أمثلته كلمة (مهندز) حيث يقول في مقدمة الكتاب: «فمهندز وهنداز معرَّبة ولذا أبدلوها سينًا، وهو معرَّب إندازه»[١].

فهذه الكلمة وإن كانت الزاي فيها قد أبدلت سينًا عند التعريب لكنَّها بالمماثلة قلبت فيها السين إلى زاي مرة أخرى على ألسنة العامة، فقد أثَّر الجهر في صوت الدال على الهمس في صوت السين فأبدلت السين إلى نظيرها المجهور وهو الزاي، وإلى ذلك أشار الدكتور محمود فهمي حجازي في كتابه علم اللغة[٢].

مثال آخر: كلمة (رستاق) حيث قال: «رستاق ورزداق معرَّب»، فقد أثرت صفة الجهر في الراء على صفة الهمس في السين فتحولت إلى نظيرها المجهور وهو الزاي.

٣ ـ التأثر المقبل الكلي المنفصل:

يقول الخفاجي: «اسفندياد. . . ووقع في الكشاف في سورة الأنفال نقلًا عن كتب الحديث والسير: اسفندياذ بالذال المعجمة»[٣].

فالذال المتطرفة تحولت إلى دال لتماثل الدال الأولى، فقد أثرت الدال الأولى وهي صوت شديد مجهور على صوت الذال وهو صوت رخو مجهور، والدال والذال قريبان من حيث المخرج، فالدال صوت أسناني لثوي والذال صوت أسناني فالإبدال بينهما سائغ، كما أن تَحوُّل صوت الذال إلى صوت الدال يخضع لما يعرف بقانون السهولة والتيسير[٤].

---

(١) شفاء الغليل المقدمة ٢/ ١١٦، وانظر مادة (هندس) ٣/ ٢٦١.

(٢) علم اللغة ٢٦.

(٣) شفاء الغليل (اسفندياد) ٢/ ٢٣٨.

(٤) انظر التطور اللغوي ٨٣.

٤ ـ التأثر المقبل الجزئي المنفصل:

من أمثلة هذا النوع قوله في (خبيت): «خبيت بالتاء المثناة بمعنى خبيث بالمثلثة. . . وقيل إن التاء بدل من الثاء، ذكره الزمخشري»[١]، ويسهل تفسير إبدال الثاء من التاء بقانون المماثلة، فقد أثرت الخاء على التاء والأولى رخوة والثانية شديدة، لتجانسها في صفة الرخاوة فأبدلت التاء إلى الثاء. وكذا قوله: «طخَّزها. . . وطخَّسها»[٢]، ومادة (كُسّ) حيث يقول الخفاجي: «كُسٌّ: قال المطرزي وغيره: فارسي معرَّب كوزا»[٣].

والذي حدث في هذه الكلمة ثلاثة تغييرات وهي:

الأول: إبدال الكاف الفارسيَّة (گ) إلى الكاف العربية عند التعريب.

الثاني: تأثُّر صوت الزاي (وهو صوت مجهور) بصفة الهمس في الكاف فتحول إلى نظيره المهموس وهو السين.

الثالث: وقوع الواو (وهو صوت مجهور رخو) بين صوتين مهموسين وهما الكاف والسين فيتحول إلى صوت السين لسببين:

١ ـ أنه لا يوجد نظير مهموس للواو في العربية.

٢ ـ قرب مخرج الواو (الشفتين) من مخارج السين (أسناني لثوي) واتحادهما في صفة الرخاوة ثمَّ تدغم السين الأولى في الثانية، ويمكن التعبير عما حدث بالمخطط الآتي:

گوزا كوزا كوسا كُسْسَا كُسَّا كُسٌّ (سقوط المد من آخر الكلمة).

يمكن أن نظفر بهذا النوع من التأثر في كلمة أخرى وهي (قصطل)[٤]،

---

(١) شفاء الغليل (خبيت) ٢/ ٤٤٢.

(٢) شفاء الغليل (طخز) ٣/ ٩٧.

(٣) شفاء الغليل (كس) ٣/ ٢٢٥.

(٤) شفاء الغليل (قصطل) ٣/ ٢٠٢.

غير أنَّها تعرضت لعدة تغييرات حتى وصلت إلى هذه الصورة، فأصلها كما ذكر الخفاجي (كستانه).

١ ـ سقوط الهاء عند التعريب.

٢ ـ إبدال النون إلى اللام وهو أمر سائغ، فهما من حروف الذَّلاقة.

٣ ـ إبدال الكاف إلى القاف عند التعريب وهو أمر سائغ.

٤ ـ تقع التاء تحت تأثير القاف وهو صوت مفخم فتبدل التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء. [تأثر مقبل جزئي في حال انفصال].

٥ ـ تتعرض الكلمة لتأثر مدبر متصل جزئي حيث يؤثر صوت الطاء وهو صوت مطبق على صوت السين، وهما من نفس المخرج (الأسناني اللثوي) وكلاهما مهموس، فتبدل السين إلى نظيرها المطبق (الصاد).

كستانه كستان كُسْتَل (إبدال + تقصير حركة الفتح) قستل (إبدال عند التعريب) قسطل قصطل.

ب ـ المماثلة الراجعة (المدبرة) Regressive: وفيها يتأثر الصوت الأول بالثاني:

١ ـ التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال:

ومن أمثلته مادة (دبُّوقة) حيث يقول: «دَبُّوقة: بفتح الدال وتشديد الباء عاميَّة مولَّدة... وهي معرَّبة وفارسيتها (دُنبوقة) بضم الدال ونون ساكنة وباء عربية»[(١)].

أثر صوت الباء على صوت النون فأبدلت النون إلى باء وهذا أمر سائغ لأنَّهما قريبان من حيث المخرج، وصفاتهما واحدة ما عدا صفة الرخاوة والشدة.

دُنبوقة دَبْبُوقة دَبُّوقة.

(١) شفاء الغليل (دبوقة) ٢/ ٤٧٥.

٢ ـ التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال:

وجدت من هذا النوع عدة أمثلة في شفاء الغليل[(١)] منها: كلمة مسطار حيث يقول الخفاجي: «مسطار: ومصطار: خمر حلوة»[(٢)]، وفيه أثر صوت الطاء في صوت السين فأبدل إلى نظيره المطبق ليماثل صفة الإطباق في الطاء.

مثال آخر مادة (زربطانه) وقد تعرضت لأكثر من تغيير يقول الخفاجي:

«زربطانة: لما يرمى به، مُوَلَّد، وصحيحه سبَّطانة ولست على ثقة منه»[(٣)].

فقد أثرت الباء وهي صوت مجهور على السين وهي صوت مهموس فأبدلت السين إلى نظيرها المجهور (ز) لتماثل الباء في الجهر. ثم تعرضت الكلمة للمخالفة الصوتية بأنَّ تحولت إحدى الباءين إلى الراء:

سِبِّطانة زِبِّطانة زِرْبطانة

٣ ـ التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال:

وجدت عِدَّة أمثلة لهذا النوع منثورة في شفاء الغليل[(٤)] ومنها:

ـ كلمة (الصراط) حيث يقول في مقدمة الكتاب[(٥)]: «وأما الصراط فصاده بدل من السين، وليستا لغتين كما ظُنَّ»، وواضح أنَّ الطاء أثرت على السين

---

(١) من أمثلة هذا النوع مادة (درياق وترياق)، و(صرد وسرد) و(سرم وصرم)، و(تخريص ودخريص) و(الأصطبه معرَّب استبى).

(٢) شفاء الغليل (مسطار) ٣/ ٢٦٤.

(٣) شفاء الغليل (زربطانه) ٢/ ٥١٥.

(٤) انظر أيضًا (مجداف ومجذاف)، و(دخدار وتخت دار) مع مراعاة حذف التاء الثانية من (تخت) ونُحت من الكلمتين كلمة واحدة.

(٥) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٢١، وانظر الإبدال لأبي الطيب ٢/ ١٨٧، وفي التهذيب (صرط) ١٢/ ٣٢٩: «قال الفراء: إذا كان بعد السين طاء أو قاف أو غين أو خاء فإنَّ تلك السين تقلب صادًا... فمن ذلك قولهم: السراط والصراط»، وانظر التطور النحوي ٣٣.

لتجانسها في الإطباق فأبدلت السين إلى الصاد، وإلى ذلك أشار علماء العربية[(١)].

ـ كلمة (ناسور) حيث يقول الخفاجي: «ناسور بالسين والصاد وجميعًا علة تحدث. . .»[(٢)].

وقد أثَّر صوت الراء وهو مفخم هنا على صوت السين وهو مرقق فأبدلت السين إلى نظيرها المفخم وهو الصاد لتجانس تفخيم الراء. وإلى ذلك ذهب أستاذنا العلَّامة رمضان عبد التواب[(٣)].

٢ ـ المخالفة: Dissimilation

إذا كانت المماثلة تحاول التقريب بين أصواتٍ بينها بعض التخالفات، فإنَّ المخالفة تعمد إلى صوتين متماثلين تمامًا في كلمة من الكلمات فتغير أحدهما إلى صوت آخر.

يقول فندريس: «ينحصر التخالف، وهو المَسْلكُ المضاد للتشابه، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرَّة واحدة، وكان من حقِّها أن تُعْمَل مرتين، فمن الكلمة اللاتينية arborem (أرْبُورم) بمعنى شجرة، نشأت الكلمتان: الإسبانية arbol (أربُلْ)، والبروفنسية albre (ألبْرْ)، فالذي حدث في كلتا الحالتين، مع اختلاف الترتيب هو أنَّ المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلًا من أن يقوم بحركتين، واستعاض عن الأخرى، بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة»[(٤)].

---

(١) في معاني القراءات يقول الأزهري ١/ ١١١: «والسين والصاد يتعاقبان في كل حرف فيه غين أو قاف أو طاء أو خاء. . .»، وهو نفس القول الذي رواه الأزهري في التهذيب (صرط) ١٢/ ٣٢٩ عن الفراء انظر حاشية رقم (٥).

(٢) الشفاء (ناسور) ٣/ ٣٢٤.

(٣) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤٦.

(٤) اللغة لفندريس ٩٤.

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ـ وإن لم يطلقوا عليها هذا المصطلح الحديث (المخالفة)[١] ـ وعَبَّروا عنه بتعبيرات مختلفة مثل (كراهة التضعيف) أو (كراهة اجتماع حرفين من جنس واحد) أو (اجتماع الأمثال مكروه)[٢]، وقد روى الأزهري في التهذيب عن الخليل بن أحمد قوله: «وأمَّا مهما، فإنَّ النحويين زعموا أنَّ الأصل في مهما: ماما، ولكنَّ أبدلوا من الألف الأولى هاء، ليختلف اللفظ»[٣]. ونجد سيبويه يعقد بابًا في كتابه بعنوان «هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام والياء لكراهية التضعيف، وليس بمطَّرد»[٤] ويقول لذلك: «وذلك قولك: تسريت وتظنيت، وتقصيت من القِصة»[٥].

ولم أقف عند الخفاجي على تعريف لظاهرة المخالفة، غير أنَّه أشار إلى الهدف منها في بعض أمثلته، ومن ذلك قوله: «ديوان. . . أو أصله دِوَّان، فأبدل ياءً تخفيفًا لثقل التضعيف، ولذا لم تُبْدَلْ الثانية ياءً لبقاء التضعيف لو أُبْدِلَتْ»[٦].

وكل تعريفات المحدثين ـ حتى القدماء ـ تشير إلى أنَّ المخالفة هي تغير أحد الصوتين المثلين في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف له[٧].

---

(١) مصطلح المخالفة الذي استخدمه المحدثون هو ترجمة للمصطلح الغربي Dissimilation.

(٢) انظر شرح التصريف الملوكي لابن يعيش ٤٥١.

(٣) تهذيب اللغة ٥/ ٣٨٤، وهذا النص ليس في أصل العين المطبوع (٣/ ٣٥٨)، وزاده المحققان عن التهذيب، ونقل السيوطي عن الخليل مثل ذلك القول حيث قال: «أصل مهما الشرطية: ماما، قلبوا الأولى هاء؛ لاستقباح التكرير» (الأشباه والنظائر ١٨١٨).

(٤) كتاب سيبويه ٤/ ٤٢٤.

(٥) كتاب سيبويه ٤/ ٤٢٤.

(٦) شفاء الغليل (ديوان) ٢/ ٤٥٢.

(٧) انظر: Adictionary of linguistics and phonetics. P. 708 - 709، وظاهرة المخالفة الصوتية للدكتور أحمد هريدي ١٥، ودراسة الصوت اللغوي ٣٢٩، وعلم الأصوات لمالمبرج ٢٥٦، وعلم اللغة لوافي ٢٩٩، ومدخل إلى علم اللغة (حجازي) ٨٧، والأخطاء الشائعة ٥٩.

ويرجع اللغويون المحدثون السبب في حدوث المخالفة إلى التخلص من الثقل الناشئ عن إصدار الجهاز النطقي صوتين متماثلين متتابعين أو بحركة واحدة، وإلى ذلك ذهب القدماء أيضًا، ومن ذلك:

قول سيبويه: «اعلم أنَّ التضعيف يَثْقُلُ على ألسنتهم، وأنَّ اختلاف الحروف أخف عليهم من أنْ يكون من موضع واحد»(١)، وقول ابن جنِّي: «. . . ومن ذلك استثقالهم المِثْلَين حتَّى قلبوا أحدهما»(٢)، وإلى ذلك ذهب الخفاجي كما ذكرت من قبل. ومن المحدثين من رأى ـ إضافة إلى ذلك ـ أنَّ هناك عِلَّة نفسيَّة وراء المخالفة، لأنَّ المتكلم يريد زيادة التأثير في مستمعه بزيادة حرف إذا كان الصوتان اللذان تقع المخالفة في أحدهما متصلين، فإن كانا منفصلين فإنَّ العِلَّة تكون نفسيَّةً محضة بسبب الخطأ في النطق(٣).

أصوات المخالفة:

يرى بعض المحدثين أن الأصوات المائعة تعد وسيلة مُخالفةٍ للتضعيف في الصيغ المُضَعَّفة القديمة، ومن هؤلاء المستشرق (هرتز)(٤) لكن هرتز لم يتعرض بالذِّكر للصيغ التي استعمل فيها صوت الياء لتحقيق المخالفة، مثل (دِوَّان) و(ديوان)، و(دِنَّار) و(دينار) و(تظنيت) و(تظننت)، وهي تفوق في عددها الأضعاف من الصيغ التي استعملت فيها الأصوات المائعة(٥). ونجد الدكتور إبراهيم أنيس يشير إلى ذلك بقوله: «إننا نلحظ أن كثيرًا من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، يتغير أحد الصوتين إلى صوت لين طويل ـ وهو الغالب ـ أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في

(١) كتاب سيبويه ٢/ ٣٩٧.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٣١.

(٣) انظر التطور النحوي ٣٤، والتطور اللغوي ٦٤، ٦٥.

(٤) انظر رأيه في: دراسة الصوت اللغوي ٣٣٠.

(٥) انظر: دراسات لغوية في تراثنا القديم ١٤٠.

بعض الأحيان»[١]، ويعني الدكتور إبراهيم أنيس بالأصوات الشبيهة بأصوات اللين الأصوات المائعة (اللام والميم والنون والراء) وهي المعروفة في اللاتينية باسم Liquide.

غير أن هناك أصواتًا أخرى تحدث بها المخالفة مثل (العين)[٢] كما حدث في كلمة (كبَّل) التي تحولت إلى (كعبل) في لهجتنا العامية.

ومن هذه الأصوات (الخاء) أيضًا مثل «خبخبوا من الظهيرة عنكم أبردوا» وأصله خببوا، بثلاث باءات، أبدلوا من الباء الوسطى خاء، للفرق بين فعلل، وفعل وإنَّما زادوا الخاء من سائر الحروف لأنَّ في الكلمة خاء وهذه علة جميع ما يشبه من الكلمات»[٣].

أمَّا الأصوات التي يدخلها التخالف (تبدل) فيقول فيها الدكتور إبراهيم أنيس: «إذا علمنا. . . . أن أشق الأصوات هي المُطْبَقة؛ والرِّخوة بوجه عام، أدركنا أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاور صوتان مثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة، ولا تكون بين الأصوات الشديدة إلا نادرًا»[٤].

وأعتقد أن الدكتور إبراهيم أنيس أصدر هذا الحكم متأثِّرًا فيه بالهدف من المخالفة الذي ذهب إليه القدماء وأكثر المحدثين من أنَّه تخفيف الثقل أو اختصار الجهد العضلي، وحكم كهذا يحتاج إلى قراءة أمثلة المخالفة في التراث واللهجات العربية قديمًا وحديثًا. ونجد الدكتور منير جمعة ينقل كلام الدكتور إبراهيم أنيس معلِّقًا عليه بقوله: «ولعل الأمثلة التي جمعتها هنا ـ في هذه الدراسة ـ لا ينطبق عليها رأي الدكتور إبراهيم أنيس، لأنَّ أكثر الأصوات

---

(١) الأصوات اللغوية ٢١٤، التطور اللغوي ٥٧.

(٢) انظر في اللهجات العربية ٢٢٢، وظاهرة المخالفة الصوتية ٣١.

(٣) اللسان (خبب) ١/ ٣٤٤، انظر التطور اللغوي ٦٣، ٦٤.

(٤) الأصوات اللغوية ١٥٥.

التي استبدلت ليست مطبقة، ولا رخوة، بل من الأصوات المتوسطة وتليها في النسبة الأصوات الشديد (الباء، والدال) ثم الرخوة، فالمطبقة»[(١)].

أما في شفاء الغليل فإنَّ قلة أمثلة المخالفة لم تتح لي الحكم على كلام الدكتور إبراهيم أنيس فالحروف التي وقع فيها التخالف عشرة جاء في مقدمتها حروف (الباء والواو والفاء) بمثالين لكلٍّ. فالباء صوت شديد وبذلك يخالف ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم أنيس أما الفاء فهي من الأصوات الرخوة.

أنواع المخالفة:

يرى بعض اللغويين أن التخالف نوعان:

١ ـ تخالف بالحذف.

٢ ـ تخالف بالتغيير (الإبدال)، وهو قسمان[(٢)]:

المُتَّصِلُ: وهو الذي لا يَفْصِلُ فيه بين الحرفين المثلين فاصل نحو (البتَّ) البَرْت والبَلْتَ[(٣)].

والمُنْفَصِل: وهو الذي يَفْصِلُ فيه بين الحرفين المثلين فاصل نحو كلمة اخضوضر، فأصلها اخضرضر فأبدلت الراء الأولى واوًا لمجاورتها الراء الأخيرة بفاصل بينهما.

وقد رصد أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أنواعًا أخرى للتخالف في كتابة التطور اللغوي[(٤)].

---

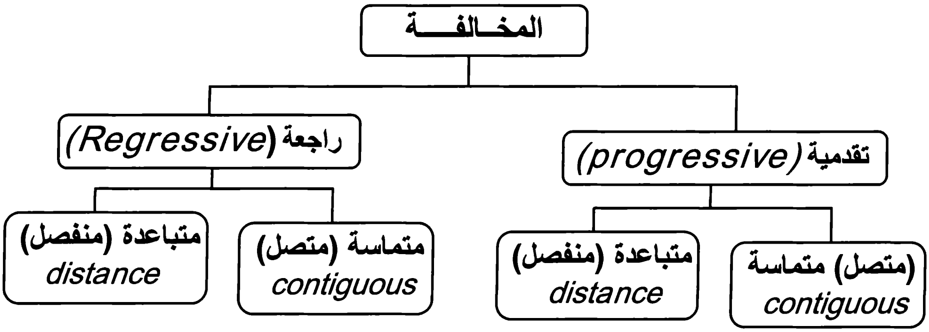
(١) تراث معاني القرآن في العربية دراسة صوتية دلالية، رسالة دكتوراه بآداب المنوفية ٢٠٠٥م للدكتور منير جمعة.

(٢) انظر اللغة لفندريس ٩٥، والتطور النحوي لبراجشتراسر ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) انظر ظاهرة المخالفة الصوتية ٤٠، ٤١.

(٤) التطور اللغوي ٥٧ ـ ٧٥.

وأنماط التخالف عند كثير من المعاصرين باعتبار اتجاه التخالف أربعة(١) كالمخطط الآتي:



أمثلة للمخالفة في شفاء الغليل:

أولًا: المخالفة بالحذف:

هي حذفُ أحد الصوتين المتماثلين، ويحدث ذلك كثيرًا عندما تتوالى الأصوات المتماثلة في مقاطع قصيرة مفتوحة (ص+ح) كما في كلمة (تتذكرون) التي تحولت إلى (تَذَكَّرون).

ولم أظفر بأمثلة لهذا النوع في شفاء الغليل إلا قوله في مادة إبَّالة: «يشدَّد ويخفف ويقال إيبالة أيضًا»، فقوله يخفف يعني أنَّه وقع التخالف بالحذف.

ثانيًا: المخالفة بالتغيير:

أ ـ المخالفة بأصوات العلة الطويلة:

١ ـ تقدمية ومتماسة progressive and contiguous:

أورد الخفاجي في كتابه أمثلة لهذا النوع منها:

---

(١) انظر Assimilation and dissimilation p.251!252!258.

ورأي موسكاتي في Comparative grammar of semantic language p.59.

كلمة (ديوان) حيث يقول: «بالكسر والفتح خطأ جمعه دواوين. . . أو أصله دِوَّان فأبدل ياء تخفيفًا لثقل التضعيف ولذا لم تبدل الثانية ياءً لبقاء التضعيف». والمخالفة فيها واضحة فلا تحتاج إلى تعليق.

كلمة (إبَّالة) حيث قال الخفاجي: «يشدد ويخفف ويقال إيبالة أيضًا».

وقوله: (ويخفف) يصلح لاعتبار (إبالة) بالتخفيف من التخالف بالحذف. حيث حذفت إحدى الباءين كما سبق أن ذكرنا.

وقوله: «ويقال إيبالة» خولفت الباء إلى الياء:

وأوضح مثال على هذا النوع قوله في مادة (صوفي): «. . . أو أصله صُفِّيَّة فأبدل من أحد حرفي التضعيف مدًّا من جنس حركة ما قبله كما في دينار». فالخفاجي هنا يعلل حدوث التخالف بالحركة الطويلة الواو أو الياء، ويرى أن المتحكم في ذلك هو حركة الحرف الذي قبل الحرف الذي سيحدث فيه التخالف، فإنْ كانت الحركة هي الضم يكون التخالف بالواو، وإذا كانت الكسرة يكون التخالف بالياء كما في دينار فأصلها (دِنَّار). غير أن الخفاجي في مادة (دينار) لم يشر إلى ذلك، وتابع الراغب الأصبهاني في قوله إنَّها معرَّب (دين آر) أي الشريعة جاءت به»!.

وكلمة (قاقُزَّة) حيث قال الخفاجي: «قاقُزَّة بالتشديد إناء للشراب معرَّب، ويقال قاقوزة، وقازوزة»، فهي مثال جيد للمخالفة بالواو (المدِّية) وكذلك بحرف الزاي في (قازوزة) وهي في الحالتين من نوع المخافة التقدمية والمتماسة.

٢ ـ المخالفة التَّقدُّميَّة والمتباعدة prpgressive and distance:

لم أقف عند الخفاجي لهذا النوع إلا على مثال واحد وهو قوله في مادة (ديابوذ): «ديابوذ: . . . قال أبو عبيد: أصله بالفارسيَّة دوبوذ».

فقد خولفت الواو إلى الياء لمجاورتها للواو الأخيرة وقد فصل بينهما الباء، فالأصلأنْ تكون (ديبَوْذ) فتحولت الياء من صوت علة (مد) طويل إلى شبه حركة عندما أقحم بعدها الفتحة الطويلة.

ب ـ المخالفة بالأصوات الصامتة:

١ ـ المخالفة التقدمية والمتماسة progressive and contiguous:

وردت في شفاء الغليل أمثلة لهذا النوع من المخالفة وهي التي يخالف فيها الصوت المتقدم نظيره التالي له عليه بشرط اتصالهما، ومن ذلك قوله في مادة أرزّ: «همزته زائدة وفيه لغات: أرزٌّ ورزٌّ، ورنْزٌ».

فقد خالفت الزاي الأولى وتحولت إلى النون، ولعلَّ ورود (رزٌّ) دليل على أن المخالفة (بشكل عام) ليست واجبة أو ليست مُطردة في كل كلمة تتوافر فيها شروط التخالف. ومن ذلك أيضًا «تقنطر في تقطَّر»[١]، و«توبلت القدر في تبَّلتُه»[٢]، و«قابوس في كاووس»[٣].

٢ ـ تقدمية ومتباعدة: progressive and distance:

ذكر الخفاجي مثالين على هذا النوع وهما في مادة (دشيش): «.. قال الزبيدي: خطأ والصواب جريش أو جشيش من جشه وجرشه...»[٤].

فلو اعتبرنا أن جريش وجشيش في مادة واحدة وهي جشيش تكون جريش قد نتجت بهذا النوع من المخالفة حيث تخالفت الشين الأولى إلى الراء.

والمثال الثاني قوله في مادة (صيصا): «بُسر لا نوى له معرَّب والعامة تقول له: شيص»[٥].

فتكون الصاد الأولى قد خالفت الثانية إلى الشين، وإبدال أحدهما من

---

(١) انظر شفاء الغليل (قنطرة) ٣/ ١٧٨.
(٢) انظر شفاء الغليل (تابل) ٢/ ٣٢٩.
(٣) انظر شفاء الغليل (قابوس) ٣/ ١٧٦.
(٤) انظر شفاء الغليل (دشيش) ٢/ ٤٧١.
(٥) انظر شفاء الغليل (صيصا) ٣/ ٧٩.

الأخرى أمر سائغ لقرب مخرجيهما واتفاقهما في الصفات ما عدا الإطباق فالصاد مطبقة والشين مرققة.

«ويمكن عن طريق «قانون المخالفة» تفسير ورود كلمتين في العربية الفصحى بمعنى واحد، وأصواتهما متفقة فيما عدا الصوت الأول منهما»[١].

ويرى الدكتور أحمد هريدي أن «التخالف بالإبدال لا يكون في الصوت الأول من الكلمة مطلقًا»[٢]، فإذا وجدت كلمتان متفقتين في المعنى والحروف ما عدا الصوت الأول فإنَّ الدكتور هريدي يرى أننا «لا بدّ أن نفترض أن التغير حدث في إحدى الصيغ المشتقة... ثم بعد ذلك تم الاشتقاق من الكلمة الجديدة»[٣].

٣ ـ راجعة متماسة regressive and contiguous:

وهي التي يخالف فيها الصوت التالي الصوت الذي قبله (مثله) إلى صوت غيره مع عدم وجود فاصل بينهما، وقد ذكر الخفاجي في كتابه عدة أمثلة منها:

قوله في مادة (طست)[٤]: «وقال الجوهري: (طَسْت عربية وأصلها طسٌّ، وهي لغة طيِّئ، أبدلت إحدى السينين تاء لرفع ثقل التضعيف)، ورُدَّ».

وهذا القول للجوهري ـ وإن كان الخفاجي يردُّه ـ إلا أنَّه مثال جيد لهذا النوع من المخالفة حيث خالفت السين التالية السين التي قبلها إلى التاء.

والخفاجي لا يرد كلام الجوهري في تفسيره لتحول (طسٌّ) إلى طست

---

(١) التطور اللغوي ٦٧.

(٢) ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي ٤٣.

(٣) ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي ٤٣.

(٤) انظر شفاء الغليل (طست) ٣/ ٩٥.

وإنَّما يرد أنْ تكون الكلمة عربية، حيث يُقَرِّر في بداية حديثه عنها أنَّها «معرَّب (طشت) و(طسٌّ) مخفف منها».

غير أن الخفاجي ينقل بعد ذلك قول الفراء: «طيِّئ تقول طَسْتٌ وغيرهم يقول طسٌّ، وهم الذين يقولون (لصت) في (لصٍّ)». فكلام الفراء يؤكِّد حدوث المخالفة ويذكر مثالًا أخر لحدوث نفس النوع من المخالفة وهو (لصت في لصٍّ).

ومن أمثلة هذا النوع أيضًا (دِرهم في دِرَّم)[1]، و(طغنزها في طغَّزَها)[2].

وقد ذكرنا جُلَّ الأمثلة التي أوردها الخفاجي ويمكن تفسيرها بقانون المخالفة الصوتية سواء أشار إلى حدوث ذلك التخالف أو لم يُشِرْ، أمَّا الأنواع الأخرى من المخالفة فإننا لم نظفر بأمثلة لها في شفاء الغليل.

(١) انظر شفاء الغليل (درهم) ٢/ ٤٥٣.

(٢) انظر شفاء الغليل (طخز) ٣/ ٩٧.

ثانيًا: الإبدال للتعريب

تعريف الإبدال Substitution:

لغة:

يقول ابن فارس: «الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب»(١)، فالإبدال في اللغة من البدل وهو العوض والخلف، وفي اللسان: «. . . والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله، والأصل في الإبدال جعل الشيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله»(٢).

اصطلاحًا(٣):

هو إقامة حرف مكان حرف في كلمة واحدة في موضعه أو اتفاق كلمتين في معنيهما وحروفهما عدا حرفًا واحدًا مثل: نبا ونتا، والسراط والصراط، وجذا وجثا.

وبعض المحدثين وسع الإبدال ليشمل الصوائت (الحركات) Vowel إلى جانب الصوامت (الحروف) Concennt، يقول الدكتور إبراهيم نجا عن الإبدال إنه: «. . . جَعْل حرف مكان حرف، أو حركة مكان أخرى»(٤).

---

(١) مقاييس اللغة (بدل) ١/ ٢١.

(٢) اللسان (بدل) ١١/ ٤٨، والصحاح (بدل) ٤/ ١٦٣٢، والقاموس (بدل) ٣/ ٣٤٤.

(٣) انظر الإبدال لابن السكيت ٤٨، والصَّاحبي ٣٣٣، والمخصص ١٣/ ٢٦٧، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠/ ٧، وشرح الشافية للرضي ٣/ ١٩٧.

(٤) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ٧١.

العلاقة الصوتية بين المتبادلين:

اختلف العلماء - قديمًا وحديثًا - حول وجود علاقة صوتية بين المبدل والمبدل منه؛ فمن القدماء من يرى ضرورة وجود علاقة بين الصوتين المتبادلين من ناحية المخرج أو من ناحية الصفات، وعلى رأس هؤلاء أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني[(١)] الذي يقول: «فأما قول من قال في قول تأبَّط شرًّا:

كـأنـمـا حـثَّـثـوا حُـصًّـا قـوادمُـه أو أُمَّ خـشـف بـذي شَـتٍّ وطُـبَّـاق

إنه أراد: حثحثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاءً، فمردود عندنا، وإنَّما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [ابن السرَّاج][(٢)] معهم أيضًا، وسألت أبا علي عن فساده، فقال: العلَّة في فساده أن أصل القلب في الحروف إنَّما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء، والذال والظاء، والثاء، والهاء والهمزة، والميم والنون، وغير ذلك ممَّا تدانت مخارجه، فأمَّا الحاء فبعيدة عن الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها. قال: وإنَّما (حثحث) أصل رباعي، و(حثث) أصل ثلاثي، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة، و(حثَّث) من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا بالتضعيف الذي فيهما اشتبه»[(٣)].

وهذا الرأي الذي صرح به ابن جني وأستاذه نرى أصوله عند الخليل بن

---

(١) انظر الخصائص ٢/ ٨٢.

(٢) ذكر صاحب اللسان (حبب) ١/ ٣٤٤ هذا الرأي ولم ينسبه إليهم حيث قال: «وخبخبوا عنكم من الظهيرة: أبردوا وأصله: خبِّبوا، بثلاث باءات، أبدلوا من الباء الوسطى خاء، للفرق بين فعلل، وفعَّل، وإنَّما زادوا الخاء من سائر الحروف؛ لأنَّ في الكلمة خاء، وهذه علة جميع ما يشبه من الكلمات»، وكذا في تاج العروس (خبب) ٢/ ٣٣٢.

(٣) سر صناعة الإعراب ١٨/١ (ط هنداوي).

أحمد فقد ورد عنه قوله: «الذُّعاق كالزُّعاق سمعنا ذلك من بعضهم وما ندري ألغة أم لثغة؟»(١).

وقوله: (لغة) يدلُّ على عدم اشتراط قرب المخرج أو الصفة، أما قوله (لثغة) يعني أن هناك تغيرًا صوتيًّا لأنَّ صاحب اللسان يذكر أن اللثغة هي: «أن تعدل الحرف إلى حرف غيره»(٢).

وينقل ابن فارس عن الخليل أنَّه لم يشترط تقارب المخارج في الإبدال وذلك عندما رأى إبدالًا بين صوتين متباعدي المخارج، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥] ثم يَرُدُّ ذلك قائلًا: «وما أحسب الخليل قال هذا، وما أُحقِّقهُ عنه»(٣) وابن فارس في قوله هذا يدافع عن مذهبه حيث اشترط قرب المخرج لحدوث الإبدال(٤).

ويعلن ابن سيده رأيه قائلًا: «ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة، فقيل على حرفين غير متقاربين، فلا يسمى بدلًا؛ وذلك كإبدال حرف من حروف الفم، من حرف من حروف الحلق»(٥)، ويستخدم الفراء مصطلح المعاقبة مشترطًا تقارب المخرج أيضًا فيقول: «والعرب تقول: «القافور والكافور، والقف والكف. . إذا تقارب الحرفان في المخرج»، وتعاقبا في اللغات؛ كما يقال: جَدَف وجدث، تعاقبت الفاء والثاء في كثير من الكلام، كما قيل: الأثافي

---

(١) المزهر ١/٥٥٦.

(٢) اللسان (لثغ) ٨/٤٤٨.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ٢٠٤ (تحقيق مصطفى الشويمي ـ مؤسسة بدران للطباعة والنشر ـ بيروت ٩٦٤).

(٤) الصاحبي ٣٠٠.

(٥) المخصص ١٣/٢٧٤ (ط بولاق) (باب ما يجيء مقولًا بحرفين وليس بدلًا).

والأثاثي»(١)، ومن هؤلاء ابن السِّيد الذي يقول في الاقتضاب(٢): «البدل عندهم لا يصح إلا في الحروف التي بينها تجاور في المخارج، أو تناسب في بعض الأحوال، وأما مثل أَشَرْتُ العُودَ ونَشَرْتُه ووَشَرْتُه، وجاحفت عنه وجاحشت، ولَبِجَ به، ولبط به، فلا يرونه بدلًا، وإنَّما هي ألفاظ تتقارب صيغها ومبانيها، وتتدانى أغراضها ومعانيها، فيتوهم المتوهم أن أحدهما بدل من الآخر، ولو كان هذا التَّوَهُّمُ صحيحًا، لجاز لقائل أن يقول: إن الراء في سبطر ودمثر زائدة، لأنَّهم قالوا: سبط، ودمث، وهما مساويان لهما في المعنى ومقاربان في الصيغة والمبنى وهذه أمثلة مرفوضة غير متناسبة»(٣).

ويذهب كثير من المحدثين إلى ذلك أيضًا كالدكتور إبراهيم أنيس(٤) والدكتور عبد الصبور شاهين(٥) والدكتور صبحي الصالح الذي اشترط التقارب في المخرج لا في الصفة حيث يقول: «فالمُعَوَّلُ في باب الإبدال على المخرج لا على الصفة، ولو تقيد اللغويون بهذا الشرط الهام لجاءت شواهدهم على الإبدال اللغوي قليلة العدد ثقيلة في الميزان»(٦).

ويؤكد أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب على أن الأصوات المتباعدة جدًّا في المخرج لا ينقلب أحدها إلى الآخر(٧).

على حين يرى فريق من اللغويين القدامى عدم وجود ضرورة لمثل هذه العلاقة الصوتية بين المبدل والمبدل منه، ومن هؤلاء ابن السكيت(٨)

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء: ٣/ ٢٤١.

(٢) الاقتضاب ٢/ ٢٥٣ (باب المبدل).

(٣) الصاحبي ٣٣٣.

(٤) انظر: من أسرار اللغة ٧٥.

(٥) انظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٦٩ ـ ٢٧١.

(٦) دراسات في فقه اللغة ٢٣٥.

(٧) انظر مدخل إلى علم اللغة ص٣٥.

(٨) انظر مثلًا: كتاب الإبدال له، الصفحات ٩٧ ـ ١٣٦.

وأبو الطيب اللغوي[(١)] وهما ممَّن ألف في الإبدال. وقد ذكرا في كتابيهما أمثلة كثيرة تدلُّ على ذلك.

وقد ذهب بعض المعاصرين أيضًا إلى ذلك كالدكتور عبد الله أمين الذي عدَّ التباعد بين الحرفين من مسوغات الإبدال كالتجانس والتقارب على حد سواء[(٢)] وأتى بأمثلة تؤيد ما ذهب إليه.

الحدود الجغرافية أو البيئية المكانية للإبدال:

اختلف العلماء في منشأ الإبدال وعلاقته باللهجات؛ فمنهم من رأى أنَّه ينشأ في اللهجات المختلفة، ومنهم من رأى إمكانية حدوثه في اللهجة الواحدة.

أما أصحاب الرأي الأول فمنهم ابن السكيت، وأبو الطيب اللغوي وابن خالويه؛ حيث نقل السيوطي عن ابن السكيت قوله: «حضرني أعرابيان... على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذا، وهما لغتان»[(٣)]. فابن السكيت يذهب إلى أن منشأ الإبدال اختلاف اللهجات مع أن الاختلاف فيما رواه عنه السيوطي في لهجة واحدة هي لهجة بني كلاب ـ ويبدو رأي ابن السكيت من قوله: «وهما لغتان»، وقد قال ذلك حتى لا يظن من يروي عنه هذا الخبر أنَّه يذهب إلى وقوع الإبدال في لغة (لهجة) واحدة. وكذلك نقل السيوطي عن أبي الطيب اللغوي قوله في كتابه الإبدال: «ليس المراد بالإبدال أنَّ العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنَّما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزًا، وطورًا غير مهموزة،

(١) انظر: الإبدال لأبي الطيب (تحقيق التنوخي)، الصفحات ١/ ١٧، ١٨ و٣١٠.

(٢) انظر الاشتقاق ٣٦٧ ـ ٣٧٠.

(٣) المزهر ١/ ٤٧٥.

ولا بالصاد مرَّة وبالسين مرة أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصَدَّرة عينًا، كقولهم في نحو (أن): عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك؛ إنَّما يقول هذا قوم وذاك آخرون»[١].

ويروي لنا السيوطي خبرًا عن ابن خالويه يدلُّ على مذهبه في ذلك حيث يقول ابن خالويه: «أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابي ثالث، فقال: أما أنا فأقول: الزقر بالزاي! قال ابن خالويه: فدل على أنَّها ثلاث لغات»[٢].

وفي مقابل ذلك نجد بعض العلماء يجيزون الوجهين، فقد يقع الإبدال ـ عندهم ـ في اللهجة الواحدة، كما يقع بين اللهجات المختلفة، «إذ يرى ابن جني وابن سيده وابن يعيش أن الكلمتين المتحدتين في الحروف إلا في حرف واحد، تارة يكون هذا الخلاف في ذلك الحرف من قبيل الإبدال عندهم، وذلك إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، وهذا يستدعيأنْ تكون الأصلية أعمَّ تصرُّفًا، أو أدْوَرَ استعمالًا، ليتسنى الحكم بالأصالة والفرعية لهذه الميزة، وحينئذٍ يكون الإبدال عند قبيلة واحدة، أو عند العرب جميعًا، وآنًا يكون هذا الخلاف من قبيل اختلاف اللغات، وذلك إذا لم يتسنَّ الحكم..»[٣].

ومما سبق يتبين لنا ظهور مصطلحين كبيرين عند القدماء ـ خاصة ـ حاولوا بهما تفسير وجود كلمتين اتفقتا من حيث المعنى وحروفهما واحدة ما عدا حرفًا واحدًا. هذان المصطلحان هما: (الإبدال) و(لغة). وهما مصطلحان

---

(١) المزهر ١/ ٤٦٠ غير أني لم أجد هذا النص في كتاب الإبدال لأبي الطيب الذي طبع بتحقيق عز الدين التنوخي، فربما يكون ممَّا فقد من أصل الكتاب.

(٢) المزهر ١/ ٤٧٥.

(٣) اللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ٧٣.

متغايران؛ فمعنى قولهم: «وهما لغتان ـ وهي لغة فيها . . . إلخ» أنَّه لم يحدث إبدال بين الصوتين المتغايرين. وذلك واضح فيما نقلناه من قبل عن الخليل بن أحمد في تعليقه على كلمتي (الذُّعاق) و(الزُّعاق) حيث قال: «ما ندري ألغة أم لثغة»[(١)].

وإلى ذلك ذهب الخفاجي أيضًا حيث يفرِّق بين اللغتين في الكلمة الواحدة والإبدال حيث يقول: «وأما الصراط فصاد بدل من السين، وليستا لغتين كما ظُنَّ»[(٢)].

ويتبين لنا أيضًا أنَّ الإبدال عند القدماء ـ معظمهم ـ ظاهرة لغوية؛ ولم يتفقوا على عدِّها ظاهرة صوتية خالصة. أما المحدثون فيقررون أن الإبدال ظاهرة صوتية يمكن دراستها تحت ما عرف بالتطور الصوتي، أو التغيرات الصوتية، يقول الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك: «حين نستعرض تلك الكلمات التي فُسِّرت على أنَّها من الإبدال حينًا، أو من تباين اللهجات حينًا آخر، لا نشك لحظة في أنَّها جميعًا نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروي لها المعاجم صورتين أو نطقين، يكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل، والأخرى فرع لها أو تطور عنها، غير أنَّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه»[(٣)].

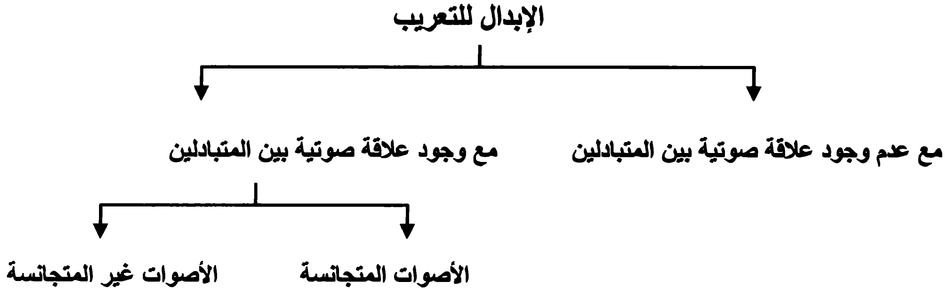
فإذا اعتمدنا على التعريف اللغوي للإبدال الذي سبق أن ذكرناه في أول كلامنا، وأنه يعني مطلق التغيير أو وضع شيء مكان شيء، فإننا يمكننا دراسة الإبدال عند الخفاجي في شفاء الغليل من خلال المخطط التالي:

---

(١) المزهر ١/٥٥٦.

(٢) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٢١.

(٣) من أسرار اللغة ٥٨.



١ ـ مع عدم وجود علاقة صوتية:

يقول الخفاجي في مقدمته: «وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف، وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه، فيبدلون حرفًا بآخر، ويغيرون حركته، ويسكنون ويحركون، وينقصون ويزيدون»(١).

فالخفاجي يُقَرِّر هنا لزوم الإبدال حتى لا يدخل في لغة العرب ما ليس منها، والهدفُ من هذا الإبدال مطلق التغيير لذلك فهو ليس إبدالًا صوتيًا. وقد سبق أن تحدثنا عن موقف اللغويين قدماء ومحدثين من هذا النوع من الإبدال ـ الذي لا يشترط وجود علاقة صوتية من حيث المخرج أو من حيث الصفات ـ وخلصنا إلى اعتباره من اختلاف اللغات أو اللهجات وذلك إذا كانت الكلمتان عربيتين.

فإذا حدث ذلك في الكلمة التي يُراد تعريبها، فإنَّ الهدف من هذا الإبدال هو مطلق التغيير، «فليس كلُّ إبدال لازمًا من الناحية الصوتية فقد غيروا كثيرًا من المعرَّبات حروفًا لا تدعو إلى تغييرها حاجة صوتية»(٢).

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/١٠٨.

(٢) المعرب ٦٥ (بتحقيق ف عبد الرحيم، مقدمة المحقق).

وهذا الإبدال هو الذي أشار إليه الخفاجي بقوله: «وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف، وهو لازم...»[١].

وقد نثر الخفاجي في كتابه أمثلة على هذا النوع الذي اصطلحنا على تسميته (الإبدال للتعريب)، فمن ذلك قوله: «صك: بمعنى الوثيقة معرَّب (چك)»[٢]، فالملاحظ أن الجيم الفارسيَّة ـ وهي تشبه الجيم الشامية أو ما اصطلح عليه المحدثون بالشين المجهورة إذا أبدلت عند التعريب فإنها قد تبدل جيمًا عربية أو شينًا وذلك لوجود علاقة صوتية[٣]. أما في هذا المثال فإنها قد أبدلت بالصاد العربية وهي أبعد مخرجًا عن الجيم من الشين أو الجيم الفصيحة. ومن ذلك أيضًا أنَّه ذكر أن:

«جرموق معرب سرموزه»[٤]، وقوله: «بادهنج... وهو معرب بادخون أو بادكير»[٥]، فإذا نقل الخفاجي عن غيره تعريبًا لكلمة بحيث تبعد تمامًا عن الأصل فإنَّه يصرح بعدم رضاه عن هذا التعريب ومن ذلك قوله: «تاريخ... وقيل معرَّب (ماه روز)... ذكره في نهاية الإدراك، وهو تعريب غريب» لأنَّ الإبدال هنا ليس من حرفين أو ثلاثة حتى إن كانت الحروف المبدلة لا علاقة لها بالأصل من حيث المخارج أو الصفات، ولكنَّ المادة المُعَرَّبة تغيرت بعد التعريب إلى مادة أخرى لا علاقة لها بالأصل. وهذا النوع من البدل شائع في كتابه[٦].

ولعل الإبدال بمعناه الاصطلاحي الذي عرف عند أغلب العلماء ـ أعني

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٨.

(٢) راجع ما ذكرناه في مبحث (التغييرات الصوتية التاريخية (صوت الجيم)).

(٣) انظر مادة (چك) ٣/ ٧٦.

(٤) مادة (جرموق) ٢/ ٣٧٢.

(٥) مادة (بادهنج) ٢/ ٢٩٥.

(٦) انظر مثلًا (أقسما)، (بارقليط)، (تجفاف)، (كنز)، (بوصى) وغيرها.

الذي يشترط قربًا في المخرج أو في الصفة بين المتبادلين ـ إذا حدث عند التعريب مع عدم تدخل صوت آخر بحيث يؤثر على الصوت الذي سيبدل فيبدله إلى صوت قريب منه ـ وهو ما اصطلح عليه المحدثون باسم التغييرات الصوتية التركيبية ـ هذا النوع يُعَدُّ إبدالًا غير لازم كما صرَّح بذلك الخفاجي بقوله: «والحروف المبدلة عشرة. . . وخمسة لا تطرد وهي السين والشين والعين واللام والراء، وكل حرف وافق الحروف العربية، والحاء قد تبدل من الخاء كما في حب وخب هذا كله أغلبيٌّ»(١).

كما يقول في موضع آخر من المقدمة: «وأما ما لا يطرد فيه البدل فالحرف الذي من حروف العرب نحو سين سراويل وعين إسماعيل، أبدلوه للتغيير الذي قد لزم»(٢).

ولقد نثر الخفاجي أمثلة لهذا الإبدال في كتابه، ولم يهتم ـ في أغلب أمثلته ـ بتعليل ذلك الإبدال، بل ربَّما لم ينص على حدوث الإبدال نصًّا صريحًا ولكنَّ تحول المادة من الأصل إلى العربية يؤكِّد حدوث هذا الإبدال، ولعلَّ إهمال الخفاجي للنص على وقوع الإبدال ـ كثيرًا ـ يرجع إلى ثلاثة أمور في تقديري:

الأول: أنَّه قد تحدث في مقدمته بشيء من التفصيل عن ظاهرة الإبدال عند حديثه عن اطراد الإبدال في الفارسيَّة وكذلك عند حديثه عن تغيير المعرَّب.

والثاني: أنَّ كتاب شفاء الغليل كتاب معجمي؛ هدفه الأول أن يرصد الكلمات المعرَّبة أو المولَّدة أو الملحونة أو النادرة. . . مع ذكر أصلها ـ كلما أمكن ذلك ـ وليس من أهدافه تأصيل هذا التغير أو تعليله.

---

(١) شفاء الغليل: المقدمة ٢/ ١٠٨.

(٢) شفاء الغليل: المقدمة ٢/ ١١١.

والثالث: وضوح أو ظهور الإبدال خاصة في الكلمات التي أُبْدِلَ فيها صوت واحد فهي لا تحتاج إلى نصٍّ على حدوث الإبدال.

ولنذكر الآن أمثلة من شفاء الغليل على هذا النوع من الإبدال ـ الإبدال الصوتي (مع وجود علاقة صوتية) للتعريب ـ مع التعليل لحدوث البدل بين الصوتين المتبادلين.

٢ ـ مع وجود علاقة صوتية:

أ ـ الإبدال بين الأصوات المتجانسة:

١ ـ الأصوات الشفوية:

ذكر الشهاب إبدالًا وقع بين الواو والباء، حيث قال: «باله: معرَّب... ويقال أصلها واله»[(١)]، والإبدال بين الواو والباء سائغ لأنَّ مخرجهما واحد وهو الشفتان، وكلاهما مجهور، والفرق بينهما هو أن الباء صوت شديد والواو صوت احتكاكي[(٢)].

٢ ـ الأصوات الأسنانية:

وهي الثاء والذال والظاء وقد عدَّها الخليل بن أحمد لثوية وقال: «لأن مبدأها من اللثة»[(٣)]، وتابعه في ذلك ابن يعيش حيث قال: «... وهي لثوية لأنَّ مبدأها من اللثة»[(٤)]، ولا أدري لم وصف هؤلاء القدماء هذه الأصوات الثلاثة بأنَّها لثوية؟ والعجيب أنَّهم يعنون هذا الوصف كما نفهمه حيث يقولون: لأنَّ مبدأه من اللثة أو «ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[(٥)]، مع

(١) شفاء الغليل مادة (باله) ٢/٢٥٨، وانظر (قابوس) ٣/١٧٦.

(٢) انظر سر صناعة الإعراب ١/٤٨، والمدخل إلى علم اللغة د/رمضان ٤٢، ٤٣، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية ٢٠٦.

(٣) العين ١/٦٥.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٢٥.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ١٠/١٢٥.

أن بعض القدماء يجعلونها أسنانية ـ كما أطلق عليها المحدثون[١] ـ وإن لم يصَرِّحوا بهذه التسمية لكنَّهم وصفوا مخرجها وصفًا ينطبق على هذه التسمية حيث يقول سيبويه: «وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء»[٢]. وقد ذكر لنا الخفاجي إبدالًا بين الثاء والذال في ثلاث كلمات حيث قال: «شحات: للسائل، وسموا شحاثة بالمثلثة وصوابه شحاذ وشِحَاذَة من شَحَذَ السيف صقله، شبِّه به المُلِحُّ. قال أبو منصور في الذيل. لكن في شرح الدُّرة: قالوا إنه حسن على البدل، كما قالوا جثا وجذا، وقثمت الشيء وقذمته، ولا بدع في أمثاله»[٣].

والإبدال بين الثاء والذال سائغ لاتحاد المخرج وقرب الصفة، فالثاء صوت رخو مهموس مرقق، والذال هو النظير المجهور للثاء وهو رخو مرقق أيضًا «يتم نطقه بنفس الطريقة التي ينطق بها صوت الثاء، مع فارق واحد؛ هو أن الأوتار الصوتية تهتز عند نطق الذال، ولا تهتز عند نطق الثاء»[٤]. وقد أدرك الخفاجي هذه العلاقة فرَدَّ تخطئة أبي منصور لمن قال في شحَّاذ: شحاثًا، وذكر أن ذلك حسن على البدل، ولا بدع في أمثاله.

٣ ـ الأصوات الأسنانية اللثوية:

وهذه التسمية تجمع بين مجموعتين من الحروف عند القدماء وهي

---

(١) انظر مناهج البحث في اللغة د/تمام حسان ١٢٦، ١٢٧، والمدخل إلى علم اللغة د/ رمضان ٤٤، وقد أطلق عليها الدكتور كمال بشر مصطلح (بين الأسناني). انظر علم اللغة العام ـ الأصوات ٨٣.

(٢) كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٣.

(٣) شفاء الغليل (شحات) ٣/ ٥٥.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٤٥، وقد أدرك ابن جني هذه العلاقة بين الثاء والذال فقال في سر الصناعة ١/ ١٧١: «الثاء حرف مهموس، وهو أحد حروف النفث ومحله من الذال محل التاء من الدال».

الحروف النطعية كما أطلق عليها الخليل بن أحمد، ومخرجها: «مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا»[١]، وهذه الحروف النطعية هي (الطاء، والدال، والتاء)، وأضاف إليها الدكتور إبراهيم أنيس صوت[٢] (الضاد) واصفًا إياها بأنَّها الضاد الحديثة.

أما المجموعة الثانية فهي مجموعة الأصوات (الحروف) الأسلية كما وصفها الخليل بن أحمد[٣] نسبة إلى أسلة اللسان وهي مُسْتَدَقُّه[٤].

أما المحدثون فيختلفون في وصفهم لهذه الأصوات[٥]. وهذه التسمية التي اخترناها هي التي ارتضاها أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب[٦] حيث يقول: «يُعَدُّ هذا المخرج أغنى المخارج بالأصوات في العربية، ففيه تنطق الأصوات التالية:

(الدال، والضاد، والتاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد)، وكذلك الدكتور ريمون طحَّان[٧].

وقد ذكر الخفاجي إبدالين بين الطاء والتاء حيث قال «بوطة: معرَّب بوتة»[٨] وقال: «طباهج... معرَّب تباهه»[٩].

والإبدال بين التاء والطاء أمر سائغ بسبب الاتحاد في المخرج والاتفاق

---

(١) العين ١/ ٦٥.

(٢) الأصوات اللغوية ٤٨.

(٣) العين ١/ ٦٦.

(٤) وتشمل بقية الأصوات الأسنانية اللثوية عند المعاصرين وهي (الزاي والسين والصاد).

(٥) انظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ٧٩ ـ ٨٢.

(٦) المدخل إلى علم اللغة ٤٦.

(٧) انظر الألسنية العربية ٤٦.

(٨) شفاء الغليل (بوطة) ٢/ ٢٨٠.

(٩) شفاء الغليل (طباهج) ٣/ ٩٥.

في أكثر الصفات؛ فالطاء هي النظير المفخم لصوت التاء، فالتاء ـ كما مر ـ صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مرقق، والطاء صوت أسناني انفجاري مهموس مفخم[(١)] أو مطبق ـ وإن كان القدماء يصفونها بالجهر ـ، «ويرى بعضهم أنَّه في حالة النطق بالطاء يكون اللسان مقعَّرًا، أي يرتفع أقصاه وطرفه مع تقعير وسطه، وهذا هو المقصود بالإطباق»[(٢)].

ويذكر صاحب المعرَّب الصوتي[(٣)] أن علماءنا المغاربة ـ ابن خلدون وابن البيطار ـ قد اتفقوا في نقلهم حرف (T) عند التعريب إلى طاء وكذا نقله إلى تاء في المرتبة الثانية.

وذكر الخفاجي أيضًا إبدالين بين السين والصاد، الأول في مادة (ناسور) حيث قال: «ناسور بالسين والصاد جميعًا.... معرَّب عن الجوهري»[(٤)]، وقال في مادة (صابورة) «صابورة.... وقولهم سابورة خطأ قاله الزبيدي»، والعجيب أن الخفاجي الذي يُقَرِّر الإبدال في المثال الأول يرفضه هنا ـ مع الزبيدي ـ ويعده من لحن العوام!! حيث لم يعلِّق على كلام الزبيدي، وقد أثر عن العرب الإبدال بين هذين الصوتين، من ذلك قول الأخفش في قوله تعالى ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] : «الصراط فيه لغتان: السين والصاد: إلا أنَّا نختار الصاد، لأنَّ كتابها على ذلك في جميع القرآن»[(٥)].

فالسين والصاد صوتان مُتَّحدان في المخرج؛ فكلاهما أسناني لثوي وهما

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٤٦، والأصوات اللغوية ٦١.

(٢) علم الأصوات للدكتور كمال بشر ٢٥٠، وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٤٥.

(٣) المعرب الصوتي ١٣٠.

(٤) شفاء الغليل (ناسور) ٣/ ٣٢٤.

(٥) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٧، وانظر قراءة (لست عليهم بمسيطر) [الغاشية: ٤٢] في معجم القراءات ١٠/ ٤٠٦، وانظر الإبدال لأبي الطيب ٢/ ١٠٧ ـ ١٧٢، والإبدال والمعاقبة ٦ ـ ١٧.

مشتركان في صفتي الهمس والرخاوة ولا فرق بينهما إلا في أن الصاد هي النظير المفخم للسين، إذ هو ينطق كما ينطق السين، مع فارق واحد هو أن مؤخرة اللسان ترتفع ناحية الطبق(١).

ومن أمثلة الإبدال بين السين والزاي قوله: «إياز وإياس: علم غير عربي»(٢)، والإبدال بين السين والزاي أمر سائغ لأنَّهما من مخرج واحد، والزاي هي النظير المجهور للسين(٣). وقد روي أن قبيلة طيئ كانت تجهر صوتي الصاد والسين بقلبهما زايًا، فكانوا يقولون في سقر: زقر، وفي الصقر: زقر(٤).

٤ ـ الأصوات الذَّلقيَّة(٥):

جمع القدماء بين أصوات ثلاثة وهي اللام، والراء، والنون، وأطلقوا عليها تسمية (ذلقية) وأول من أطلق هذه التسمية هو الخليل بن أحمد(٦)، وقد

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة ٤٧، ودراسات في علم الأصوات ٦٨ ـ ٧٩.

(٢) شفاء الغليل (إياز) ٢/ ٢٣٧.

(٣) انظر الكتاب ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

(٤) اللهجات العربية بحوث ودراسات ٣٣٢.

(٥) هذا المصطلح من مصطلحات الخليل بن أحمد وقد أطلقه على الأصوات الستة (مر بنفل) وخص به ثلاثة منها وهي (الراء واللام والنون). انظر العين ١/ ٥٧.
ويطلق ابن جني عليها تسمية (حروف الذلاقة) ويعلل التسمية بقوله (سر صناعة الإعراب ١/ ٦٤): «لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه». ويصفها الخفاجي في مقدمة شفاء الغليل (٢/ ١٢٢) بقوله: «وأخف الحروف، حروف الذلاقة، ولذا لا يخلو الرباعي والخماسي منها إلا عسجد لشبه السين في الصفير بالنون في الغنَّة، فإذا وردت كلمة رباعية أو خماسية ليس فيها شيء من حروف الذلاقة، فاعلم أنَّها غير أصلية في العربية»، وانظر سر الصناعة أيضًا ١/ ٦٥. وقد وضع الخفاجي رسالة في هذه الحروف أطلق عليها: رسالة في الحروف الذولقية وهي لا تزال مخطوطة في المكتبة التيمورية مجموع رقم ٣٣١/ ٢٠، وانظر تفصيل الآراء حول هذا المصطلح في المصطلح الصوتي ٢٠٣، ٢٠٤.

(٦) العين ١/ ٦٦.

جمع المحدثون بين هذه الأصوات الثلاثة مثلما فعل القدماء، ولعلَّ السبب في هذا الجمع: قرب مخارجها و«نسبة وضوحها الصوتي، وأنَّها أوضح الأصوات الساكنة في السمع»[١].

وما ذكره الخفاجي من الإبدال في هذه الحروف كثير.

ومن أمثلته بين اللام والنون قوله في مادة منجنيق حيث قال: «كالمنجنيق ومنجليق لغات فيه معرَّبة»[٢]، وقال: «جريال: ويقال: جريان، صبغ أحمر»[٣].

والإبدال بين اللام والنون سائغ فهما حرفان مجهوران[٤] منفتحان أي غير مطبقين وقد وقع إبدالهما كثيرًا في لغة العرب في مثل: لعلَّ ولعنَّ[٥].

ومن أمثلة الإبدال بين اللام والراء قوله: «قرطبان: ديوث، والعامة تقول: قلتبان»[٦]، وإن كان ذلك من لحن العوام لكن الإبدال بين الراء واللام[٧] أمر سائغ، «فالنون مؤاخية اللام لقرب المخرجين، ولانحراف اللام إلى مخرج النون»[٨].

٥ ـ الأصوات اللهوية:

الحروف اللهوية ـ على ما يراه القدماء[٩] ـ هي الكاف والقاف. أما

---

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ١٣١.

(٢) انظر شفاء الغليل (منجنيق) ٣/ ٢٦٧.

(٣) انظر شفاء الغليل (جريال) ٢/ ٣٦٠.

(٤) كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٤.

(٥) كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٦.

(٦) شفاء الغليل (قرطبان) ٣/ ١٨٩.

(٧) سر الصناعة ٢/ ٤٤٢، ٤٤٣، وانظر الإبدال لأبي الطيب ٢/ ٣٨٣ ـ ٤١٤، والإبدال والمعاقبة للزجاجي ٩٢ ـ ٩٨.

(٨) الرعاية، مكي بن أبي طالب ١٩٣، وانظر المقتضب ١/ ١٩٣.

(٩) سر صناعة الأعراب ١/ ٤٥، وتهذيب اللغة ١/ ٤٨، والرعاية ١٣٩ والنشر، وانظر العين ١/ ٦٥، وفي القراءات العشر ١/ ١٩٩.

المحدثون فيرون أن (القاف) فقط هي اللهوية[١]، وهو صوت شديد مهموس، ينطق برفع مؤخر الطبق، حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، ليسد المجرى الأنفي، ورفع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة والجدار الخلفي للحلق، مع عدم حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فينحبس الهواء، ثم ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين. وعلى ذلك فلا فرق بين القاف والكاف، إلا في أن القاف أعمق قليلًا في مخرجها[٢].

وعلى ذلك فالإبدال بين الكاف والقاف أمر سائغ جدًّا، فهما على رأي القدماء، متحدتان في المخرج والصفات وعلى رأي المحدثين متقاربتان جدًّا في المخرج، وقد ذكر أمثلة على إبدالهما؛ من ذلك قوله: «كشمش: ثمر معروف معرَّب، ويقال قِشمِش»[٣]، وقد أُثِرَ الإبدالُ بينهما في لغة العرب[٤].

٦ ـ الأصوات الطبقيَّة:

وهي في العربية الفصحى: الكاف والغين والخاء[٥]، وقد ذكر الخفاجي إبدالين بين الكاف والخاء، الأول في مادة (كسرى) حيث قال: «كسرى معرَّب خسرو بفتح الكاف وكسرها»، وقال في مادة (ملوخيا): «... وسموها ملوكيَّة فحرفتها العامة وقالت ملوخيا». فهو في المادة الأولى يُقَرِّر إبدال الكاف من الخاء وهو أمر سائغ لاتحاد المخرج والصفات فلا فرق بين

---

(١) انظر دراسة الصوت اللغوي ٢٧٢، والمدخل إلى علم اللغة ٥٤.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٤، ٥٥.

(٣) شفاء الغليل (كشمش) ٣/ ٢٢٢، وانظر (قصعة) و(قهرمان) و(كافور).

(٤) انظر الإبدال لابن السكيت ١١٣، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٧٩.

(٥) المدخل إلى علم اللغة ٥٣، وأطلق القدماء على هذا المخرج اسم (أدنى الحلق) وهو عندهم لصوتي الغين والخاء، انظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٤٣٣، وانظر تفصيل الفرق بين القدماء والمحدثين حول مخرج هذين الصوتين في المصطلح الصوتي ٦٧، ٦٨، وقد أطلق بعض المحدثين على مخرج هذه الأصوات الثلاثة (الحاء والغين والكاف) اسم «أقصى الحنك» انظر علم اللغة ١٦٩، ١٩٤، وعلم اللغة العام ـ الأصوات ٩٠.

الكاف والخاء إلا في صفة الشِّدة والرخاوة فالكاف «صوت شديد مهموس مرقق»[١]، والخاء «صوت رخو مهموس مرقق»[٢]. لكنَّ الخفاجي عندما يرى ـ كعادته ـ أنَّ هذا الإبدال حدث على أيدي العامة فإنَّه يُصرِّح بأنَّه تحريفٌ من العوام أو لحن. . . . إلخ كما ذكر هنا في مادة ملوخيا.

٧ ـ الأصوات الحنجرية[٣]:

وهي ـ عند المحدثين ـ صوتا الهمزة والهاء، أما القدماء فيرون أن الهمزة والهاء يخرجان من أقصى الحلق[٤]، وقد رأى بعض المحدثين أنَّ القدماء وعلى رأسهم الخليل كانوا يقصدون بأقصى الحلق الحنجرة[٥].

وقد ذكر الخفاجي بعض الأمثلة على وقوع الإبدال بين الهمزة والهاء، ومن ذلك قوله في مادة (مهندم)[٦]: «مهندم: أي مُصْلَح، فارسي معرَّب (أندام) عن الجوهري»، كما يقول في مادة (ارتجال)[٧]: «والبديهة مشتقة من بدهه بمعنى بدأه، كما قالوا مدح ومده». والإبدال بين الهمزة والهاء أمر سائغ لأنَّ مخرجهما واحد وهو الحنجرة، والهمزة صوت شديد مهموس مرقق، أما الهاء فهي صوت رخو مهموس مرقق[٨]، ولا فرق بينهما سوى في صفتي

---

(١) المدخل إلى علم اللغة ٥٣.

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٤.

(٣) اختلف المحدثون عن القدماء في وصف صوت الهمزة، فهي عند بعض المحدثين صوت مهموس، وعند بعضهم صوت ليس بالمهموس ولا بالمجهور. انظر تفصيل هذا الخلاف في المدخل إلى علم اللغة ٥٦، ٥٧. أما القدماء فوصفوا الهمزة بأنَّها صوت مجهور. انظر كتاب سيبويه ٤/ ٤٣٤، وشرح المفصل ١٠/ ١٢٩.

(٤) انظر العين ١/ ٥٨، والكتاب ٤/ ٤٣٣.

(٥) انظر التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي خليل ٢١.

(٦) شفاء الغليل (مهندم) ٣/ ٢٦٦.

(٧) شفاء الغليل (ارتجال) ٢/ ٢٣٤.

(٨) انظر المدخل إلى علم اللغة ٥٧، ٥٨.

الشدة والرخاوة، وكتب اللغة تضم العديد من الأمثلة على هذا الإبدال[(١)]، ويرى أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أن نطق الهمزة هاءً وبخاصة عند قبيلة طيِّئ صورة من صور تحقيق الهمزة في العربية[(٢)]. بل إن إبدال الهمزة هاءً قد وقع في اللغات السامية الأخرى، ففي الحبشيَّة مثلا تحولت همزة (أيل) iyyal ومعناها كبش إلى heyal[(٣)]، وأداة الشرط العربية (إنْ) تحولت إلى (هن) عند طيئ ويقابلها (hen) في الآراميَّة[(٤)]، ولعلَّ ذلك يدفعنا إلى اعتبار هذا الإبدال نوعًا من التطور التاريخي لصوت الهمزة السامية.

ب ـ الإبدال بين الأصوات غير المتجانسة:

من ذلك الحروف المتجاورة في المخرج، وقد ذكر الخفاجي في كتابه جملة من الكلمات التي وقع الإبدال فيها ولم يكن الحرفان المتبادلان من مخرج واحد وإنَّما من مخرجين متجاورين ومن أمثلة هذا النوع:

١ ـ الإبدال بين التاء والثاء:

ومن ذلك قول الخفاجي في مادة (خبيت)[(٥)]: «بالتاء المثناة بمعنى خبيث بالمثلثة سمع من العرب... وقيل: إن التاء بدل من الثاء المثلثة، ذكره الزمخشري وغيره» فإذا وقع هذا البدل على ألسنة العوام فإنه يجعله انحرافًا أو خطأً، ومن ذلك قوله في مادة (ثجير)[(٦)]: «... والعامة تقول: تجير وهو خطأ»، وقد وقع الإبدال أيضًا في مادة (ملتم)[(٧)] يقول: «ملتم: بالمثناة للريح

(١) انظر مثلًا: كتاب سيبويه ٤/٢٣٨، وسر الصناعة ١/١٠٠، وشرح المفصل ١٠/٤٢، ٤٣ والإبدال لابن السكيت ٨٨، والإبدال والمعاقبة للزجاجي ٦٠، واللسان (أنن) ١٣/٣٦.

(٢) انظر مشكلة الهمزة العربية للدكتور رمضان ٤٦ ـ ٥٠.

(٣) انظر ظاهرة الإبدال في المشترك السامي ٢٦.

(٤) انظر التطور النحوي ٥٠.

(٥) شفاء الغليل (خبيت) ٢/٤٤٢.

(٦) شفاء الغليل (ثجير) ٢/٣٥١.

(٧) شفاء الغليل (ملتم) ٣/٢٥٦.

المعروفة، ويقولونه بالمثلثة». ويقول أيضًا في مادة (صلوات)[١]: «صلوات: كنائس اليهود، وهي بالعبريَّة صلوثا».

والإبدال بين التاء والثاء سائغ، وذلك لقرب المخرج بينهما؛ فإنَّ التاء من الأصوات الأسنانية اللثوية والثاء من الأصوات الأسنانية، ويتفقان في الهمس ويفترقان في الشدة والرخاوة، فالتاء صوت شديد مهموس مرقق، والثاء صوت رخو مهموس مرقق.

٢ ـ الإبدال بين الدال والذال:

ذكر الشهاب أمثلة عديدة للإبدال بين الدال والذال، ومن ذلك قوله: «باذِق: بكسر الذال المعجمة وفتحها، معرَّب باده»[٢]، وقوله: «حِرْذون بالذال المعجمة، ويروى بالمهملة»[٣]، و«أناهيذ: بالإعجام والإهمال اسم الزهرة فارسي»[٤]. وقال في مادة (بغداد): «بغداد معرَّب بمهملتين، ويقال: بغذاذ بإعجامها، وبإهمال الأولى وإعجام الثانية، وبالعكس»[٥]. وذكر أمثلة أخرى على ذلك[٦]، والإبدال بين الدال والذال أمر سائغ لتجاور مخرجيهما واتفاقهما في صفة الجهر، فالدال من الحروف الأسنانية اللثوية، والذال من الحروف الأسنانية.

٣ ـ الإبدال بين السين والشين:

يقرر الخفاجي حدوث الإبدال بين السين والشين في مقدمته لكتابه فيقول: «. . . فأبدلوا من الشين نحوها من الهمس والانسلال من بين

---

(١) شفاء الغليل (صلوات) ٣/ ٧٦.

(٢) شفاء الغليل (باذق) ٢/ ٢٨٥.

(٣) شفاء الغليل (حرذون) ٢/ ٤٠٢.

(٤) شفاء الغليل (أناهيذ) ٢/ ١٨٩.

(٥) شفاء الغليل (بغداد) ٢/ ٢٨١.

(٦) انظر مادة (إسفندياد)، و(جرذق)، و(ديابوذ)، و(معمودية).

الثنايا...»[١] يقصد بذلك السين، ويقول أيضًا: «ويبدلون السين شينًا نحو: دست في دشت، وسروال في شروال، وإسماعيل في إشماعيل لقرب السين من الشين»[٢].

فالخفاجي يُقَرِّر أن سبب الإبدال هو قرب السين من الشين وهو محق في ذلك؛ فالشين من الأصوات الغارية وهو «صوت رخو مهموس مرقق»[٣]، والسين من الأصوات الأسنانية اللثوية وهو «صوت رخو مهموس مرقق»[٤]، فالمخرجان متجاوران والصفات واحدة لذلك فإنَّ حدوث الإبدال بينهما أمر سائغ.

وقد نثر الخفاجي بعض الأمثلة على حدوث الإبدال بين السين والشين غير ما ذكره في مقدمته[٥].

---

(١) شفاء الغليل: المقدمة ٢/ ١١١.

(٢) شفاء الغليل: المقدمة ٢/ ١٠٨.

(٣) المدخل إلى علم اللغة ٥٠.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٤٧.

(٥) انظر شفاء الغليل (بنفسج)، (موسى).

ثالثًا: طريقة تعريب الهاء المتطرفة في الكلمات الفارسيّة

لاقت الكلمات الأعجمية (الفارسيَّة) المختومة بالهاء ـ عند تعريبها ـ نوعين من التغيير الذي لحق بهذه الهاء.

الأول: هو حذف هذه الهاء أو سقوطها عند التعريب.

الثاني: هو إبدال هذه الهاء إلى الجيم العربية أو القاف العربية وهذا هو الغالب، وقد تبدل إلى صوت آخر وهذا نادر.

وفيما يلي تفصيل هذين النوعين من التغيير:

أولًا: حذف الهاء:

يقول الخفاجي نقلًا عن سيبويه: «ويبدلون مكان آخر [الحروف التي لا تثبت][1] في كلامهم [إذا وصلوا][2] الجيم، وذلك نحو كوسه وموزه [وبنفشه][3] [لأن هذه الحروف تبدل، وتحذف في كلام الفرس، همزةً مرَّة][4]

(١) في كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥: (الحرف الذي لا يثبت).

(٢) سقطت هذه العبارة ـ على أهميتها ـ من الأصل وأثبتناها من كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٣) زيادة من الخفاجي ليست في كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٤) سقط هذا الكلام من الأصل وأثبتناه من سيبويه ٤/ ٣٠٥، وأكاد أقطع أن هذا السقط فعل النساخ لأنَّه منافٍ لما عُهِدَ عن الخفاجي في كتابه من دقة النقل، كما أن الكلام هنا لا يستقيم بغير هذا النص.

وياءً مرَّة أخرى»[١]. فالخفاجي يُقَرِّر ـ نظريًّا ـ متابعًا سيبويه أن هذه الهاء قد تحذف من آخر الكلمة الفارسيَّة عند تعريبها، وقد نثر أمثلة على ذلك في كتابه ـ شفاء الغليل ـ ومن ذلك: «كميت. . . معرَّب كمثه»[٢] و«كوتى. . معرَّب كوتاه»[٣]. ويذكر مادتين حذفت فيهما الهاء أيضًا وليست من الفارسيَّة، وهما «منف: . . . ومافه بلغة القبط ثلاثون، ثم عُرِّبت فقيل منف»[٤] والثانية هي مادة (ملوخيا)[٥] وأصلها (ملوكيَّة) فذكر أن العامة حرفتها إلى ملوخيا.

كما سقطت الهاء في مادتين أخريين ولم تكن الهاء في آخر الكلمة ولكنَّ أصل هاتين المادتين ليس مفردًا عند الفرس، وإنَّما كان تركيبًا وعُرِّب إلى كلمة واحدة منحوتة من هذا التركيب، غير أننا نلاحظ أن الهاء ـ التي سقطت عند التعريب ـ كانت الحرف الأخير من أحد أجزاء هذا التركيب. والمادة الأولى هي (منجنيق) معرب (منجه نيك)[٦]، والثانية مادة (زنديق) معرَّب (زنده كرد) وهو القول الذي رجحه الخفاجي[٧].

ولم يحاول الخفاجي ولا سيبويه من قبله تعليل حذف هذه الهاء عند التعريب من بعض الكلمات.

والأمر سهل فيها إذا تصورنا الطريقة التي تدخل بها الكلمات الأعجمية إلى العربية وهي ـ يقينًا ـ تعتمد على السماع.

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١١٠ وكتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.
(٢) شفاء الغليل (كميت) ٣/ ٢٢٤.
(٣) شفاء الغليل (كوتي) ٣/ ٢٢٣.
(٤) شفاء الغليل (منف) ٣/ ٢٩٣.
(٥) شفاء الغليل (ملوخيا) ٣/ ٣٠٦.
(٦) شفاء الغليل (منجنيق) ٣/ ٢٦٧.
(٧) شفاء الغليل (زنديق) ٢/ ٥٠٢.

فالعرب عندما سمعوا هذه الألفاظ المختومة بالهاء من غيرهم لم يخرج هذا السماع عن احتمالين اثنين:

الأول: أنَّهم لم يسمعوا صوت الهاء وخاصة أنَّه كما صرح سيبويه ونقل عنه الخفاجي صوت «لا يثبت في كلامهم»(١) وقد أطلق عليه صاحب المعرَّبات الرشيدية اسم (الهاء المخفية التي تقع في أواخر الكلمات الفارسيَّة(٢) ويزيد تأكدنا من صحة هذا الاحتمال أن هناك نوعين من الهاء [عند الفرس] الهاء الملفوظة. . . والهاء غير الملفوظة وهي التي تكتب ولا تنطق. وتقع في آخر الكلام مثل: زنده (حى). مرده (ميت). خنده (ضحكة). كرده (مصنوع) كَربه (بكاء)(٣).

وبذلك يسهل تصور دخول هذه الكلمات إلى العربية بدون الهاء. ولكنَّ الشرط في ذلك هو أن تسمع هذه الكلمات منفردة عند الوقف عليها.

أما الاحتمال الثاني: فسنذكره عند الحديث عن إبدال الهاء لنعتمد عليه في تعليل الإبدال.

ثانيًا: إبدال الهاء:

يقول الخفاجي نقلًا عن سيبويه: ويبدلون مكان آخر [الحروف التي لا تثبت](٤) في كلامهم [إذا وصلوا](٥) الجيم، وذلك نحو: كوسه، وموزه [وبنفشه](٦) [لأن هذه الحروف تبدل ـ وتحذف ـ في كلام الفرس همزة مرَّة](٧)

---

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١١٠، وكتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٢) المعربات الرشيدية ١١٣.

(٣) قاموس الفارسيَّة (المقدمة) ١٤.

(٤) في كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥: (الحرف الذي لا يثبت).

(٥) سقطت من الأصل وأثبتناه من سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٦) زيادة من الخفاجي ليست في كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٧) سقط من الأصل وأثبتناه من سيبويه ٤/ ٣٠٥.

وياءً مرَّة أخرى، فلما كان [هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم، وأبدلوا الجيم لأنَّ الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل، والهاء قد تشبه الياء، ولأنَّ الياء أيضًا قد تقع آخرة، فلما كان][(١)] كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف، وجعلوا الجيم أولى لأنَّها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى، وربَّما أُدخلت القاف عليها في الأول، فأشرك بينهما، وقال بعضهم: كوسق، وقالوا: كربق، وقالوا: قربق، وقالوا كيلقه[(٢)].

ولابدَّ أن نُسَجِّلَ بعض الملاحظات حول النصِّ السَّابق أولًا:

الملاحظة الأولى:

أنَّ الخفاجي غيَّر قول سيبويه (الحرف الذي لا يثبت) إلى (الحروف التي لا تثبت) وذلك يعني أن الخفاجي يرى أن الذي يسقط من آخر الكلمة الفارسيَّة أو يبدل ليس الهاء فقط. فإنْ قصد الخفاجي ذلك فلا شك حينئذٍ في أنَّه قد خلط بين إسقاط الهاء من آخر الكلمة الفارسيَّة أو إبدالها جيمًا أو قافًا عند التعريب، وبين إلحاق الجيم أو القاف للكلمات الفارسيَّة التي تنتهي بالألف أو الياء أو الواو عند تعريبها.

ويرجع هذا الخلط ـ في تقديري ـ إلى وجود عنصر مشترك في الحالتين وهو أن الذي يدخل آخر الكلمة المعرَّبة في الحالتين هما نفس الحرفين (القاف والجيم).

والواقع أنَّ الأمرين مختلفان وهما قاعدتان مختلفتان من قواعد تعريب

---

(١) أسقط الخفاجي هذا الكلام الذي بين المعكوفين، وأثبتناه من كتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥.

(٢) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٩ ـ ١١٠، وكتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦، ويقرر صاحب المعربات الرشيدية ١١٣ ما يصيب الهاء من حذف أو إبدال فيقول: «الهاء المختفية التي تقع في أواخر الكلمات الفارسيَّة يبدلونها بجيم أو قاف أو يحذفونها مثل: فالوذق وفالوذج، وفالوذ: معرب «بالوده ـ Palouda».

الكلمة الأعجمية (الفارسيَّة)، فيقول صاحب المعرَّبات الرشيدية: «كل كلمة [فارسية] يكون آخرها ألفًا أو ياء، أو واوًا يلحقون بها قافًا أو جيمًا، وهذا أيضًا مُطَّرِدٌ. مثل: ديباج، وزرنوج، وكسيج، ورستاق وستُّوق، وإبريق»[١]. وكل الأمثلة السابقة التي ذكرها صاحب المعرَّبات الرشيدية وردت في شفاء الغليل ومنها أيضًا قول الخفاجي: «لوبيا: يمد ويقصر، ويقال لوبياج، حب معروف معرَّب»[٢].

الملاحظة الثانية:

أن (الهاء) في آخر الكلمة الفارسيَّة يرتبط عدم ثبوتها وبالتالي إبدالها إلى الهمزة أو الياء ـ عند الفرس ـ بوصل الكلام ولذا قال سيبويه: (إذا وصلوا).

وذلك يجرنا إلى ذكر الاحتمال الثاني عند سماع الكلمة الفارسيَّة من العجم.

فالاحتمال الثاني[٣] أنْ يكون العرب قد سمعوا بعض الكلمات الأعجمية (الفارسيَّة) من الأعاجم في وصل الكلام. وبما أن الفرس تبدل هذه الهاء المتطرفة إلى الهمزة أو إلى الياء فإنَّ العرب قد سمعوا بعض هذه الكلمات مختومة بالهمزة، وبعضها مختومة بالياء.

ويرى الخفاجي ـ متابعًا سيبويه في ذلك ـ أن الإبدال هنا إلى الحروف العربية الجيم أو القاف إبدال لازم حيث يقول: «فلما كان هذا الآخر [الهاء التي لا تثبت فتبدل أو تحذف] لا يشبه أواخر كلامهم [أي العرب] صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم»[٤]، ولذلك كان لا بدّ من إبدال هذا الآخر

---

(١) المعربات الرشيدية ١١٣.

(٢) شفاء الغليل: (لوبيا) ٣/ ٢٤٢.

(٣) سبق أن ذكرنا الاحتمال الأول وهو سماع الكلمة الأعجمية في حالة الوقف عليها من الأعاجم فتبدو بدون الهاء في آخرها، راجع حديثنا عن حذف الهاء.

(٤) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٩ ـ ١١٠.

(الهاء التي أبدلها الفرس عند وصل الكلام إلى الهمزة أو الياء) إلى حرف من الحروف العربية فأبدلوها إلى الجيم أو القاف.

أ ـ الإبدال إلى الجيم:

نثر الخفاجي أمثلة كثيرة في كتابه لإبدال الهاء إلى الجيم من ذلك «بنفسج: معرَّب بنفشه»، و«طباهج... معرَّب تباهه» و«بهرج: معرَّب بنهره»، و«طازجه: جديدة معرَّب تازه»، و«موزج: خف معرَّب موزه»، و«كوسج معرَّب كوسه»، و«زيج... والصواب أنَّه معرَّب زِه».

ولم يهتم الخفاجي بتعليل إبدال الهاء إلى الجيم في هذه الأمثلة، والعجيب أنَّه أسقط كلام سيبويه الذي يحاول به تعليل ذلك الإبدال على أساس صوتي حيث يقول سيبويه: «وأبدلوا الجيم لأنَّ الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل، والهاء قد تشبه الياء، ولأنَّ الياء أيضًا قد تقع آخرة».

فلماذا أسقط الخفاجي الكلام السابق؟ وأجد في نفسي شيئًا من ذلك، إذ كيف يسقط الخفاجي نصًّا كهذا؟ وهو من هو في دقة نقله عن القدماء، كما أنَّه أورد باقي كلام سيبويه دون أن يعلق بشيءٍ، وبدا الغموض واضحًا على النصِّ حيث يقول الخفاجي ناقلًا عن سيبويه بعد ذلك: «فلمَّا كان كذلك أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف، وجعلوا الجيم أولى لأنَّها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى»[(١)].

وأكاد أجزم أن هذا من صُنع النُّسَّاخ؛ وذلك بسبب انتقال النظر لوجود عبارة واحدة في موضعين مختلفين، ففي كلام سيبويه جاءت عبارة (فلما كان) مرتين: الأولى عند بداية النص الذي أسقطه الخفاجي والثانية في آخره، فانتقلت عين الناسخ من الأولى إلى الثانية فنتج عن ذلك إسقاط ما بينهما من كلام، وقد قرر المحققون حدوث ذلك في نسخ المخطوطات قديمًا[(٢)].

---

(١) شفاء الغليل: ٢/ ١١٠.

(٢) انظر على سبيل المثال: مناهج تحقيق التراث لأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ص٤٥. =

فإنْ صحَّ ذلك فإنَّه يعني أن الخفاجي يذهب مذهب سيبويه في إبدال الجيم من الهاء.

وكلام سيبويه السابق يُدعِّمُ ما ذهبنا إليه من أن الحرف الذي أبدل إلى الجيم هو الياء وليس الهاء لأنَّ العرب كما سبق أن ذكرت قد سمعوا هذه الكلمات مختومة بالياء وليس بالهاء.

غير أنَّ أئمة اللغة حتى عصر الخفاجي ذكروا أن أصل هذه الكلمات المعرَّبة بالهاء، وليس هذا خطأ. ولكنَّهم ذهبوا إلى أصل المادة عند الوقف عليها أي قبل أن يبدل الفرس الهاء إلى الياء في وصل الكلام.

والعلاقة الصوتية بين الياء والجيم قائمة، وقد نبه سيبويه على ذلك بقوله: «لأن الجيم قريبة من الياء».

فالياء من نفس مخرج الجيم وهو الغار وكلاهما مجهور فالإبدال بينهما سائغ، وقد أثر عن العرب في كثير من القبائل قلب الياء إلى الجيم[(١)].

ب ـ الإبدال إلى القاف:

أشار الخفاجي في مقدمته نقلًا عن سيبويه إلى إبدال الهاء إلى القاف حيث يقول: «. . وجعلوا الجيم أولى لأنَّها قد أبدلت من الحرف الأعجمي الذي بين الكاف والجيم فكانوا عليها أمضى، وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول فأشرك بينهما وقال بعضهم: كوسق وقالوا: كربق، وقالوا: قربق، وقالوا: كيلقةٌ»[(٢)].

ونثر الخفاجي بعض الأمثلة في كتابه التي أبدلت فيها الهاء إلى القاف، ومن ذلك قوله: «مهرق: صحيفة معرَّب مهره»، و«يارَق: سوار معرَّب ياره»، و«دانِق: معرَّب دانه».

---

(١) راجع العجعجة في اللهجات العربية في التراث ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٩.

(٢) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١١٠، وكتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦.

لكنَّ أيًّا من سيبويه أو الخفاجي لم يعلل هذا الإبدال، واكتفيا بقولهما السابق الذي يدلُّ على أنَّ دخول القاف مجرد إلحاق لآخر الكلمة: بأولها: والأمرُ في هذا الإبدال سهل ميسور في ضوء ما ذكرناه من قبل من أنَّ العرب قد سمعوا هذه الكلمات من الفرس بالهمزة في آخرها، وإبدالُ الهمزة إلى القاف أمر سائغ، فالعلاقة الصوتية بينهما قائمة لقرب المخرج والصوتان مشتركان في صفتي الشِّدة والهمس.

ومما يدلُّ على قوة مذهبنا في أنَّ سماع العرب لهذه الكلمات مختومة بالياء أحيانًا وبالهمزة أحيانًا أخرى في وصل الكلام؛ أنَّنا وجدنا أمثلة ذكرت معرَّبة بالجيم والقاف جنبًا إلى جنب، من ذلك قول الزمخشري في شرح الفصيح: «والإهليلج» فارسي معرَّب، والفارسيَّة إذا أُعْرِبت ربَّما ألحقت بها جيم أو قاف[(١)]، وكذلك ما رواه الزمخشري أيضًا عن أبي زيد أن «الكوسج والكوسق فارسي معرَّب»[(٢)]، ونصُّ كلام الخفاجي الذي نقله عن سيبويه: «وقال بعضهم كوسق، وقالوا كربق، وقالوا: قربق، وقالوا: كيلجه»[(٣)] دليل على ما نذهب إليه فقد رويت هذه الكلمات بالجيم أيضًا كما رأينا من قبل.

وفي ضوء ما سبق يمكن فهم إبدال الهاء في بعض الكلمات إلى الكاف كما في قول الخفاجي: «نيازك. . . فارسي معرَّب نيزه»[(٤)]، أو إلى الغين في مثل قوله: «بالغاء: الأكارع بلغة أهل المدينة معرب بايْها»[(٥)]، أو إلى الخاء في مثل قوله: «كامخ. . معرَّب كامه»[(٦)]، وإن كان صاحب المعرَّبات

---

(١) شرح الفصيح للزمخشري ٢/ ٤٥٥.

(٢) شرح الفصيح للزمخشري ٢/ ٣٨٢.

(٣) مقدمة الشفاء ٢/ ١١٠ وكتاب سيبويه ٤/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) شفاء الغليل (نيازك) ٣/ ٣١٧.

(٥) شفاء الغليل (بالغاء) ٢/ ٢٥٧.

(٦) شفاء الغليل (كامخ) ٣/ ٢٢٤.

الرشيدية يذهب إلى أن هذه الكلمة قد أصابها التصحيف فأصلها (كامج) فصحفت الجيم إلى الخاء. ولا دليل على ما ذهب إليه لأنَّ إبدال الهاء أو الهمزة بالخاء أمر سائغ.

وفي النهاية أقول: إنَّ ما حدث للهاء المتطرفة في الكلمات الفارسيَّة عند تعريبها هو من قبيل التغيير للتعريب كما صرَّح سيبويه وتابعه الخفاجي من قبل، وخاصة أنَّ العربيَّة لا ترفض الهاء أو الهمزة أو الياء كخاتمة للكلمة في العربية.

الفصل الثاني
من قضايا الدلالة
(Semantics)

أولاً: في المفردات

لقد فطن الخفاجي إلى بعض قضايا الدلالة في كتابه شفاء الغليل وبخاصة فيما يتصل بالدلالة المعجميَّة أو الاجتماعيَّة للكلمات، «فكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية، تستقل عمَّا يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية، التي يطلق عليها الدلالة الاجتماعية»(١). فمن بين القضايا الدلالية للكلمة التي فطن إليها الخفاجي قضية التَّطوُّر الدلاليُّ للمفردات، ولِمَ لا والموضوع الأساسي لكتابه (وهو معجم للمعرَّب والمولَّد والعامي. . . إلخ) يمس هذه القضية، فكثيرًا ما ينصُّ على أنَّ هذه المفردة أصل معناها كذا، والعامة يطلقونها على كذا، أو يقولون فيها كذا. . . إلخ، وإثبات ذلك لا يحتاج إلى إحالات في الكتاب فيكفي أن تفتح أي صفحة من صفحاته لتقع عينك على مثل هذه العبارات. «فتطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية. . . ومن يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطور على أنَّه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة المُلِحَّةُ»(٢). وأعني بتطور الدلالة هنا ما أطلق عليه أولمان تغيير المعنى(٣)، وأي كلمة في تطور دلالتها أو تغير معناها قد تسلك اتجاهًا من اتجاهاتٍ ثلاثة أطلق عليها أولمان التقسيم المنطقي لتغيير المعنى وهذه الاتجاهات هي(٤):

(١) دلالة الألفاظ ٤٨، وانظر تقسيمه لأنوع الدلالات (٤٦ ـ ٥١).

(٢) دلالة الألفاظ ١٢٣.

(٣) انظر دور الكلمة في اللغة الفصل الثالث كيفية تغيير المعنى ١٧٩ ـ ٢٠٢.

(٤) انظر دور الكلمة ١٨٠، ١٨١، ودلالة الألفاظ ١٥٢ ـ ١٦٧.

١ ـ توسيع المعنى، أو تعميم الدلالة.

٢ ـ تضييق المعنى، أو تخصيص الدلالة.

٣ ـ انتقال المعنى، أو تغير مجال الاستعمال.

أقول: لقد فطن الخفاجي إلى هذه الاتجاهات الثلاثة في تطور دلالة الكلمة حيث يفهم من تحليله لمواد كتابه ـ في بعض الأحيان ـ وَعْيَهُ بما أصاب اللفظ من تطور في أحد هذه الاتجاهات كما سنرى، ولم يقتصر الأمر عند الخفاجي على الحديث عن التطور الدلالي للمفردة، وإنَّما تطرق إلى:

ظواهر دلالية أخرى مثل الترادف والمشترك اللفظي، والتوافق بين اللغات، والمشترك السامي.

وسوف أتعرض للمصطلح العلمي أيضًا، هذا إضافة إلى معالجة بعض الظواهر الدلالية المتعلقة بالتراكيب كالتعبير الاصطلاحي والتعبير السِّياقي:

١ ـ توسيع المعنى أو تعميم الدلالة عند الخفاجي:

بعض الكلمات يلحق معناها تعميم كبير ويصبح ذلك المعنى ممكن التطبيق على مدى أوسع وأشمل(١).

ونجد الخفاجي في كثير من المواد في كتابه(٢) يُصرِّح بحدوث توسُّع في المعنى أو تجوّز فيه إلى العموم، فمن ذلك:

قوله في مادة (عرض) نقلًا عن المرزوقي: «... والمِعْرَض لباسٌ تُعْرَض فيه الجاريةُ على المشتري، وتوسعوا فيه حتى قالوا: أخرجت معنى كذا في مِعْرَضٍ حسنٍ من اللفظ، لما كان اللفظ كالكسوة للمعنى»(٣).

(١) انظر دور الكلمة ١٨٠.

(٢) انظر مثلًا ـ بالإضافة إلى ما نفصله بعد ـ شفاء الغليل: (جراد)، و(جائزة)، و(تعمر)، و(طَرْز)، و(متن)، و(دورق)، و(قرافة)، و(كُرد)، و(نمط)، و(ناموس)، و(برطيل)، و(قصف)، و(متن).

(٣) شفاء الغليل: (عرض) ٣/ ١١٣.

وقوله في مادة (فحش) نقلًا عن السمين الحلبي: «فحش: . . هو قبح المنظر. . ثم تُوسِّعَ فيه حتى صار يعبَّر به عن كل مستقبح، معنًى كان أو عينًا»[١] ومن ذلك أيضًا قوله في (قز) عن الجوهري: «القزُّ من الإبريسم ما فتل منه معرَّب، وتفسيره به تفسير بالأعم»[٢].

وقال بعد أن ذكر معنى المقامة: «ثم اتَّسعوا فيه حتى سمَّوا ما يقام به فيها من خطبة أو موعظة عِظةً ونحوها (مقامة)»[٣] وقال في مادة (طِبَاع): «. . . فالمطبوع ما نشأ عليه الطَّبع، ثمَّ توسَّعوا فيه كل ما يستملح»[٤]، ويستخدم تعبيرًا آخر يدلُّ على الاتساع في المعنى وذلك في قوله في مادة (تعالَ): «. . . وأصلها الأمر لمن كان في سُفلٍ أن يأتيَ مَحِلًّا مرتفعًا ثم استعملت لمطلق المجيء»[٥].

وقد يكون المعنى مخصوصًا بحقلٍ دلاليٍّ معين كالحيوان مثلًا فيحدث له تعميم مع انتقال إلى حقل آخر كاستخدامه مع الإنسان، ومن ذلك قول الخفاجي في (مسح وجهه): «مسح الوجه بحسب الأصل معروف جعلوه كناية عن السبق، لأنَّهم كانوا يمسحون وجه السابق من خيول الحلبة تكريمًا وربما مسحوا وجه فارسه؛ ثمَّ تجوَّزوا به عن كونه كريمًا في حلبة المجد حائزًا قصبات السَّبْقِ في ميدان المكارم مُبرَّزًا على أقرانه في مضمار الكمال»[٦].

ونلاحظ في هذا المثال أنَّ التوسُّعَ أو التعميم الدلالي حدث للمعنى المجازي.

---

(١) شفاء الغليل: (فحش) ٣/ ١٥٨.

(٢) شفاء الغليل: (قز) ٣/ ١٨٣.

(٣) شفاء الغليل: (مقامة) ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٤) شفاء الغليل: (طباع) ٣/ ٩٨.

(٥) شفاء الغليل: (تعال) ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٦) شفاء الغليل (مَسَحَ وجهه) ٣/ ٢٨٧.

ووضوح مفهوم تعميم الدلالة في كلام الخفاجي لا يحتاج إلى تعليق على ما ذكرناه من أمثلة.

٢ ـ تضييق المعنى أو تخصيص الدلالة عند الخفاجي:

هو أن يتحدَّد مدلول الكلمة ويصبح مقصورًا على أشياء تَقِلُّ في عددها عمَّا كانت عليه في الأصل إلى حَدٍّ ملحوظ[١].

وقد نثر الخفاجي أمثلة لتضييق دلالة الكلمة أو تخصيصها وإن كان في كثير من الأحيان لا يذكر مادة (خصَّ) عند حديثه عن المادة أو الكلمة التي حدث لها تخصيص دلالي. وممَّا صرح فيه بحدوث التخصيص قوله في مادة (نجَّاب): «نجَّاب كرزاق اسم للبريد، وقد يخص بمن يجيئ على ناقة نجيبة»[٢]، وقوله في مادة (رَزْقَه): «بفتح الراء والسكون ما يعين للجند، والعامة تكسره وتخصه بالأراضي»[٣]، وهو بذلك يقر أن التخصيص الدلالي قد يحدث على يد العامة وكأنَّه يشير إلى أنَّ ذلك من لحن العامة، وقد يحدث تخصيص دلالي للكلمة على يد الفصحاء ثم تُخصُّ بدلالة أخرى على يد المولَّدين، ومن ذلك قوله في مادة (لقى): ومحل الالتقاء ملقى، والعامة تقوله لحجرين يُجْلَسُ عليهما في الخلاء. . . وهذا ممَّا لم تستعمله العرب، لكن رأيته بمعنى حافتي الفرج في شرح الحماسة. في قوله: «ضاقت ملاقيها أي عسر خروج الولد. وأصل اللغة لا يمنعها»[٤].

فالمعنى الأصلي للكلمة أنَّها مكان الالتقاء (اسم مكان) فخصته العامة بمكان قضاء الحاجة (الحجرين)، وخصَّه العربُ بحافتي الفرج، ويَفْطُنُ

---

(١) انظر الكلمة في اللغة ١٨٠ .

(٢) شفاء الغليل: (نجَّاب) ٣/ ٣٤٢.

(٣) شفاء الغليل (رَزْقَه) ٢/ ٤٩٥.

(٤) شفاء الغليل (لقى) ٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الخفاجي إلى العلاقة بين المعنى الأصلي العام للكلمة وبين المعنيين اللذين خُصَّتْ بهما بعد ذلك فيقول في نهاية كلامه: «وأصل اللغة لا يمنعه». ومن ذلك أيضًا قوله: «مجلس: م. والناس يطلقونه على التَّغوُّط، وهو كناية مُحْدَثة»[١].

ومن أوضح الأمثلة التي ذكرها للتخصيص الدلالي للمفردة قوله: «مملوك: معناه لغة كل ما تعلق به الملك من حيوان أو غيره، ثمَّ خُصَّ بغير الزِّنْجِيِّ والحبشيِّ»[٢].

فقد أشار أولًا إلى المعنى اللغوي العام لاسم المفعول من (مَلَك) مملوك، ثم خصصت دلالته بعد ذلك. وقوله: «بغير» تعني المماليك وكان أغلبهم من العجم (الأتراك والفرس وغيرهم).

وكما تتطور المفردات العربية في اتجاه تخصيص الدلالة فإنَّ الكلمة المعرَّبة قد يحدث لها تخصيص دلالي عند تعريبها فتدخل إلى العربية بذلك المعنى الخاص. ومن ذلك ما حدث لكلمة (التُّرعة) حيث يقول الخفاجي: «تُرْعة بالضم هي الباب بالسُّريانيَّة، والتُّراع البواب، وعُرِّبت وجعلت بمعنى مَفْتَح الماء ومجراه، لأنَّه يشبه الباب»[٣].

ويقرر الخفاجي هنا أيضًا العلاقة بين المعنى العام الأصلي للكلمة والمعنى الخاص الذي صارت إليه.

وتنتشر في الكتاب الأمثلة الأخرى على هذه الظاهرة[٤].

---

(١) شفاء الغليل (مجلس) ٣/ ٢٥٢.

(٢) شفاء الغليل (مملوك) ٣/ ٣٠٤.

(٣) شفاء الغليل: (تُرعة) ٢/ ٣٣٦.

(٤) شفاء الغليل: انظر مثلًا (مخفي)، و(وسوسة)، و(بستان)، و(طيز)، و(معلوم)، و(مذهب)، و(مُسْند)، و(غريان)، و(قرفة)، و(نيم)، و(نخلة القسم)، و(غزاله).

٣ ـ انتقال المعنى أو تغيير مجال الاستعمال عند الخفاجي:

أحيانًا ينتقل معنى الكلمة الأصلي إلى معنى آخر ـ لسبب ما ـ لا يرتبط بالمعنى الأصلي للكلمة، وإذا قارنا بين المدلولين يكون «من الواضح أن المدلولين ليسا من باب واحد، ومن ثمَّ لا يمكن الموازنة بينهما من حيث مدى الانتشار»(١)، وهذا شكل من أشكال انتقال الدلالة، ومن أشكالها أيضًا أن «تخرج [الكلمة] عن معناها القديم فتطلق على معنى آخر تربطه به علاقة ما، وتصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد بعد أن كانت مجازًا فيه»(٢). ونفهم ذلك التطور في الحالة الثانية من قول الخفاجي في مادة (جرى) حيث يقول: «إنَّما المقصود أنَّه يقال: جرى الأمر، وجرى كذا بمعنى وقع، وقد يكون بمعنى استمر، وهو حقيقة عُرفيّة أو مجازٌ مشهور، ولم يستعمل قديمًا»(٣).

فقوله: «وهو حقيقة عُرفيَّة» يتفق مع ما قاله الدكتور وافي في كلامه السابق من أن تطور دلالة الكلمة إلى معنى جديد يصبح هذا المعنى الجديد ـ بعد فترة من الزمن ـ هو المعنى الحقيقي للكلمة بعد أن كان مجازًا، ولعلَّ الخفاجي كان أكثر اعتدالًا ودقة عندما قال: «أو مجازًا مشهورًا»، فمثلًا الآن في العامِّيّة إذا أراد إنسان أن يسأل آخر عن موضوع معين يقول له: (إيه اللِّي جرى) أو (ماذا جرى) بمعنى ماذا حدث؟ أو ماذا وقع؟

ومن المقرر ـ عند علماء اللغة المحدثين ـ أن المعنى الجديد أو الدلالة التي تنتقل إليها الكلمة من معناها الأصلي ترتبط بذلك المعنى بإحدى العلاقتين اللتين يعتمد عليهما تداعي المعاني؛ وهما علاقة المجاورة والمشابهة(٤).

---

(١) دور الكلمة في اللغة ١٨١.

(٢) علم اللغة للدكتور علي عبد الواحد وافي ٣١٤، وقد أشار في نفس الموضع إلى النوع الأول الذي ذكرناه.

(٣) شفاء الغليل (جرى) ٢/ ٣٩٥.

(٤) انظر ما قاله د/علي عبد الواحد وافي في كتابه علم اللغة ٣١٤ ـ ٣١٩ تحت عنوان =

ونجد الخفاجي يشير إلى دلالة الكلمة وذلك في قوله: «جبين: اسم لكل من جانبي الجبهة، والعامة تستعمله بمعنى الجبهة»[١]. وقد غلب هذا المعنى الآن على معنى الجبين الأصلي. ومن ذلك أيضًا قول الخفاجي في مادة (قُلَّتان): «مثنى قلة، وهي ظرف للماء معروف، ثم صار عبارة عن مقدار مخصوص للماء ثم تجوَّزوا به عن حوض يسع ذلك المقدار»[٢]. ومن ذلك: «تامور: صبغ أحمر، ودم القلب، وأصل معناه: موضع السر»[٣] فموضع السِّر هو القلب، وهو مَحِلُّ (مكان) الدم فالعلاقة بينهما هي المجاورة المكانية.

وقد يعتمد انتقال الدلالة على المجاورة الزَّمانِّية كتحول معنى العقيقة (وهي في الأصل الشَّعرُ الذي يخرج على الولد من بطن أمه) إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق الشعر[٤].

ومن الأمثلة التي ساقها الخفاجي يمكن تفسير الانتقال الدلالي لها على أساس المجاورة الزمانيَّة قوله: «خراسان: عَلَمُ حافِدٍ من حفدة نوح عليه السلام كما أنَّ روم وفارس وكرمان بفتح الكاف كذلك، ثم صار علمًا على هذه البلاد المعروفة»[٥]. فتسمية هذه البلاد بهذا الاسم مرتبط زمنيًّا بوجود الأعلام الذين سُمُّوا بهذه الأسماء فيها.

أما اعتماد الانتقال الدلالي للكلمة إلى المعنى الجديد على علاقة المشابهة، فقد ذكر له الخفاجي أمثلة كثيرة وصرَّح في أغلبها أن تفسير هذا

= «خواص التطور الدلالي ومناهجه».

(١) شفاء الغليل (جبين) ٢/ ٣٧٨.

(٢) شفاء الغليل (القلتان) ٣/ ٢٠٣.

(٣) شفاء الغليل (تامور) ٢/ ٣٢٩.

(٤) انظر علم اللغة لوافي ٣١٦، ٣١٧.

(٥) شفاء الغليل (خراسان) ٢/ ٤٤٨.

التغير هو المشابهة بين المعنى الأصلي والمعنى الحادث أو الجديد، ومن ذلك قوله في مادة (متن): «متنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال، ويطلق على الظهر بجملته كما في قول الشاعر:

كالسيف عُرِّيَ متناه عن الخَلَل

وهو معنى شائع أيضًا، والمقصود هنا بيان ما استعمله المولدون في الكتاب الأصلي الذي لكَتْبٍ في أصول المسائل، ويقابله الشرح. وهذا لم يرد عن العرب وإنَّما هو ممَّا نقله العرف تشبيهًا له بالظهر في القوة والاعتماد»[١].

ومن ذلك أيضًا قوله في مادة (قانون): «رومِيٌّ معرَّب، معناه: الأصل والقاعدة، وأصل معناه المِسْطَرة، ثمَّ سمي به آلة من آلات الطَّرب على التشبيه؛ كأنه مِسْطَر تحريرات النغم»[٢].

ونلاحظ أن كلمة (قانون) مرت بمرحلتين من التغيير واعتمادها في كل مرَّة على المشابهة، فأصل معناها المِسْطَرة، والعلاقة بين القانون الذي ينظم الأمور ويجعلها مستقيمة وبين المعنى الأصلي (المسطرة) واضحٌ.

ثم يأتي التَّطُّور الثاني وهو انتقال المعنى إلى آلة الطرب المعروفة بالقانون وعلاقة المشابهة بينه وبين المعنيين السابقين واضحة كما ذكر الخفاجي. وقد ذكر الخفاجي أمثلة أخرى على هذا النوع[٣].

أما انتقال الدلالة إلى معنى جديد لا علاقة له بالمعنى الأصلي للكلمة فمن أمثلته عند الخفاجي قوله في مادة (طَرْح): «هو الرمي. وعند المولدين: ثوب غليظ فيه أعلام. . . وعليه الاستعمال الآن»[٤].

---

(١) شفاء الغليل (متن) ٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

(٢) شفاء الغليل (قانون) ٣/ ١٧٣.

(٣) انظر مثلًا المواد التالية في شفاء الغليل: (بارود)، و(معادى)، و(قرَّده)، و(منصب)، و(توقيع) و(جوالي)، و(خولي). و(محارة)، و(إذعان).

(٤) شفاء الغليل (طرح) ٣/ ١٠٣.

وقوله: «طبرزد: سُكّر. . . . أصل معناه ما نحت بالفأس»[١].

وقوله أيضًا: «جيب القميص: طَوْقه، وأما الجيب الذي توضع فيه الدراهم فمولَّد لم تستعمله العرب»[٢]. وقوله: قطر: أصل معناه نوع من المطر، وأهل مصر تستعمله بمعنى حلٍّ (السُّكَّر).

وهكذا رأينا كيف تنبَّه الخفاجي للتطور الدلالي للمفردات وكيف ظهرت عنده اتجاهات التطور الثلاثة من تخصيصٍ للدلالة، أو توسيع لها، أو انتقال، وكيف نبَّه إلى حدوث ذلك مُعلِّلًا ـ في بعض الأحيان ـ ومستخدمًا بعض المصطلحات التي تقترب من مصطلحات المحدثين حينًا وتبتعد عنها حينًا آخر، وإن كان مفهوم الظاهرة واضحًا عنده فهو يعيه كما لمسنا ذلك في كلامه.

٤ ـ الترادف والمشترك اللفظي:

أولًا: الترادف:

يُعرِّف السيوطي الترادف ـ نقلًا عن بعض علمائنا القدماء ـ بقوله: «هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد»[٣].

أما الترادف عند المحدثين فهو «ألفاظ متحدة المعنى، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق»[٤].

وليس هدفنا هنا أن نتحدث عن الترادف بين الألفاظ العربية ـ فقد تحدَّث

---

(١) شفاء الغليل (طبرزد) ٣/ ٩٤.

(٢) شفاء الغليل (جيب القميص) ٢/ ٣٧٣، وانظر ما قاله الخفاجي في مادة (طبقه)، (قلق).

(٣) المزهر ١/ ٤٠٢.

(٤) فصول في فقه العربية ٣٠٩، وانظر دور الكلمة في اللغة ١٠٩، وفقه اللغة لوافي ١٤٥، ولمعرفة موقف القدماء والمحدثين من وقوع الترادف في اللغة انظر فصول في فقه العربية ٣١٠ ـ ٣١٦، وتراث معاني القرآن دراسة صوتية دلالية (٤٥٠ ـ ٤٥٣) رسالة دكتوراة بآداب المنوفية ٢٠٥ د/منير جمعه أحمد.

عنه الكثيرون قبلنا ـ لأنَّ الخفاجيَّ لم يُعِرْه اهتمامًا في كتابه، وإنَّما الذي يعنينا هنا هو بيان ما ذهب إليه الخفاجي من أنَّ التعريب سببٌ من أسباب حدوث الترادف في العربية، ويتضح موقفه هذا من مثالين ذكرهما في كتابه حيث يقول في مقدمته: «وقد يُعَرَّب لفظ ثم يستعمل في معنى آخر غير ما كان موضوعًا له كخُرَّم اسم نبت يشبه الشيب وهو سراج القطرب، واستعماله بهذا المعنى مخصوص بالعربية، صرح به صدر الأفاضل»[1].

فدخول كلمة (خُرَّم) إلى العربية بمعنى سراج القطرب أدَّى إلى وجود كلمتين تدلان على نفس النبات فأصبحتا مترادفتين.

ومن ذلك أيضًا قوله في مادة (أشنان): «أشنان: بضم الهمزة وكسرها معرَّب... وعربيه حُرُض»[2] وقوله هذا لا يحتاج إلى تعليق؛ لوضوحه فيما نذهب إليه. وإن كان هذا القول ليس جديدًا عند الخفاجي فقد سبقه إليه غيره؛ فالجواليقي يروي لنا قول أبي عبيدة: «[الأُشْنان] فيه لغتان الأُشنان والإشنان هو الحُرُض بالعربية»[3].

وما ذهب إليه الخفاجي ومن سبقه يقرره علماء اللغة المحدثون فإنَّ الاقتراض اللغوي عندهم من الأسباب الأساسية لوقوع الترادف، فإنَّ الكلمة المستعارة تدخل إلى اللغة لمعنًى معين إلى جوار لفظة أصلية في اللغة المقْتَرِضَةِ تدلُّ على هذا المعنى، فيصبح للمعنى الواحد لفظان، «فقديمًا عرف العرب لفظ (الحرير)، ثمَّ لم يقنعوا به، فاستعاروا معه ألفاظًا منافسة، كالسندس، والإستبرق، والديباج، ثم أبى تجار العرب إلا أن يختصوا تلك الألفاظ الأجنبية بصفات خاصة، فنسبوا للإستبرق بعضًا منها، وللسندس

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٤.

(٢) شفاء الغليل (أشنان) ٢/ ١٥٧.

(٣) المعرب ٢٤.

أخرى، وللديباج ثالثة، طلبًا لرواج بضائعهم، فاقتصر دلالة الحرير على المعنى العام»[١].

ثانيًا: المشترك اللفظي:

يُعَرِّف القدماء المشترك اللفظي بأنَّه: «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[٢].

وقد وقع الخلاف بين القدماء حول وجود المشترك اللفظي أو عدمه فمنهم من يرى وجوده ومنهم من ينكره[٣]. أما المحدثون فيثبتون وجود المشترك اللفظي في اللغة العربية[٤]، وإن وجد عندهم مصطلحان قريبان يعبران عن هذه الظاهرة وهما[٥]: المشترك اللفظي Homonymy، وتعدد المعنى Polysemy ويشترط كثير من المحدثين في المشترك اللفظي أنْ يكون المعنيان متباينين تمامًا مثل كلمة الخال بمعنى (أخو الأم) و(الشامة في الوجه)[٦].

وبعض المحدثين يرى أن المشترك اللفظي واللفظ المتعدد الدلالة يتفقان في أمر ويختلفان في آخر فإذا كان يجمع بين اللفظ المتعدِّد الدلالةِ، والمشتركِ اللفظي: الدلالةُ اللغوية؛ في كون التعدد اشتراكًا، والاشتراك تعدُّدًا

---

(١) دلالة الألفاظ ١٥٠، وانظر أسباب حدوث الترادف في فصول في فقه العربية ٣١٦ ـ ٣٢٢، ومن بينها عامل الافتراض اللغوي.

(٢) المزهر في علوم اللغة ٣٦٩/١، ونقل الدكتور صبحي الصَّالح هذا التعريف في كتابه دراسات في فقه ٣٠٢ واختصره بقوله: «المشترك هو ما اتحدت صورته واختلف معناه»

(٣) انظر تفصيل هذه القضية في فصول في فقه العربية ٣٢٤ ـ ٣٢٥ وتراث معاني القرآن ٤٧٣ و٤٧٤، وفقه اللغة لوافي ١٤٦، ودراسات في فقه اللغة ٣٠٢، ٣٠٣.

(٤) فقه اللغة لوافي ١٤٥، فصول في فقه العربية ٣٢٤.

(٥) انظر الكلمة للدكتور حلمي خليل ١٢٥.

(٦) انظر دلالة الألفاظ ٢١٤، وفقه اللغة لوافي ١٩٠، وفصول في فقه العربية ٢٩٣، واللهجات العربية للدكتور إبراهيم نجا ١٠٩.

إذا كان بينهما (المتعدد والمشترك) وحدة الجذر غالبًا، فإنَّهما يفترقان في كون المشترك يلزمه إلى جانب وحدة الجذر وحدة الصيغة؛ كلفظ العين والخال، ويتصف غالبًا بالجمود.

أما المُتعدِّد فلا تلزمه وحدة الصيغة (وإن كان بعضه مُتَّحدًا) ويتصف بالتصرُّف والاشتقاق، وفي أحد تصاريفه يخالف اللفظ الآخر[١].

وما يعنينا هنا هو توضيح موقف الخفاجي في كتابه شفاء الغليل من المشترك اللفظي في نقاط ثلاثة وهي:

أ ـ موقفه من المشترك اللفظي في العربية ودور التَّعريب والتَّولِيد كرافدٍ رئيس للمشترك.

ب ـ المشترك اللفظي بين اللغات (توافق اللغات) وهو ما اصطلح القدماء على تسميته بالاتفاق بين اللغات.

ج ـ المشترك السامي.

أ ـ موقف الخفاجيُّ من المشترك اللفظي في العربية ودور التعريب في إيجاده:

يبدو موقف الخفاجي من وجود المشترك اللفظي في العربية من كثرة المواد التي ذكر لها أكثر من معنى عند العرب ولم يعترض على كونها من المشترك اللفظي، ومن ذلك قوله ـ نقلًا عن المبرد في الكامل: «صَوْب: في الكامل حقيقة القصد، ويكون بمعنى المطر ونزوله، وبمعنى الصواب، ويكون بمعنى الجهة»[٢] فهو ينقل جميع هذه المعاني لكلمة صوب عن المبرد ولم يَرُدَّها ومن ذلك أيضًا قوله: «الصدق: أصل معناه الشِّدَّة، وهو ضد الكذب أيضًا»[٣]

(١) دلالة السياق ٢٩٢، ٢٩٣.

(٢) شفاء الغليل (صوب) ٣/ ٧٣.

(٣) شفاء الغليل (صدق) ٣/ ٨٥.

وأحيانًا يذكر المعنى الذي قد يخفى عن بعض الناس في الكلمة ولا يذكر معناها المعروف، ومن ذلك قوله: «أخذ: م، ويكون بمعنى ألزم. . . قال الآمدي: (. . . يقال: قد أخذ فلان بأنْ يفعل كذا وكذا أي لِزَمَه، ويقال: من أَخَذَني بهذا؟، أي ألزمنيه، وناطه بي، وعلَّقه علي. . .). ومنه مؤاخذة الحكام وما يجري مجراها»(١).

فالخفاجي ينقل عن الآمدي ما يؤكد صحة كلامه حول إثباته لهذا المعنى لكلمة أخذ، وهذا دليل على إقراره بتعدد المعنى للمفردة الواحدة وهو ما يسميه اللغويون الاشتراك، ومن ذلك أيضًا قوله: «النَّدوة: السخاء والمشاورة، والأكلة. . .وقيل الندوة: الدعوة، وقيل: المفاخرة، ذكره ياقوت»(٢). ويقول في مادة هيكل: «هيكل في لغة العرب: الفرس الطويل، والبناء المشرف، وبيت الأصنام ومعبد النصارى»(٣) إلى آخر ذلك من الأمثلة التي ذكرها(٤)، ويثبت بذكرها ـ بطريقة عملي ـ إقراره بوجود المشترك اللفظي في العربية.

وأحيانًا ينبِّه الخفاجي إلى سبب وجود المشترك اللفظي، ومن ذلك نصَّه على أنَّ الخطأ في المعنى قد يؤدي إلى وجود المشترك اللفظي خاصة إذا كان المخطئ من الذين يحتج بلغتهم، حيث يقول الخفاجي في مادة (كبريت): «ذكره رؤبة في شعره بمعنى الذهب، وخُطِّئ فيه؛ لأنَّ العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الألفاظ»(٥).

---

(١) شفاء الغليل (أخذ) ٢/ ٢٠٩.

(٢) شفاء الغليل (الندوة) ٣/ ٣٣٥.

(٣) شفاء الغليل (هيكل) ٣/ ٣٥١.

(٤) انظر شفاء الغليل مثلًا في المواد: (مفترى)، و(برًّا)، و(بعض)، و(تهكّم)، و(الجمجمة) و(غزالة)، و(خوف)، و(حِرْز) و(مريسي)، و(بابه).

(٥) شفاء الغليل (كبريت) ٣/ ٢١٦، وانظر ما قاله محقق جامع التعريب في مقدمة التحقيق ٣٦.

ـ الاقتراض (التعريب) من أسباب نشأة المشترك اللفظي:

فطن الخفاجي إلى أن التعريب من عوامل نشأة المشترك اللفظي وأن ذلك يحدث غالبًا ـ إذا كانت اللفظة المعرَّبة تشبه في لفظها كلمة عربية غير أنَّها دخلت بدلالة أخرى.

يقول الخفاجي في مقدمة كتابه: «لا يضر المعرَّب كونه موافقًا للفظ عربي، كسُكَّر، فإنه معرَّب، وإن كان عربِيَّ المادة، بمعنى: أغلق؛ قال الله تعالى: سُكِّرَت أبصارنا... وكذا (إسحاق) يوافقه أسحق بمعنى أبْعَدَ، و(ضحَّاك) اسم ملك معرَّب (ده آك) أي فيه عشرة عيوب ذكره السهيلي، ومادة (ضحك) عربية»[1]

وما فطن إليه الخفاجي ذهب إليه المحدثون؛ حيث عدُّوا الاقتراض من عوامل نشأة المشترك اللفظي[2]. وقد أكَّدَ الخفاجي ما ذهب إليه عمليًّا بالأمثلة التي نثرها في كتابه[3] ومنها قوله: «حُبٌّ بضم الحاء إناء معروف للماء، قال أبو منصور: مولَّد وهو معرَّب (خُنْب)، وهو بمعنى المحبَّة عربي فصيح»[4]. فقوله: (بمعنى المحبة عربي فصيح) يعني أن دخول الكلمة بمعنى جديد (إناء الماء) أدَّى إلى وجود المعنيين جنبًا إلى جنبٍ فأصبحت من المشترك اللفظي، ومن ذلك أيضًا قوله: «تَوْر: اسم إناء مُعَرَّب، وأما بمعنى الرسول فَعَرَبيٌّ»[5]، وقوله في مادة (بط): «بطٌّ: نوع من الإوَزِّ ليس بعربي محض، والبطَّة القارورة عربي صحيح»[6]. أحيانًا لا يذكر المعنى العربي للكلمة لشهرته ويكتفي بالنصِّ

---

(١) شفاء الغليل ٢/ ١٢٤.

(٢) انظر فصول في فقه العربية ٣٣١ وفي علم الدلالة للدكتور إبراهيم ضَوَّة ١١٣.

(٣) انظر شفاء الغليل (قندميز)، و(بيدق)، و(كميت)، و(كشمخة)، (كرَّز)، و(بند).

(٤) شفاء الغليل (حب) ٢/ ٤٠٠، وانظر المعرب ١٢٠، والقاموس المحيط (حبب) ١/ ٥١.

(٥) شفاء الغليل (تور) ٢/ ٣٢٩.

(٦) شفاء الغليل (بط) ٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

على أنَّ الكلمة بمعنى (كذا) معرَّبة، ومن ذلك قوله: «سور بمعنى عرس ووليمة فارسي، تكلَّم به عليه الصلاة والسلام»(١) فكلمة (السُّور) في العربية معناها حائط المدينة، والضيافة(٢).

ب ـ المشترك اللفظي بين اللغات (اتفاق اللغات)(٣):

فَطِن الخفاجي إلى وجود بعض الألفاظ المشتركة بين بعض اللغات، كالفارسيَّة والعربية مثلًا. والخفاجي في ذلك ليس مجدِّدًا ولكنَّه يردِّد كلام من سبقه من علماء العربية فإنه ينقل مثلًا في مادة (تنور) قول ابن عباس: «إنَّه مشترك بكلِّ لسان»(٤) ومن ذلك قول الخفاجي في مقدمته: «وذهب أبو عبيدة إلى أنَّه ليس فيه (أي القرآن) أعجمي، وما وقع فيه من اتفاق اللغتين»(٥). ويروي لنا السيوطي قول أبي عبيدة: «وقد يوافق اللفظ اللفظَ، ويقاربه ومعناهما واحدٌ، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسيَّة أو غيرها. قال: فمن ذلك الإستبرق... وهو (استبره) بالفارسيَّة أو غيرها... والدَّست والدَّشت، والخِيم والسخت... قال: وذلك كله من لغات العرب، وإن وافقه في لفظه ومعناه شيءٌ من غير لغاتهم»(٦). ومن ذلك ما فعله الثعالبي حيث عقد فصلًا في كتابه (فقه اللغة) فصلًا بعنوان (أسماء قائمة في لغتي العرب والفرس على لفظ واحد).

ويذهب الخفاجي إلى أنَّه من شروط الاشتراك بين اللغات اتفاق اللفظ والمعنى في اللغتين حيث يقول في (دَسْت): «وقيل: لا يصح فيه أنْ يكون

---

(١) شفاء الغليل (سور) ٣/ ١٣، وانظر المعرب ١٩٢.

(٢) انظر القاموس المحيط (سور) ٢/ ٥٣.

(٣) سبق أن أشرنا إلى هذا المصطلح في الفصل الأول من هذا البحث (المصطلح) ص٣٩، وانظر نقاء القرآن ٢٠٠ و٢٠١ والتغير المعجمي عند الجواليقي ٥١.

(٤) انظر شفاء الغليل (تنُّور) ٢/ ٣٣٢، وقد روى ذلك عنه ابن قتيبة في أدب الكاتب (بتغيير في اللغة) ٤٩٦.

(٥) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٦.

(٦) المزهر في علم اللغة ١/ ٢٦٦ وراجع ما نقله عن ابن جنِّي حول كلمة التنور (المزهر ١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

مشتركًا؛ لاختلاف معناه في اللغتين، فإنه في الفارسيَّة بمعنى اليد، وفي العربية له معان أربعة: اللباس، والرآسة، والحيلة، ودست القمار..»[١].

ويضع السيوطي شرطًا آخر للقول بالاتفاق بين اللغات، وجعله فرقًا بين الاتفاق والمعرَّب حيث يقول: «والفرق بين هذا النوع (اتفاق اللغات) وبين المعرَّب: أنَّ المعرَّب له اسم في لغة العرب غير اللفظ العجمي الذي استعملوه بخلاف هذا»[٢] واستشهد على ذلك بقول صاحب الصحاح في الدَّشت: «وهو فارسي أو اتفاق وقع بين اللغتين»[٣]. ولا يمكن أن نُسَلِّم للسيوطي تمامًا فيما ذهب إليه؛ فإنَّ ما قاله ينفي وقوع الاتفاق أو الاشتراك بين اللغتين إذا كان اللفظان ـ المعرَّب والعربي ـ لا علاقة بينهما من حيث اللفظ، ولكنَّ فقدان هذا الشرط لا ينفي بالضرورة كون اللفظ مُعَرَّبًا. فكثيرٌ من الألفاظ المعرَّبة وخاصة ما يخص أشياء تفرَّد بها غير العرب الذين استعير اللفظ من لغتهم كأدوات الحضارة مثلًا ـ دخلت إلى العربية ولم يكن لمسمياتها ألفاظ عربية، وذلك لسبب بسيط وهو أن العرب لم يكن تعرف مسمَّيَاتها؛ فقد دخل الاسم مع مُسمَّاه.

ج ـ المشترك السامي[٤]:

يُعرِّف المحدثون المشترك السامي بأنَّه: «الكلمة التي توجد في كل اللغات السامية الرئيسة أو وجودها في معظم هذه اللغات، وفي الحالة

---

(١) شفاء الغليل (دست) ٢/ ٤٦٢.

(٢) المزهر ١/ ٢٦٧.

(٣) الصحاح (دشت) ١/ ٢٤٢.

(٤) يفضل الدكتور أحمد علم الدين الجندي استخدام مصطلح (اللغات الأعرابية أو اليعربية) بدلًا من مصطلح (اللغات السامية) الذي يصفه بأنَّه مصطلح يهودي، ويدعو الباحثين إلى ذلك. انظر تبريراته لذلك في كتابه: في القرآن والعربية ص١٧٣ هامش رقم ١، ص٢٠٤، ص٢٠٥، وص٢٠٨ هامش رقم ١.

الأخيرة يجب أن تتوزع هذه اللغات ما بين جنوبية وشمالية»[١] مع اشتراط «وحدة الأصل الاشتقاقِيِّ والحقل الدلالي المشترك»[٢] ويُقِّر بـ برجشتراسر «أن ما تشارك فيه اللغة العربية غيرها من اللغات السامية هو قسم قليل جدًّا من مجموع ألفاظها»[٣].

من المؤكد أن القدماء لم يَعْرِفوا هذا المصطلح، لأنَّ أول من أطلقه هو المستشرق (شلوتسر) في أواخر القرن الثامن عشر، أخذًا من جدول تقسيم الشعوب، الموجود في التوراة[٤] حيث يرجع ذلك الجدول شعوب الأرض كلها، التي عمَّرتها بعد الطوفان إلى أبناء نوح الثلاثة (سام وحام ويافث). إلا أن بعضهم أي علماء العربية القدماء ـ قد أدرك أو أحس بوجود علاقة بين العربية وأخواتها السامية وممَّا يؤكِّد ذلك لديّ أمران.

الأول: هو قول ابن حزم (٤٥٦هـ): «فمن تدبَّر العربية والعبرانية والسُّريانيَّة، أيقن أن اختلافها إنَّما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل»[٥].

---

(١) معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية ١٧، وانظر التطور النحوي ٢٠٨.

(٢) معجم مفردات. . . ١٧.

(٣) التطور النحوي ٢١٠ ويخالف برجشتراسر فيما ذهب إليه كثير من علماء اللغة المحدثين وبخاصة أولئك الذين يقررون أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية للأم مثل (بروكلمان، ووليم رايت، وإدوارد دورم). انظر: الساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا ص٩ وما بعدها. وانظر: في القرآن والعربية ٢٠٤ وما بعدها، ويقرر أنطون شال ما ذكرناه بقوله: «إن قسمًا كبيرًا من الثروة اللغوية قد وردت عن السامية المشتركة، وتغير من ناحيتي الشكل والمعنى تغيرًا ضئيلًا إلى حد أن أجيالًا مبكرة من الباحثين اعتقدوا أن المعجم العربي يمكن أن يحل محل معجم السامية المشتركة»! الأساس في فقه اللغة العربية ص٣٢.

(٤) الإصحاح العاشر من سفر التكوين.

(٥) انظر تفصيل ذلك في فصول في فقه العربية الفصل الأول (اللغة العربية واللغات السامية) ص(٢٥ ـ ٤٩).

فواضح من كلام ابن حزم إدراكه أن هذه اللغات السامية ـ ومنها العربية ـ ترجع إلى أصل واحد.

الثاني: هو قول الفرَّاء: «الفوم ممَّا يذكرون لغة قديمة، وهي الحنطة»[١]. فلعلَّه يقصد بقوله (لغة قديمة) ما قصده ابن حزم بالأصل الواحد، فقد قيل: «الفوم لغة في الثوم: عبرية، وكأن الفرَّاء لا يراها عبرية وإنَّما قال: (لغة قديمة) ولعلَّه يقصد بها ما يراه علم اللغة المقارن: بالمشترك السامي الذي هو أصل اللغات الساميَّة الكبرى المشتركة»[٢].

وقد لاحظ الجواليقي قرب السُّريانيَّة من العبريَّة حيث يقول في التكملة:

«والعبرانية معدولة عن السُّريانيَّة، كما عدلت النبطية عن العربية، كأن العبرانية بدوية السُّريانيَّة»[٣].

وما نقرِّره هنا يخالف ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم السامرَّائي بقوله: «ولم يهتدوا (أي القدماء) إلى أن بين العربية والعبرانية والسُّريانيَّة والحبشيَّة ولغات أخرى، علاقات تاريخية، وقرابات لغوية مردها الأصول السامية الأولى التي دلَّ عليها البحث الحديث»[٤]، وما يقرره الدكتور السامرائي صحيح فيما يخص مسمى الأصول السامية أو مصطلح اللغات السامية لأنَّ هذا مصطلح حديث كما أوضحنا ولكنَّ بعض القدماء أدركوا وحدة الأصل لبعض

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٣٠.

(٢) في القرآن والعربية د/أحمد علم الدين الجندي ١٣٦، ويقول أيضًا في صفحة ١٧٣: «إن علماء العربية القدامى أطلقوا اسم اللغات العربية القديمة على ما يسمى الآن (باللغات السامية) وهم على حق».

(٣) التكملة والذيل على درة الغواص للجواليقي ص٨٩٣ (ضمن درة الغواص شرحها وحواشيها وتكملتها) تحقيق عبد الحفيظ القرني.

(٤) فقه اللغة المقارن ١٧٤ (دار العلم للملايين بيروت).

المفردات وأطلقوا عليه اللغة القديمة، كما أدركوا العلاقة بين بعض اللغات (السامية) كما رأينا عند الجواليقي في النص الذي نقلناه عنه منذ قليل.

أما بالنسبة لمصطلح (المشترك السامي) فقد اختلف المحدثون في تحديد نسبة واضحة بينه وبين المعرَّب من اللغات السامية، فبعض علماء اللغة العرب المحدثين يُغَلِّبُ المشترك السامي على المعرَّب (من اللغات السامية) ومن هؤلاء الدكتور أحمد علم الدين الجندي الذي يقول: «عدُّوا الألفاظ السُّريانيَّة والعبريَّة والنبطية والحبشيَّة، والآراميَّة دخيلة أو معرَّبة في القرآن وهذا غير صحيح، لأنَّ كثيرًا من الألفاظ التي نسبت إلى لغة من اللغات السابقة قد شاركتها فيها لغة سامية أو أكثر، وعلى ذلك تكون قوائم الفصيلة السامية فيما سبق (أي الألفاظ القرآنية المعرَّبة) ممَّا يمكن أن يدخل تحت اسم (المشترك السامي). والمشترك لا يصح أن ينسب للغة دون أخرى، ولا يمكن اعتباره معرَّبًا أو دخيلًا في القرآن»[(١)] وقد نحا الدكتور محمد حسن عبد العزيز هذا النحو[(٢)] أيضًا ولعلَّ دافعه في ذلك أنَّه كان يرد على جفري الذي بالغ في نسبة المعرَّب في القرآن من اللغات السامية[(٣)]. ويذهب الدكتور عبد الوهاب عزَّام إلى ما هو أبعد من ذلك فيرى أن بعض الألفاظ التي قيل: إنَّها معرَّبة من الفارسيَّة ربَّما يرجع أصلها إلى السامية والسبب في نسبتها إلى الفارسيَّة أن علماء العربية القدماء لم يعرفوا القرابة بين العربية وأخواتها الساميات[(٤)].

وهناك فريق آخر من العلماء لا ينكر المعرب أو يحاول المبالغة في تقليل

---

(١) في القرآن والعربية ١٧١.

(٢) التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة ٣٥٨.

(٣) انظر التعريب في القديم والحديث (٣٥٦ ـ ٣٦٠).

(٤) انظر المقدمة التي وضعها الدكتور عبد الله عزام لكتاب المعرب للجواليقي بتحقيق الشيخ شاكر ص٤.

نسبته من اللغات السامية[١] بل يذهب ـ في ذلك ـ المذهب العلمي الذي يهتم بتمرير الكلمة التي تنسب إلى لغة سامية أو أكثر على معيار التعريب ومعيار المشترك اللفظي ـ الذي بدأنا به حديثنا ـ فإذا انطبق عليها أحد المعيارين تنسب إليه، فدعوى التعريب لا تصح إلَّا بأدلَّةٍ قويَّةٍ تفيد الاشتقاق المباشر وخروج الكلمة عن خصائصها العربية، ومن ناحية المعنى «لا تكون اللفظة العربية من العبريَّة أو من الآراميَّة إلَّا إذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل»[٢].

أما الخفاجي فالأرجح أنَّه لم يكن يعلم ـ مثله مثل القدماء ـ ما نسميه اليوم اللغات السامية وأن لها أصلًا واحدًا تعود إليه هو اللغة السامية الأم كما يرى علم اللغة الحديث، كما سبق أن ذكرنا في بداية هذا المبحث، ومن ثَمَّ لا يُلام الخفاجي على أنَّه لم ينسب بعضًا من المفردات التي ذكر أنَّها معرَّبة من بعض اللغات السامية إلى المشترك السامي، وقد نسب الخفاجي في شفاء الغليل سبعًا وعشرين كلمة إلى أربع لغات من اللغات السامِيَّة وهي العبرانية والسُّريانيَّة والحبشيَّة والنبطيَّة[٣].

ولم نجد منها ما ينتمي إلى المشترك السامي سوى أربع كلمات، الأولى: ذكر أنَّها عبرية وهي (صلوات) حيث قال: «صلوات: كنائس اليهود وهي بالعبرانية صلوثا...»[٤] وبمراجعة معجم مفردات المشترك السامي وُجِدَ أن مادة الكلمة (صلى ـ صلاة) من مفردات المشترك السامي فهي موجودة في

(١) من هؤلاء برجشتراسر وأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب انظر التطور النحوي ٢١٠ وحاشية رقم ١ للدكتور رمضان في نفس الصفحة.

(٢) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها للأب أنستاس الكرملي ٦٧. القاهرة ١٩٣٨.

(٣) انظر تفصيل ذلك في الفصل الثالث (مداخل الكتاب دراسة إحصائية) ص١٨١ ـ ص١٨٧.

(٤) شفاء الغليل (صلوات) ٣/ ٧٦.

أغلب اللغات السامية[١]. أما الكلمة الثانية: فهي كلمة (فدَّان) وقد نسبها إلى النبطية حيث يقول: «فدَّان: نبطيٌّ معرَّب ويخفف ويشدَّد. .»[٢] والكلمة موجودة بنفس المعنى في معجم مفردات المشترك السامي[٣] في الحبشيَّة والعبريَّة والسُّريانيَّة، والكلمة الثالثة: هي (كفر) بمعنى قرية، وقد نسبها الخفاجي إلى السُّريانيَّة حيث قال: «كفر بمعنى قرية، قال أبو منصور أحسبها سريانية معرَّبة. . .»[٤] والكلمة في معجم مفردات المشترك السامي[٥] بهذا المعنى في أغلب اللغات السامية. والكلمة الرابعة: هي (سَنَّة) حيث نسبها الخفاجي إلى الحبشيَّة فقال: بالفتح وتخفيف النون وتشديدها كلمة حبشية بمعنى حسنة. . .[٦] والكلمة من مفردات المشترك السامي ولكنَّ بغير هذا المعنى فهي في معجم المفردات المشترك السامي[٧] بمعنى المدَّة الزمنية المعروفة في جميع اللغات السامية.

ولعلَّ قلة عدد المفردات التي تنتمي إلى المشترك السامي بالنسبة لعدد الكلمات التي نسبها الخفاجي إلى اللغات السامية يؤكِّد ما ذهبنا إليه؛ من أن المعرَّب يقع من اللغات السامية كما يقع من غيرها، والكلمة عندما تُعَرَّب من إحدى اللغات السامِيَّة تكون تلك اللغة قد غيَّرت هذه المفردة عن أصلها السامي خلال فترة استعمالها الطويلة بحيث صبغتها بصبغتها الخاصة، فاعتبرت الكلمة منتمية إلى هذه اللغة فقط بعد أن انقطعت صلتها بأصلها

(١) انظر معجم مفردات المشترك السامي ٢٤٨، ٢٤٩.
(٢) شفاء الغليل (فدَّان) ٣/ ١٤٤.
(٣) انظر معجم مفردات المشترك السامي ٣٠١.
(٤) شفاء الغليل (كفر) ٣/ ٢١٢.
(٥) انظر معجم مفردات المشترك السامي ٣٥١.
(٦) شفاء الغليل (سنة) ٣/ ٣٥.
(٧) انظر معجم مفردات المشترك السامي ٢٢٨.

القديم السامي، ولا ضير في ذلك وممَّا يؤكِّد ذلك أننا بمراجعة معجم مفردات المشترك السامي وجدنا ما يقرب من ثمانين كلمة من مفردات المشترك السامي ذكرها الخفاجي في كتابه ولم ينسب أيًّا منها إلى إحدى اللغات السامية، وبعضها عنده من العربية كما نصّ على ذلك أصحاب المعاجم، وذلك معناه أن هذه المفردات احتفظت بشكلها السامي القديم في جميع اللغات الساميَّة وهذا الأصل مطابق لخصائص كل لغة، لذلك لم نشعر في العربية أنَّها معرَّبة أو من المشترك السامي.

كما قرر الخفاجي عجمة بعض هذه المفردات ولم ينسبها، وقد ينسب بعضها إلى غير اللغات الساميَّة كالفارسيَّة مثلًا. ويتضح ما قلناه في الجدول الآتي:

المشترك السامي	الصفحة[١]	موقف الخفاجي منه
أخ	٩	عربية
(أرخ) تأريخ	١٤	تردد في كونه عربيًّا أو معربًا
أمٌّ (الوالدة)	٢٦	عربية
بَرٌّ (الأرض)	٤٥	عربية
بِرْكة	٤٨	عربية
بقر	٥٤	عربية
باب	٦١	عربية
تَمْر (البلح)	٧٠	عربية
تَنُّور	٧٢	معرب من الفارسيَّة
تيس (ذكر المعزى)	٧٤	عربية

(١) هذه الصفحات في معجم مفردات المشترك السامي.

جدف ـ مجداف	٩٠	عربية
جُدَّة (الطريق)	٨٨	تردد فيها بين النبطية والعربية
جبس	٨٤	عربية
الجن	١٠٤	عربية
جهنم	١٠٥	أعجمية
جوز	١٠٧	عربية
جبن ـ جبين	٨٥	عربية
جبهة	٨٦	عربية
ذباب	١٦١	عربية
ذقن	١٦٤	مولدة
رمان	١٨٨	عربية
زفت	١٩٤	معربة
تسبيح	٢٠٣	عامية ـ عربية
سكر	٢١٨	معربة
صنم	٢٤٩	معربة
فرخ	٣٠٣	عربية
فردوس	٣٠٤	عربية
فلج	٣١٣	معربة
سوسن	٢٣١	عربية
شهر	٢٤٠	تردد في كونها معربة
شمس	٢٣٨	معربة
قرطاس	٣٢٤	تردد في كونها معربة

قفص	٣٣٠	عربية
قنديل	٣٣٣	عربية
كبريت	٣٤٠	ليس بعربي محض
كبش	٣٤١	عربية
كركم	٣٤٨	معربة
كافور	٣٥٢	تردد في كونها معربة
لجام	٣٦٩	معربة
مدينة	٣٨١	عربية
ملح	٣٩٣	عربية
نصب	٤٢٦	عربية
نهر	٤٢٨	عربية
هيكل	٤٣٦	عربية
ورخ	٤٤٢	تردد في كونها عربية أو معربة
ميزان	٤٤٣	عربية
وسادة	٤٤٤	عربية

٥ ـ المصطلح العلمي:

سبق أن أشرت عند حديثي عن ظاهرة التعبير الاصطلاحي عند الخفاجي في شفاء الغليل ـ إلى أنه لم يستخدم مصطلح التعبير الاصطلاحي ـ مثله في ذلك مثل القدماء ـ وإنَّما عبَّر عنه بتعبيرات القدماء من: مَثلٍ ومجازٍ وكنايةٍ واستعارةٍ وكنيةٍ. . . إلخ.

لكن الخفاجي استخدم كلمة (الاصطلاح) مع تعبيرات أخرى في الكتاب وبرصدها وجدنا أنَّها تتركز حول بعض القضايا العلمية لذلك أطلقنا عليها اسم المصطلح العلمي.

ويمكن تحديد مجالات أربعة استخدم معها الخفاجي ما أطلقنا عليه المصطلح العلمي وهذه المجالات هي:

أ - الأدب والشعر:

وقد احتل هذا المجال أعلى نسبة من المصطلح العلمي في الكتاب حيث ذكر ثمانية مصطلحات في الكتاب، استخدم في ثلاثة منها مادة (اصطلح) وفي ثلاثة أخرى يقول: (عند الأدباء) واثنان يشرح المصطلح مباشرة. والجدول الآتي يوضح ذلك:

التعبير الاصطلاحي	ما يدلُّ عليه	المادة التي ذكر فيها
أبيات المعاني	هي في اصطلاح الأدباء ما كان باطنه يخالف ظاهره وإن لم يكن فيه شيء من غريب اللغة.	أبيات المعاني
استطراد	واصطلاحًا: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به ولم يقصد بذكر الأول التوصل إلى الثاني.	استطراد
ملاحن العرب	ألغازها، وهي المحاجاة؛ لأنَّها تظهر الحجى والمعاياة والرمز، والمعَمَّى. والمتأخرون من الأدباء اصطلحوا على التفريق بينهما، وهو ليس بأمر لغوي. وقد تطلق على كناياتهم.	ملاحن العرب
حشو اللوزينج	عند الأدباء اعتراض في الكلام يحسنه.	حشو اللوزينج
قواديس	يقال عند الأدباء للشعر الذي التزم إقواؤه وإيطاؤه	قواديس
المعاظلة	عند الأدباء التعقيد.	المعاظلة
إجازة	هي أن ينظم الشاعر على شعر غيره ليتمه من أجاز فلانًا إذا سقاه أو سقى له. . . والإجازة من العلماء كأنها من الأول أو تعدية جاز.	إجازة
ملَّط	التملط أن يجتمع شاعران فصاعدًا على تجربة خواطرهم في العمل في معنى واحد. . . قاله ابن رشيق.	ملَّط

ب ـ المصطلح الطبي:

احتل المصطلح الطبي في شفاء الغليل المرتبة الثانية بعد المصطلح الأدبي والشعري فقد بلغ عدد المصطلحات الطبية التي ذكرها الخفاجي سبعة مصطلحات ولم يستخدم في أيٍّ منها مادة (اصطلح) وبيان ذلك كالآتي:

التعبير الاصطلاحي	ما يدلُّ عليه	المادة التي ذكر فيها
بارود	لفظ مولد من البرادة لشبهه بها، وهو الآن اسم لما يركب من ذلك الملح ومن فحم وكبريت، سُمِّي باسم جزئه، وقد رأينا بعض الأطباء استعمله في علاج حصر البول...	بارود
باسور	مرض معروف تكلمت به العرب... وقول الأطباء وبعض العوام مبوسر خطأ.	باسور
برسام	اسم مرض معرب	برسام
بسباس وبسباسة	نوع من العقاقير	بسباس
بيمارستان	لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى... وأول من صنعه بقراط وسماه اخشندوكين.	
قولنج	يعني إمساك الأمعاء للطعام وهو المسمى عند الأطباء بالقولنج.	قَبْضٌ
هيضة	الأطباء تستعمله في الإنسان بمعنى لين الطبيعة من غير دواء.	هيضة

ج ـ المصطلح النحوي:

وقد احتل المصطلح النحوي عند الخفاجي المرتبة الثالثة بعد المصطلح الطبي، فقد بلغ من المصطلحات النحوية خمسة مصطلحات ذكر في أربعة منها مادة (اصطلح) أو ما يدل عليها، واكتفى في الخامسة بشرح المصطلح كما يتضح من الجدول التالي:

التعبير الاصطلاحي	ما يدلُّ عليه	المادة التي ذكر فيها
الخروج	هو النصب على المفعولية... هذه عبارة البصريين يقولون في المفعول: إنه منصوب على الخروج أي خروجه عن طرفي الإسناد وعمدته.	الخروج
المُجْرَى وغير المُجْرَى	اصطلاح الكوفيين	جهنم
المنصرف وغير المنصرف	عبارة البصريين	جهنم
نصب	من مواضعات النحاة لأنَّه استعلاء	نصب
نون العظمة	هي نون المضارع التي للمتكلم مع الغير لأنَّها يتكلم بها المُعَظِّمُ نفسه...	نون العظمة

د ـ مصطلحات عامة

وهي ثلاثة مصطلحات، ذكر في اثنين منها مادة اصطلح والثالث قال فيه: «من كلام المصنفين» وبيانه كما في الجدول التالي:

التعبير الاصطلاحي	ما يدلُّ عليه	المادة التي ذكر فيها
جواز	بمعنى (الإمكان) من كلام المصنفين لا من كلام العرب، وهو يستعمل بمعنى الإمكان الذاتي، وقد يستعمل بمعنى الاحتمال العقلي.	جواز

رفع	رفع الحساب إذا عدده ثم أجمله، ويقال لجملته وفذلكته مرفوع، وهذا اصطلاح للحُسَّاب والكُتاب مشهور في كتبهم ورسائلهم وأشعارهم.	رفع
نمط	أطلق اصطلاحًا على الصنف والنوع	نمط.

ثانيًا: في التركيب

١ ـ **التعبير الاصطلاحي** Idiomatic expression:

يعرف الدكتور كريم حسام الدين التعبير الاصطلاحي بأنَّه: «نمط تعبيري خاص بلغة ما، يتميز بالثبات، ويتكون من كلمة أو أكثر، تحولت عن معناها الحرفي إلى معنى مغاير، اصطلحت عليه الجماعة اللغوية»(١).

وظاهرة التعبير الاصطلاحي ليست جديدة ـ بمفهومها ـ على اللغة العربية أو على سائر اللغات ولكنَّها «لابست اللغة منذ نشأتها وصاحبتها، ولا تزال تصاحبها على مر الزمان»(٢) فالذي يقلب صفحات تراثنا اللغوي الضخم منذ بدء التدوين حتى الآن يستطيع أن يضع يده على مئات بل آلاف التعابير «فعلاقة التعبير الاصطلاحي بأنواع المجاز عند القدماء علاقة قوية لأنَّ التعبيرات الاصطلاحية تعتمد اعتمادًا كبيرًا على المجاز الذي يلعب دورًا مهمًّا في صياغتها»(٣) وفي أحايين كثيرة نجد القدماء قد عبروا عن مفهوم هذه الظاهرة بما عرف عندهم بالمثل، وفي ذلك تقول الدكتورة سيزا قاسم: «والأمثال ـ مثل التعابير ـ مقولات تصلح للتعبير عن عدد لا يحصى من المقامات المتكررة عبر العصور»(٤) وقد أعلن الدكتور كريم ذلك صراحة

---

(١) التعبير الاصطلاحي ٣٤، وهو كتاب رائد في تأصيل هذه الظاهرة للدكتور/ كريم حسام الدين.

(٢) ظاهرة التعبير الاصطلاحي ضمن ثمرات الامتنان ٣٧١.

(٣) التعبير الاصطلاحي ٥٨.

(٤) البنيات التراثية في رواية (وليد مسعود) لجبرا إبراهيم جبرا، وسيزا قاسم، مجلة فصول القاهرية العدد الأول/ أكتوبر/ ١٩٨٠ ـ صفحة ١٩٧.

بقوله: «لقد استعمل اللغويون القدماء مصطلح المثل للإشارة إلى التعبير الاصطلاحي»[١] طيقول في غير هذا الموضع: «إذا كنا قد رأينا تباين المصطلحات واختلافها عند الباحثين المحدثين، بل عند الباحث الواحد منهم، فإننا سنجد الأمر مختلفًا عند اللغويين المسلمين القدماء، على اختلاف طبقاتهم، فقد اتفقوا تقريبًا على مصطلح واحد هو المثل، وعبروا به عمّا أسميناه بالتعبير الاصطلاحي»[٢].

وظاهرة التعبير الاصطلاحي عند الخفاجي لا تختلف كثيرًا عمَّا هي عليه عند القدماء من الناحية التنظيرية فكثيرًا ما يشير إلى العبارة الاصطلاحية مُطْلِقًا عليها مصطلح المَثَل[٣]، كقوله مثلًا: «القلتان... وضربه الناس مثلًا للحقير فقالوا: هو دون القلتين؛ أي لا يعتدُّ به لحقارته»[٤]. وقوله في عبارة (كلب الحارس) نقلا عن ربيع الأبرار: «مَثَلٌ في ساقط ينتمي إلى ساقط»[٥]، وفي مادة (برقعيد): بلد عند الموصل يضرب بأهلها المثل في اللصوصية، فيقال: لص برقعيدي»[٦] وأحيانًا يشير إلى أنه من أمثال العامة[٧]، ومن ذلك قوله في مادة (أبلق): «العامة تضرب المثل تهكُّمًا لمن لا يقدر فتقول: «يجيء على الأبلق»[٨].

وكثيرًا ما يستخدم مصطلح الكناية للتعبير عن العبارة الاصطلاحية[٩]،

---

(١) ظاهرة التعبير الاصطلاحي (ثمرات الامتنان ٣٧٩).

(٢) التعبير الاصطلاحي ٢٥، ٢٦.

(٣) انظر شفاء الغليل مثلًا: (إبَّالة)، و(أنصح حجير) و(تغافل واسيطيٌّ) و(كرحم الفيل من ولد الأتان).

(٤) شفاء الغليل (القلتان) ٣/ ٢٠٣.

(٥) شفاء الغليل (كلب الحارس) ٣/ ٢٣٤.

(٦) شفاء الغليل (برقعيد) ٢/ ٣١٠.

(٧) انظر شفاء الغليل: (بركار) ٢/ ٢٩١.

(٨) شفاء الغليل (أبلق) ٢/ ٢٤٩.

(٩) انظر مثلًا شفاء الغليل: (أخذ)، و(أحذّ القميص)، و(الأشقر) و(فاعل)، و(قارورة) =

ومن ذلك قوله[١] : «يكنى عن الأمر العظيم بالمقيم المقعد»، وقوله في مادة (برد الحلى): «برد الحلى: تُكَنِّي به الشعراء عن الصباح. . . وبرد المضجع، وبرد الفراش كناية عن الراحة والترفه وعن زيادة القدرة بحيث لا يقدر على إزعاجه، ويلزمه الشجاعة»[٢]. وقوله: «خفيف الشفة: أي قليل السؤال وهذا من باب الكناية كما قالوا: لين المهتصر، ولين العود، أي كريم عند السؤال»[٣]

ونلاحظ أن الخفاجي كثيرًا ما يضم التعبيرات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد ويذكرها متتابعة في نفس المادة كما يتضح من المثالين السابقين.

وأحيانًا يصرح بأنَّ الكناية من صنع المولدين أو العامة[٤]، وأحيانًا يستخدم الخفاجي مصطلح الاستعارة كقوله: «انتعل الظل وافترشه، أي دخل في وقت الزوال، وهذه استعارة بديعة. . . وهو كثير في كلام المتقدمين؛ يقولون: جاء حين افترش كل شيء ظله، وانتعل كل شيء ظله»[٥]

كما نراه يستخدم مصطلح الكُنْيَة كقوله: «أبو سعد: كنية الهَرِم»[٦] ويصرح الخفاجي بأنَّ الكُنى تكون لما لا يعقل كما أنَّها للعاقل فيقول: «أبو إياس: كنية الأشنان، والكنى تكون لما لا يعقل، كما يقال للملح: أبو عون. .»[٧].

وأحيانًا يذكر الخفاجي العبارة الاصطلاحية دون تسمية لها ولكنَّه يكتفي

= و(قنديل) و(كسر الحلى) و(كان وكان).

(١) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٢٠.

(٢) شفاء الغليل (برد الحلي) ٢/ ٢٩٩.

(٣) شفاء الغليل (خفيف الشفة) ٢/ ٤٣٣.

(٤) انظر مثلًا: شفاء الغليل (غراب) ٣/ ١٣٠، (فرخ) ٣/ ١٥٤.

(٥) شفاء الغليل (انتعل الظل وافترشه) ٢/ ٢٢٣.

(٦) شفاء الغليل (أبو سعد) ٢/ ٢٣٨.

(٧) شفاء الغليل (أبو إياس) ٢/ ٢٤٢.

بتفسيرها وتأصيلها[١]، ومن ذلك قوله: «أطفأ الله ناره، دعاء عليه بالفقر، كما قالوا: خلع الله نعليه؛ أي جعله مقيدًا، وهذا ممَّا قالته العرب قديمًا»[٢].

والملاحظ على كتاب شفاء الغليل أنه يكتظ بالتعبيرات الاصطلاحية التي نثرها الخفاجي بين دفتيه، ويرجع ذلك ـ في تقديري ـ إلى موضوع الكتاب من جانب وإلى ثقافة الخفاجي الموسوعية من جانب آخر لذلك نراه في جلّ ما ذكر من تعبيرات اصطلاحية يحاول تأصيل تلك العبارات الاصطلاحية، والحق يقال: إنَّ دراسة التعبيرات الاصطلاحية في شفاء الغليل يحتاج إلى بحث مستقل في ضوء ما قام به أستاذنا الدكتور كريم حسام الدين من تأصيل للظاهرة وتحليل لها على عدة مستويات أهمها المستوى الدِّلالي والمستوى التركيبي في كتابيه التعبير الاصطلاحي[٣] والتعبيرات المحظورة[٤].

وسأكتفي في هذه العجالة بتتبع بعض الأشكال التركيبية للتعبير الاصطلاحي في شفاء الغليل مع إثبات جدول بعد ذلك أحصي فيه ما ضمه الكتاب من تعبيرات اصطلاحية مُبيِّنًا دلالة كل تعبير ـ كما ذكره الخفاجي ـ والمادة التي ورد فيها ذلك التعبير.

أولًا: بعض الأنماط التركيبية للتعبير الاصطلاحي[٥]:

أ ـ الشكل المُركَّب[٦]:

ونعني به التعبير الاصطلاحي المركب من أكثر من كلمتين.

---

(١) انظر مثلًا شفاء الغليل (أخذ)، و(فيصلان)، و(جاز القنطرة) و(أشقر) و(استنعجت الذئاب).

(٢) شفاء الغليل (أطفأ الله ناره) ٢/ ٢٣٤.

(٣) كتاب التعبير الاصطلاحي للدكتور كريم حسام الدين، مطبعة الأنجلو المصرية ١٩٨٥.

(٤) كتاب التعبيرات المحظورة للدكتور كريم حسام الدين، مطبعة الأنجلو المصرية بدون تاريخ.

(٥) اعتمدت في هذا التحليل على الأنماط التركيبية التي ذكرها الدكتور كريم في كتابه التعبير الاصطلاحي الباب الرابع (٢١٩ ـ ٢٩٥).

(٦) يُقسِّم الدكتور كريم هذا الشكل على ستة أنماط تركيبية هي النمط الفعلي، النمط الإسمي، =

١ ـ النمط الفعلي: من أكثر الأنماط شيوعًا في التعبيرات الاصطلاحية وهو نوعان:

فعل مركب: فعل + حرف جر

فعل مفرد: غير مصحوب بحرف الجر

ومثال الأول: صُبَّ في القنديل[١]، يكنون به عن الرشوة، وتحليله هو:

فعل ماض + حرف جر + اسم مجرور.

ومثال فعل مفرد: عراه واعتراه داء الكرم[٢]

وتحليله: فعل ماض + اسم منصوب (مفعول به) + اسم مرفوع (فاعل) + مضاف إليه.

ومثاله أيضًا: قوى الله ضعفه، أي جعله قويًّا، وبدل ضعفه بقوة[٣]

وتحليله: فعل + اسم مرفوع فاعل + اسم منصوب مفعول به. «م» + مضاف إليه (ضمير).

النمط الفعلي المعتمد على الفعل المنفي:

وصوره تعتمد على الفعل المضارع المنفي الذي يمثل نسبة شيوع متبادلة مع الفعل المنفي الماضي، كما نلاحظ أن (ما) أداة النفي للفعل الماضي، و(لا) أداة نفي للفعل المضارع بصورة مطردة[٤].

= النمط الحرفي، المقولب من التعبيرات، المزدوج من التعبيرات، المتبوع من التعبيرات، وذكر لكل نمط عدة صور. ولم أستقص جميع هذه الأنماط وصورها في تحليلي لبعض التعبيرات الاصطلاحية هنا ولكني اكتفيت بنماذج فقط للأنماط الأربعة الأولى.

(١) شفاء الغليل (القنديل) ٣/ ١٨٨.

(٢) شفاء الغليل (عراه) ٣/ ١١٥.

(٣) شفاء الغليل (قوّى الله ضعفه) ٣/ ١٩٥.

(٤) انظر التعبير الاصطلاحي٢٣٠.

مثال على هذا النوع: ما عدا ممَّا بدا: أي ما ظهر منك من التخلف بعد ما ظهر منك من التقدُّم في الطاعة(١).

وتحليله كالآتي: أداة نفي + فعل ماض + حرف جر + اسم مجرور + فعل ماضٍ.

ومثال النوع الثاني (المضارع المنفي)(٢): لا أركب البحر: لمن يعدل عن النساء.

وتحليله كما يلي: حرف نفي + فعل مضارع + اسم منصوب (مفعول به).

ومثله: لا يشبه العنوان ما في الكتاب، أي لا يوافق ظاهره باطنه(٣).

وتحليله: حرف نفي + فعل مضارع + اسم مرفوع (فاعل) + اسم موصول (مفعول به) + حرف جر + اسم مجرور.

ومثله: لا يصدر إلا عن رأيه، أي لا يتصرف إلا تصرُّفًا ناشئًا عن رأيه وإذنه(٤).

٢ ـ النمط الحرفي(٥): وهو التركيب المصدر بحرف الجر.

ومن أمثلته: كرحم الفيل من ولد الأتان. وهو مثل يضرب لادعاء ما يُكذِّبه الظاهر.

وتحليله كالآتي: حرف جر + اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه + حرف جر + اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه.

---

(١) شفاء الغليل (ما عدا ممَّا بدا) ٣/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) شفاء الغليل (لا أركب البحر) ٣/ ٣٧٠.

(٣) شفاء الغليل (لا يشبه العنوان ما في الكتاب) ٣/ ٣٧٠.

(٤) شفاء الغليل (صدر) ٣/ ٨٢.

(٥) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٣٤.

ومن أمثلته أيضًا: له قدم في الخير[١]، أي: سابقة.

وتحليله: حرف جر + ضمير + اسم مرفوع (مبتدأ) + حرف جر + اسم مجرور.

٣ ـ النمط الاسمي[٢]: وهو التركيب المُصَدَّر باسم، وينقسم على نوعين:

الأول الاسمي المُثْبت:

ومن أمثلته: كعبه مبارك: يقال لمن يُتَيمَّن به كما يقال لضده: كعبه مدور[٣].

وتحليله كما يلي: اسم مرفوع (مبتدأ) + مضاف + ضمير (مضاف إليه) + اسم مرفوع (خبر).

الثاني الاسم المنفي:

ومن أمثلته: ليس وراء عبَّادان قرية: يكنَّى بها عن بلوغ الشيء غايته، ويقولون أيضًا لحسن المنظر قبيح المخبر[٤].

وتحليله كالآتي: أداة نفي فعل ماض + اسم منصوب (مضاف) + مضاف إليه + اسم مرفوع.

٤ ـ النمط المقولب formed[٥]:

والمقصود به الصيغة الثابتة التي لا تتغير صورتها في طائفة من التعبيرات الاصطلاحية.

وينقسم على نوعين:

---

(١) شفاء الغليل (له قدم في الخير).

(٢) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٣٩.

(٣) شفاء الغليل (كعبه مبارك) ٣/ ٢٣٤.

(٤) شفاء الغليل (ليس وراء عبادان قرية) ٣/ ٢٤٨.

(٥) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٤١.

الأول: المفضل من التعبيرات الاصطلاحية وقالبه الثابت هو صيغة التفضيل من أفعل. ومثاله: «فلان أمعز من فلان» للمدح بالقوة[١].

ومنه: «أكذب من زراق»[٢]، ومنه أيضًا: «أظرف من زنديق»[٣]، و«أمرع من نود»[٤]، «وأجدب من برهوت»[٥] و«أجوع من كلبة حومل»[٦].

الثاني: المُؤبَّد من التعبيرات[٧].

«ونعني بذلك عبارات التأبيد التي تشير إلى الأمور التي لا تتحقق أو يصعب تحقيقها ونُعَبِّر عنها بكلمة أبدًا؛ أو أبد الدهر في مثل هذه السياقات...»[٨].

ومن أمثلة ذلك عند الخفاجي:

«لا يكون كذا حتى يرجع مُصَقَّلَةُ بن هبيرة لأنَّه ولاه سيدنا معاوية رضي الله عنه طبرستان فقتل في حرب لها»[٩].

ب ـ الشكل البسيط:[١٠]

- المقترن من التعبيرات:

وهذا النوع يخضع لما يعرف بالمصاحبة اللغوية بين الكلمات

---

(١) شفاء الغليل (تيس) ٢/ ٣٤٤.
(٢) شفاء الغليل (زراق) ٢/ ٥١٧.
(٣) شفاء الغليل (ظرف) ٣/ ١٠٨.
(٤) شفاء الغليل (نود) ٣/ ٣٣٧.
(٥) شفاء الغليل (نود) ٣/ ٣٣٧.
(٦) شفاء الغليل (حومل).
(٧) انظر التعبير الاصطلاحي... ٢٤٧.
(٨) انظر التعبير الاصطلاحي... ٢٤٧.
(٩) شفاء الغليل (مصقلة) ٣/ ٢٩١.
(١٠) انظر التعبير الاصطلاحي... ٢٥٧ وما بعدها.

collocation، بشرطأنْ تكون هذه المصاحبة اعتيادية «وقد اعتبر بعض الباحثين أن هذه المصاحبة المعتادة بين الكلمات أو ما أسميناه بالكلمات المقترنة joint woords معيارًا لتمييز التعبيرات الاصطلاحية»(١).

ومن أمثلة هذا النوع:

داء المترفين وهو النقرس والأُبَنَّة(٢)، فكلمة داء: مصاحبة للإنسان أو الحيوان أو النبات، وقد جاءت هنا مع الإنسان (المترفين). ومن مجيئها مع الحيوان قولهم:

داء ظبي: تعبير عن صحة الجسم، أي ليس به داء كما أنه لا داء بالظبي(٣)

ومن المصاحبة استخدام كلمة رأس في التعبيرات الآتية (بغل)، والمثل السائر: كأنه جاء برأس الخاقان، ورأس جالوت، ورأس الفاعوس(٤)، ومثلها: أن العظيم الرأس يلقب برأس البغل(٥).

● المضاف من التعبيرات:

«هذا النمط يكون دائمًا من كلمتين تحمل كل منهما دلالة خاصة ومألوفة للمتكلم، ولكنَّهما تتحولان عن معنييهما إلى معنى جديد نتيجة لعلاقة الإضافة أو التركيب composition.

ونجد هذا المعنى الجديد لا يعود في المقام الأول لعنصر الإضافة

---

(١) انظر: Lehdrer! A.semantic field lexical structure p.175! Amsterdam! 1974 نقلًا عن التعبير الاصطلاحي ٢٥٩.

(٢) شفاء الغليل (داء غزَّة) ٢/ ٤٧٦.

(٣) شفاء الغليل (داء ظبي) ٢/ ٤٧٦.

(٤) شفاء الغليل (بغل) ٢/ ٣٠٤.

(٥) شفاء الغليل (بغل) ٢/ ٣٠٤.

والتركيب، ولكنَّه يعود للبيئة والظروف الثقافية للمتكلمين، فدلالة التعبير مكتسبة من اصطلاح وتعارف الجماعة اللغوية»[١].

ومن أمثلة هذا النمط المضاف:

حب الطرب: أهل بغداد يسمون الجرب حب الطرب[٢].

ومنه قولهم لحاذق الفراسة: جاسوس القلوب[٣].

وقولهم: جبُّ يوسف لنَقْرةِ الذِّقن وخاتم الحُسن[٤].

● المُكْنى به من التعبيرات:

«ونعني بذلك التعبيرات المصدرة بكلمتي أب وأم»[٥]، وفي هذا النوع نحصل على معنى جديد من التركيب الإضافي بإضافة أب وأم إلى كلمة أخرى، وهذا المعنى غير مأخوذ من معنى جزئي التركيب ولكنَّه من اصطلاح الجماعة اللغوية.

ومن أمثلة التعبيرات المصدرة بكلمة أب: قولهم: (أبورياح) بمعنى طائش تشبيهًا له بتمثال من نحاس على عمود من حديد فوق قبة بحمص يدور مع الريح ويسمى به[٦].

وقولهم: أبو سعد: كنية الهَرِم، وأبو إياس كنية الأشنان[٧]. ويقرر

---

(١) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٦٣.

(٢) شفاء الغليل (حَبُّ الطرب) ٢/ ٤٠٥.

(٣) شفاء الغليل (جاسوس القلب) ٢/ ٣٨٧.

(٤) شفاء الغليل (جب يوسف) ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦.

(٥) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٧٠.

(٦) شفاء الغليل (أبو رياح) ١/ ١٧٨.

(٧) شفاء الغليل (أبو سعد ٢/ ٢٣٨، وأبو إياس ٢/ ٢٤٢).

الخفاجي أن الكنى لما لا يعقل أيضًا يقول: «أبو إياس كنية الأشنان، والكُنى تكون لما لا يعقل كما يقال للملح: أبو عون»[١].

- **المبني من التعبيرات:**

وهو «التعبيرات المصدرة بكلمتي ابن وبنت... وإضافة كلمتي ابن وبنت إلى كلمات مختلفة يولِّد لنا تعبيرات ذات دلالات اصطلاحية متنوعة[٢].

ومن أمثلة التعبيرات المصدرة بكلمة ابن قوله:

ابنُ المراغة: شتم عند العرب، يقولون: يابن المراغة، قال أبو تمام في شرح المتناقضات: يقولون إنَّها رذيلة ولدته في مراغة الدواب.. أو كانت كالمراغة لمن أرادها»[٣]

ومنها كذلك قولهم:

أبناء الدهاليز، وأبناء السكك الأراذل، ومعناها: السُّقَّاط وأولاد الزنا[٤].

وقولهم للقيط: ابن عَجِّل[٥]

وقولهم للأراذل: أبناء درزة[٦]

وكلها كما نرى من مجموعة دلالية واحدة تشير إلى صفات الذم للإنسان.

ومن أمثلة التعبيرات المصدرة بكلمة بنت قولهم:

---

(١) شفاء الغليل (أبو إياس) ٢/٢٤٢.

(٢) التعبير الاصطلاحي ٢٧٥.

(٣) شفاء الغليل (ابن المراغة) ٢/٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) شفاء الغليل (أبناء الدهاليز) ٢/١٩٣.

(٥) شفاء الغليل (أبناء الدهاليز) ٢/١٩٣.

(٦) شفاء الغليل (أبناء الدهاليز) ٢/١٩٣.

بنت النارين: يقال للمَرَقَة المُسَخَّنَة[١]

● **المكني عنه من التعبيرات:**

المقصود بهذا النوع هو الكناية التي نتجت عن اصطلاح الجماعة اللغوية على معناها، فالكناية والتعبير الاصطلاحي يتفقان في أنَّهما يعبران من غير معنى المفردات المكونة لهما، وأنَّهما يخضعان للاستبدال حيث يمكن استبدال الكناية والتعبير الاصطلاحي بكلمات أخرى[٢]، وأهم ما يميز هذا النوع أنه تضيق دائرته وتقتصر على طائفة أوجماعة صغيرة[٣] ومن أمثلة هذا النوع قولهم:

صب الزيت في القنديل بمعنى الرشوة[٤] وممَّا يتصل بمثل هذا النمط من التعبيرات؛ المنسوب المكني عنه. ومن ذلك ما ذكره الخفاجي حيث قال:

«تغافل واسطيٌّ: هو مثل... لمَّا بنى الحجاج واسطًا قالوا بنيت مدينة في كرش من الأرض، فسمى أهلها الكرشيون فكان إذا مرَّ أحدهم بالبصرة نادوه: ياكرش فيتغافل ويرى أنه لم يسمع»[٥].

ويفسر الجرجاني في «المنتخب من كنايات الأدباء»[٦] ذلك المثل تفسيرًا آخر يتصل بدناءة أهل واسط وبخلهم، ويذكر الدكتور كريم أنَّ هذا النوع ممتد إلى الآن في لغتنا الدارجة من مثل قولهم: فلان شرقاويٌّ أي كريم، وفلان دمياطيٌّ أي بخيل، وقولهم: المنوفيُّ لا يلوف... إلخ[٧].

---

(١) شفاء الغليل (بنت النارين) ٢/ ٣١٥.

(٢) التعبير الاصطلاحي ٢٨٤.

(٣) التعبير الاصطلاحي ٢٨٤.

(٤) شفاء الغليل (قنديل) ٣/ ١٨٨.

(٥) شفاء الغليل (تغافل واسطي) ٢/ ٣٤٧.

(٦) انظر ١٠٣، ١٠٤.

(٧) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٨٩ (هامش).

ومن هذا النوع من التعبيرات:

التعبيرات التي تشير إلى الأمور الجنسية[١] ومنها:

استحسان بمعنى الدِّيَاثة حيث يقول الخفاجي: «وأهل مصر تستعمله بمعنى الدياثة ويقولون في السب: يامستحسن»[٢].

ومثله: «قرطبان: ديوث والعامة تقول: قلتبان»[٣].

ومنها: قحبة بمعنى فاجرة حيث ينقل الخفاجي عن أبي هلال العسكري قوله: «صار تسمية البغي المتكسبة بالفجور قحبة حقيقة»[٤] ومثله قولهم: «لحاف.. لفاعل المأبون»[٥]، والتعبير في الأمثلة السابقة عبارة عن كلمة واحدة.

ومثله: «تيس... والناس تستعمله بمعنى الديوث»[٦].

ومن أمثلة التعابير التي تعتمد على فعلٍ وتشير إلى هذه المعاني أيضًا قوله: «ويقال: هو يصلي ويزكي أي يلوط ويقامر»[٧] وقوله: «.. يقال: فلان يحب الحموضة أي: يأتي الدبر ويلوط»[٨] وقوله: «وارى سوأة أخيه: رُميَ بالأبنة.. ولذا يقولون للمأبون: غراب»[٩].

---

(١) انظر التعبير الاصطلاحي ٢٩٠.

(٢) شفاء الغليل (استحسان) ٢/ ٢٤٦.

(٣) شفاء الغليل(قرطبان) ٣/ ١٨٩.

(٤) شفاء الغليل (قحبة) ٣/ ١٩٠.

(٥) شفاء الغليل (لحاف) ٣/ ٢٤٣.

(٦) شفاء الغليل (تيس) ٢/ ٣٤٤.

(٧) شفاء الغليل (صَلَّى) ٣/ ٨٠.

(٨) شفاء الغليل (حموضة) ٢/ ٤٢٥.

(٩) شفاء الغليل (وارى سوأة أخيه) ٣/ ٣٥٨.

يُعلل القدماء هذا النوع من الكنايات أو التعبيرات الاصطلاحية بـ «التَّعْمِيَة والتغطية. . والرغبة عن اللفظ الخسيس»(١).

ثانيًا: جدول إحصائي للتعبيرات الاصطلاحية في شفاء الغليل مُرَتَّبًا على حروف المعجم مع إثبات المادة التي ذكر فيها التعبير.

التعبير الاصطلاحي	ما يدلُّ عليه	المادة التي ذكر فيها
أبا روح	اللقيط	أبا روح
إبرام	الإلحاح	إبرام
أبعد	هلك الأبعد يعني صاحبه	أبعد
ابن أجلى	مشهور معروف	جلال
ابن المراغة	شتم عند العرب (الزانية)	ابن المراغة
ابن جلا	مشهور معروف	ابن جلا
ابن عَجِّل	اللقيط	أبناء الدهاليز
أبناء الدهاليز	اللقيط	أبناء الدهاليز
أبناء السكك	اللقيط	أبناء الدهاليز
أبناء درزة	الأراذل	أبناء الدهاليز
أبو إياس	كنية الأشنان للملح	أبو إياس
أبو رياح	طائش	أبو رياح
أبو رياح	طائش	أبو رياح
أبو سعد	الهرم	أبو سعد

(١) انظر العمدة لابن رشيق ١/٣١٣، وقد درس الأستاذ الدكتور كريم هذه الظاهرة في كتابه: المحظورات اللغوية.

أبو عون	للملح	أبو إياس
أجوع من كلبة جومل	السعي وراء ما لا يتوصل إليه	نبح الكلب القمر
أحذ يد القميص	السارق	أحذ يد القميص/ خفيف الشفة
أخذ الزكاة من الظباء	كناية عن اللواطة	أخذ
أخذ طريق الفيصلين	لكل من ضل الطريق	فيصلان
أدَّى زكاة حقه	من مدح نفسه بما ليس فيه	كهرش
إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل	الاستغناء بالفاضل عن المفضول	نهر معقل
آذان الحيطان	النمام ومن يسترق السمع	آذان الحيطان
أرانيه الله أغَرّ مُحَجَّلًا	محلوق الرأس مقيدًا	أغرّ مُحَجَّل
أرانيه الله أغرَّ محجلًا	محلوق الرأس مقيدًا	أغرّ مُحَجَّل
أرغم الله معطسه	أذله	عطس
أركبه الله الأشقر	قتله	أغرّ مُحَجَّل
أركبه الله الأشقر	قتله	أغرُّ مُحَجَّل/ أشقر
استحسان (يا مستحسن)	الدياثة	استحسان
استغرق في ضحكه	ضحك ضحكا شديدًا	استغرب في ضحكه
استغرب في الضحك	اشتد فيه وأغرب	استغرب في ضحكه
استنعجت الذئاب	العدو يبدي الصداقة	استنعجت الذئاب
أشقر	الخمر	أشقر
أشهب	الماء	أشهب

أطفأ الله ناره	دعاء عليه بالفقر	أطفأ الله ناره
أظرف من زنديق	عدم الوقار	زنديق/ ظرف
آفة الوزراء	القتل	داء غرة
أفصح حُجير	يظهر ما في ضميره ولا يرى التقية	أفصح حُجير
أقطار عرضه أملس	لا يعلق به عيب	أملس
أكذب من زراق	شدة الكذب	زراق
ألطاف	الهدايا	ألطاف
إن جهد المقل غير قليل	ما يحتمله حال القليل المال	جُهد المقل
أنا لك	تهديد ووعيد	أنالك
انتعل الظل وافترشه	دخل في وقت الزوال	انتعل الظل وافترشه
أنعظ من بلبلة الإبريق	كناية عن اللواطة	أخذ
باذنجان	شدة الصياح	باذنجان
بحر لم تُكدِّره الدلاء	إذا كمل فلم يلتف إلى القدح فيه	جاز القنطرة
برح الخفاء	انكشف المستور	برح الخفاء
برد الحلي	الصباح	برد الحلي
برد الفراش	الراحة والترفه وزيادة القدرة	برد المضجع وبرد الفراش
برد المضجع	الراحة والترفه وزيادة القدرة	برد المضجع وبرد الفراش
بِرطيل	الرشوة	برطيل

برَّق عينه له	خوفه	برّق
بَرِّق لمن لا يعرفك	مثل للذي يُوعِد مَنْ يعرفه	برّق
برم الأمر	مثل لما فات لإحكام أمره	برم الأمر
بقر الجنة	الإبل لأنَّها لا تنطح ولا ترمح	بقر
بقر سقر	لأنَّها تنطح وترمح	بقر
بَقَل وجه الغلام	إذا نبت شعره	بَقَل وجه الغلام
بلغ ماؤه قلتين	إذا كمل فلم يلتف إلى القدح فيه	جاز القنطرة
بنت الناريين	المرقة المسخنة	بنت الناريين
به داء ظبي	ليس به داء	داء ظبي
به لا بظَبْيٍ	الدعاء عليه عند الشماته	داء الظبي
البياض	مثل للصلاح	بياض
بيَّض الله شعره	جعله أبيض بعد سواده (أطال عمره)	قوَّى الله ضعفه
تَخرَّج	أشتهر وأقعد	فتح
تدريس	كلام ظاهري يقال في مجال التدريس	تدريس
تدريس	كلام مسجدي لغير المحقق	تدريس
تربية القاضي	للقيط	تربية القاضي
تغافل واسطي	يتغافل ويرى أنه لم يسمع	تغافل واسطي
تفتح	تدرب في تعلم شيء	فتح
تمرة خير من جرادة	مثل للاقتصاد والحد من التبذير	تمرة خير من جرادة

التمزيق	اللهو والخلاعة	مزّق
التهليل	الانهزام والتكذيب	التهليل
تَيْس	الديوث	تَيْس
التيس	الغبي اللئيم	تيس
جاءنا وهو عصرة	لمن ابتل حتى تقاطر ماؤه	عُصْرَة
جاز القنطرة	إذا كمل فلم يلتف إلى القدح فيه	جاز القنطرة
جاسوس القلوب	حاذق الفراسة	جاسوس القلوب
جامع سفيان	الرضا بالقليل عن جهل	جامع سفيان
جُب يوسف	نقرة الذقن	جُب يوسف
جُبن خالع	لخلعه القلب	جُبن خالع
جرَّ النار إلى قرصه	لمن يؤثر نفسه على غيره	جرَّ النار إلى فرصه
جرى الأمر	وقع واستمر	جَرى
جعلته نُصب عيني	لم أنسه ولم أغفل عنه	نصب عيني
جُهد المقل	ما يحتمله حال القليل المال	جُهد المقل
حائف	الناقص	حائف
حاشية	لرذال الناس والخدم	حاشية
حب الطرب	الجرب	حب الطرب
حُرّ	ملحد	حُرّ
الحِرِّيف	الحاذق	الحِرِّيف
الحشوية	الجهلة	حشَوية

حكيم	القواد	حكيم
حلَّ الحَبْوَة	كناية عن عدم الوقار	حَلَّ الحَبوة
حماتي تحبني	من صادف نعمة لم تكن على خاطره	حماتي تحبُّني
خاتم الحسن	نقرة الذقن	جُب يوسف
خشن اليدين	العالم النحرير	نحرير
خفيف الشفة	قليل السؤال	خفيف الشفة
خفيف الشفه	قلة السؤال	خفيف الشفه
خفيف اليد	للسارق	أحذ يد القميص/ خفيف الشفة
خلع الله نعليه	جعله مقيدًا	أطفأ الله ناره
داء المترفين	النقرس والأبنة	داء غزَّة
داء غزَّة	الطاعون	داء غزَّة
دعوة كوكبية	سريعة الإجابة	دعوة كوكبية
دون القلتين	لا يعتد به لحقارته	قلتان
رأس الخاقان	العظيم الرأس	بغل
رأس الفاعوس	العظيم الرأس	بغل
رأس جالوت	العظيم الرأس	بغل
رأى أهل الموصل	محبة المرد	رأى أهل الموصل
رجل قواد	ديوث	قواد
الردفان	الغداة والعشي	أردف الرجل

رفع الله جريته	أهلكه	رفع الله جريته
رفقًا بالقوارير	معاملة النساء	قارورة
الرُّقية	التملق	الرُّقْية
رقيع	النخير عند الجماع	رقيع
ركب رأسه	معتسف	ركب رأسه
ركبت البارحة الأشقر فصرعني	سكرت	أشقر
رماح الجن	الطاعون	رماح الجن
رمح أبي سعد	عصا الشيخ الهرم	أبو سعد
الزبد بالنرسيان	لما يستطاب	نرسيان
زبون	يفرح بلا شيء	زبون
زلزلة البدن	العطاس	عطس
زلزلة البدن	للعطاس	عطس
سعال الدماغ	العطاس	عطس
سفينة نوح	بلوغ الغاية في العلم وغيره	جامع سفيان
سكران طينة	لا يتماسك	سكران طينة
سكرنا طينة	لا يتماسك	بركار
السواد	مثل للفساد والخيبة	بياض
شغل الحلي أهله أن يغارا	حائض	كسر الحلي
صاحب السقط	الحمار	صاحب السقط
صاحت عصافير بطنه	الجوع الشديد	صاحت عصافير بطنه

صب في القنديل زيتًا	الرشوة	قنديل
صبغ الكيس عنا بي	إذا أفلس	عِنّا بي
ضغث على إبالة	عبء على عبء	إبّاله
عاير الرأي	أخطأ	عاير الرأي
عجّة	للبيض الذي يقلى بسمن	عجّة
عراه، واعتراه داء الكرم	الفقر	عراه
عرقوب	لمن يقرمط المواعيد	قرمط
عِفش	للرذل الدنس	عفش
عفيف الجبهة	لا يصلي	عفيف الجبهة
عقد الحبوة	كناية عن الوقار	حَلَّ الحبْوة
عين مالحة	للعين التي تصيب	ملح
غُرابًا	المأبون	غراب
غربالًا	المذياع الذي لا يستودع سرًّا إلا أفشاه	غربال
الغربلة	الرهز عند الجماع	غربلة
غضب الخيل على اللجم	الغضب على من لا يضره	أكل اللحم
غم وغمة	بعض اللحوم المشوية مغمومة	غم وغم
فاتك الشَّنَب	لمن لا يصل إلى شيء	فاتك الشَّنَب
فاعل تارك	لمن تكثر ذنوبه	فاعل
فاعل	أجير البناء	فاعل

فالوذج السوق	لمن لا يُحمد مخبره	فالوذج
فتح العقارب	لما لا يتيقن على الفتح	فتح
فرخ	اللقيط	فرخ
فعل ذلك الأمر عدوًا بدوًا	ظاهرًا جهارًا	ما عدا ممَّا بدا
فلان أمعز من فلان	مدح بالقوة أقوى منه	ماعز
فلان كالمشجب	حيث قصدته وجدته	مشجب
فلان ماعز الرجل	مدح بالقوة أقوى منه	ماعز
فلان يحب الحموضة	يأتي الدبر	حموضة
قام فلان بطن نفسه	كفا نفسه مؤنة جسمه	طُنٌّ
القبر دهليز الآخرة	بدء الحساب	دهليز
قبلة الحمى	ما يخرج على الشفة	عقابيل
قحبة	فاجرة. البغيُّ المتكسبة بالفجور	قحبة
القدَح الفرد	الدَّعي	القدح الفرد
قَرْطبان	ديوث	قرْطَبَان
قرنان	حيوان (لا يغار على منكحه)	قرنان
قفش	للكلام الذي لا أصل له	قفش
القندلة	الرشوة	قنديل
قوى الله ضعفه	بدَّل ضعفه قوة	قوَّى الله ضعفه
كان وكان	الأحاديث التي لا يعتني بها	كان وكان
الكانون الثقيل	الذي يكنى الحديث عنده	غربال

الكبش	الرئيس الكريم	الكبش
كرحم الفيل من ولد الأتان	ما يكذبه الظاهر	كرحم الفيل من ولد الأتان
كعبه مبارك	لمن يُتَيَمَّنُ به	كعبه مبارك
كعبه مُدَوَّر	لمن يتشاءم به	كعبه مُدَوَّر
كلب الحارس	ساقط ينتمي إلى ساقط	كلب الحارس
الكلبيون	فرقة من الفلاسفة يستهينون بالعادات	الكلبيون
كيت وكيت	كناية عما له شأن	كيت وكيت
لا أركبُ البحر	لمن يعدل عن النساء	لا أركب البحر
لا لا	المرَبِّي من الخدم	لا لا
لا يشبه العنوان ما في الكتاب	لا يوافق ظاهره باطنه	لا يشبه العنوان ما في الكتاب
لا يصدر إلا عن رأيه	يتصرف في الأمور بصائب رأيه	صَدَر
لا يكون كذا حتى يرجع مصقلة بن هبيرة	استحالة وقوع أمر من الأمور	مصقلة
لأقيمنك على التَّرِّ	لمن يُهَدَّد	التَّرُّ
لِحاف	لفاعل المأبون	لِحاف
لزق	إذا كان كلامًا ملفقًا سخيفًا	لزق
لص برقعيدي	مثل في شدة اللصوصية	برقعيد
لقيت أخيل	إذا دعوا على المسافر	أخيل

لك الله	لك الله حافظ وولي ونحوه	لك الله
لم أجعله بظهر	لم أنسه ولم أغفل عنه	نصب عيني
له قدم في الخير	أي سابقة	قدَم
ليس وراء عبادان قرية	بلوغ الشيء غايته وحسن المنظر وقبيح المخبر	ليس وراء عبادان قرية
لين العود	كريم	خفيف الشفة
لين المهصر	كريم	خفيف الشفة
ما عدا ممَّا بدا	ما ظهر منك من التخلف بعد ما ظهر منك من التقدم في الطاعة	ما عدا ممَّا بدا
ما في هذا الأمر مغمز	أي فائدة	مغمز
ما هو إلا سفينة نوح وجامع سفيان ومخلط فرات	بلوغ الغاية في العلم ونوحه	جامع سفيان
ما هو إلا نعجة من النعاج	إذا وصفوا بالضعف والموت	نعجة
ما هي إلا بغلة	المرأة عظيمة الجسم	بغل
مات كمد الحبارى	مات حسرة	مات كمد الحُبارى
المثل السائر	العظيم الرأس	بغل
المثَلِّث	النمَّام	المُثَلِّث
مجلس	التغوط	مجلس
المجون	الخلاعة	مجون
المجيء على الأبلق	لمن لا يقدر	أبلق

مدين	العبد	مدينة
مدينة	جارية العبد	مدينة
مَرَّضه	قام عليه في مرضه	مَرَّضه
مُرُوَّة الدار	الخلاء النظيف	مُرُوَّة الدار
مطرُ مِصْرَ	لنافع قد يتضرر به	مطر مِصْرَ
المغربَل	للدون الخسيس	غربال
المقيم المُقعد	الأمر الشديد	المقيم المُقعد
المُكَدّية	سؤال الطَّوَّافين على البلاد	كدَّى
ملائكة الأرض	أهل العراق للطافتهم	ملائكة الأرض
مُلَطُفة	مكتوب صغير بعتاب أو شفاعة	ملطفة
من الباب إلى الطاق	فيما فعل من غير سبب	باب
الموزون	الحسن والمعتدل	وزن
النابتة والنوابت	الحشوية	نبات
نبح الكلب القمر	السعي وراء ما لا يتوصل إليه	نبح الكلب القمر
نشقت ضفادع جوفه	الجوع الشديد	صاحت عصافير بطنه
نظرة	مس من الجن (الحسد)	نظرة
النعشة الأخيرة	ما يعرض للإنسان عند الإشراف على الموت من حدث وقوة وحركة	النعشة الأخيرة
النوم	الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا	النوم

هوة ابن وصاف	تستعمله العرب لمن يدعون عليه	هوة ابن وصاف
واجب	عند أهل الرمى طيور مخصوصة	واجب
وارى سوأة أخيه	رمى بالابنة	وارى سوأة أخيه
وبر	الحقير الذليل	وبر
ورد المعرفة	احمرار الوجه لمسرة الفهم	ورد المعرفة
وعد مقرمط	ما لم يف به مع كثرته	قرمط
وقع في الأنين	لرمضان بعد العشرين	وقع في الأنين
وقع في الطويل العريض	أمر شاق	وقع في الطويل العريض
وقع في الواوات	لرمضان بعد العشرين	وقع في الواوات
يأخذ من الطشت وينفق على الإبريق	للمؤاجر الزاني	أخذ
يأكل اللحم	مشتد الغضب	أكل اللحم
يتوالى الإيراد والإصدار	يتصرف في الأمور بصائب رأيه	صَدَر
يدهن من قارورة فارغة	يمتن بما لا يفعل	يدهن من قارورة فارغة
يزور البيت من خلفه	كناية عن اللواطة	أخذ
يصلي في ظاهر المحراب	كناية عن اللواطة	أخذ
يصلي ويزكي	كناية عن اللواطة	أخذ
يضرب أخماسًا بأسداس	مثلًا في كل مكر	يضرب أخماسًا بأسداس

١ ـ **التعبير السياقي** context expression:

لجأ القدماء في فهم المعنى إلى سياق الكلام، ومع تعويلهم على السياق والإفادة منه في فهم النصوص أو بنائها؛ إلا أننا لا نظفر بتعريف واضح للسياق عندهم، وبالتالي لا نجد ـ عندهم ـ ذكرًا لما يطلق عليه التعبير السياقي، وربما وجدنا عندهم ما يعرف بالسياق اللغوي، وكان أول من استخدمه بهذا المعنى الشافعيُّ (٢٠٤هـ) حين عقد بابًا في الرسالة أسماه: (باب الصنف يُبَيِّن سياقُه معناه)[١]، وبالرغم من أنه لم يعرِّفه إلا أنه ساق أمثلة من القرآن الكريم[٢]، وبذلك يمكن القول أن مفهوم السياق في التراث العربي يشير ـ ضمن ما يشير ـ إلى ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضيئ دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهًا استدلاليًّا[٣]، أي أنَّ العلاقات الأفقية بكل أنواعها موضوعٌ للسياق اللغوي. وذلك يعني أن تحديد المعنى ودقته لأي كلمة ينتج عن وضعها في جملة أو تركيب معين أو ما يمكن أن نطلق عليه استعمالها في سياق معين، لأنَّ «الكلمات في المعجم ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة للدخول في أكثر من سياق، ومن ثبوت ذلك لها يأتي بالضرورة تعدد معناها، واحتماله في حالة الإفراد»[٤]، وفي ذلك يقول فندريس: «الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات إنَّما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها في الكلمة بالرغم

---

(١) الرسالة للشافعي ٦٢.

(٢) دلالة السياق ٤٢.

(٣) انظر دلالة السياق ٥٠، ٥١، وانظر مدخل إلى علم اللغة (حجازي) ١٥٩ وأهم ما يميز السياق اللغوي عند الدكتور حجازي هو أن العلاقة بين الكلمات علاقة أفقية.

(٤) الكلمة دراسة لغوية معجمية د/ حلمي خليل ١٥٥، وانظر اللغة العربية مبناها ومعناها ٢٣٤.

من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلَّ عليها»[١].

وقد التفت القدماء إلى ذلك فنجد ابن الأنباري يقول في كتابه الأضداد: إنَّ كلام العرب يُصحِّحُ بعضُه بعضًا، ويرتبط أوله بآخره. ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه... فمن ذلك قول الشاعر:

كلُّ شيءٍ ما خَلا الموت جَلَلْ والفَتَى يَسعَى ويُلْهيهِ الأَمَلْ

فيدل ما تقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه: كل شيءٍ ما خلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجلل) ها هنا معناه العظيم[٢].

فالمعنى المشهور للكلمة (جلل) هو (عظيم)، لكنَّ هذا المعنى تغير بسبب السياق الذي استخدمت فيه الكلمة، فأصبح معناها الدقيق في هذا السياق هو (يسير). وذلك دليل قويٌّ على أثر السياق في فهم المعنى وتحديده.

ويفرق المحدثون بين نوعين من السياق وهما السياق اللغوي Linguistic context[٣]، والسياق غير اللغوي The non - Linguistic context[٤]، أو سياق الموقف Verbal context[٥]، وحول المعنى العام للسياق الذي يشمل هذين المعنيين ودوره في تحديد المعنى يقول أولمان عن السياق: «وكلمة (السياق) Context قد استعملت حديثًا في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا (يعني دراسة المعنى) في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي (النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم) بأوسع معاني

---

(١) اللغة لفندريس ٢٣١، وانظر دور الكلمة في اللغة د(أولمان) ٦٢، ٦٣ ويضرب أولمان مثلًا على ذلك في صفحة ٦٤ تحت عنوان (تناوب المعنى) حيث يقول: «فالسياق وحده الذي يستطيع أن يبين لنا ما إذا كانت الكلمة (قريب) مثلًا تعني قرابة الرحم أو أقرب في المسافة».

(٢) الأضداد لابن الأنباري ٢.

(٣) علم الدلالة لبالمر ١٤١.

(٤) علم الدلالة لبالمر ٦٩.

(٥) علم الدلالة لبالمر ٧٤.

هذه العبارة، إنَّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل ـ لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب ـ بل والقطعة كلها والكتاب كله. كما ينبغي أن يشمل ـ بوجه من الوجوه ـ كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير المعنوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن، أما أن هذه العوامل جميعها لها تأثيرها المباشر على المعنى الدقيق للكلمات، فهذا أمر لم يعارض فيه أحد معارضة جدية»(١).

وقد فطن الخفاجي ـ مثله في ذلك مثل القدماء ـ إلى دور السياق ـ (وبخاصة سياق الموقف) أو ما يصطلح عليه القدماء (المقام) أو القرينة ـ في فهم المعنى وتصحيح الاستعمال للكلمة بمعنى معين.

يقول الخفاجي في مادة (أفلج) بعد ما ذكر اشتراط ابن دريد لذكر الأسنان أو ما في معناها (كالثنايا) مع هذه الكلمة: «وفي مقامات الحريري: لا والذي زين الثغور بالفلج، والحواجب بالبلج.. وجاء في وصف النبي ﷺ: كان أفلج كما في الشمائل. وفي الشفاء: كان أفلج أبلج.. وإذا عرفت هذا ظهر لك أن ما قاله ابن دريد ـ إن أراد من ذكر الأسنان وما بمعناها كالثنايا سواء كان عن طريق التوصيف أم لا ـ خف الأمر، ولكنَّه غير مُسلَّم أيضًا، وممَّا ذكره أهل اللغة أنَّ في الجمهرة أمورًا غير مُسَلَّمَةٍ يبين أنه لا اعتراض على ما في الشفاء، ولا يأباه كون أفلج له معنى آخر لأنَّ القرينة مُصَحَّحَةٌ للاستعمال». فالقرينة تحتمل الأمرين؛ القرينة اللغوية وهو ما يمكن أن يشير إلى السياق اللغوي Linguistic Context عند المحدثين، وقرينة الحال (المقام) وهو ما يسميه المحدثون سياق الموقف Verbal Context، والدليل على ذلك قول مارتينيه: تعليقًا على تعدد معنى كلمة بيت في ثلاثة

---

(١) دور الكلمة في اللغة ٦١، ٦٢.

سياقات مختلفة هي: ليست السيدة في البيت، ويمثل بيتًا تجاريًا، وكافح ريشو ضد البيت النمساوي: «إن تعدد معنى كلمة بيت واضح، إن الغموض الذي يعتري علاقة الدال بالمدلول لا يتضح إلا في القرينة، فالجملة بما هي فِعل تحرر قيمة الكلمة»(١)، وكما يقول الدكتور ردَّة الله في كتابه دلالة السياق إن كلمة Context تترجم في هذا الكتاب (اللسان والمجتمع) إلى القرينة(٢).

ونستطيع أن نلمس عند الخفاجي في كتابه إشارات إلى ارتباط المعنى في بعض التعبيرات بالاستخدام أو بالسياق بحيث يتغير معنى الكلمة إذا تغير السياق الذي ترد فيه، وهو ما اصطلح عليه بعض المحدثين بالتعبير السياقي Contextual expression(٣)، وهو النوع الأول من أنواع السياق الذي أطلق عليه المحدثون اسم السياق اللغوي Linguistic context، لأنَّه «يستمد معناه من العلاقة السياقية أو الإسنادية للكلمات، ويخضع لبنية التعبير، وهذا شيء داخلي، ولذلك فقد أطلق بعض اللغويين على التعبيرات الاصطلاحية تعابير خارجية المركز Exocentric؛ والتعبيرات السياقية تعابير داخلية المركز Endocentric»(٤).

ويفرِّق أستاذنا الدكتور كريم بين التعبير الاصطلاحي Idiomatic exp والتعبير السياقي Context ual. expression بقوله: «فنحن لا يمكن أن نحدد دلالة التعبير الاصطلاحي من كلماته، أو يمكننا أن نفهمه بناءً على فهمنا لدلالة هذه الكلمات مفردة، بل إن مجموع الكلمات يُكَوِّن وحدة دلالية مستقلة Semantic Unit تتعادل في كلمة واحدة a ward . . . ويختلف التعبير الاصطلاحي من هذه الناحية عن التعبير السياقي الذي يعتمد فهمنا له

---

(١) اللسان والمجتمع (لهنري لوفيفر) ترجمة مصطفى صالح ١٠٥.

(٢) دلالة السياق ٢٩٥ حاشية رقم.

(٣) انظر: التعبير الاصطلاحي ٧٨.

(٤) نحو علم الترجمة لنيدا ١٩٦ ترجمة ماجد النجار، (نقلًا عن التعبير الاصطلاحي ٧٨).

على المفردات المكونة له كما نرى في مثل هذه التراكيب: ضرب الطفل؛ بمعنى عاقبه، ضرب العملة؛ بمعنى سكها، ضرب الوتد؛ بمعنى دقه، ضرب في الأرض؛ بمعنى سافر»(١).

ومن أمثلة التعبيرات السياقية عند الخفاجي:

مادة (أخ): يقول الخفاجي نقلًا عن ابن السَّيد البطليوسي: «تستعمله العرب على أربعة أوجه: الأول أخو النسب، والثاني الصديق، الثالث المجانس والمشابه كقولهم: هذا الثوب أخو هذا، الرابع الملازم للشيء كقولهم: أخو الحرب وأخو الكسل... قلت (أي الخفاجي): بقي آخر ذكره الشريف في الدرر والغرر، وهو النسبة إلى قومه كما يقال: يا أخا تميم، ويا أخا فزارة لمن هو منهم، وبه فسر قوله تعالى: (يا أخت هارون) إلا أن يدخل في الأول»(٢).

فاستعمال العرب لهذه المادة في كل سياق لغوي يعطيها دلالة جديدة، وليس هذا من الاشتراك لأنَّ تغيير المعنى متوقف على الاستعمال أي السياق اللغوي.

مادة (بدري) يقول الخفاجي نقلًا عن الصاغاني: «يقال غيث بدري لما كان قبل الشتاء، وفصيل بدري: سمين»(٣).

فدلالة كلمة بدري في السياق الأول (قبل) أو مبكرًا، وفي الثاني (سمين) وشتان بين الدلالتين وسبب هذا الاختلاف هو تغير السياق.

مادة (قضى) يقول الخفاجي: «يقضي منه العجب: ينتهي، أي يبلغ نهايته

---

(١) التعبير الاصطلاحي ٧٨، ويضيف فرقًا آخر (ص ٧٩) وهو أن التعبير الاصطلاحي يتميز بالثبات في معظم الأحيان بحيث لا يخضع للتعبير لأنَّه إذا تعرض لأي تغيير في بنيته يتحطَّم المعنى تمامًا. أما التعبير السياقي فإنَّ التغيير فيه يؤدي إلى تغيير دلالته ولا يحطم معناه.

(٢) شفاء الغليل (أخ) ٢/٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) شفاء الغليل (بدري) ٢/٣١١.

في قضاء حاجته، أو يفعل، من قضيت كذا فعلته، أو يحكم منه بالعجب؛ من قضيت كذا: أي حكمت به»(١).

ومن أمثلة ذلك أيضًا في شفاء الغليل «اللَّهم... اللهم إلا أنْ يكون كذا... اللهم نعم..»(٢) و«وقع على كذا إذا وجده... وقع ربيع في الأرض؛ حصل»(٣)، وقوله: «حَفى: أصل الحفا: المشي بغير نعل، وتقوله العرب أيضًا لما يصيب الرِّجْل من كثرة المشي، ومنه استعار الكُتَّاب (حفِيَ القلم) إذا تَشعَّث، تشبيهًا له بالماشي»(٤)، وغير ذلك من الأمثلة التي تدلُّ على وجود ظاهرة التعبير السياقي عند الخفاجي(٥) وإن لم يعرف المصطلح لكنه أدرك معناه ووجوده في كلام العرب.

(١) شفاء الغليل (قضى) ٣/ ١٩٩.

(٢) شفاء الغليل (اللهم) ٢/ ١٩٦.

(٣) شفاء الغليل (وقع في الأنين) ٣/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٤) شفاء الغليل (حَفِيَ) ٢/ ٤٢٠.

(٥) انظر شفاء الغليل (أم)، و(ضرب إلى البياض)، و(منصب) و(جزاف).

الفَصْلُ الثّالِثُ

الظّواهر الصّرفيّة البنائيّة

١- الاشتقاق والقياس والسماع

تمهيد

احتل الحديث عن الظواهر الصرفية في شفاء الغليل منزلة كبيرة بين الظواهر اللغوية ويرجع ذلك لطبيعة موضع الكتاب، وقد عالج القدماء والمحدثون كثيرًا من القضايا الصرفية فيما يخص المعرَّب أثناء الحديث عن التعريب وطرق معرفة المعرَّب، وتغيير المعرَّب عند التعريب. . . إلخ.

وقد تناولنا في الباب الأول بعض هذه القضايا عند تحليل مداخل الكتاب بشيءٍ من التفصيل.

وسوف أكتفي في هذا الفصل بالحديث عن ظواهر صرفية ثلاث برزت عند الشهاب الخفاجي في كتابه وهي:

أولًا: الاشتقاق والقياس والسماع.

ثانيًا: النحت.

ثالثًا: القلب المكاني.

أولًا: الاشتقاق:

تعريفه:

يُعرِّف الشريف الجرجاني الاشتقاق بأنَّه: «نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة، والصَّغير أنْ يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والترتيب، نحو ضرب من الضرب، والكبير: أنْ

يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو جذب وجبذ، والأكبر أنْ يكون بين اللفظين الترتيب في المخرج نحو نعق ونهق»[١]، ويعرفه الدكتور أحمد عيسى تعريفًا عامًّا فيقول: «والاشتقاق في الاصطلاح هو أن تأخذ من أصلٍ فرعًا يوافقه في الحروف وتجعله دالًّا على معنى يوافق معناه»[٢].

ومسألة الاشتقاق في المعرَّب تدور حول محورين أساسيين وهما:

الأول: رَدُّ بعض الكلمات المعرَّبة إلى أصول عربية.

الثاني: تصريف الألفاظ المعرَّبة على نهج العربية.

وقد أشار الشهاب إلى هذين المحورين:

أما المحور الأول: فهو رَدُّ بعض الكلمات المعرَّبة إلى أصول عربية ـ فقد نقل كلام ابن السراج[٣] عن طريق الجواليقي[٤] بأنَّ الاشتقاق لا يصح في المعرَّب، وخَطَّأ من قال إبليس مأخوذ من الإبلاس. وفي ذلك يقول[٥]: «ولا يصح الاشتقاق فيه؛ لأنَّه لا يُدَّعى أخذه من مادة الكلام العربي، وهو كادِّعاء أن الطير ولدت الحوت، فما وقع في بعض التفاسير أن إبليس مأخوذ من الإبلاس[٦]، ونحوه، ممَّا عُدَّ خطأً». والخفاجي مصيب في متابعته المتقدمين في هذا.

---

(١) التعريفات للجرجاني ٦٥.

(٢) التهذيب في أصول التعريب ١١٤.

(٣) الاشتقاق: ٤١ وابن السراج هو: أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي، من النحاة المتقدمين توفي سنة (٣١٦هـ)، من مصادر ترجمته: نزهة الألبا: ١٨٦، ومعجم الأدباء: ١٨/١٩٧، وإنباه الرواة ٣/١٤٥.

(٤) المعرب: ٥١.

(٥) شفاء الغليل: ٢/١٠٢، ١٠٣.

(٦) من هؤلاء صاحب التبيان في تفسير القرآن انظر صفحة ١/٧٦.

وقد حكي عن البيضاوي قوله في اشتقاق آدم من الأدمة، بمعنى الأسوة أي أديم الأرض، بأنَّه تعسُّفٌ، كاشتقاق إدريس من (الدرس) ويعقوب من (العقب) وإبليس من (الإبلاس)[١].

فإن أغلبهم رفضوا القول بأنَّ يشتق اللفظ من أصل عربي، يقول أبو حيَّان في الارتشاف: «ولا يقال في أعجمي إنه اشتق من مادة عربية، لا يقال (إدريس) من (الدَّرْس)، ولا (يعقوب) من (العُقْبى)، وقد ردَّ أبو علي على ثعلب في قوله: «إن إبليس من (أبلس)»[٢]، ويعد الخوارزمي قول من يقول باشتقاق الأعجمي من لغة العرب هذيانًا فيقول: «وقد يهذي بعض المولعين بالاشتقاقات، في هذا الاسم بما لا معنى له، وهو أنَّهم يزعمون أن (لاب) اسم رجل، و(أسطر) جمع سطر وهو الخط، وهذا اسم يوناني اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف»[٣].

ويرفض السيوطي أيضًا القول بإمكان اشتقاق الأعجمي من العربي[٤]، وإلى مثل ذلك ذهب المحدثون، يقول أستاذنا الدكتور رمضان: «ومثل ذلك أيضًا [أي في الغلو والإسراف] محاولة بعض اللغويين اشتقاق الأعجمي من العربي، كابن دريد الذي ادَّعى أن (الفردوس) مشتق من (الفردسة)»[٥] ونرى الخفاجي يؤكِّد رفضه لهذا الأمر عند حديثه عن مادة (كمثرى) حيث يقول: «. . . وقيل هي عربية وتكلفوا في اشتقاقها ولا يعرفها عربي قحّ».

نجد الخفاجي قد حاول تطبيق هذا المبدأ في كتابه، فكان يُضَعِّفُ رأي

---

(١) أنوار التنزيل: ١/ ٢٣.

(٢) ارتشاف الضرب ٨٨٧، وانظر ردَّ الفارسي على ثعلب في المسائل الحلبيات (تحقيق د/ حسن هنداوي ـ دمشق ١٤٠٧هـ).

(٣) مفاتيح العلوم ١٣٤ مادة (الاصطرلاب).

(٤) انظر المزهر ١/ ٢٩٢.

(٥) فصول في فقه اللغة ٢٩٣، وانظر قول ابن دريد في الجمهرة ٣/ ٣٣٣.

من قال به كقوله[١] في (أنجيل)[٢]: «إنه معرَّب. وقيل عربي من النجل، وهو ظهور الماء»، فيلاحظ أنه ضعف كونه عربيًّا مشتقًّا من النَّجْل بقوله (قيل)، كما يفهم من سياق كلامه.

وكذلك قوله في مادة (خوان)[٣] «إنه مُعرَّب. وقيل عربي مأخوذ من تَخوَّنَه أي نَقَصَ حَقَّه لأنَّه يؤكل ما عليه فينقص». فيلاحظ أنه ضعفه ـ أيضًا ـ بقوله: «قيل».

أما المحور الثاني وهو: تصريف الألفاظ المعرَّبة على نهج اللفظ العربي: فإنَّ الخفاجي يرى أنه يجوز الاشتقاق ممَّا ألحق بأبنية العرب، ومعاملته معاملة العربي، فيقول بعد أن حكى كلام الجواليقي في منع إرجاع المعرَّب إلى العربي: «نعم قد يراد بذلك فيما ألحق بأبنيتهم بيان ما هو في حكم الحروف الأصول أو الزوائد»[٤]، ولم يكن الخفاجي مبتكرًا في هذا، فقد سبقه كثير من العلماء القدماء.

فهذا ابن جني يقول: «إن ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها»[٥].

ويقول في موضع آخر: «قال أبو عليٍّ: ويؤكد ذلك [ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب] أن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة، كما تشتق من أصول كلامها... وحكى لنا أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال: يقال: دَرْهَمَتِ الخُبَّازى أي صارت كالدراهم، فاشتق من الدراهم، وهو اسم أعجمي»[٦].

(١) شفاء الغليل (كُمَّثرى) ٣/ ٢١٠.
(٢) شفاء الغليل (أنجيل) ٢/ ١٥٥.
(٣) شفاء الغليل (خوان) ٢/ ٤٣٠.
(٤) شفاء الغليل: ٢/ ١٠٣.
(٥) الخصائص: ١/ ٣٥٧.
(٦) الخصائص ١/ ٣٥٩.

وحكى السيوطي[١] عن المرزوقي[٢] قوله: «المعرَّبات ما كان منها بناؤه موافقًا لأبنية كلام العرب يحمل عليها»، وقريب من ذلك أيضًا في ارتشاف الضرب[٣] وذلك كـ «سقر» ومرجان.

ويقول أبو حيان في الارتشاف: «والعجمة جنسية وشخصية، فالجنسية ما نقلته العرب إلى لسانها نكرة فتصرفت فيه بإدخال (أل) تارة وبالاشتقاق تارة»[٤].

وإلى ذلك أيضًا ذهب المحدثون فها هو ذا أدِّي شير يقول: «ليس فقط يشتقون أفعالًا من الألفاظ المعرَّبة، بل ربَّما استعاروا أفعالًا من اللغات الأعجمية، فاشتقوا مثلا من الفارسي (جَنْدَرَة): جَنْدَر، يُجَنْدِر. . .»[٥].

وقد أثبت الخفاجي مذهبه أثناء عرض مادته في كتابه بطريق عملي، حيث ذكر في كثير من المواد تصرفها وذكر بعض الصيغ الاشتقاقية لها، ومن ذلك قوله في مادة (زندق): «. . . وقال الجوهري: الزنادقة: الثنوية، وتزندق الرجل، والاسم الزندقة»[٦]، وقوله: «كرنبا: اسم موضع معرَّب. ويقال: كرنبوا إذا ذهبوا إليه»[٧]، وقوله في مادة (نيازك): «جمع نيزك. . . وصرفته

---

(١) المزهر: ١/ ٢٩٢.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، الأصبهاني (أبو علي)، لغوي أديب، توفي سنة (٤٢١هـ)، من مصادر ترجمته: معجم الأدباء: ٥/ ٣٤، وإنباه الرواة: ١٤١، وبغية الوعاة: ١/ ٣٦٥.

(٣) ارتشاف الضرب ١/ ٧٢.

(٤) ارتشاف الضرب ٢/ ٨٧٥، وانظر كتاب سيبويه ٣/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٥) الألفاظ الفارسيَّة المعربة ٤، ٥، وانظر التهذيب في أصول التعريب ١١٧، والاشتقاق لعبد الله أمين ١٤٧، ١٤٨، وفصول في فقه العربية ٢٩٢.

(٦) شفاء الغليل (زنديق) ٢/ ٥٠٢.

(٧) شفاء الغليل (كرنبا) ٣/ ٢١٩.

العرب، وقع في مسلم: نزكوه أي طعنوه»[١]، وغير ذلك من المواضع[٢].

كما يذكر أن المولدين إذا عرَّبوا الكلمة قد يتصرفوا فيها أيضًا، ومن ذلك قوله في مادة (تُرْكَش): «كجُعْبَة: مقر السهام عرَّبه المولدون، وتصرفوا فيه، وهو عامي»[٣]، وغير ذلك من المواضع[٤].

بين القياس والسماع:

يرى الخفاجي في مسألة القياس والسماع في التعريب أن المعرَّب سماعي، أما ما عُرِّب بعد عصور الاحتجاج فيعد مُوَلَّدًا.

وفي ذلك يقول عن المعرَّب: وهو سماعي، فما عربه المتأخرون يعد مولدًا[٥]، ولكنَّه يستثني من ذلك الأعلام، فهي ـ عنده ـ مقيسة؛ أي يجوز تعريبها في أي عصرٍ من العصور.

وقد نص على ذلك بقوله: «والتعريب غير مقيس إلا في الأعلام وما يجري مجراها»[٦].

وقال في موضع آخر عن المعرَّب[٧] ولعلَّ سماعيته مخصوصة بغير الأعلام.

وفي عصرنا نجد صدى لهذا الرأي في قياسية الأعلام في التعريب، حيث أجاز المجمع اللغوي تعريب الأعلام.

---

(١) شفاء الغليل (نيازك) ٣/ ٣١٧.

(٢) انظر شفاء الغليل في المواد الآتية: (بهرج)، و(بيازرة)، و(صهريج)، و(طرش)، و(فهرست)، و(قرميد)، و(كوسج).

(٣) شفاء الغليل (تركش) ٢/ ٣٥٠.

(٤) انظر شفاء الغليل مادة (فضولي)، و(قرطق).

(٥) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٣.

(٦) شفاء الغليل (فهرست) ٣/ ١٦٢، ١٦٣.

(٧) شفاء الغليل (المقدمة) ٢/ ١٠٥.

ثانيًا: النحت Contamination:

من القضايا التي ظهرت بوضوح عند الخفاجي في كتابه شفاء الغليل قضية النحت، حيث عالج الخفاجي بعض الأمور التي تخصُّ النحت عند الحديث عن بعض مواده المنحوتة كما سيتضح ممَّا يلي:

تعريف النحت:

لم يعرِّف الخفاجي النحت تعريفًا نظريًّا غير أنه أشار إليه كثيرًا في كتابه ومن ذلك قوله في مادة (تلاشي): «... قيل كأنها مشتقة من لا شيء كبسمل، وحمدل في باب النحت، كذا قال ابن الجوزي في غلطاته[1]، وقال الخفاجيُّ في موضع آخر: «ويقال لمن قال بسم الله الرحمن الرحيم: بسمل بالنحت، كحمدل وحوقل، وهو كثير في كلام العرب»[2].

ولعلَّ السبب في عدم تعريف الخفاجي للنحت يرجع إلى ثبوت تعريفه في مصادر اللغة عند القدماء؛ بدءً من العين للخليل بن أحمد إلى المزهر للسيوطي الذي عقد بابًا في كتابه المزهر في علوم اللغة تحدث فيه عن النحت، ويعرِّفُ الخليل النحت بقوله: فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة، واشتقوا فعلًا؛ قال:

وتضحكُ منِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّة كأنْ لم تَرَ قبلي أسيرًا يمانيًّا

نسبها إلى (عبد شمس)، فأخذ العين والباء من: (عبد)، وأخذ الشين والميم من: (شمس)، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من باب النحت[3].

ويعد ابن فارس أول من أعطى هذه الظاهرة حقها من الدراسة في كتابه

---

(١) شفاء الغليل (تلاشي) ٢/ ٣٣٧.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١/ ٤٤.

(٣) معجم العين ١/ ٦٩.

الصاحبي، ومعجمه مقاييس اللغة، حيث ذهب إلى أنَّ أغلب الرباعي والخماسي من الكلمات منحوتٌ؛ يقول ابن فارس في المقاييس: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهبًا في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه من المنحوت. ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان، وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعًا بحظ»(١)، وذهب ابن فارس يحاول تفسير كثير من الرباعي والخماسي في معجمه بطريقة النحت: «ولسنا نبرِّئ ابن فارس من التكلف، في بعض ما ادَّعى فيه النحت، . . . ولكنَّ تكلُّفَه في بعض أمثلة النحت، لا يعني فساد مذهبه، فيما جاء من كلام العرب، على أكثر من ثلاثة أحرف كما أن تكلفه في بعض المواطن لا ينفي اعتداله في سائر المواطن الأخرى»(٢).

وابن فارس كما نرى يقصر النحت على الرباعي والخماسي، غير أن بعض المحدثين يرون وقوع النحت في بعض الكلمات الثلاثية كذلك «فإن كلمة: (أسمر) ـ مثلًا ـ منحوتة ـ في رأينا ـ من: (أسود) و(أحمر)»(٣)، وإلى مثل ذلك يذهب الخفاجي حيث يقول: «وأيشٍ: أي شيءٍ. . . . خفف منه»(٤).

وهذا المفهوم للنحت عند القدماء ـ وعند الخفاجي ـ هو نفسه ما ذهب إليه المحدثون، فالنحت عندهم «أن تعمد إلى كلمتين أو جملة، فتنتزع من مجموع حروف كلماتها، كلمة فذَّة تدلُّ على ما كانت تدلُّ عليه الجملة نفسها»(٥)، ويرى بعض المحدثين أن النحت «ليس إلا مظهرًا من مظاهر الاختزال في مقاطع الكلام، أي أنه يؤيد ما يدعو إليه المحدثون من اللغويين»(٦)، حيث

(١) مقاييس اللغة ١/٣٢٨، وانظر الصاحبي ٢٢٧.
(٢) دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح ٢٦٧، ٢٦٨.
(٣) فصول في فقه العربية ٣٠٥.
(٤) شفاء الغليل (أيش) ٢/ ١٧٥.
(٥) الاشتقاق والتعريب ١٣، وانظر الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٩١، والتهذيب في أصول التغريب ١١٩.
(٦) من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ٩٣، وانظر الأصول في النحو للدكتور تمام حسان ٢٨٦.

يقررون أن جميع اللغات تميل نحو تقصير صيغ الكلمات، ويقول (جسبرش) في ذلك: «ليس هناك من أدنى شك في أن الاتجاه العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات»(١).

النحت بين القياس والسماع:

انقسم العلماء حول قبول النحت على طائفتين «فمنهم من يميل إلى جواز النحت والنقل اللفظي الكامل للمصطلحات، ومنهم من يرى أنَّ لغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب»(٢).

فمن يجيز النحت فقد اعتبره قياسيًّا وأصبح عندهم ضربًا من ضروب الاشتقاق(٣) اصطلحوا عليه بالاشتقاق الكُبَّار(٤). ويأتي ابن فارس ـ من القدماء ـ على رأس من توسعوا في النحت وعدوه قياسيًّا.

وأما الذين رفضوا النحت ـ كنوع من الاشتقاق ـ قياسًا، فإنَّ دافعهم إلى ذلك هو أنَّهم ردَّدوا قول بعض اللغويين أن الكلمات المنحوتة لا يكاد تجاوز ستين كلمة(٥)، ومن هنا «قلَّلوا من شأن النحت، وحقَّروا من شواهده؛ لتعويلهم فيه على ما سمعوه وحفظوه ممَّا شاع وتناقلته الألسنة؛ فأما ما كان قياسيًّا مبنيًّا على قواعد سليمة في الاشتقاق، فما كان ليكثر منه أحد إلا أنْ يكون ابن فارس الذي أصَّل أصوله ورسم منهجه، وكان فيه كل من أتى بعده عالة عليه»(٦). ويعلل بعض أصحاب الرأي الثاني ـ رفض أنْ يكون النحت

---

(١) Language its nature! development and origin! P. 330 نقلًا عن كتاب من أسرار اللغة ٩٣.

(٢) انظر دراسات في فقه اللغة ٢٦٦.

(٣) انظر فصول في فقه العربية ٣٠١.

(٤) انظر الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٩١.

(٥) انظر الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٩٣.

(٦) دراسات في فقه اللغة ٢٥٩، ٢٦٠.

قياسيًّا أو يكونَ نوعًا من أنواع الاشتقاق ـ بأنَّ الاشتقاق يرتبط بالحروف، أما النحت فيرتبط بالكلمات[(١)]، ولا أرى ذلك مبررًا لرفض قياسيَّة النحت أو أنْ يكون نوعًا من أنواع الاشتقاق؛ لأنَّ من قال بأنَّ النحت هو الاشتقاق الكبَّار لم يزعم بأنَّ النحت هو عينه الاشتقاق المعروف الذي يرتبط بالحروف بل قال إنه من الاشتقاق، فمن المسلم أن تختلف الأنواع في بعض الأمور وتتفق في أمور أخرى.

فالاشتقاق والنحت يتفقان في تغيير الصيغة إلى صيغة جديدة، وفي الاشتقاق تدلُّ الصيغة الجديدة على المعنى الأصلي وزيادة، أما في النحت فهي تدلُّ على المعنى الأصلي دون زيادة، ولذلك نجد بعض العلماء ممَّن قالوا بقياسية النحت يفرقون بينه وبين الاشتقاق ولم يدفعهم ذلك إلى رفض النحت، يقول الدكتور أنيس: «الاشتقاق في أغلب صوره عملية إطالة لبنية الكلمات، في حين أن النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات»[(٢)].

ونجد مجمع اللغة العربية القاهري يقف من النحت «موقف المتردد في قبول قياسيته»[(٣)].

موقف الخفاجي من قياسية النحت:

في الوقت الذي تحرَّج فيه «معظم اللغويين في شأن النحت واعتبروه من السماع، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن ننهج نهجه، وأن ننسج على منواله»[(٤)] نجد الخفاجي يقبل النحت ويصرِّح بأنَّه كثير في كلام العرب حيث يقول: «ويقال لمن قال بسم الله الرحمن الرحيم: بَسْمَلَ بالنحت كحمدل،

---

(١) انظر تصريف الأسماء د/ علي أبو المكارم ٥٢.

(٢) من أسرار اللغة ٨٦، وانظر ما قاله الدكتور عبد الله أمين في ذلك في كتابه الاشتقاق ٤٠٠.

(٣) انظر تفصيل ذلك عند الدكتور أنيس في كتابه: من أسرار اللغة ٨٩.

(٤) من أسرار اللغة ٨٧.

وحوقل، وهو كثير في كلام العرب»[١]، وبذلك فإنَّه يقر بمبدأ القياس في النحت، وهو وإن كان يرد قول من قال إن (بسمل) لغة مولَّدة بقوله: إلا أنه قيل إنَّ بَسْمَلَ لغة مولَّدة لم تسمع من النبي ﷺ ولا من فصحاء العرب، والمشهور خلافه، وقد أثبتها كثير من أهل اللغة كابن السكيت، والمطرزي، ووردت في قول عمر بن أبي ربيعة:

لقد بَسْمَلَتْ ليلى غداةَ لَقِيتُها فيا حَبَّذا ذَاكَ الحَدِيثُ المُبَسْمَلُ[٢]

ومما يؤكِّد ما نذهب إليه قول الخفاجي في مادة (طلبق): «طلبق» قال: أطال الله بقاءك: مولدة[٣]، وقوله بعد أن ذكر قول ابن حجاج:

لَكِنَّني كُنتُ في مَحَلٍّ مُدَمْعَزًا عندها مُطَلْبِقْ

«أي يقال لي أدام الله عزَّك، وأطال الله بقاءك»[٤].

دواعي النحت:

قبل أن نتحدث عن دواعي النحت عند اللغويين والخفاجي نود أن نقرِّر حقيقة مهمة وهي أنَّ العربيَّة «لا تنفرد بظاهرة النحت؛ ففي الإنجليزية ـ مثلًا ـ يقال: branch لوجبة الطعام التي تتناول في الضحى، فتقوم مقام الفطور والغداء معًا، وهي منحوتة فيها من breakfast = فطور + Lunch = غداء»[٥].

أما عن دواعي النحت، فقد تنبه الخفاجي إلى سببين مهمين من أسباب وجود النحت في العربية وهما:

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١/ ٤٤.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١/ ٤٤.

(٣) شفاء الغليل (طلبق) ٣/ ٩٦.

(٤) شفاء الغليل (طلبق) ٣/ ٩٦.

(٥) فصول في فقه العربية ٣٠٢، وانظر دور الكلمة في اللغة ١٤٣، وانظر الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ٧١.

- **الأول: كثرة الاستعمال:**

يقول الخفاجي في مادة (أيش): «. . . . وأيش في معنى أي شيء، كما يقال: ويلُمِّه في معنى ويل لأمِّه على الحذف لكثرة الاستعمال»(١)، ونجده يلمح إلى ملمح رائع ذهب إليه المحدثون وهو اتجاه اللغة نحو التعبير عن المعنى الذي يستعمل كثيرًا بأقل مجهود وذلك في قوله في مادة (بأبأ بفلان): «إذا قال له: بأبي أنت قال: بأنَّ يبأبأن، وأن يفدينَّ، أصله أفديك، ولهذا قالوا لهذه الباء: باء التفدية، فحذف لدلالة المعنى، وكثرة الاستعمال»(٢)، وهذا الذي ذهب إليه الخفاجي هو نفسه الذي ذهب إليه المحدثون، يقول الدكتور أنيس: «ذلك لأنَّ اللغة العربية تشتمل على كثير من العبارات المشهورة الكثيرة الشيوع، والتي تستعمل في غالب الأحيان ككل متماسكة الأجزاء في ظروف لغوية معينة، فكأنَّها بمثابة الأمثال والحِكَم، مثل (لا حول ولا قوة إلا بالله). . . ولكثرة دوران تلك العبارات في كلام العرب مالوا إلى اختزالها، والاكتفاء بأقل قدر من الإشارة إليها في صورة كلمة واحدة فعلًا أو مصدرًا يشيع استعماله على هذه الصورة الجديدة»(٣).

- **ثانيًا: الميل نحو تخفيف اللفظ:**

وهذا الغرض مرتبط بسابقه لأنَّ كثرة الاستعمال تدعو إلى محاولة تخفيف اللفظ، وفي ذلك يقول الخفاجي في مادة (هيولى): «في المزهر: هي في كلام المتكلمين أصل الشيء فإنْ يكن من كلام العرب، فهو صحيح في الاشتقاق، ووزنه فيعولي)، وقيل هو مخفف (هيئة أولى). والصواب أنه لفظ يوناني بمعنى الأصل، والمادة»(٤).

---

(١) شفاء الغليل (أيش) ٢/ ١٧٥، وانظر الاقتضاب ٢/٣٠٧، والروض الأنف ١/ ٢٤١، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ٢/ ٨٠٩.

(٢) شفاء الغليل (بأبأ بفلان) ٢/ ٣١٥.

(٣) من أسرار اللغة ٨٦.

(٤) شفاء الغليل (هيولى) ٣/ ٣٤٥.

فالخفاجي يُقَرِّر مبدأ النحت طلبًا للتخفيف ـ بشكل عام ـ فلم يعترض على كلام السيوطي وإنَّما اعتراضه عليأنْ تكون هذه المادة عربية.

من ذلك قول أستاذنا الدكتور رمضان ـ نقلًا عن الألمان ـ أن سبب نشوء النحت: «أنه صعوبة فصل المتكلم بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة، فقد تتداخل الكلمتان تداخلًا تامًّا، فينتج عن ذلك وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلفة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة، وهو ما نسميه النحت Contamination»[(١)]، وقد تنبه ابن فارس إلى ذلك قبل الخفاجي فقال: «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار. وذلك نحو (رجل عبشمي) منسوب إلى اسمين. . . . »[(٢)].

صور النحت (المنحوت)[(٣)]:

يقسم المحدثون النحت إلى أربعة أقسام وهي:

١ ـ النحت الفعلي:

وهو عبارة عن «أفعال رباعية نحت كل منها على وزن فَعْلَلَ. . . بسمل. حولق ولا يقال: حوقل. . . »[(٤)].

وقد ذكر الخفاجي عدة نماذج على هذا النوع منها (بَسْمَلَ)[(٥)] و(بأبأ)[(٦)]،

---

(١) فصول في فقه العربية ٣٠١، وانظر دور الكلمة في اللغة ١٤٣، وانظر التهذيب في أصول التعريب ١١٩.

(٢) الصاحبي ٢٢٧، ونقله الدكتور صبحي الصالح في دراسات في فقه اللغة ٢٤٤.

(٣) هذا التقسيم الذي قسمه عبد القادر المغربي في الاشتقاق والتعريب ١٣، ١٤ ونقله أستاذنا الدكتور رمضان في فصول في فقه العربية ٣٠٢، وانظر تقسيم عبد الله أمين في الاشتقاق ٣٩٣، ٣٩٤ والتهذيب في أصول التعريب ١١٩.

(٤) الاشتقاق لعبد الله أمين ٣٩٣، وانظر فصول في فقه دراسات ٣٠٢ ومن أسرار اللغة ٨٩.

(٥) شفاء الغليل (بسمل).

(٦) شفاء الغليل (بأبأ) ٢/ ٣١٥.

و(طلبق)[١]، و(دمعز)[٢]، ومن ذلك قوله في مادة (فهرست): «وهذه لفظة منحوتة مولَّدة أيضًا وليست معرَّبة»[٣].

٢ ـ النحت الوصفي[٤]:

وهو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدلُّ على صفة بمعناها أو بأشدَّ منها؛ مثل: (ضِبَطر) للرجل الشديد من (ضبط) (وصبر) وفي: «ضِبَطر معنى الشدَّة والصلابة»[٥]، ومن أمثلة هذا النوع عند الخفاجي مادة (سلسبيل) حيث يقول: «سلسبيل معرَّب، وقيل عربي منحوت أي سلس سبيله»[٦].

٣ ـ النحت الاسمي:

«هو أن تنحت من كلمتين اسمًا؛ مثل (جلمود) من (جمد) و(جلد)»[٧]، ومن أمثلة هذا النوع عند الخفاجي مادة (بشخانة)، ومنها أيضًا قوله في مادة (زنجبيل): «معرَّب، وهو عروق في الأرض، وليس شجرًا، ولا نباتًا كما ظَنَّه الدينوري، وقيل هو عربي منحوت من (زنأ في الجبل) إذا صعده، وهو بعيد»[٨]، وقول الخفاجي: وهو بعيد يعود علىأنْ تكون هذه المادة عربية وليس على كونها منحوتة، لأنَّه يرجح أنَّها معرَّبة، ونجد أمثلة عنده على نحت اسم من أكثر من كلمتين من ذلك مادة (ويلمِّه)[٩] من (ويل لأمِّه)، ، (أيشٍ)

(١) شفاء الغليل (طلبق) ٣/ ٩٦.
(٢) شفاء الغليل (طلبق) ٣/ ٩٦.
(٣) شفاء الغليل (فهرست) ٣/ ١٦٢.
(٤) ويرى الأستاذ عبد الله أمين أن هذا الفعل المنحوت تجري عليه أحكام الأفعال.
(٥) فصول في فقه العربية ٣٠٢.
(٦) شفاء الغليل (سلسبيل) ٣/ ١٣.
(٧) فصول في فقه العربية ٣٠٢.
(٨) شفاء الغليل (زنجبيل) ٢/ ٥١٠.
(٩) شفاء الغليل (ويلمه) ٣/ ٣٥٩.

من (أي شيءٍ)[١] وقوله: (أجَنِّي) بفتح الهمزة وكسر النون المشددة، تليه مثناة تحتية بمعنى (من أجل أنِّي)[٢].

ويلتفت الخفاجي إلى نوع من نحت الأسماء ـ وإن كان نقله عن القاموس ـ نجده الآن منتشرًا وخاصة في اللغات الأوربية، ذلك خاصة في نحت المصطلحات التي تطلق على المؤسسات، أو الهيئات، وذلك بأنَّ تعمد إلى عدة كلمات فتنحت من كل كلمة أشهر حرفٍ فيها ـ وربما يكون الحرف الأول ـ وتصوغ كلمة واحدة تعبر عمَّا تعبر عنه هذه الكلمات مجتمعة.

ومن ذلك قول الخفاجي في مادة (كشاجم): «وفي القاموس: بضمها، وهو اسم مأخوذ من صناعته، فالكاف من كاتب، والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من جميل، والميم من منجم»[٣]، وبغض النظر عن صحة ما نقله عن القاموس أو خطئه فإن إشارة إلى ذلك السيل الجديد الذي نراه في عصرنا لهذه المصطلحات المنحوتة من مثل: (GUC) اختصار للجامعة الألمانية، و(A.M.S) اختصار للمدرسة الأمريكية الحديثة، والـ (IGCUSE) الشهادة البريطانية الثانوية الدولية، ومن الكلمات العربية (فتح) اختصار لـ (حركة تحرير فلسطين)[٤]، و(حماس) اختصار لـ (حركة المقاومة الإسلامية)، وفي ذلك يقول الدكتور تمام حسان: «ومما يرتبط بالاشتقاق أيضًا ظاهرة النحت، وهي تمثل نوعًا من أنواع الاختزال؛ بالمبنى على اختيار أشهر حروف العبارة لصياغة كلمة منها (Abreviation)، كالذي يفد علينا من أسماء وكالات الأمم المتحدة، كاليونسكو، والفاو، واليونيسيف، أو المسميات الأجنبية (كالناتو) حلف شمال الأطلنطي، و(السنتو) الحلف المركزي»[٥].

---

(١) شفاء الغليل (أيش) ٢/ ١٧٥.

(٢) شفاء الغليل (أجنِّي) ٢/ ٢٠٩.

(٣) شفاء الغليل (كشاجم) ٣/ ٢٣٥.

(٤) ذكر ذلك الدكتور على أبو المكارم في كتابه تصريف الأسماء ٥٢.

(٥) الأصول في النحو د/ تمام حسان ٢٨٦.

٤ ـ النحت النسبي:

«وهو أن تنسب شيئًا أو شخصًا إلى بلدتي (طبرستان) و(خوارزم) مثلًا فتنحت من اسميهما اسمًا واحدًا على صيغة اسم المنسوب؛ فتقول (طبرخزي)، ونحو ذلك»[١].

ومن أمثلة هذا النوع عند الخفاجي قوله في مادة (عبدلي): «نوع من البطيخ يقال له الخراساني منسوب لعبد الله بن طاهر، فإنه الذي دخل به إلى مصر»[٢].

النحت عند التعريب:

تنبه الخفاجيُّ إلى أنَّ الاسم المعرَّب قد يدخل إلى العربية منحوتًا من مركب أعجمي، وقد يجعل مفردًا؛ حيث يقول في مقدمته لشفاء الغليل: «وقد ينقل [أي اللفظ الذي يراد تعريبه] من مركب، ويجعل مفردًا، كسجيل، فإنه معرَّب (سنك) و(كَل)، وقد يترك على تركيبه مثل (شهنشاه)»[٣].

وإلى ذلك أشار علماء اللغة المحدثون؛ يقول الدكتور صبحي الصالح: «ولا مانع من النحت إذا اضطررنا إليه في تعريب المصطلحات العلمية والفنية»[٤].

ومن أمثلة الكلمات المعرَّبة المنحوتة من كلمتين أو أكثر في أصل لغتها عند الخفاجي في مادة (فهرست) كلكمة (فذلكة)[٥] ومادة (مجوس) «في الأصل معرَّب (منج كَوش)»[٦]، ومادة (زنجبيل)[٧]، ومادة (سلسبيل)[٨]،

---

(١) فصول في فقه اللغة ٣٠٢.

(٢) شفاء الغليل (عبدلي) ٣/ ١١٣، وانظر الأصول ٢٨٦، والتهذيب في أصول التعريب ١١٩.

(٣) شفاء الغليل (المقدمة) ١/ ١٢٦.

(٤) دراسات في فقه اللغة ٣٢٤، وانظر هذه القضية عنده صفحة (٢٧٢ ـ ٢٧٤).

(٥) شفاء الغليل (فهرست) ٣/ ١٦٢.

(٦) شفاء الغليل (مجوس) ٣/ ٢٦٤.

(٧) شفاء الغليل (زنجبيل) ٢/ ٥١٠.

(٨) شفاء الغليل (سلسبيل) ٣/ ١٣.

ومادة (بشخانة)[(١)] التي يقول فيها: «عامية معرَّبة (بشه خانه) أي بيت البعوض» وغيرها.

ثالثًا: القلب المكاني:

من الظواهر اللغوية التي ظهرت بوضوح في شفاء الغليل عند الخفاجي، ونبَّه عليها؛ ظاهرة القلب المكاني.

تعريفه:

«هو عبارة عن تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغييره تغييرًا طفيفًا»[(٢)]، ويعد بعض المحدثين القلب المكاني من الظواهر الصوتية التي تعني «تبادل صوتين لمكانيهما، بأنَّ حلَّ كل منهما محل الآخر [مثل] أرانب أنارب، وملاعق معالق، ومسرح مرسح»[(٣)].

ويُرجع اللغويون سبب ذلك القلب إلى «الميل لتخفيف اللفظ أو التفنن فيه، ويحدث في الغالب اعتباطًا»[(٤)].

ونجد من القدماء من يرفض ظاهرة القلب المكاني، ويعتبر كل لفظ من المتقالبين أصلًا قائمًا بذاته وليس مقلوبًا لآخر، وذلك لأنَّهما ـ كما يرون ـ يتصرفان تصرُّفًا واحدًا[(٥)]، ويعقد علاء الدين القوشجي فصلًا في كتابه عنقود الزواهر في الصرف «لبيان ما يعرف به كون الكلمة مقلوبة من أخرى»[(٦)].

---

(١) شفاء الغليل (بشخانة) ٢/٣١٩.

(٢) الفلسفة اللغوية ٥٩.

(٣) مدخل إلى علم اللغة (حجازي) ص٨٧، ٨٨.

(٤) الفلسفة اللغوية ٥٩، ٦٠.

(٥) انظر الخصائص لابن جني ٤٦٧، وما بعدها، وانظر من أسرار اللغة ٧٤ حيث ذكر رأي ابن جني هذا.

(٦) انظر تفصيل هذه الشروط في عنقود الزواهر في الصرف ٣٢٣ ـ ٣٢٦.

أما عن موقف الخفاجي من القلب المكاني، فإنه من الذين يقولون بوقوع القلب المكاني، وقد نثر له أمثلة عديدة في كتابه وإن لم يهتم بتعريف القلب المكاني نظريًّا غير أن أمثلته التي ذكرها توضح مفهوم القلب المكاني، ومن ذلك قوله في مادة (مشخلب): «وتقدم خاؤه فيقال: مخشلب على القلب»[(١)].

فالخفاجي يرى أنَّ القلب هو تَقَدُّم صوت على آخر في الكلمة، وهو ما ذهب إليه المحدثون كما ذكرنا من قبل، وإن عدُّوه على هذا الأساس من الظواهر الصوتية.

ومن ذلك أيضًا قوله: «واهف، ووافه قَيِّمُ بيعة النصارى»[(٢)]، وقوله: «نَوْرَج، ونَيْرج، وعن الأصمعي (نوجر) بالقلب...»[(٣)] وغيرها من المواضع[(٤)].

ويرى الخفاجي أنه من القلب أيضًا تبادل حرفين في الكلمة ولو كان بينهما فاصل، ومن ذلك قوله في مادة (إحنة): «بمعنى الحقد... قال ابن الصراح... والوجه أن أصلها حِناء مقلوب منها»[(٥)]، وقوله في مادة (بنكام): «وتقلبه العامة فتقول: منكاب، وهو غلط»[(٦)]، ومثله في مادة (طلسم)[(٧)].

---

(١) شفاء الغليل (مشخلب) ٣/ ٣٥٠.
(٢) شفاء الغليل (واهف) ٣/ ٣٥٨.
(٣) شفاء الغليل (نورج) ٣/ ٣٢٣.
(٤) انظر شفاء الغليل (علوط) و(مقدونس) و(مقنجر) و(صوفي).
(٥) شفاء الغليل (إحنة) ٢/ ١٩٨.
(٦) شفاء الغليل (بنكام) ٢/ ٣٠٦.
(٧) شفاء الغليل (طلسم) ٣/ ١٠٢.

فهرس الموضوعات

القسم الأول
الدراسة

البَابُ الأوَّل
قضايا المُعَرَّب
في شفاء الغليل

البَابُ الثَّانِي
القضايا اللغوية
في شفاء الغليل